باز بینی شد
۱۳۵۳

مهر وقف نامه شد

کتابخانه آستان قدس

اسم کتاب شفا — عربی

مصنف شیخ رئیس ابی علی سینا

خطی نسخ ۲۱ سطری

سال تحریر — عدد اوراق ۲۱۸

جزء کتب حکمت خطی شماره ۸۷۳

شماره عمومی ۷۷۰ شماره قبض ۱۷۴۵

واقف میرزا رضا خان نائینی تاریخ وقف مرداد ۱۳۱۱

طول ۳۰ عرض ۲۰ سانتیمتر قفسه

باسمه تعالی

شناسنامه آسیب شناسی

نسخه شناسی	عنوان	شفا	
	نوع	خطی ✓ / چاپ سنگی	
	درجه نفاست	نفیس	
	اندازه	۲۰×۳۰	
	شماره اموالی	۸۷۳	
	تعداد اوراق	۲۱۸	
	قطع	رحلی	
آسیب شناسی و اقدامات مرمتی	درصد تخریب اوراق	۱۰ / ۲۰ / ۵۰ / ۸۰	
	از هم پاشیدگی عطف	دارد / ندارد ✓	
	نیاز به جعبه	دارد ✓ / ندارد	
	نوع آفت	شیمیایی / زیستی / فیزیکی	
	نیاز به جلد سازی	دارد / ندارد ✓	
	نیاز به مرمت جلد	دارد ✓ / ندارد	
	نیاز به مرمت اوراق	دارد / ندارد ✓	
	نیاز به دوخت عطف	دارد / ندارد ✓	
	نیاز به لکه گیری	دارد / ندارد ✓	
	نیاز به گردگیری	دارد / ندارد ✓	
	نیاز به آفت زدایی	دارد / ندارد ✓	
	نیاز به اسیدزدایی	دارد / ندارد ✓	

بررسی کنندگان: ۱. هرهمند ۲. دهقانپور ۳. افوهی

ناظر:

اقدامات انجام شده:

تاریخ بررسی: ۸۹/۴/۲۷ تاریخ اقدام:

۱۵/۷/۱۲ ۹

شفا

که جلد ~~... طبیعیات~~ است

دفتر فن دوم و ششم طبیعیات از اوست

اوّل آن (الفن الثانی من الطبیعیات) ، آخر نسخه (فلا نعید شیئاً منه ذلک)

خط نسخ ۲۱ سطری ، شماره اوراق ۳۱۸ ، طول ۳۰ عرض ۲۰ بر قطعه

[library stamps]

كتاب طبيعيات شفاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الفن الثاني من الطبيعيات وهو مقالة واحدة في السماء والعالم فصل في قوى الاجسام البسيطة والمركبة وافعالها الاجسام على قواها لا تنقل الا على احد اقسام ثلثة اما
ان يكون الجسم واحدا لا تركيب فيه من جسمين وله قوة واحدة فقط واما ان يكون الجسم ذا
تركيب من اجسام تمازجت ويختص كل واحد منها بقوة سواء تفاعلت فحصل منها قوة واحدة
مزاجية مشتركة او لم يتفاعل وغرضنا ان نتكلم في القسم الثاني انه كيف يمكن ان يوجد
فنقول ان هذا ايضا تنقسم على اقسام منها ان يكون القوتان غير صورة الجسم بل تابعين لها
او عارضين من خارج ومنها ان يكون احدهما صورة والاخر لازما او عارضا ومنها ان
لا يكونا عرضين بل امران يحصل من مجموعهما صورة واحدة للجسم بها الجسم نوع واحد
لنجوز الان وجود القسمين الاولين ولنتامل حال القسم الثالث وهذا القسم الثالث ايضا
تنقسم على وجوه اما ان يكون مليا باقامة مادته بالفعل جوهرا قائما او يكون احدهما كذلك
او لا يكون مجموعهما كذلك فان كان كل واحد منهما مليا باقامة المادة لو انفرد لزم
من ذلك ان يكون المادة قد تقومت باي واحد منهما فيثبت ويكون الاخر خارجا عن
تقويم المادة فيكون عرضا فيكون كل واحد منهما صورة وعرضا هف وان كان
المقوم احدهما وحده كان الباقي عارضا فلحق الامر باحد القسمين الاولين واما

ان

ان يكون تقويمهما للمادة امرا يحصل عنهما بالشركة فمجموعهما بالحقيقة هو الصورة
وكل واحد منهما جزء الصورة وكل واحد منهما لا يخلو اما ان يكون جزءا
متميزا بنفسه لا كمعاني الجنس والفصل في الامور البسيطة التي لا يتميز
كل واحد منهما امرا منفصلا لا بنفسه بل يكون كاجزاء المركبات او لا يكون
كذلك فان لم يكن كذلك لم يكن واحد منهما يصدر عنه وحده
فعل خاص نوعي بل عسى ان يصدر عن المعنى الجنسي فعل جنسي يتم نوعيته
بالمعنى الفصلي مثلا ان يكون الصادر عنه حركة مطلقة وتتخصص نوعها
بشركة الفصل وهذا ما لا ينكر واما الوجه الاول فهو محال وذلك لان
كل واحد منهما ليس وحده مقوما للمادة ولا ايضا يتقوم بقرينه والا فقرينه
اقدم منه ذاتا وهو تابع لقرينه وهذا مما لا ينكره اعني ان يكون شيء من الهيئات
يتقوم به هيئة اخرى هي بعده في الجسم البسيط بل هذا داخل في احد القسمين
المذكورين وانما ينكر ان يكون كل واحد منهما يتقوم بالاخر فيكون اقدم منه
واشد تاخرا عنه معا لا مح ان الواحد منهما لا يتقوم الا بالمادة اذ فرضنا انه لا يوجد
الا فيها وهو على ما فرضناه ايضا غير مقوم لها فالمادة اقدم منه اقدم من المركب منهما
اعني من مجموع الهيئتين وهذا المجموع هو المقوم للمادة بالفعل كما فرض فيكون بالحقيقة
اقدم من شيء هو مقوم للمادة فيكون اقدم من المادة وكانت المادة اقدم منه هف فقد ظهر
استحالة هذا القسم ولا يجوز ان يكون صورتان ليست احداهما اقدم من الاخرى يقيمان
المادة بالشركة وان كان قد يجوز ان يكون طبيعة واحدة بسيطة يصدر عنها بما هي
صورة قوة فعلية كما عن طبيعة الماء البرد المحسوس ويكون عنها من جهة مادتها
بمادتها قوة اخرى انفعالية كما للماء من الرطوبة ويجوز ان يكون قد يفيض عنها بحسب لين
الجسم قوة مميلة وبحسب كيف الجسم قوة مسخنة ويكون احدهما اقدم من الاخرى فان

المسخنة قبل المميلة حتى ان المكتسب سخونة بالعرض يميل الى فوق او يكونان معا ولكن
احدهما سببه تلك الصورة لذاتها كالسخونة للنار والبرودة للماء والاخرى سببها الصورة
مع عارض عرض لها مثل الميل اذا كان الجسم عرض له مفارقة مكانه الطبيعي واما ان يكونا
معا ولا سبب الا الصورة الواحدة فلا يمكن وانت قد علمت الفرق بين الصورة و
بين هذه الاحوال قبل هذا الموضع وانت تعلم من هذا ان الجسم في مكانه الطبيعي لا
يكون سبب حركته موجودا من حيث هو سبب حركة اذ لم يكن السبب صورته
فقط بل صورته وشيء فلا يكون بالحقيقة شيء واحد هو سبب الحركة الى المكان الطبيعي
وسبب السكون ويزول عنه الشك الذي يورده بعضهم ويجب ان لا يشك في
استحالة وقوع الافعال المختلفة الغايات اذا كانت المادة واحدة والقوة واحدة
والسبب الفاعلي واحدا فيعلم ان القوة الواحدة يصدر عنها فعل واحد وان الفعل
الطبيعي الواحد لا يصدر الا عن قوة واحدة فان كان ذلك الفعل الطبيعي واحدا
بالجنس كحركة الماء والارض الى اسفل فان هاتين الحركتين واحدة بالجنس لا
بالنوع لانهما تشتركان وتفترقان في امر ذاتي لهما اما الاشتراك فبانهما يتوجهان
من حيز الهواء الى البعد عن الفلك واما التباين فلان نهاية كل واحدة منهما
ليست نهاية الاخرى بالنوع فكانت القوة واحدة بالنوع فان القوة الواحدة بالنوع
انما يحصل غاية واحدة بالنوع فاذا كان الفعل الطبيعي واحدا بالنوع فمبداه واحد بالنوع
ولو كان مبداه واحدا بالجنس لكان البسيط الذي يشاركه في نوع تلك الحركة
لا يشاركه في العلة النوعية بل في العلة الجنسية والقوة الجنسية ويخالفه في
زيادة فصل لقوته فذلك الفصل اما ان يخصص فعل القوة او لا يخصص فان خصص
فليست الشركة في نوعية الفعل وان لم يخصص فليس ذلك فصلا للقوة
من حيث هي قوة يوجب حكما في القوة من حيث هي قوة فيكون امرا عرضيا لا فصليا

فصل في اصناف القوى والحركات البسيطة الاول وانها الطبيعة الفلكية خارجة عن الطبايع العنصرية

قد عرفت مما سلف انه
اذا كانت حركة طبيعية مستقيمة افترض للحركات الطبيعية اجناس ثلثة
جنس المتحرك من الوسط وجنس المتحرك الى الوسط وجنس المتحرك على الوسط فليعلم
انه ليس يجب ان يكون المتحرك من الوسط لا محالة انما يتحرك من الوسط فانه اذا كان من موضع
اخر لكنه يبعد بحركته عن الوسط فهو متحرك عن الوسط ولا المتحرك الى الوسط
هو الذي ينتهي لا محالة بحركته الى عين الوسط فانه ان كان يقرب بحركته الى الوسط
فهو متحرك الى الوسط وليس كل ما يتحرك الى شيء يصل اليه والمتحرك على الوسط
ليس يجب لا محالة ان يكون الوسط مركزا لدورانه وان لم يكن مركزا له وكان في ضمنه
فهو متحرك على الوسط اذ يتحرك حوله بوجه ما الا واحد بعينه هو من جملة المتحركات
على الوسط وهو المحدد للكل فان الوسط يجب ان يكون مركزا لدورانه اما غير
ذلك الواحد فربما كان المستدير المتحرك على الوسط ليس مركزه الا وسط حركة
المتحرك الى الوسط وعن الوسط فلا يكون هو الذي بالقياس اليه يتحدد الوسط الفاعل
للجهات الطبيعية للحركات المستقيمة واذا كان المتحرك متحركا حول هذا الوسط
وليس هو مركزه فيعرض له تارة ان يكون اقرب منه وتارة ان يكون ابعد منه و
ليس ذلك لانه يتحرك الى الوسط او عن الوسط لانه ليس يتوجه بحركته الى ذلك القرب
والبعد توجها ذاتيا بل انما يتحرك وهو على مداره لكن عرض ان كان جزء من مداره
اقرب من الوسط المذكور وجزء ابعد كما ان الاجزاء مداره قرب وبعد من
اشيا يكاد ان لا ينتهي بالقوة وليس حركته اليها بالقصد الاول بل القصد
الاول في حركته حفظ مداره ثم يعرض منه ذلك ولو كان بالقصد
الاول لكان تقف عند حصول المقصود ولا يفارقه ولكان يتحرك اليه من

اقرب المسافات وهو المستقيم لا على انحراف وعلى ان هذا القرب والبعد يعرض للجملة
المتحرك على الوسط انما يعرض لجزء من المتحرك على الوسط ليس هو جزء منفصلاً
متحركاً بنفسه بل جزء موهوم متحرك بالعرض لو كان ايضا غير موهوم فاما الكلية
فانما يتحرك فى الوضع فاذا كان ذلك كذلك ولم يكن هناك متحرك متميز
ولا حركة بالذات الى جهة يتحرك اليها بالقصد الاول فكيف يكون حركة
حقيقية الى الوسط او عن الوسط حتى يشنع بذلك بعض المقربين الى العامة من
النصارى وهو يشعر فالمتحرك بالطباع الى الوسط هو الذى يسمى ثقيلا والمرسل
منه هو الذى من شانه اذا فارق مكانه الطبيعى ولم يعرض له بفسد ولا مانع ان
يبلغ الوسط فيكون راسيا تحت الاجسام كلها والمتحرك بالطباع عن الوسط
هو الذى يسمى حقيقيا والمرسل منه هو الذى من شانه اذا فارق مكانه الطبيعى و
حصل فى ناحية الوسط ولم يعرض له بفسد ولا مانع ان يعود فيتحرك حتى يبلغ ابعد
حدود حركات الاجسام الطبيعية من فوق فيكون طافيا فوق الاجسام المستقيمة
الحركة كلها واما الثقيل على الاضافة والخفيف على الاضافة فكل على قسمين ولنذكر
الثقيل بالاضافة فاحدهما الذى هو بطباعه متحرك فى اكثر المسافة الممتدة بين حدى
الحركة المستقيمة حركة الى الوسط لكنه لا يبلغه وقد يعرض له ان يتحرك عن الوسط
ولا يكون تانك الحركتان متضادتين كما ظنه بعضهم لانهما ينتهيان الى طرف
واحد ونهاية واحدة وهذا مثل الماء فانه اذا حصل فى حيز النار والهواء تحرك منهما الى
الوسط ولم يبلغه واذا حصل فى حيز الارض بالحقيقة وهو الوسط ميلا تحرك عنه
بالطبع ليطفو عليه فهو من هذه الجملة ثقيل مضاف ومن جهة انه اذا قيس الى الارض
نفسها فكانت الارض سابقة له الى الوسط واشد ميلا الى الوسط فيصير عند الارض
خفيفا فهو ايض ثقيل بالاضافة من هذا الوجه وهذا الوجه يقرب من الاول والبين

فان

فان هذا باعتباره وهو يشارك الارض فى حركته الى الوسط ولكنه يبطى و يتخلف
عنه واما ذلك فاعتباره من حيث لا يزيد على الوسط الحد الذى يريده الارض
بعينه وهذا الاعتبار غير ذلك وكيف لا وربما شارك البطى السريع فى الغاية
اذا كان اختلاف ما بينهما للصغر والكبر وهكذا يجب ان يتحقق فى جنبة الخفيف
المضاف ايض ولفظنا الخفة والثقل قد يعنى بكل واحدة منهما امران احدهما ان
يكون الشيء من شانه اذا كان فى غير الحيز الطبيعى يحرك بميل فير طبيعى الى احدى الجهتين
واذا عنى بالثقل والخفة ذلك كانت الاجسام المستقيمة الحركة دائما ثقيلة او خفيفة
والثانى ان يكون ذلك الميل لها بالفعل فاذا كان كذلك لم يكن الاجسام فى مواضعها
الطبيعية بثقيلة ولا خفيفة واما الجسم المتحرك بالطبع على الاستدارة فانه لا ثقيل ولا خفيف
لا بالوجه المقول بالفعل ولا بالوجه المقول بالقوة وهذا الجسم قد سلف منا اثباته بالوجه
البرهانى وبينا انه اقدم وجودا من هذه الاجسام الاخرى فان هذه الاجسام طباعها
لا يوجد مطبوعة على ادون يريدها الا بعد ان يوجد اماكنها الطبيعية ويكون ذلك
لا على انها علل لاحداث اماكنها الطبيعية فانها لا يصير طبيعية او يكون لها احيان
طبيعية وانما يحدد اماكنها بهذا الجسم وهذا الجسم اقدم بالذات من يعنى هو مع
هذه الاجسام لا ساخر عنها ما هو اقدم من مع فهو اقدم والاولى ان يكون اتم البسيطين
اقدم واتم الحركتين البسيطتين هى المستديرة والاولى ان يكون اقدم البسيطين
لاقدم الجسمين البسيطين وذلك لان الحركات الطبيعية البسيطة يجب ان يكون
الاجسام البسيطة فان المركبة ان كان امامبدء حركة بسيطة طبيعية لم يخل
اما ان يكون انما يصدر ذلك عن قوة تحدث عن امتزاج قوى فيكون مقتضاها
ممتزجا عن مقتضيات القوى البسيطة فاما ان يتمانع واما ان يغلب واحدا واما ان
يتناوب فان تمانعت فلا حركة وان غلب واحد فذلك الواحد هو قوة الجسم

کتابخانه آستان قدس رضوی
وزره کتاب

البسيط المتقدم لا قوة المركب لكن حركته مسوبة بانطالا محالة لمقاومة القوى
الاخرى والمشوبة بالابطا غير صرفة ولا بسيطة مطلقا وان تناوبت فالحركة مركبة
من حركات فكل بسيطة منها فهى من بسيطة هى عليها وقياما واما ان لا يكون
من قوة ممتزجة من قواها بل يكون المزاج يلزمه استعداد ان يقبل قوة يصدر عنها
نوع من التحريك اخر ولا يكون هذه الحركة بالحقيقة طبيعية وذلك لانها قاهرة
لمقتضى القوة الطبيعية الاولية فى الجسم فان تلك القوى يقتضى جهة او يقتضى
ممانعا وسكونا لما بيناه الان وهذا انما يصدر عن ذلك ويصرف عنه قهرا
فيكون هذه القوة دخيلة على القوى الطبيعية كما يدخل الحرارة على الارض و
الماء فيصعد هما وهناك قوة برجحن بها لكنها يغلب وكما ان الارادة ايض يوجب خلاف
مقتضى الجسم من الحركة واذا كان كذلك فيكون هذه القوة الطارية لا تفعل حركة
طبيعية بل تفعل حركة مضادة للطبيعية وليس علينا الان ان نتكلم فى ان
هذا يجوز وجوده او لا يجوز فانه من حيث يجوز حدوث قوى بعد المزاج الاول هى صورته
لا عرضية فيحتمل ان هذا يجوز وجوده ومن حيث يظن انه لا يجوز ان يكون الشئ
بعد لضده ولمخالفه بالطبع فيظن ان هذا لا يجوز وجوده وخصوصا على سبيل ما يستكمل
الجسم الطبيعى به نوعا بل ان كان ولا بد لسبب من خارج ولمبدء غريب غير مكمل
للنوع بل طارى بعد استكمال النوع وعلى ان تحريك هذه القوة يتوجه الى مكان ما
ويكون لذلك المكان جسم طبيعى وبسيط وهذه القوة يحرك اليه جسما بالطبع فان
كان الجسم الطبيعى الذى لذلك المكان موجودا فى هذا المركب فالحركة بحسب
البسيط وان لم يكن موجودا كان مكان واحد مقتضية بالطبع اجسام كثيرة
وهذا محال اللهم الا ان يكون ذلك التحريك هو فى حيز غير مختلف بالطبع مثل حركتنا
فى الهوا ومثل هذه الحركة لا يكون طبيعية لان الطبيعة لا يخرج عن مثل بالطبع

الى مثل

الى مثل بالطبع واما الارادة فلها غايات غير طبيعية واذا كانت الحركات البسيطة
الطبيعية يكون للاجسام البسيطة كانت الحركات البسيطة اما مستقيمة او
مستديرة اذ المنافات البسيطة اما مستقيمة واما مستديرة واما المنحنية وان
كانت محصلة النهايات فليس يحصل النهايات بها تحصلا واجبا اذ يجوز
ان يكون تلك النهايات لمنحنيات اخرى لا نهاية لها واما المستقيمة فليست
كذلك واذا كان كذلك فلا يتعين لطبيعة البسيط سلوك بين
نهايتين للمنحنيات على نوع منها دون نوع واما المستقيمة فيتعين منها ذلك
وان كانت غير متعينة النهايات من حيث هى مستقيمة وعلى ان الماخذ
المنحنى غير بسيط لان المنحنى لا يكون فى نفسه ايض متشابه الاجزا كان محيطا او
مقطوعا والبسيط متشابه فبين ان الحركات المستقيمة والمستديرة
البسيطة هى للاجسام البسيطة كما ان الاجسام البسيطة حركاتها الطبيعية
اما مستقيمة واما مستديرة ولما كان لا يمكن ان يكون مستقيمة الا كانت جهة
ولا يكون جهة الا كان محيطا بالطبع ولا يكون محيط بالطبع الا ان يوجد المستدير
المتحرك على الاستدارة على ما سلف لك من جميع ذلك والمستقيمة الطبيعية
موجودة والاجسام التى لها فى طباعها ميل مستدير كانت كثيرة او واحدة فانها
جنس يخالف الاجسام المستقيمة الحركة بالطبع خلافا طبيعيا كما قد وقفت
عليه من الاقاويل السالفة ولكنها ان اقتضت بعد ذلك مواضع فى الطبع مختلفة
وجهات فى الحركات مختلفة فبالحرى ان يختلف بالنوع والاجسام التى اذا فرضت
مع اجسام اخرى بالتوهم فى حيز واحد فتحركت هذه الى الوسط مثلا وتلك
لم تتحرك بل سكنت او تحركت عن الوسط او سكن بعضها وتحرك الاخر عن
الوسط وذلك لها بالطبع فانها متخالفة الطبايع بالذات فيكون المتحركات الى

الوسط جنسا والمتحركات عن الوسط جنسا يخالف ذلك الجنس الاخر لكنها ان
وجدت بعد ذلك مختلفة بالطبع حتى يكون الواحد يقتضى موضعا طبيعيا فوق
او تحت الاخر وواحد يتحرك ابعد وواحد يتحرك اقرب وواحد سهل وسلم واخر يزول
ميله وذلك لها بالطبع فهى مختلفة الانواع فيسقط بهذا مناقضة من قال لم
اوجبتم اختلاف طبايع الاجسام باختلاف حركاتها ثم جعلتم الافلاك
طبيعة واحدة خامسة فانا لم نجعلها واحدة بالنوع وكذلك اذا كانت الحركة
عن الوسط او الى الوسط معنى كالجنس فلا يصير الاجسام بها متفقة الا فى معنى جنسى
واما التخصيص بموضع بعينه طبيعى فهو المعنى النوعى وعلى هذا ما يخالف الما الارض
فى الطبع لان حركتهما ليستا الى حقيقة المركز الا للقهر ولو قوع الخلا لو لم ينجذب
الما اذا زال عنه الارض ولتلازم الصفايح على النحو المذكور والا فحركة الما الى غير حين
حركة الارض فهما واحد بالجنس لا بالنوع واذا عرض لجسم واحد باعتبار مكانين
حركتان احدهما عن الوسط والاخرى الى الوسط مثلا كالهوا على مذهب المشائين
لو ادخل فى حيز النار لهبط واذا ادخل فى حيز الما صعد فليس يجب ان يكون مخالفا
لطبيعته لان ذلك له عند حيزين مختلفين وغاية حيز واحد هو الطبيعى له واما انه هل
اذا كانت حركة توجد غير طبيعية لجسم فيجب ان يكون طبيعية لجسم اخر فهو شئ لم
يتبرهن عندى الى هذه الغاية ولا اراه واجبا وعسى ان يقول فيه غيرى ما ليس عندى
ويسقط بمعرفة هذه الاصول سؤال من ظن انه يقول شيئا فقال ان كان اختلاف
الحركات يوجب اختلاف الاجسام فى الطبايع واتفاقها يوجب الاتفاق فالارض
على طبيعة الما اما اولا فلان اتفاق الحركات فى الجنس انما يوجب اتفاق الطبايع فى
الجنس فقط ان اوجب اتفاقا وهاتان الحركتان مقتضيان فى الجنس فيجبان يوجبا
اتفاق الطبايع فى الجنس لا فى النوع واما ثانيا فان اختلاف الاشيا فى معانيها

الذاتية

الذاتية واللازمة للذاتية يوجب الاختلاف فى النوع والاتفاق فى ذلك لا يوجب
الاتفاق والا لكانت المتجانسات متفقات النوع ومع ذلك فقد قاس هذا
الانسان قياسا رديا فقال ان امكن فى الاجرام البسيطة التى ليس نوع طبيعتها
نوعا واحدا ان يتحرك حركة بسيطة نوعها بالطبع نوع واحد انعكس انعكاس
النقيض فامكن ان يكون للاشيا التى لا يتحرك حركة طبيعية واحدة بالنوع بسيطة
نوع احد طبيعى فجعل ما ظنه عكس النقيض تاليا للمقدمة وهو عكس نقيضها وانما
انما غلط فى هذا العكس لانه اخذ المقدمة ممكنة وظنها وجودية او ضرورية فاوجب
عكسها وهذا النوع من عكس النقيض لا يصح فى المقدمات الممكنة اذا جعلت
الممكنة جهة ولم يجعل جزء من المحمول كما لو قال قائل ان امكن الجواهر المختلفة التى
ليس طبيعة نوعها طبيعة واحدة ان يشترك فى ماهية مشتركة واحدة او صفة
واحدة ان تكون طبيعتها ونوعها واحدا واذا كان هذا العكس لا يصح فاعلم ان
ما قاله لا يجب واما ان جعل الممكن جزء من المحمول صح العكس ولكن لم يكن ما يريده
وكان عكس نقيض تلك المقدمة ان ما ليس يمكن ان يتحرك حركة بسيطة واحدة
نوعها واحد فليس من الاجرام البسيطة التى ليس نوع طبيعتها نوع واحد وهذا حق
فقد علم من هذا ان الطبيعة السماوية مخالفة لهذه الطبايع فى مبادى الحركات فيجب
ان يكون مخالفة لها فى الامور النوعية التى يتعلق بما يتعلق به الاختلاف لكن
الحرارة والبرودة لازمتان منعكستان على الخفة والثقل فالمادة اذا امعن فيها
التسخين خفت واذا خفت سخنت فلا خفيف الا وهو حار ويعرض لها اذا بردت
لشدة ان تثقل واذا ثقلت لشدة ان يبرد فلا ثقيل الا وهو بارد فيكون الحر والبرد
منعكستين على الثقل والخفة لا كالاشفاف وغير ذلك مما يوجد فى الثقيل والخفيف
فالجسم الذى فيه مبدء حركة مستديرة لا حار ولا بارد فيسقط بذلك سؤال من

يرى مشاركات الهوا يصعد من حيز الما ويهبط من حيز النار فيكون جسم واحد متضاد
الحركة ومع ذلك لا يضاد ذاته فتضاد الحركات لا يوجب تضاد الطبايع فاول ما فيه
انا قد بينا هاتين الحركتين غير متضادتين بالحقيقة واما بعد ذلك فقد يعرض عن شيء
واحد افعال متقابلة لاحوال متقابلة فتارة يسكن وتارة يتحرك انما يوجب التضاد اذا
كان الحال واحدة فيصدر عنها حركات متضاده فيعلم ان فيها مبادى متضادة واما اذا
كانت الاحوال متقابلة فيجوز ان يكون مبدء ميل هاتين الحركتين جميعا صورة واحدة
وقوة واحدة هى الطالبة لمكان بعينه فيوجب حركتين مخالفتين او متضادتين نحو مكان
واحد بحالين متضادتين فيها وليست هذه الاجسام يكون مضادة الصور بان يعرض
لها فى احوال متضادة امور متضادة بل ان يكون متضاد فى حركاتها التى بالطبع عن حين
يكون بين حركاتها الخلاف **فصل فى الاشارة الى اعيان الاجسام البسيطة المذكورة**
وترتيبها واوصافها واشكالها التى لها بالطبع ومخالفة الفلك لها والان ليس يخفى
عليك مما شاهدت ان الحركة الصاعدة بالطبع تتحرك نحو السماء وان الهابطة بالطبع تتحرك نحو
الارض ويعلم ان الارض ليس ينزل من السماء منزلة المحيط والسماء لا ينزل عند الارض منزلة
المركز ولو كان كذلك لكان لك ان يوقع سطرك او بارا على قسى من الارض بعد والسماء
ولاينا لم كان لك ان تفعل بالسماء واذا لم يكن الارض بمنزلة المحيط ولا بد على القوانين التى
علمتها من ان يكون احدهما بمنزلة المحيط فالسما هو الجرم الذى بمنزلة المحيط وهو ايضا يتحرك
على الاستداره شارقا بالكواكب وغاربا فيكون السما هو الجرم البسيط المتقدم المتحرك بالاستدارة
المذكورة له وليس فى طباعه ان يتحرك على الاستقامة وحركة هذه المستديرة هى
التى له بطباعه واما التى للنار فيها فليست كما علمت حركة قسرية ولا طبيعية ولا حركة
فى ذات النار بل حركة المحمول وحركة ما بالعرض لكون الشىء ملازما للمتحرك و
السماوات قد يلحقها مثل هذه الحركة وانت تعلم هذا اذا تحققت علم الهيئة والذى

نظن من امر السماء انها مركبة من ارض ونار ويتبع تضاد نقيضها فى الحركة ان
يستديراد بعضى احد عنصريه التصعد والاخر التهبط فيحصل منه جذب ودفع
فيحصل حركة مستديرة كما للسبيكة المذابة فان الحرارة الغريبة فى السبيكة تحرك
التصعيد والثقل يقاومها فيحدث هناك مستديرة فهو ظن باطل وذلك لان
الجسم الواحد اذا احدث فيه ميلان الى جهتين فاما ان يتمانعا واما ان يغلب احدهما
واما ان يختلف الاجزا فى ذلك كما فى السبيكة فان الحر المستقر منه يغلبه الحر
فيصعده الى الاعلا فاذا علا احدث فيه ميل الى حيزه الطبيعى وانما اشتد عند تقارب
المستقر ولاجل اشتداد القوة عند المقاربة ما كان منع الحجر النازل اصعب من
اشالة المستقر وعلى ما اشرنا اليه قبل واذا احدث الميل بقوة قاوم مقتضى التسخن
فمال الى اسفل ونحا مستقره وقد عرض لما كان اسفل مثل ما عرض له من التصعد
واعانه مزاحمة النازل الحافى المتوقف وقد عرفت التوقف فحدثت حركة مستديرة
يكون استدارتها لا على المستقر بل فيما بين المستقر وبين العلو واما السماوية فلو
حدثت فيها استداره للسبب المذكور لكان ذلك يقع فيما بين جهتى العلو و
السفل لا على الوسط اذ نسبة الوسط الى المتحرك عنه والمتحرك اليه واحد وايضا
فيرى ان النار التى فى جوهر الفلك يطلب تصعد الى اى حد والى اى غاية و
كيف يحد ذلك الحد قبل الجسم المستدير الحركة ويلزم جميع ما قيل بالجهات فيما سلف
والذين قالوا ايض انها قد حدث فيها قوة مزاجية محركة هذه الحركة البسيطة
فقد اخطاؤا ذلك لان القوة المزاجية يوجب من جنس ما موجب ما عنه امتزجت
بحسب الغالب او يمنع الطرفين وليست المستديرة البسيطة من جنس المستقيمة
ولا هى امتزاج من مستقيمين متقابلين فيعرف من هذا خطا قول من ظن انه
يقول شيئا فقال ان السما يلزمها ان يتحرك على الاستدارة وان كانت مركبة من

للجاهل

نار وارض اذ لا يمكنها ان يتحرك على الاستقامة لاتصال كرتها ولا ان يسكن لتجاذب
قواها والذين قالوا انها مزاجية بل قوة اخرى استعد لها الجسم بالمزاج فهى تحركت
على الاستدارة وقد عرفت استحالتها قالوه حين علمت ان مثل هذه القوة لا يكون
بسيطة التحريك والذين قالوا ان لها نفسا تحركها حركة خلاف مقتضى طباعها. تم
جعلوا الجرم السماوى فى تعب دائم اذ كان جرمه يقتضى غير الحركة الصادرة عن
تحريك نفسه حركة او سكونا وهولاء كلهم جعلوا السما فى غير الموضع الطبيعى و
ذلك انه ليس فى الحيز المشترك بين بسايطه الذى هو حيز المركب لا على ما علمت ولا
فى حيز غالب فقد جعلوا حصوله هناك لقاسر ضرورة هذا ولما كان الحق هو ان السما
بسيطة وانها متناهية فالواجب ان يكون شكلها الطبيعى كريا وبالواجب ان يكون
الطبيعى موجودا لها والا لو وجد لها غير الطبيعى لكان ثقيل جرمها لازاله عن الشكل
الطبيعى وكان يقبل التمديد والتحريك على الاستقامة الى جهات الاستقامة وبالقسر و
كل ما قسر عن موضعه الطبيعى بالاستقامة فله ان يتحرك اليه بالاستقامة كما
علمت فى الاصول التى احدها فيكون فى طبيعة الفلك حركة مستقيمة وقد قيل انه
ليس كذلك فيجب ان يكون الشكل الموجود للفلك مستديرا فيحيط به سطوح مستديرة
والجسم الذى يتحرك الى الفلك بالطبع يجب ان يتحرك اليه بميل متشابه ومع ذلك
هو بسيط ويقتضى شكلا بسيطا مستديرا ويحد مكانا مستديرا فيجب ان يحد هذا
الجسم ايضا الشكل البسيط الذى له وكذلك ما فى ضمنه على الترتيب الا ان يكون بحيث
من شانه ان يقبل الكون والفساد وان يتصل به ما استحال اليه وينفصل منه ما
استحال عنه ثم يكون بحيث يعسر فى طبيعته المصير الى الشكل الذى يقتضيه طبعه او
غيره بسهولة كالارض لانها يبس طبعها عسر القبول للشكل بطى الترك له ومع ذلك
فهو قابل الكون والفساد فاذا اسلم منه شى بقى الباقى على غير شكله الطبيعى لو كان

علیه

عليه او شكله العرضى اذا كان عارضا له وكذلك الذى يضاف اليه مما هو كان ارضا ولم
يكن ارضا وقد اوجبوا الاسباب ان لا يكون شكله طبيعيا ويجب ان يتذكر الشبهة المذكورة
فى باب كون كل جسم بسيط ذا شكل طبيعى وحلها فان ذلك يحتاج اليه فى هذا
الموضع واذا كان كذلك جاز ان يتثلم شكله الطبيعى بهذا السبب لكن الحق ليس
بهذه الصفة ويشبه ان يكون ما يلى الفلك من العناصر لا يستحيل الى طبيعة
اخرى لان الفلك لا يحله او يحله كله واما حر اخر غريب فلا يبلغ ان يبعد
من مكانه الطبيعى هذا البعد حتى يحصل هناك جرمه مع الجسم الموجود هناك
وان بلغ ذلك الحد حر كان بان يفعل اولى منه بان يفعل فيه بل الواجب ان
لا يمهل ان يبلغ الحر الاقصى بل ينفعل دون ذلك فلا يسلم للمخالطة الحسية التى
يلى الفلك فيكون سطحه ذلك سطح جسم كرى واما ان ذلك ليس يجوز ان
يكون ازليا دائما باقيا بل يدخل فى الكون والفساد فليس على سبيل انه يفعلها
هناك بل على وجه اخر يذكر فى موضعه واما السطح الذى يلى الارض او يلى جسما
يلى الارض فيشبه ان يعرض له هذا الاسلام بالمخالطة المضرسة وما كان رطبا
فان سطحه الذى يلى رطبا مثله يجب ان يحفظ شكله الطبيعى المستدير ولو لم يكن
سطح الما مستديرا لكانت السفن اذا ظهرت من بعيد يظهر بجملتها لكن يرى اصغر و
لا يظهر منها اولا حين دون حين وليس الامر كذلك بل انما يظهر اولا طرف السكان ثم
صدر السفينة ولو كان الما مستقيم السطح لكان الحد الوسط منه اقرب الى المركز
المتحرك اليه بالطبع من الحد من الطرفين فكان يجب ان يميل الحرارة الطرفان الى
الوسط وان لم يكن ذلك ليصلا اليه كما قلنا بل ليكون لهما اليه النسبة المتشابهة
المذكورة وتلك النسبة لا مانع لها فى طباع الما من ان سال يدافع اجزائه الى
المركز تدافعا مستويا فى يكون بعد سطحه عن المركز بعدا واحدا فيكون

مستديرا واما الجسم اليابس منثلم ولا يستوى عن انثلامه بالسيلان والذى ينطبق من
الرطب عليه يتشكل بشكله فيكون الجسم اليابس يلزم ان ينثلم استداره سطحه و
اما الرطب فيلزم ذلك من حيث يلى الرطب لكن اليابس وان كان كذلك فليس يبلغ
ان يخرج جملته عن كريه يلحقها خارجا عنها هذه التضاريس وهذا ستتضح فى العلم
الرصدى من التعاليم فهذه الاجسام كرات بعضها فى بعض او فى احكام كرات و
جملتها كرة واحدة وكيف لا والميل الى المحيط متشابه والهرب عنه الى الوسط متشابه
والتوسط المتشابه يوجب شكلا مستديرا كما للعا المتشابه للمستدير يوجب شكلا
مستديرا ولو كان بيضيا وعدسيا فتحرك البيض لا على قطرة الاطول والعدسى لا على
قطرة الاصغر حركة وضعية وجب من ذلك ان يكون متحركا فى خلا موجود ضرورة
ولو تحركا على القطرين المذكورين لم يكن حركتهما فى الخلا لكن فرض حركة لهما غير تلك الحركة
وفرض ازالة قطرهما عن وضعه يقتضى خلا ضرورة واما الحركة المستديرة فى جسم
مستدير ولا يوجب ذلك ما يحاب ولا يوجبه فرض ونحن فى هذا الحد الذى نحن فيه
نرى الاجسام بالقسمة الاولى على قسمين قسم يميل الى اسفل من حر ما وسهل علينا
وجسم لا يميل الى اسفل بل ان كان يميل يميل الى فوق ونجد المائل الى اسفل اما متماسكا
مفرط الثقل او الغالب عليه ذلك المتماسك الغير القابل للتشكيل بسهولة فيكون هذا
ارضا او الغالب فيه الارض واما رطبا سيالا او الغالب فيه ذلك فيكون هذا ماء او
الغالب فيه الما ولا نجد غير هذين ولا نجد البسيط الثقيل غير ارض وماء وما سواهما فهو
مركب واحدهما غالب فى جوهره واما الجسم الاخر فنجده قسمين منه ما يحرق ويحمى او الغالب
فيه ذلك ومنه ما هو غير محرق او الغالب فيه ذلك فنجد البسيط المشتمل علينا من جهته
جوا محرقا وجوا غير محرق واما ساير ذلك فمركبات فالجو المحرق يسمى نارا والغير محرق
يسمى هوا ولا يمكن ان يكون فى القسمة شئ غير هذه الاجسام الاربعة الخارجة عن

قسمين

قسمين احدهما مايل الى اسفل بذاته اما متكاثف واما سيال والباقى مايل الى فوق
اما محرق واما غير محرق فنجد الاجسام البسيطة بهذه القسمة اربعة ولا يمنع ان يكون
قسمة اخرى يوجب عددا اخر ولا ايضا ندعى ان قسمتنا هذه هى بفصول حقيقية بل
بل اردنا بهذا نوعا من التعريف وتركنا الاستقصا الى ما بعد فان لقايل ان يقول بل
الاجسام الصاعدة منها ما هى متكاثفة ومنها ما هى سيالة والاجسام النازلة منها
ما هى غير محرقة ومنها ما هى محرقة فان قال قايل هذا فنحن الى ان نتكلف الاستقصا
فى هذا المعنى نحسن فنقول ان المحرق النازل كحجارة محماه ولا نجد الحمى فيها الا غريبا
وذلك الحمى يحاول يصعده لكنه لا يطاوق ثقله الا ترى انه لو جرى اجزا صغارا
يصعد وان تكلف الزيادة فى احمامه يصعد ايضا وان كان كبيرا وانه اذا نزل وفارق
العلة المسخنة لم يبق حاما بل برد ونزل مع انه بقى جوهره والمتكاثف الصاعد لا
يلبث صاعدا اذا زال القسر عنه او فارقه الحمى بل ينزل فيكون حمى مثل النازل و
صعود المتماسك امرين عرضين عنهما ونحن نتكلم فى المعانى التى يصدر عن
طبايع الاشيا انفسها وكذلك اذا تاملت ساير الاقسام نوردتجدها بامور عارضة غريبة
لا فصله ولا عوارض لازمة فلنقنع بما ذكرناه فى ان نارا وارضا وماء وهواء فنجد
الارض يرسب تحت الما والماء يطفو عليها طبعا ونجد الهوا يميل ميلا شديدا ما دام
تحت الما واذا علا وقف فلم يميل الى جهة ونجد النار سواء كانت صرفة لا تحس او مخالطة
للارضية فسوف تكون صاعدة والصرفة لا تشف ولهذا ما يكون الذى يلى الذبال
من الشعلة كانه خلاء او هواء وهو اشد احراقا وقوة اذ هو اقرب الى الصرافة والقوة
فعل اشفافا اكثر فاذا لم يقدر ان فعل اشفافا فعل نورا واضاءة وكثير من
الاشيا المشفه اذا ازيل عنها الاشفاف بالسحق والدق واحداث سطوح كثيرة
سطل بها الاتصال المعين على الاشفاف ابيض واشرقت مثل الزجاج المدقوق

والماء المبرد والجمد المحرور وان كان هذا ليس بحجة على ما نقوله من امر النار فنرجع
نقول فان النار الصرفة والدخانية متحركة في الهواء الى فوق ونجدها كلما كانت اللهب
كانت حركتها اشد واسرع ولو كان لضغط ما يحوطها فيرمحها الى اسفل كان
الاكثر ابطا ولا كذلك واضعف حركة وكذلك ان كانت العلة حدبا او دفعا
ومحض الدفع ان المدفوع لا يسد احرا والطبيعة تسد احرا ولو كانت الحركة
بالضغط لما كان ارتما النار اشد من ارتجاح الهواء في حيزه فان المضغوط لا يكون قوة
حركته اقوى من قوة الضاغط مع علمك انه لا يصلح ان يكون للجسمين المختلفين
بالطبع مكان واحد بالطبع ويجتمع من هذه الجملة ان الحار اميل الى فوق والبارد اميل
الى اسفل وما هو ابرد اشد في جهته امعانا فقد علمت ان ما هو ابس من الحار بن
فهو اسخن وستعلم هل الامر في جنبة البرد كذلك ام ليس كذلك علما عن قريب ومن العجب
قول من ظن ان النار البسيطة في مكانها الطبيعية هادئة لا يحرق وانما هي كالنار
التي يكون في المركبات واما اللهيب فهو افراط وليس يعلم ان الاستعداد
المحرق في حرارة اللهيب لا بد ان له علة فان كانت تلك العلة هي الحركة يكون
صح ان يكون الماء النازل بالسرعة قد يسخن واما ان قالوا ان هناك سبب مسخن
من خارج فليدل عليه فانه لا شيء سلع من اسخانه تسخينه ان تسخن جوهر النار بل ان
ان كان ولا بد متحركة ومع ذلك فان اللهيب ليس نارا صرفة بل مركبة مع
اسعص نارد وبكسها مردات ثم مع ذلك فقد نسي ان تلك النار العالية لو كانت
غير محرقة لما اشتعلت الادخنة مستحيلة الى الرجو والى الشهب والعلامات
الهائلة وهذه الاجسام الاربعة ستتضح من امرها انها قابلة للكون والفساد وانما
الواجب ان يبحث عن حال هذا الجسم الخامس انه هل هو كذلك او ليس فصل في احوال
الجسم المتحرك بالاستدارة وما يجوز عليه من اصناف التغير وما لا يجوز نقول

اولا ان الجسم الذي فيه مبدء حركة مستديرة بالطبع فليس من شانه ان يحرق وذلك
لان الانخراق لا يمكن ان يكون الا بحركة من الاجزاء على استقامة او مركبة من
استقامات من جهات النافذ الخارق وبالجملة من جهات الخرق وكل جسم قابل
للحركة المستقيمة قسرا ففيه مبدء حركة مستقيمة طبعا اذ عرف ان لا ميل
له فلا يقبل القسر البتة واذا كانت الاجزاء التي يفسر عن ميل لها ممانع للقسر مائلة
الى جهة الالتيام عن الخرق لو امكن لها ذلك فيكون فيها مبدء ميل الى الالتيام و
ذلك على الاستقامة ضرورة فكل جسم محرق ففيه مبدء ميل مستقيم فما ليس فيه
مبدء ميل مستقيم فليس قابلا للخرق فالجسم المحدد للجهات الذي فيه مبدء ميل
مستدير فقط ليس قابلا للخرق ومن هذا يعلم انه ليس رطب ولا يابس فان الرطب
هو الذي يتشكل ويحرق بيسر عنه واليابس هو الذي يقبل ذلك ببطوء ثم نقول
ان كل جسم قابل للكون والفساد ففيه مبدء حركة مستقيمة وذلك لانه اذا
حصل متكونا لا يخ اما ان يكون تكونه الذي يحصر بالطبع او في حيز اخر فاما
ان يقف فيه بالطبع فيكون غير حيزه الطبيعي طبيعيا له وهذا مح واما ان يتحرك عنه
بالطبع الى حيزه وذلك كما علمت بميل مستقيم اذ لا يجتمع الميل الى الشيء مع الميل
عنه وفي كل انتقال الى حيز ما سوى الانتقال المستقيم ميل عن ذلك الحيز و
ان كان يكونه في الحيز الطبيعي فلا يخ اما ان يصادف الحيز وفيه جسم غيره بالعدد
او يصادفه ولا جسم اخر فيه غيره فان ورد على حيزه فشغله هو بكليته او هو ومعه جسم
اخر من طبيعته فكان حيزه قبل ذلك خاليا وهذا مح وان صادفه مشغولا بجسم
اخر ودفعه هو عنه واخرجه ثم استحال هو الى مكانه يكون حيزه ذلك مما يصار
اليه ويستعمل بالحركة فيكون من الاحياز التي اليها حركات مستقيمة واما ان
يكون نح غاية الجهة او دون الغاية وفي الحالين يكون محتاجا في ان يحدد على ما علمت

لجسم غير الجسم الذي يشغله وفي غيره فيكون من شان حيز هذا الجسم ان يكون حيزا يشغله
بالطبع جسم من شانه ان يصرف عنه فيكون من شانه ان يتحرك اليه بالاستقامة كما
علمت وهذا الجسم المتكون هو الجسم الذي هذا مكانه الذي يشغله بالطبع فهذا الجسم
فيه مبدء حركة مستقيمة وهي وجه داخل في بعض هذه الاقسام وهو ان يكون
هذا الجسم بعد تكونه حارقا بحصوله للجسم الشاغل لهذا الحيز الذي هو كالكل له
للمتكون فيكون الجسم الذي خرق مايلا للحركة على الاستقامة وهذا مشارك له في
طبيعته بعد التكون فهذا ايض قابل للحركة على الاستقامة واذا كانت الاقسام هي
هذه وكان بعضها محالا وبعضها يوجب مبدء حركة مستقيمة فكل جسم متكون
ففيه مبدء حركة مستقيمة وكل جسم ليس فيه مبدء حركة فليس بمتكون فالجسم
الذي فيه حركة مستديرة بالطبع ليس بمتكون من جسم اخر وفي حيز جسم اخر بل هو
مبدع وكان لحفظ الزمان فلا يخل ولذلك لا يحتاج الى جسم يحدد جهته بل هو محدد
الجهات فلا يزول عن حيزه ولو زال لم يكن هو المحدد بالذات للجهة ونقول ان طبيعته
لا ضد لها والا لكان لنوعه الامر اللازم عن طبيعته ضد فان اللازم النوعي عن
الضد ضد اللازم النوعي للضد ولو لم يكن ضد الكان اما موافقا لا مقابلا له
فيكون معنى عاما ليس لزومه عن احد الضدين من حيث هو ضد فانه لو كان لزومه
متعلقا بخصوصية الضد الذي هو بها ضد لكان لا يعرض ولا يلزم للضد الاخر
فاذن لا يكون تعلقه بخصوصية معنى ان يكون انما يتعلق لمعنى او يلزم معنى
ذلك المعنى غير المعنى الذي يخصه وهو لاحق للمعنى العام واللاحق للعام عام
يخصص بحصص العام فالنوعي المخصص لا يجوز ان يكون لازما للضدين فالحركة
المستديرة المشار اليها هي نوعية بل شخصية فلا يكون لازمه لطبيعة وبضدها
معنى ان يكون اللازمان متقابلين ومحال ان يتقابلا كالمضافين اذ فعل

الضد وعارضه لا يشترط في وجوده له ان يكون معقولا بالقياس الى ماهيته ما
يعرض عن ضده ولا مشروطا في وجوده ان يكون معه ومح ان يكون يتقابل
كالعدم والملكة حتى يكون احدهما لازما وهو الحركة المستديرة والاخرى
انما يلزمه عدم هذه الحركة ولا يلزم عنه حركة اصلا التي لو لزمت لكانت
مقابلة لها فيكون للاجراد وحد القوة المضادة للقوة الفاعلة للمستديرة
حاصلة في المادة فكانت المادة المتجسمة بها لا مبدء حركة فيها البتة وهذا
مح ان يكون مبدء حركته قوة وصورة غير تلك القوة المضادة للصورة
التي هي مبدء للمستدير ويكون في جسم واحد مبدء مسكن ومبدء محرك و
هذا مح بل يكون الجسم البسيط انما يتقوم بصورتين وهذا كما بيناه مح فاذا
لم يكن ضد مما يفعل فعلا عدميا ولا مضافا والايجاب والسلب لا يليق
بهذا الموضع بقي ان يفعل فعلا مضادا او متوسطا واذا كان متوسط موجودا
كان مضاد الا محالة موجودا وكان له مبدء وكان ابعد في الطبيعة عن القوة المحركة
على الاستدارة وكان ذلك اولى ان يكون ضدا على انه لا واسطة بين حركة
مستديرة وبين كل ما يفرض ضدا لها وقد تبين هذا من قبل فبين ان الصورة
الفلكية البسيطة لا مضاد لها فبالحرى ان لا يكون الفلك متكونا عن بسيط
بل هو مبدع وذلك لانه ان كان متكونا عن جسم اخر فلا محالة ان لذلك
الجسم مادة لا تخ اما ان يكون تلك المادة قبل حدوث صورة جوهر الفلك
حالية او لابسة لصورة اخرى فان كانت خالية كانت مادة بلا صورة البتة
وهو مح وان كانت لابسة لصورة اخرى فلا تخ اما ان يكون مضادة لهذه
الصورة لا يجامعها وترتفع بحدوثها فيكون للصورة الفلكية ضد وليس
لها ضد او يكون تلك الصورة لا ينافي الصورة الفلكية بل يجامعها فيكون

تلك هى الصورة الفلكية المقومة لمادة الفلك وهذا امر طارئ ولاحق مما يتقوم
مادة الفلك دونه بتلك الصورة فلا يكون هذه صورة الفلك والقوة الاولى
فيه ولا يكون حدوثها كونا للفلك بل استكمالا للجوهر الفلكى ثم سطر انه هل يكون
المادة الفلكية مع تلك الصورة قابلة للحركة المستقيمة وغير ذلك او لا يكون فان
لم يكن بل كانت مع تلك الصورة لازمة لحيز التحديد غير متحركة ولا قابلة للعوارض
التى تتعلق بالحركة المستقيمة بعد كان الفلك موجودا قبل تكونه وان لم يكن كذلك بل
كان فى ذلك الوقت غير لازم لحيز التحديد وقابلا للمستقيمات لم يكن مع وجود الحركات
المستقيمة وامكانها تحدد حيز وهف وبالجملة فان الذى تحدد به الجهات للحركات
المستقيمة لا يجوز ان لا يكون موجودا ويكون المستقيمات موجودة بل الحق ان مادة
الصورة الفلكية متقومة على صورتها فلهذا قيل لها عنصر اى شئ قابل للضدين
الا انه لا مادة هناك قابلة للصورة وبهذا حكم الاكثرون واتفقوا على انه ليس عنصر
الفلك عنصر الاجرام الكائنة الفاسدة وليس اذا اتفقا فى ان السماء وية ذات جسمية
والارضية كذلك يلزم ان يكونا قد اتفقا فى العنصر كما ظن بعضهم فانه ليس اذا اشترك
شيئان فى معنى جامع يجب ان يكون استعداد ذلك المعنى فى كلاهما واحد و
الا لكانت الحيوانية تستعد فى الناس بمثل ما تستعد فى الحمير ولكانت طبيعة
اللون تستعد فى الناس بمثل ما تستعد له فى السواد وهب ان طبيعة المقدار
فيهما نوع واحد وتستعد لا شيء معه فليس المقدار بعينه هو الموضوع والمادة بل
هناك طبيعة ومقدار وان صح ان المقدار واحد لا يختلف طبيعته فيهما فلم يصح
ان المادتين الحاملتين للمقدار طبيعتهما واحدة فى النوع وليس اذا اشتركا فى قبول
المقدار يجب ان تشتركا فى كل الاستعداد فليس اذا اتفق شيئان فى امر وجب
ان يتفقا فى كل امر بل الاستعداد فى هذه المادة لغير هذه الصورة ولو كان لها

استعداد

استعداد صورة اخرى لكان فى طبيعة هذا الجسم ان يقبل الكون والفساد الى
المستقيمات وعرض ما ذكرناه من المحالات والذى ظن انه ساقص هذا
اى الاشياء يكون لا عن اضداد وصور اجوهرية يكون عن الاعدام كالانسانية
والفرسية واشياء اخرى فانه لم يعلم اولا انه ليس المراد بقولنا ان الجوهر يكون
عن ضده حمله الجوهر بل معناه ان الصور الجوهرية يبطل هيولاها بضدها
ويحدث بعد ضدها ولم يعلم انا لسنا نقول هذا فى كل جوهر بل انما
نقول فى الجواهر المركبة من مادة وصورة ولا كل الجواهر المركبة بهذه
الصفة بل جواهر الاجسام البسيطة التى لا شئ هناك الا مادة وصورة
فان المادة قبل تكون الجسم البسيط عن مادته ولا يخ اما ان يكون لا صورة لها
وهذا مح او يكون لها صورة لم تبطل فيكون اما ان الباقى ليس ببسيط بل مركب
الصورة واما ان كان بسيطا كانت بساطته مما قدمتم بالصورة الاولى وهذا
الثانى لازم عارض لا حاجة اليه فى تقومه فليس هناك يكون بل استحالة او استكمال
واما ان كانت هناك صورة فبطلت بوجود هذا فتلك الصورة هى الضد
لها وليس الضد كل ما ليس الشئ فقد يجتمع مع الشئ فى المادة ما ليس هو مثل
الطعم مع اللون ولا كل ما لا يجتمع فان كثيرا مما لا يجتمع ليست بمتضادة
بل ان يكون فى المادة قبول لهما فان الصورة الانسانية والفرسية بهذه الصفة
وليستا بمتضادتين وذلك لان المادة وان كانت قابلة لهما فليس قبولا اوليا
بقوة للقبول مشتركة او قوس مواسن معا كل واحدة منها يحتاج
المادة فى ان تتم استعدادها لها الى امور يوجد لها فاذا حصل استعداد احدهما
بطل استعداد الاخرى بل يجب ان يكون الاستعداد لهما معا استعدادا
اوليا حتى يكون ضدا ويكون لقوة واحدة مشتركة فضاد الواحد واحد على

ما يصح في الفلسفة الاولى وبعد هذا كله فيجب ان لا يكون خلاف ابعد من خلافه والذي يدعيه هذا المتكلف من ان في الفلك طبيعة تضاد مثل البعيد والبعير فقد احسب عنه ومع ذلك فلا يمكنه منع منا ان يكون لعوارض الفلك ولواحقه اضداد لا يستحيل ما دامت طبيعته موجودة كالحلاوة للعسل فان الحلاوة وان كان لها ضد فان العسل غير قابل له في ظاهر الامر وانما كلامنا في صورته وانها لا ضد لها وانها لا سعة ولا سعة الامور اللاحقة لها وان كان لها اضداد كما انه لو كان طبيعة العسل بحيث لا تفسد صورته لبقيت الحلاوة فيه دائمة لا يستحيل والذي قيل انكم انما تستدلون على ان طبيعة السما لا ضد لها لاجل حركتها ثم يقولون ان طبيعتها نفس وان حركتها صادرة عن الاجساد وتارة يقولون ان محركها امر مباين للمادة اصلا غير متناهي القوة فان كان محركها نفسا او امرا مباينا فليس محركها طبيعيا فما تنكرون ان يكون لطبيعتها ضد فانه لا سبيل الى اثبات ذلك من حركة تصدر عن نفس او من امر اخر لا عن طبيعة فالجواب عن ذلك ان جوهر السما صورته وطبيعته هي هذه النفس اللازمة لها هذا الاجسام بالطبع فانك ستعلم في العلوم الكلية ان كل اجسام فما لم يلزم لم يكن اختيارا اصادفا لكن ربما لزمه عن اسباب خارجة يبطل ويكون وربما كان مبدؤه تعقل ذاتي طبيعي وقد علم ان النفس لا ضد لها وانها اذا كانت صورة مادة ولم يكن لها ضد يبطل بالنفس ولم يصح ان يعرى المادة عن الصورة اصلا استحال ان يكون هذه الصورة من شان المادة ان تفارقها فهذا التشنيع وهو ان مبدء هذه الحركة نفس هو الذي يؤكد ان مبدء هذه الحركة لا ضد لها واما المحرك الغير المتناهي القوة فليس هو المحرك الذي فيه كلامنا ههنا بل هو المحرك المصرف للنفس بحب مثاله الكلي بصرف المشوق الى التعقل والاستكمال بالتشبه به كما ستعلمه

فقد بان

فقد بان ان هذا الجرم لا يقبل الكون والفساد فلا يقبل النمو فان قابل النمو قابل في طبعه التكون فهو غير قابل للاستحالات المؤدية الى تغير الطبيعة فان من الاستحالات ما هو سبيل الى تغير الجوهر مثل تسخن الماء فانه لا يزال يسخن حتى يفقد المائية واذ قد عرفنا هذا الجسم وانه غير متكون فقد ظهر انه غير فاسد اذ قد ظهر ان صورته مقومة على مادته على انا نقول ان كل فاسد متكون وكل متكون جسماني فاسد ولا يجوز ان يكون شيء جسماني متكون ولا يفسد البتة وشيء جسماني يفسد صورته عن مادته ثم لا يتكون البتة وذلك لان المادة الموضوعة للصورة لا يخ اما ان يجب مقارنتها لتلك الصورة اولا فان لم يجب كانت المادة باعتبار طباعها جائزا عليها ان يوجد لها الصورة وان لا يوجد فان وجدت لها الصورة وليس يجب لطباعها ان يكون لها لا محالة ولا ايضا يمتنع فهي ممكن في طباعها ان يوجد لها الصورة وان لا يوجد لها فلنسطر الان انه هل يكون في قوتها ان يكون لها هذه الصورة دائما ام لا فنقول ان كان يمكن ذلك فلا يخ اما ان يمكن لا كون هذه الصورة لها دائما او لا يمكن فان كان في قوتها ان يكون لها الصورة دائما وليس في قوتها ان لا يكون لها الصورة دائما بل يكون قوتها على عدم الصورة محدودا وجب ان يكون ما بعد ذلك يجب فيه وجود الصورة ويمتنع لا وجوده والمادة والاحوال تلك بعينها وهذا مح وهذا خلاف الوضع وبقي انها ان كانت تقوى على وجود الصورة لها دائما فتقوى ايضا على عدم الصورة لها دائما وما يقوى عليه الشيء فانه اذا فرض موجودا امكن ان يعرض منه كذب واما المحال فلا يعرض لكن فرض هذا المعنى الممكن الوجود يعرض منه المح على ما نبينه فلنفرض ان ما يقوى عليه يكون وهو وجود الصورة دائما وهو مع ذلك يقوى على عدم الصورة دائما فلا يستحيل ان يكون ما يقوى

عليه وما فان استحال ان يكون مما يقوى عليه لم يكن ما يقوى عليه مقويا عليه
فان المقوى عليه انما يكون مقويا عليه عند فرض مقابله موجودا فان كان كون
مقابله موجودا يمنع القوة عليه فلا قوة عليه البتة لكنه يستحيل بعد فرض القوة
الاولى ان نفرض القوة الباسرة بالفعل والا لكانت الصورة فى زمان غير متناه
موجودة ولا موجودة معا فاذا كان هذا محالا بالوضع ليس يكذب غير محال بل
هو صحيح ان يكون المادة يقوى على ان يكون لها صورة زمانا بلا نهاية وهى مع ذلك
يقوى على ان لا يكون لها تلك الصورة فبين انه لا مادة من المواد يقوى على ان لها
صورة لها امكان عدم زمانا بلا نهاية وبهذا بين انه لا يقوى على ان يعدم لها
صورة زمانا بلا نهاية فليس شىء مما يفسد لا يكون البتة ولا شىء مما يتكون لا يفسد
البتة وليس لقائل ان يقول انه انما عرض المحال لانك فرضت للمقابل وجودا مع
المقابل فيقال له انما عرض المحال لانه وجب فرض المقابل موجودا مع المقابل حين
فرضنا الشكوك فيه موجودا فليس لنا الخلف فصل فى احوال الكواكب و
محو القمر هذا الجسم السماوى يدل على انه يتضمن اجراما تخالفه فى
النسبة الى الروية فان عامته مشف ينفذ فيه البصر وفيه اجسام مرئية لذاتها انها
مضيئة كالشمس والقمر والكواكب وبعضها فى الرتبة فوق بعض اذ
نشاهد بعضا منها يكسف بعضا ونشاهد بعضها يفعل اختلاف المنظر على ما
تشهد به صناعة الرصد وبعضها لا يفعل ذلك ونجد لطائفة من هذه الكواكب
مع الحركة التى تخصها وضعا محفوظا لبعضها عند بعض وطائفة تخالف ذلك
ونجدها يتحرك من المشرق الى المغرب ثم يتحرك ايضا من المغرب الى المشرق وذلك
مما لا يتحقق الا على وجه يسعد فى صناعة بعد هذه الصناعة فيتحقق من هذا
ان هناك حركات مختلفة يتبين بهذا الاعتبار ان الكواكب اجرام غير الافلاك

التى

التى يحملها ثم يعلم انها لا محالة من جنس الجوهر الذى لا يكون بل من جنس الجوهر
المبدع اذ قد قلنا ان المكونات ما حالها واتضح من ذلك ان المكونات لا يحلل
الاجسام الغير المكونة تحللا كالشىء الغريب مكون لا محالة بسيطة اذا المركبات متكونة
مكون اشكالها كرية على ما ترى بالحقيقة والقمر من جملة هذه الاجرام له لون غير
الضوء اذا انقطع عنه النور الذى يوجب الحدس فى اول الامر ان مبدء وقوعه
عليه من الشمس حتى انه يبعد ويسمت بحسب ما يوجبه وضعه من الشمس قربا
وبعدا ثم يحقق التامل ذلك الحدس واذا توسطت الارض بينهما كسف واما سائر
الكواكب فكثيرا ما نظن انها تقتبس النور من الشمس وانا احسب انها مضيئة بانفسها
والا لتبدل شكل الضوء المقتبس فيها بحسب الاوضاع وخصوصا فى الزهرة و
عطارد اللهم الا ان يجعل ذلك الضوء نافذا فيها وان كانت ذات لون لم يبعد
فيما ارى فى كليتها على السواء بل اقام على الوجه الذى يلى الشمس وان لم يكن لها
لون كان مشفا لا يضىء كلها بل من حيث ينعكس عنها وهذا الراى منى يقارب
اليقين واما القمر فلا شك فى ان ضوءه ونوره مقتبسان من الشمس وانه فى جوهره
ذو لون الى القمر المشبع سواد اما هو فان كانت تلك القمرة ذات نور ايضا فليس
نورها ذلك النور الذى يحس من بعيد ويشبه ان يكون جوهره بحيث اذا وقع
عليه ضوء الشمس فى جهة استضاء سائر سطحه استضاءة ما وان كان ليس بذلك
اللامع فلذلك يسمى لونه عند الكسوف لونه وهو بعد هلال فان ماورا المستهل
منه يغنى ما يصل اليه ضوء الشمس يكون اكثر اضاءة منه اذا كان كاسفا وقد توصل
بعض الناس من ثبوت اللون لبعض الاجرام السماوية او سلمنا انها مبصرة ان
اوجب من ذلك ان يكون ملموسة واورد قياسات تشبه القياسات التعليمية و
ما ابعد منها فوق ان المشائين يسلمون انها لا مبصر الا وهو لامس ولا ينعكس فقوة

اللمس اقدم من قوة البصر لكن نسبة قوة البصر الى المبصرات كنسبة قوة اللمس الى
الى الملموسات فاذا بد لنا تكون نسبة الملموس الى المبصر كنسبة اللمس الى البصر
لكن اللمس اقدم وجودا في كل شيء من البصر فالملموس اقدم من المبصر فكما انه لا
يكون الشيء ذا بصر الا اذا كان ذا لمس فكذلك لا يكون مبصرا الا وهو ملموس فالذي
نقوله في جواب هذه المغالطة المعضلة التي لا شك ان صاحبها كان يقف على انه
يتكلفها متعسفا انه لو كان بينا انه اذا كانت اسما متناسبة فاذا بدلت تكون متناسبة
لم يحتج الى ان يقام عليه برهان وقد احتيج فان كان اذا اقيم عليه البرهان على جنس منه
قام على نظايره من الامور الداخلة في جنس اخر لكان ما اقيم عليه من البرهان في الهندسة
يغني عن ان يقام عليه البرهان في العدد وليس كذلك بل احتيج الى استيناف برهان
عليه في صناعة العدد ولذلك اذا اقيم عليه البرهان في الهندسة والعدد ولم
يقم عليه في الاشيا الطبيعية لم يلزم قوله وبعد ذلك فان ابدال النسبة انما يكون
في الاشيا التي تكون من جنس واحد تكون النسبة فيها محفوظة في حالتي الاصل و
الابدال وتكون نسبة في معنى واحد بعينه محصل وللنسبة حقيقة معقولة مشتركة
فيها مثال ذلك انه لما علم ان لكل مقدار الى كل مقدار نسبة النسبة التي هي محدودة
في خامسة كتاب الاسطقصات لاوقليدس ولكل عدد الى كل عدد نسبة النسبة
التي هي محدودة في سابعة كتاب الاسطقصات لاوقليدس وعلم انه للاول عند الثاني
نسبة وللثالث عند الرابع نسبة فكذلك لا شك ان للاول عند الثالث نسبة من
ذلك الجنس وكذلك للثاني عند الرابع نسبة من ذلك الجنس ثم وقع بعد
ذلك الاستعمال يتكلف ان يبين ان هذه النسبة مقايسة لتلك النسبة
لا تخالفها لكن الامور الطبيعية ليس يجب ان تكون فيما بينها للنسبة المعتبرة في
المقادير والاعداد من حيث هي طبيعية لا من حيث هي مقدرة او معدودة فان

كان

كان لبعضها الى بعض نسبة ما فليس يجب ان يكون تلك النسبة محفوظة في جميع
الطبيعيات في الجنس فضلا عن النوع ونسبة البصر الى المبصر هي انه قوة تدرك
اللون الذي فيه وليست هذه النسبة نسبة اللمس الى الملموس في النوع بل
في الجنس من حيث انهما مدركان ادراكا حسيا ثم ليست هذه النسبة موجودة
بين البصر واللمس لا جنسيا ولا نوعيا بل هناك نسبة اخرى لا تشابه هاتين و
هي نسبة وجودهما في الحيوان واحدهما قبل وليست هذه النسبة مما يوجد بين
المبصر والملموس على نحو الذي ينفع هذا المشكك لا نه وان تكلفنا ان نجعل النسبة
من جنس واحد وهو النسبة الى الحيوان بانه للحيوان كان الابدال فيه وجود الملموس
للحيوان يتقدم على وجود المبصر له اذ يجوز ان لا يبصر الحيوان شيئا مع جواز ان
يلمس ولا ينعكس وهذا مسلم لا ينفع في ان ما من طباعه ان يلمس مطلقا قبل ما من طباعه
ان يبصر وان احتال فلم ينسب واحدا واحدا نسبة مطلقة بل زاد فيه ان وجود الملموس
قبل وجود البصر لانه في الحيوان كذا ولا وجود لهما الا في الحيوان فيكون ذلك
اقدم من هذا مطلقا ويكون انما ذكر الحيوان لا لان يكون معتبرا في المحمول بل ماخوذا
وسطا حتى يكون النسبة بين المبصر والمبصر مشاكلة للنسبة بين اللامس والملموس
سلمنا مثلا ذلك لم يكن من جنس النسبة المبدلة التي لو كان من جنسها ايضا
لم يكن الابدال بيانا ما لم يبرهن على ان من الناس من لا يسلم ذلك اذ يرى
ان في بعض الاجسام ابصارا او لا لمس وهو الفلك فانه انما يعدم اللمس لا الابصار في
الحيوان المركب وصاحب هذا الاعتراض يميل الى هذا الراي ميلا ظاهرا ونعود
الى ما كنا فيه فنقول واما المحو الذي في وجه القمر فهو مما بالحري فيه اشكال وعسى
الظنون التي يمكن ان يرى فيه هي انه لا يخلو اما ان يكون ذلك في جوهره او خارجا
عن جوهره فان كان في جوهره فلا يخلو اما ان يكون امتناعه عن قبول الضوء تاما

عليه هو لسبب انه مشف او لسبب هو لانه مشف ولكنه انما لا يقبله لانه غير مستعد لذلك بسبب خشونه مقابله للصقاله او بلله او كيفية اخرى مانعة لقبول النور اما في جوهره واما لامر عرض له خارجا فان لم يكن في جوهره لم يخ اما ان يكون لسبب ستر ساتر اياه عن البصر او بسبب تشكل يعرض له كما يعرض للمرائي من وقوع اشباح اشيا فيه اذا دوت تلك الاشيا فيه لم ير معها بر اقه وان كان لسبب ساتر اياه عن البصر لم يخ اما ان يكون الساتر شيئا من الاجسام الموجودة تحت الاجرام السماوية في حيز العناصر او من الاجسام السماوية فيكاد ان تكون هذه الاقسام هي التي تصلح ان تكون ظنونا في هذا الامر وان كان كل قسم دا ماراه نوع فالاقسام المتسعة من كون ذلك شيئا في جوهره يفسد كلها بما قد منا القول فيه من ان الاجسام السماوية لا تركيب فيها وان كل جرم منها بسيط متفق الطباع على اتم احواله التي لا يمكن ان يكون في جوهره والقسم المنسوب الى انطباع الاشياء فيه وما قيل ان البحار والجبال تصور فيه فسطل بان الاشباح لا يحفظ في المرائي هياتها مع حركة المرائي طولا وعرضا ومع اختلاف مقامات الناظرين و الحال الذي في القمر محفوظ وعلى ان المرائي التي تصلح لان يرى مضيئه ينعكس عنها الضوء لا يصلح للتخيل ولا يجتمعان فيه فان ما ينعكس عنه الضوء الى البصر لا يودي الخيال وما يودي الخيال لا ينعكس عنه الضوء الى البصر و القسم المنسوب الى ستر ساتر واقع تحت فلك القمر يفسد بما يجب من ذلك من حصول اختلاف المنظر ولزوم ان يكون الساتر تارة يرى ساترا وتارة غير ساتر وان يكون الموضع الذي يستره من جرم القمر مختلفا بحسب اختلاف مقامات الناظرين وان كان من جوهر الدخان والبخار كما ظن لم يحفظ على

الدوام

الدوام صورة واحدة لا تمحى معنى القسم الاخير وهو ان السبب في ذلك قيام اجسام من جوهر الاجسام السماوية قريبة المكان جدا من القمر في طبيعتها ان تحفظ بحركتها وضعا واحدا من القمر فيما بينه وبين المركز وانها من الصغر بحيث لا يرى كل واحد منها بل يرى جملتها على نحو مخصوص من الشكل المجتمع لها وانها اما ان يكون عديمة الضوء او يكون اضعف اشراقا من القمر فيرى بالقياس اليه في حال اضاءته مظلمة غير مضيئة والعجب ممن ظن ان ذلك انسحاق وانفعال عرض للقمر من مماسة النار ولم يعلم ان جرم القمر لا يماس النار البتة وانه في فلك تدويره وفلك تدويره في فلك حامله ومن حامله وبين حيز العناصر بعد معتد به وان قطعا من قطع كونه التي يتحرك بخلاف حركة حامله هو الذي يلي النار وهو الذي حركته شبيهة بحركة الكل وانه لو كان حامل تدويره الخارج المركز مماسا للنار لكان النار او الهواء الاعلى تبعه في الحركة لكن ليس كذلك بل انما يتبع حركة موافقة لحركة الكل والدليل على ذلك حركات الشهب الثاقبة وذوات الذوائب التي علمنا من احوالها انها في الهواء الاعلى وانها تتحرك بحركة ذلك الهوا الى المغرب وليس تلك الحركة للهوا بذاتها ولا للنار اذ لهما مبدء حركة مستقيمة فذلك لهما بالعرض على ما علمت فيكون الجسم السماوي الذي يماس الهوا الاعلى حركته تلك الحركة فلا يكون حامل تدوير القمر وجرمه هو ذلك المماس بل يكون ذلك الجرم الاخير حجابا فاصلا بين النار وبين القمر و على ان ذلك الجرم مصون عن ان يسحقه ساحق وان يمحو صقالته ماحق و لو كانت النار هي السبب فيه لكان مرور الدهر الطويل مما يزيد فيه ويودي اخر الامر الى الحاق القمر على التمام وهذا مما يكذبه الارصاد المتوالية و الشان ان ذلك الانسحاق لان يكون شيئا عرض ابتداء في زمان بل ما دام

القمر يجب ان يكون من حكمه ما يعلم وقد حسب بعض من ادرك زماننا ممن شاخ في
الفلسفة العامرة الموجودة في نصارى بغداد ان هذا السواد هو سواد من السواد
الذي يكون في القمر من الجانب الذي لا يلي الشمس ولا يستضئ بها ولم يشعر هذا
الغافل انه لو كان كذلك لكان ذلك الخيال مما لا ينقطع ولا يسرف في صفحة القمر بل يكون
شانه عند المركز ثم لا يزال يتدرج الى البياض ولم يعلم ان ذلك مما يكون في اوائل
الاستهلال وحيث ذلك الجانب مضيء كونه عند تبدر القمر ونحن نرى القمر اذا احدث بدر
ضوء فان تلك الثلم من صورة المجوفة تكون محفوظة ويكون ظهور شكل المحو وشكل
الضوء على نسبة محفوظة الى التبدر ولم يعلم ان السواد والظلمة لا تشف من جانب
الجسم الاسود الى جانب اخر بل ظن انه خرج وجهها وابدع قولا هذا واقول على سبيل
الظن انه يشبه ان يكون لكل كوكب مع الضوء المشرق منه لون بحسب ذلك
اللون يختلف ايضا الضوء المحسوس بها فوجد اشراق بعضها الى الحمرة وبعضها الى
الرصاصية وبعضها الى الخضرة وكان الشعاع والنور لا يكون الا في جرم له خاصية
لون فان النار انما يشرق دخانه وهو في جوهره ذا لون ما ويختلف المرئي من اللهيب
باختلاف اللون الذي يخالطه النور الناري وليس هذا شيئا احرم به جرما واذ قد
تكلمنا في جواهر الكواكب ومخالفتها للافلاك في لونها فحري بنا ان نتكلم في حركاتها
التي تخصها **فصل في حركات الكواكب** الظنون المظنونة في هذا المعنى
بعد القول بان في اجرام السماوية حركة بلسه ظن من يرى ان الجرم الفلكي ساكن
والحركة للكواكب خارقة متدحرجة او غير متدحرجة وظن من يرى ان الجرم
الفلكي متحرك والكواكب متحركة خلاف حركة الجرم خارقة له وظن من يرى ان
الكواكب مغروزة في الجرم الفلكي لا تخرق البتة انما يتحرك بحركتها على انه لا حركة
في الاجرام السماوية الا الحركة التي جعلناها الوضعية ولا انتقالية هناك
البتة

البتة انما يتحرك بحركتها على انه لا حركة في الاجرام السماوية الا الحركة التي
جعلناها الوضعية ولا انتقالية هناك البتة واصحاب هذا الراي قد تشعبوا
شعبا فمنهم من زعم ان الكواكب مع ذلك هو المبدء الاول لفيضان قوة التحريك
عنه كالقلب مثلا والدماغ في الحيوان مع سكونه ومنهم من راى مبدء الحركة
في جرم السما اذ هو المتحرك نفسه بالذات ومنهم من راى ان بعض الاجسام
السماوية تنبعث قوى حركاتها عن كواكبها وهي التي تكون الحركة الملتئمة لها
انما يلتئم من عدة اكر وكوكب واحد مثل اكر الكواكب التي يسمونها المتحيرة
وان بعض الاجسام السماوية بخلاف ذلك وهي التي تكون الحركة الملتئمة لها
انما يلتئم من كرة واحدة وكواكب عدة مثل كرة الكواكب التي
يسمونها الناس على انه لم يتبين لي بيانا واضحا ان الكواكب الثابتة في كرة
واحدة او في كرات منطو بعضها على بعض الا با ماعات وعسى ان يكون
ذلك واضحا لغيري وهؤلاء الذين جعلوا الكواكب غير مفارقة لمواضعها
مع ذلك فيها ظنونا فمنهم من قال انها لا حظ لها في الحركة اصلا ومنهم من
قال ان لها حظا في الحركة الا ان الجسم الذي يتحرك هو فيه الحركة التي لها
يتحرك هو ايضا مثل حركتها معرض ان لا يفارق مكانها مثل السابح في الما اذا
سبح مواجها سمت مسيل الما فان له ان يسكن سكونا يعرض منه ان يسبقه السيل
ويقف هو في موضعه وله ان يفعل خلاف هذا فان كان هذا التوقف منه
سكونا لا مخالفة وهو مجاراة للسيلان حركة مع انه لا يخرق الما ولا يفارق
ما يلقاه منه وكذلك حال الكواكب واما نحن فقد فرغنا عن ابانة امتناع
انخراق الجسم السماوي وكفينا ان نتكلف امر اللبس بذلك الميعاد المسلم
وهو انه ان تحرك فحركته اما ان يكون يتدحرج او على استمرار وان نقول

ان القول بالدحرجة يكذبه ثبات المحو في القمر الى جهتنا بعد القول بانه ليس
في وجه القمر ذلك المحو بل انما هو لاجل سائر وان القول بالاستمرار ردي يودي
الى انه لو كان استمرار لاعطت الطبيعه الات كانه قد صح ان هذه الحركة
لا يكون الا بالات او لا يتهل الا بالات او صح ان كل حركة يحتاج ان يعطى
لها الة فح يجب ان يكون الطبيعة اعطت لهذه الحركة ايضا الات او نقول انه
لو كانت الثوابت يتحرك لكان يجب ان يكون سرعتها وبطوءها بقدر كبر مداراتها
وصغرها فيصير ذلك علة كانه لا يمكن ان يكون كل كوكب انما رتب في
دايره يلحق بسرعته وبطوءه لسوا في معا من غير ان كان ذلك علة السرعة والبطوء
لعلة اخرى ثم يحصل مركز كل كوكب في مدار يليق به غيره او يتفق ذلك من
غير ان يكون علة فنحن لا نحتاج ان نقول شيئا من هذا الجنس فانه كله ضعيف
او هو غاية في القوة الا انا لا نفهم وجه كونه قويا ولا يعلمونا لسم والا انا نه ذلك
الامر بعد بها بل يكفينا ان نقول ان جرم السما لا يحرق وينبغي ايضا ان
نعتقد ان الكواكب نفسها يحب ان يدور على نفسها لما عرفت من الاجرام السماوية
وان الكواكب والافلاك حركة مخالفة للحركة الكلية وان ذلك كيف يلتئم
وكيف يمكن فيجب ان يوخر الامر فيه الى ان نقتبس من الصناعة المنسوبة
الى المجسطي صور هذه الحركات ثم نكر ونوضح ان ذلك كيف يمكن مع منع الخرق
وان الميول التي يظن انها تحرك عليها الكرات ثم تنعطف راجعة من غير تمام
الدور كيف يمكن وان الذي من حركة الكواكب يرى حتى يكون تارة يظنه
الحركة لا التي بسبب الرجوع والاستقامة والاقامة وبسبب الاوج والحضيض
من الخارج المركز بل الذي ينسب الى مركز فلك التدوير فانه ليس يقطع
من الدايرة الحاملة في ازمنة سواء قسا سوا بل انما يقطع ذلك بالقياس الى دايرة

اخرى

اخرى ومركز اخر اما القمر فالدايرة المايلة ومركز الارض واما للاخرى فالفلك
المسمى المعدل للمسير ومركزه الذي هو مركز غير الحامل والارض كيف
هو وسنبين ان جميع ذلك بالعرض لا بالذات اذ لا يجوز ان يختلف تحريك قوة
بسيطة تحريكا بسيطا في حد واحد لغاية واحدة الا الذي اذا اوجب الطبيعة
احلالا فانه استمر على اختلافه مشتدا فيه بالحمية كما يختلف الاجسام البسيطة في
الحركة حتى يكون في ابتدائها ابطا وفي اخرها اسرع فذلك اول شيء ليس في حد
واحد بل في حدود مختلفة وتلك الحمية لا يعود وهنا السر على ان لتلك الحمية اسبابا
عرفها لا يمكن ان يكون موجودة في الاجرام السماوية ومما جرت العاده ان نتكلم
فيه في مثل هذا الموضع انه لم صار النيران اقل افلاكا وساير الكواكب اكثر
افلاكا ولم كانت كرة الكواكب الثابتة كثيرة الكواكب وكرة غيرها واحدة
الكواكب فيقولون في الاول ان الاشرف والافضل لا يحتاج في تتميم فعله الى الات
وان احتاج الى الاقل وفي الثاني ان الطبيعة عدلت فجعلت حيث الحركة واحدة
اجساما كثيرة وحيث الحركات كثيرة جسما واحدا لئلا يجمع مؤنة حركات كثيرة مع
مؤنة نقل اجسام كثيرة وهذان الجوابان كالمقنعين وثانيهما اضعف كثيرا بل هو ردي
جدا فان هذا انما يكون حيث يكون الحمل والحركة معا وهنالك الحركة كما صح
بعد لذيذه مريحة جدا والمحمول لا ثقل له ولا خفة ولا ميل بوجه من الوجوه ولا
ممانعة للتحريك ولو اجتمعت حركات كثيرة واجسام كثيرة منقولة ما كان يعرض
هناك مؤنة وتعب لا يعرض مع التخفيف موحد احدهما هذا هو الذي يلوح لي
ولسنا ان يكون عند غيري فيه شان لا يلزمه ما قلته وعلى ان القمر قد بان من امره
في البحث المستقصى الذي حاوله بطلميوس انه اكثر افلاكا من كثير من الخمسة ويجب
ان يعلم ان وجود كل واحد من الافلاك والكواكب على ما هي عليه من الكثرة

والقلّة والوضع والمجاورة والصغر والكبر هو على ما ينبغي في نظام الكلّ ولا يجوز
غيره الا انّ القوة البشريّة قاصرة عن ادراك جميع ذلك وانّما يدرك من غايات
ذلك ومنافعه امورا يسيرة مثل الحكمة في الميل والاوج والحضيض واحوال القمر
عند الشمس في الميل وغير ذلك ممّا نذكره في مواضع اخرى وقد حقّ علينا ان
نتكلّم في اوضاع العناصر تحت السّماء **فصل في حشو الجسم السّماوي وما قاله
النّاس في احوال الارض وساير العناصر** نقول انّ الجرم المتحرّك بالاستدارة
حركة وضعيّة يلزم ضرورة ان يكون فيه اختلاف حال عند الحركة وان شاث
الاحوال كلّها سدامع للحركة مقابل لها واذ هذه الحركة لا يتعلّق بالكيف و
الكم وغير ذلك بل لا يتوهم له تعلّق الا بمكان او جهات والمكان والجهات لا يكون
بجسم منفرد وحده اما المكان فلا بدّ في وجوده من الجسم الّذي المكان نهايته و
امّا الجهات فلا بد من ان يكون منقسم الى حدود كما بيّنا فاتمّه اما في خلا او في
ملا والخلا يستحيل فالملا واجب ثم هذا الجسم هو المحدد لجهات الحركات المستقيمة
وسنبين فصل بيان بعد ان ميل هذا الجسم لا يوجد خارجا عنه جسم متحرّك
بالاستقامة ولا جسم اخر الا محيطا به ومن حكمه فيكون لا محالة فيه مبدء حركة
مستديرة ويكون من جنس هذا الجسم ويكون من الطبيعة التي الكلام فيها فاذا كان
كان لم يكن هذا الجسم في نسبة المستدلة في الحركة متصورا بالقياس الى جسم
خارج عنه فبقي ان يكون الى جسم داخل فيه وينبغي ان يكون ذلك الجسم ساكنا
يتحرك هذا عليه حتى يصح اختلاف نسبته اليه فانه ان كان متحركا جاز ان يختلف
النسبة اليه مع سكون من الجسم الاخر وامّا السّاكن فلا يختلف النسبة اليه الّا
للمتحرك فالنسبة المحتاج اليها حتى يصح ان يكون نسبتها للمتحرّك اختلاف نسبة
خاصة هي النسبة الى السّاكن فلهذا ينبغي ان يكون دور هذه الاجسام على

جسم في الحشو ساكن بطبعه لكنا قلنا انه من المستحيل ان يكون جسم لا مبدء
حركة فيه وهذا الجسم الّذي كلامنا فيه يجب ان يكون ساكنا فكيف
يستمر ذلك فنقول ان كون الجسم ساكنا لا يمانع كونه وفيه مبدء حركة يعني
انه لو فارق مكانه الطبيعي اما بكليته او باجزائه تحرك بالطّبع لكن
الكلية فرض بل وجد ساكنا وبالطبع اذ لو كان امرا قسريا لم يكن
عليه في الامر الّذي اومانا اليه اعتماد فيجب لا محالة ان يكون في موضعه
الطّبيعي ويكون من شان اجزائه ان يتحرك اليه لو فارقت وهذا هو الارض
لا محالة وليس يجوز ان يكون حاشي الجرم المتحرك بالاستدارة حشوا اما لما
بحث ما يماس الحركة السّريعة وما يبعد عنها فانه لو كان مثلا جوهرا
واحدا لتخلخل منه ما يماس الحركة وتحلل وسخن ولطف على طول الايام
واستحال جوهره عن المشابهة كما يعرض من افعالنا لو اكببنا على جرم من الاجرام
التي قبلنا بسحق او حك او بمحص وحصحصه ولم يزل يفعل ذلك حتّى
يسخن ثم لم يزل يداوم عليه لم يلبث ان يستحيل نارا فكيف ما يعرض
له اشد من الّذي في مقدورنا فان كان الجسم الطبيعي الموجود هناك
في طبعه الاوّل من جنس الّذي في الوسط فيلزم ان لا يكون باقيا على
جنسه وجوهره ولا يجوز ان يكون وقت من الاوقات هو الوقت الاوّل
الّذي استحال فيه الى جنس وجوهر اخر نارى لان كل وقت يفرض يجده
وقد تقدم عليه في قدرة الله تعالى زمان طويل فيلزم من ذلك ان يكون
دايما الا على جنس المتوسط وجوهره فيكون كانه ان كان من جنسه وجوهره
لم يكن البتة من جنسه وجوهره وهذا محال فلا يصح ان يقال انه كان من جنسه
واستحال عنه بل يلزم ضرورة ان يكون ذلك الجزء من المماس ليس من جنس

يتشابه

الارض ولا جوهره بل يجب ان يكون ذلك الجرم ناريًا حيث كان ولا يجوز
ان يكون في موضع اخر في المواضع الداخلة في الفلك استقص للنار
معرض ان يكون الاستقص الناري اكثر من القدر الذي يقي
العناصر بمعادلته اذا استقص النار اذا كان هو بعينه وحده معادلا
لعنصر عنصر في القوة فان زاد عليه نار اخرى كان فوق المعادله
هو غير معادل وغير المعادل اما بالضعف والنقصان فمستحيل واما
بالزياده والفضل محيل واحدا من المعادلة التي يلزم من نفس من نار ان
يكون للنار هو بالزياده فيكون ساير العناصر مسلاه منه بالاحاله وليس
ماذن الحشو مختلف والجرم الدايم السكون بالحرى ان يكون عادمًا في
طباعه للحر وان يكون مستحفظا لكماله ذلك بدوام سكونه والمسلي بمرافقه
جرم اخر دايم الحركة بالحرى ان يكون واحدا بطباعه للحر وان يكون مستحفظا
لكماله ذلك بدوام الحركة وبالحرى ان يكون الى كل واحد منها جرم
معاد له في الطبيعه وليس هو مكون النار مسلوا الى الوسط بالهوا والارض
مسلوا الى فوق بالماء وان يكون صورة الهوا تحت بعض منها بعض الكيفيات
مشابهة للنار وبعضها غير مشابهة حتى لا يكون الصوره الهوايه هي التي
ولهذا ما كان الهوا حارا رطبًا وان يكون حال الما عند الارض كذلك ولهذا
ما كان الما باردا رطبا وان يكون المتحاول متناسبين في كيفيته وان يكون
الاضداد متباعدة في المكان فهذا هو الوصف المحكم وعليه الوجود لكن
الناس قد اختلفوا ايض وخالفوا الحق في امر هذا الحشو وخصوصا في امر
الارض من جملتها فان الارض اختلف في عددها وفي شكلها وفي حركتها
وفي سكونها وفي موضعها وطبقات من القدما المايلين الى القول بالاضداد

وبان

وبان الضدين مبدان للكل والواقعين في ذلك الى حسن القول بالخير
والشر والنور والظلمه افرطوا في تمجيد النار وتعظيم شانها واهلوها
للتقديس والتسبيح وكل ذلك لنورها واضاءتها وان الارض مظلمة
لا يستضئ باطنها بالفعل ولا بالقوة واهلوها للتحقير والذم ثم راوا ان
الوحده والثبات والتوسط من المعاني الواقعة في حيز الخير والفضيلة
واضدادها من المعاني الواقعه في حيز الشر والرذيله فجعلوا النار موصوفة
بالوحدة وبالسكون والتوسط في المكان وجعلوا الارض موصوفة بالكثرة
والحركة والوقوع في الطرف وقالوا ان في العالم ارضين كثيرة وانها هي
التي يتوسط بين ابصارنا وبين النيرين فيكسفهما بالستر لا بالمحو وهولاء
قد تكلفوا ما لا يستقيم لهم وكيف السبيل الى ان يوجد في النار كل معنى
واقع في حيز الخير وفي الارض كل معنى واقع في حيز الشر ومتى يمكن
هذا فان النار بفرطه الكيفية مفسدة والارض معتدلة لا يفسد والنار
اسرع حركة في المكان الغريب من الارض واقبل للعدم او التفرق
فلا يظهر للحس والارض ابطا حركة وابت وجودا في الحيز الغريب ثم حيز
الارض حيز الحياه وحيز النشو للحيوان والنبات وحيز النار مضاد لذلك
ولا يبعد ان يجد للارض من الاوصاف المحمودة عنده ما يجد للنار وهب
ان الحس البصري شهد على النار فليسمع ما يقوله الحس اللمسي وليس الاستحسان
اشرف من الاستنفاع كما انه ليس الحس الغير النافع افضل من النافع لغير
الحس اعني بالحس الحس النظري على انه لا القول الذي قالوه ولا الجواب
الذي احساه من جنس الكلام البرهاني لكن الاصول موجب علينا
ان نعتقد ان الارض واحدة الى ان يوضح ذلك فنقول ان الارضين

كلها صورتها الطبيعيه واحده وقد علم من قبل ان الاشيا التى صورتها
واحده فان الحيز الطبيعى لها واحد بحيث يجوز ان يجتمع كلها فيه علما على وجه
بالغ فى التحقيق والتعين فيعلم من ذلك ان الارضين الاخرى لا يثبت فى
مواضع اخرى بالطبع ولا عايق لها عن الحيز الطبيعى ونقول ايضا ان الارضين
الحاصلة فى مكانها الطبيعى لا يتحرك بالاستقامة لما علم قبل ولا يتحرك بالطبع
على الاستدارة اذ الارض لها فى طبيعتها مبدء حركة مستقيمة وقد بينا انه ولا جسم
واحد يجتمع فيه مبدء حركتى الاستقامة والاستدارة والاعجب قول من قال
ان الارض دايمة الهبوط فما بال المدره يلحقها والجوهر الارضى كلما كان اكبر كان
اسبق واسرع حركة ان يتحرك فما ظنك بكلية الارض على انا قد فرغنا من
ايضاح ما هى الجهات التى اليها الحركة بالطبع واما القائلون انها تتحرك
بالاستدارة والفلك ساكن وان الشمس والكواكب يشرق عليها ويغرب بسبب
اختلاف محاذيات اجزا الارض المتحركة اياها وهى ساكنة واما هى فى انفسها
فلا يشرق ولا يغرب فيفسد قولهم بما بيناه من سكون الارض وبان المدره يقع
على الارض على عمود هو مسقطه محاذ لمحلاه ولو كان ما قالوه حقا لوجب فى
المدره ان لا ينزل على عمود وساقول الشد بل ان كان ولا بد فينزل منحرفة ولو
كانت الارض يتحرك هذه الحركة السريعة لكانت المدره يتاخر عن المحاذاة ولما
كان بعد مسقط السهم المرمى الى المغرب من الرامى واما ما قالته الفرقة المذكورة
فى امر توسط النار دون الارض فنعم ما اجابهم عنه المعلم الاول اذ قال هب
ان النار معدمة بالشرف وهب ان الشرف يقتضى التوسط وهب انه قد لزم
من ذلك ان النار فى الوسط اليس انما لزم الوسط الشرفى واما الوسط المقدارى
فلا مدخل له انما المدبر للوسط فى الترتيب فالنار قابلة للتوسط فى الترتيب فان

مرتبتها فى اوسط مراتب الاجسام ومرتبة الارض فى اخر الترتيب فهذا يعطيكم
مرادكم مع التقابل مما عليه الوجود حتى يطيب انفسكم بتوسط النار ولا
يحوجون لذلك الى مخالفة الكل واما القائلون بسكون الارض فقد
اختلفوا فى سببه فقائل انها فى خلاف جهة مسقط عن مساميه فلا تهبط لها وقائل
انها مجوفه محمولة على ماء عمر بطها وقائل انها طبلية الشكل بسطحه القعر بسطه
وذلك سبب سكونها وان الثقل اذا انبسط اندعم مثل الرصاصة اذا بسطتها
طفت على الما وان جمعتها رسبت وكذلك حال الارض على الما والهوا وقائل انها و
ان كانت طبلية فحدبتها الى اسفل وبسيطها الى فوق ولذلك ما يكون القطع
المشترك بين الافق وبين الشمس خطا مستقيما فى الرؤية لا قوسا وقائل انها كريه
وانها ساكنه لا يتحرك لان الفلك يجذبها الى الجهات جذبا متشابها فلا يكون
جهة اولى بان يجذب اليها من جهة كما يحكى عن بعضهم كان فى بيت مقناطيس
الحيطان والقرار والسقف وكان قد قام فى وسط البيت مجذوبا الى السطوح
الستة بالسويه وقائل ان السبب فى قيامها تساوى استحقاق الجهات ان يكون
اليها ميل وان لم يكن لها جاذب وقائل ان السبب فى قيامها التفاف الحركات
السماوية بها كما يعرض لمدره او حصاة تجعل فى مسير ثم يدار على قطبين
اداره سريعة فيعرض ان يثبت الجسم الثقل فى الوسط لالتفاف الدفع المتشابه
على ذلك من كل جانب وهذه المذاهب كلها رديه وكلها يجمع فى ان يجعل
الارض مقسوره على القيام فى الوسط وكيف الشئ مقسورا الا فى غير موضعه
الطبيعى وكيف يكون الجسم محبوسا فى موضع غير طبيعى الا وله موضع طبيعى
الذى يحن وما كان يكون حال الارض لو حصل فى ذلك الموضع الطبيعى وهل
كان يقف ايضا او يهبط الهبوط المتوهم فان كان يقف ولا يهبط ولا يستكن

ذلك ولا يطلب لم علة من العلل المذكورة فلم صار الموضع الذي هو فيه منذ كان
اليه تتحرك اجزاؤه ويطلب لو توهم علة عن انه مكانه الطبيعي الذي تشتاقه
اجزاؤه اذا فارقته وان كان لا يقف ايضا هناك اعني في الموضع الآخر بل وهرب
عنه فالموضع الطبيعي ليس بموضع طبيعي بل موضع مهروب عنه هف ثم يلزم
كل قول خاص محال خاص فصل في مناقضة الآراء الباطلة المذكورة في
تعليل سكون الارض فاما الجاعل سبب قيام الارض وسكونها كونها غير
متناهية وانها تدعم نفسها فقد عرفت فساد مذهبه لما عرفت من استحالة
وجود جسم غير متناه واما الجاعل سبب ذلك اقلال الماء اياها وثباتها عليه
لبجوفها فوضح بطلان قوله احراحرا انا ان نكره راجعين في تعرف سبب قيام ما
ليس قائما ووقوفه ابعد من الشبهة من قيام الارض ووقوفها وذلك هو الماء فان
الاشكال قائم في سبب قيام الماء واستقراره حتى يتبع ذلك استقلالا له بحمل
الارض اللهم الا ان يلتجي في امر الماء الى ما التجي اليه في امر الارض من كونه غير متناه
من الجهة التي لا تلينا فيكون الجواب ما قدمناه ومع ذلك فما السبب الحاقن
الممكن للهواء في الارض وما السبب المجوف للارض وهل هذه الاشياء لوازم
طبيعية لجوهر الارض اعني ان يكون فيه الهواء او لجوهر الهواء ان يكون في الارض
او لجوهر الارض ان يكون مجوف الشكل اما الهواء فطلبه لمكانه الطبيعي هو حيث
يوجبه الى الانفصال عن الارض ولو بالزلازل والخسف واما الارض فهي هبط
دائما عن معدن الهواء وشكلها شكل البسائط وقد علمت انه مستدير فان لم يكن
ذلك لازما طبيعيا فهو عارض بعد الامر الطبيعي فما كان يرى انه يكون ان لم
يعرض هذا العارض او فوق حيث الارض فيه او حركته فان كان وقوف قبل هذا
السبب فما الحاجة الى هذا السبب وان كانت حركته فكيف جاءت القوة الهوائية

معدب فيه قائمة وكيف كان يكون تلك الحركة والى اى غاية كانت تكون وكذلك الكلام
على جاعل الارض مسطحة البسيط الحامل اياها والقائل بجذب الفلك للارض
من الجهات بالسواء فيفسد قوله ومذهبه من وجوه احدها انا نتوهم ان هذا
الجذب قد زال فلا يخ اما ان تقف ح الارض في الوسط او تتحرك وان تحركت
فلا محالة انه يتحرك الى الفلك فان هؤلاء يرون ايضا ان الفلك محيط وان الارض
في المركز فان تحركت الى الفلك فقد جعلت حركتها صاعدة بالطبع وهذا مح
وان وقفت صارت العلة التي اعطوها لوقوف الارض هي بحيث لو لم تكن
لكان وقوف ايضا والشيء الذي لا يحتاج الشيء في ان يكون نفسه الى ان يكون
ذلك الشيء علة للشيء المسمى علته فهذا الجذب اذن ليس بعلة
لسكون الارض وايضا فان الشيء الاصغر اسرع انجذابا من الشيء الاكبر فما بال
المدرة لا تنجذب الى الفلك بل تهرب عنه الى المركز وايضا فان الشيء الاقرب
اولى بالانجذاب من الشيء الابعد اذا كان من طبعه والمدرة المقذوفة الى
فوق اقرب الى الفلك فهي اولى بان تنجذب الى الجهة القريبة من كلية الارض
وايضا فان الحركة المستقيمة كما علمت انما تكون الى جهة القرار بالطبع والمدرة
انما تتحرك لتستقر ومستقرها اما الى الفلك واما الى حيث نتوهم المركز لكن
ليس الى الفلك والا لكانت الجهة المخالفة لحركتها اولى بها فانها اقرب فهي
اذن انما تتحرك الى المركز ليسكن بالطبع ويقرب من هذا مناقضة من جعل
السبب تساوي الجهات في الاستحقاق كانها لو كانت مختلفة لكان واحد
منها اولى فما كان يكون ذلك الاولى الذي اهو جهة مكان طبيعي او غير ذلك
فان كان جهة هي مكان طبيعي فيكون للارض شيء لو كان لكان مكانا طبيعيا
فيكون الارض موجودة وليس لها مكان طبيعي موجود فالى اين يتحرك اجزاء

الارض واحرا الارض كيف لا يصير جهة من السماء اولى بها من جهة لانها اقرب
من جهة ولم لا يقف النار في الوسط لهذه العلة بعينها فعسى ان يقول القائل
لانها لا توجد في الوسط الحقيقي وكذلك المدرة يجب ان لا تميل الى الوسط
ثم مما ينبغي ان تعطوه لنا هو سبب حصول الارض في هذا الوسط الى ان
يصار بحيث تتكافأ الجهات عليه فابطلت ميله واوجبت سكونه
الطبيعة توجب ذلك او قسر به او اجبارا او بخت فان كان المحصلة اياها فيه
هو مقتضى طبيعته فالسكون فيه مقتضى طبيعته وان قالوا سبب قاسر لم
يمكنهم ان يشيروا الى هذا السبب فان الاجسام المكتنفة للارض ليس لها
ان تقسر مثل الارض دفعا ولو كان المصير الى ما هنالك لكلية الارض قسرا
لكان تحريكها قسرا ولو كان هبوط المدرة قسرا ودفعا من الهوا المكتنف لما
كانت ترجح على الموانع من الحركة والهوا الذي يكتنفها لا يرجح البتة
تحمل الهوا اندفاعا فيدفعها ولكان الاصغر اشد اندفاعا ولكان كلما بعد من
مبدء الحركة صار ابطأ فان القسر كذلك فاذ ليس شيء من هذه التوالي فليست
كلية الارض تحصل هنالك قسرا وايضا لا اختيارا اذ لا اختيار لها واما البخت
فليس امرا يعتد بدوامه بل الامور البختية لها اسباب تتقدم اما طبيعية واما
قسرية واما اختيارية على ما علمت وهذا المعنى لا يتقدمه سبب من هذه وليس
يصح من هذه الاقسام الا حصوله هنالك بالطبع فان كانت الطبيعة حصلته
فيه ثم لا يصير عنه وكفى بذلك بيانا لصدور الامر عن الطبيعة وكونه سكونا
طبيعيا واما جواب من ظن ان سكونها في الوسط على نحو سكون التراب وسط
مدة مداره فقريب من هذا فان مصير الارض الى الوسط لو كان القسر لكان
حكم المدرة في ان تكون اصغرها اسرع اندفاعا وابعدها عن المحيط ابطأ حركة

هو الحكم المذكور وايضا فليت شعري ما بالها توسط التراب دون الهوا والما الذي
فيها فان جعل السبب في ذلك الثقل بقي السوال في الثقل وبقي ان يطلب
السبب في ان كان الثقل يتوسط دون الخفيف الا ان يتوهم ان الثقل في نفسه
يحدر من الجهة الفوقانية بالطبع وبالدفع فاذا توسط دفع ايضا من الهوا المدار
ولم يمكن ان يخرق ذلك الهوا فان الهوا وبالجملة كل رقيق متخلخل يعرض له
عند شدة الحركة من المقاومة ان لا ينخرق بل ربما خرق فاذا اكتنف التراب
من فوق ومن تحت هذان السببان تحير ووقف فان كان السبب في الارض هذا
وهو ان تعرض الجهات له ان تقذفه بالطبع وبعضها ليس يمكنه ان يخرقه
فتكون الجهات المتشابهة يختلف عليه في ان جهة يهرب عنها وجهة مثلها
تشابهها بالطبع لكن تمنع لمقاوم هذا خلاف ما اعوم وان كان السبب ليس تعاون
هرب ودفع من جهة دون جهة بل ليس الا الدفع فما ذا كان يكون لولا الدفع
اكان تميل الى ناحية من نواحي الفلك بعينها ميلا مطلقا حتى كان يختلف
استحقاق جهات متشابهة للميل اليها وهذا محال او غير مطلق بل يخصص بالقرب
على ما قلنا في حركات العناصر فتكون بالجملة طبيعة الارض خفيفة فلا يكون
الثقل سبب اندفاعها بالقسر الى الوسط وتكون حكم النار حكمها فيلزم ان تكون
النار اذا وسطت الفت عليها الدفع فلم تقدر على الصعود وما بال هذا الدفع
لا يحس به ونوبر هذه القوة وما بال هذا الدفع لا يجعل حركة السحب والرياح
الى جهة بعينها ولا يجعل انتقالنا الى المغرب اسهل علينا من انتقالنا الى المشرق
والذي ظن ان ظاهر الارض مسطح لما راه من استقامة الفصل المشترك بين جرم
الشمس وبين الافق فلم يشعر بان القسي الصغار من الدوائر الكبار ترى في الحس
خطوطا مستقيمة بل لم يشعر ان الدائرة المرتسمة على كرة اذا قطعت كرة ونظر

الیها الا من قطب تلك الدائره بل من نقطه على تلك الدائرة روى القطع مستقيما
ومع ذلك فان علم الرصد يكذبه وموجب الطبيعة البسيطة يخالفه وكما قد اختلف
الاراء في سبب قيام الارض وغير ذلك فقد اختلف الاراء في حركات النار والهوا
الى الفوق وما يرسب في الما وما لا يرسب والمدخل الى تعرفها معاوده جمل من
احكام الثقيل والخفيف **فصل في ذكر اختلاف الناس في الخفيف والثقيل
واستنباط الرأي الحق من ارائهم** الخفيف المطلق هو الذي في طباعه ان
يتحرك الى غاية البعد عن المركز ومقتضى طبعه ان يقف طافيا لحركته فوق
الاجرام كلها واعنى بالطافي ليس كل وضع فوق جسم بل وضعا يصلح ان
يكون منتهى حركته والثقيل المطلق ما يقابله حق المقابلة فيكون حركته
اسرع حركة لميله الى غاية البعد عن المحيط خارقا كل جسم غيره مقتضى
ان يقف راسبا تحت الاجسام كلها لكن للخفيف وايضا للثقيل احوال ثلث
حال حصوله في المكان الذي يوبه وحال حركته مرسلا اليه وحال وقوفه
ممنوعا دونه ففي حال حصوله في المكان الذي يوبه هو غير مائل عنه بالفعل
ولا بالقوة ولو كان مائلا عنه بالفعل لما كان ذلك المكان مستقيمه الطبيعي و
لو كان مائلا عنه بالقوة لكان يجوز ان يخرج الى الفعل فيميل بالفعل عن موضعه
الطبيعي الا ان يجعل القوة بالقياس الى القاسر والى ميل قسري لا الى ميل
طبيعي فالجسم الثقيل والخفيف لا يوجد فيه حال حصوله في الحيز الطبيعي ميل
البتة واما في الحالتين الاخريين ففيه ميل لا محالة لكنه في حال صدور الحركة عن
ميله هو ذو ميل مرسل عامل وفي الحالة الاخرى هو ذو ميل ممنوع ان يكون
عاملا فان عنى بالخفيف مثلا ما له ميل عامل الى فوق بالفعل فلا الممنوع خفيف
بالفعل ولا الحاصل في مكانه خفيف بالفعل وان عنى بالخفيف ما له ميل بالفعل

الى فوق

الى فوق كيف كان فالمتحرك والممنوع كلاهما خفيفان بالفعل والحاصل في
مكانه الطبيعي غير خفيف بالفعل وان عنى بالخفيف ما له في ذاته الصورة الطبيعية
التي هي مبدء الحركة والميل فوق حال ما تحت الحركة الى فوق والسكون هناك
حال ما تحت ذلك فهذا الجسم في جميع الاحوال خفيف بالقوه ولان اسم الخفيف
يطلق على هذه المعاني الثلثة اطلاق الاسم المتشابه فحرى ان يقع منه غلط لا يقع اذا
فصل هذا التفصيل وكذلك الحال في حسن الثقيل ويجب ان يكون استعمالنا
للفظة الخفيف والثقيل اذا اردنا ان نشير الى صور الاجرام الطبيعية استعمالا يدل به
على المعنى الثالث الجامع وان يكون استعمالنا لذلك اذا دللنا على افعالها انما
هو على المعنى الثاني فنقول انه قد عرض للناس اختلاف في حركة الهوا الى فوق و
حركة الخشبة وما اشبهها في الهوا الى اسفل على حكم ما له وزن وثقل وطفوها
في الما بحيث لو ادرست فيه قسرا لطفت على حكم ما له خفة وعدم وزن فقائل ان
الاجسام كلها ثقال ومتساوية في ذلك ويتحرك هابطة لكن الاثقل يسبق
ويضغط الاخف الى فوق حتى تتمهد له الاستقرار في السفل والاسم ارا اليه و
قائل ان الثقل هو التخلخل والتخلخل على الخلاء وقائل ان الثقل هو اللين كما ان المهبط
هو الصلابة وقائل ان كثرة الملا واندماج الاجزا هو المرسب وان قلة ذلك كان
لخلا او غير خلا او علة ضد ذلك وقائل ان الاشكال المحدده الصنوبرية فهي مبدء
الحركة الى فوق بسهولة الخرق والتمكن من النفوذ وان المكعب وبالجملة انفراج
الزوايا واستعراض السطوح هو السبب في الثقل ومنهم من جعل النفوذ الى
فوق الكره كان كل نقطة من الكرة زاويه حاده وقائل ان الخلا يجذب اليه
الاجسام جذبا يسبق بالاسهل فيرسب فيه الاجسام على الترتيب الذي يتوسط
فيه الاثقل ثم يحطبه الاخف فالاخف واما ما يرسب في الهوا ولا يرسب في

الما فمنهم من جعل السبب فی طفو الشی فی الما وفی الهوا ایضا اقلال النار ایاه
المصعده ایاها من تحت کما ان الرطوبه الغالیه تقل من الاجسام ما لا یعلو الهاد برقا لو
علی ان کل رطوبه فان فیها غلیانا ما غیر محسوس وما یتصعد من الغلیان هو تقلل
التقل حتی ان المنبسط من الرصاص ربما ولد مقلات اکثر عددا مما تناول المجتمع منها
مثله ولهذا ما استقل السحب فی علو الهوا وهی مائیه ثقیله فنقول ان هذه المذاهب
کلها تجعل حرکه هذه الاجسام حرکه عرضیه قسریه فان کان ذلک لدفع او
جذب کان الاکبر لا محاله ابطا حرکه ولیس کذلک وکان المندفع کلما بعد عن المبدا
وهنت سرعته ولیس کذلک وکان اذا اتخذ جسما مجوفا من ذهب برن وزن مصمت
من ابنوس کان رسوبهما فی الما سواء ولم یکن المجوف الذهبی یطفو ان کان الطفو
قسریا لضغط الما لما هو اخف منه واجتماعه تحته فیرفعه واما الخلا فلا شی منه اولی
بالتحلل عن الثقیل منه بالجنس له فلا خیر فیه هو اولی وتوقف الارض عنده من حیز
اخر ولو کان کثره الخلا وحدها عله للحرکه الی فوق لکانت الکبیره اخف من الصغیره
او لو کان کثره الملا وحدها عله للحرکه الی اسفل لکانت النار الکبیره ابطا حرکه
الی فوق ولو کان السبب فی ذلک اما الخلا فی الخفه فیکون الخلا اکثر من الملا او
اما فی الثقل فیکون الملا اکثر من الخلا لکانت العله فی انهما کانت انما هی سبب
لنقصان موجب الکثره لا سبب لتضاد موجب الکثره فان عدم السبب سبب
لعدم المسبب لا سبب لمضاده فاذا زاد الخلا مثلا علی الملا لم یخل اما ان یکون
الزیاده مانعه عن امر لو کثر الملا لفعله او موجبا بنفسه امرا فان کان زیادته
توجب المنع فیکون اقصی ما یوجبه ان یمنع الحرکه الی اسفل او یبطی وان
کان زیاده الخلا موجبه للحرکه الی فوق کالعله المحرکه والملا موجبا
للحرکه الی اسفل کالعله المحرکه ویکون الحکم للغالب منهما عرض ما

الحج

لا یحتاج ان نکرره من استحاله کون الخلا عله بحرکه فقد ابطلنا فی بعض
الفصول المشتمل علیها الفن الاول فلیقرا من هناک ومع هذا فکان یجب
ان تکون النار الصغیره والکبیره متساوی الخفه وکذلک الارض الصغیره
والکبیره اذ النسبه بین الخلا والملا فی کلاهما محفوظه ولو کان اللین
سبب الخفه لکان الحدید اثقل من الانک بل من الزیبق واما الاشکال
المحدده فانها تصلح ان تکون رایسه للحرکه واما سببا للحرکه فکیف
یکون وما هذا الا ان یقول قائل ان السیف انما یقطع لانه حاد ولیس
یکفی حده السیف فی ان یقطع بل یحتاج الی ان یتحرک غیر الحده بیهم
بالحده ثم لم صارت الاشکال المحدده لانها محدده یخص حرفها بجهه
دون جهه ولم لم یکن عدم الحده عله لعدم هذا النفاذ بل صار
عله للثقل والنفاذ الی جهه اخری کما قالوا فی المدره علی ان نفاذ ع
لیس بدون هذا النفاذ فان اعتبروا سکون کلیه الارض فلیعتبروا
من جهه النار سکون کلیتها ولا یلتفتوا الی حرکه النیران الجرویه
او یلتفتوا ایضا الی الارضین الجرویه ولم یرسب الخشبه فی النار
المعلله فیها اکثر ولو اذا جعلت الخشبه فی قعر الما حیث تماس الارض
ولا سوهم هناک العلیان المذکور بدفع طافیه فواضح من جمیع ما
اومانا الیه ان هذه الوجوه کلها فاسده واما نحن فنقول ان کل
حرکه من هذه فانما هی تمم للمکان الطبیعی وان کل جسم اذا حصل
فی حیزه الطبیعی لم یبق له میل فاذا کان الخشب فی الهوا لم یکن
للهوائیه التی فیه میل الیه فلم یکن فیه مقاومه للارضیه والمائیه
التی فیه البته فعلت تلک بمیلها الموجود بالفعل فاذا حصل فی الما

الهوا

اسعث المثل الطبيعي للهوا الى فوق فان قوى وقاوم دفع الخشب الى
فوق وان عجز ادعن للهبوط قسرا والذهب المجوف الذى حكيناه
امره انما هو بعله الهوا الذى فيه انا ان تستقر فى الحيز الغريب وهو فى الابور
اثقل والعمام والرصاصه المنبسطة انما لا ترسب لانه يحتاج ان يحى من
تحته هوا او ما كثيرا وذلك لا بطبعه فان اجتمع كان ما تحته مما يدفعه
اثقل وبعله المنحى على ذلك القدر من الماء اكثر من ثقل ما يحصر مثل
ذلك من المنبسط الرقيق فعلى هذا ينبغى ان تتصور حكم الثقيل والخفيف و
اذ قد تكلمنا فى الاركان التى تلتئم منها كلية العالم فحرى بنا ان
نعلم ان العالم الجسمانى هو واحد ام عوالم كثيره فصل فى ان جملة
العالم بعضها لبعض الى اخر ما يتناهى اليه جمله واحده فقد قال كثير
من الناس ان العوالم كثيرة فمنهم من انساق اليه من اصول فاسدة لكنها
مناسبه للعلم الطبيعي ومنهم من انساق اليه من اصول فاسدة وغير مناسبة
للعلم الطبيعي بل هى فلسفية او منطقية فاما الطبقة الاولى فقد كان
عندهم ان ههنا خلا غير نهاية واجرام لا تجرى بغير نهاية وانها تتحرك فى
الخلا حركات غير مضبوطة وانها تعرض لها اجتماعات فى احيان غير محصاة
وان اجتماعها يودى الى ائتلاف عوالم غير معدودة وهذا المذهب يفسخ
عن قريب اذا تذكرت ما عرفته من الاصول المفردة فى تناهى الجهات
وتحددها وتحدد اصناف الحركات فيمتنع من ذلك انسياق هذه الاصول
بهم الى اثبات عوالم غير متناهيه واما المذهب الاخر فقد قال قوم منهم
ان قولنا عالم غير قولنا هذا العالم فى المعنى كما ان قولنا انسان غير قولنا هذا
الانسان فى المعنى ولا حقيقه لهذه الغيرية الا ان يكون قولنا هذا الانسان

يفارق

يفارق قولنا الانسان فان قولنا هذا الانسان يدل على شخص واحد بالعدد
بعينه واذا كانت المخالفة هذا كان قولنا الانسان يدل على معنى جائز
فى طباعه ان يحمل على كثيرين وكذلك قولنا العالم يدل على معنى جائز
فى طباعه ان يحمل على كثيرين لكن العالم ليس من المعانى التى اذا فرضت
الكثرة موجوده فيه فرض امر جائز كان ذلك على سبيل التكون واحدا
بعد اخر لانه عندهم غير متكون من شىء بل هو عندهم ابدى متكون اذا فرض
كثيرة فرض ابديات واذا كانت ابديات استحال ان لا يكون موجودة
فى وقت من الاوقات فاذا استحال لا كونه وجب كونه قالوا وهذا حكم
عام فى جميع الامور الابديه اذ الممكن وجوده فى الابديات واجب فان
الممكن لا يعرض من فرضه محال واذا فرض موجودا فرض ما هو غير موجود لكنه
ممكن وجب ان يكون موجودا دائما فاذا فرض ذلك الفرض وجب ان
يكون مع ذلك الفرض ليس ذلك الفرض وهذا خلف ولزم الخلف من فرض
وجوده ممكنا غير موجود فاذا الممكن فى الازليات واجب فاذا كان كذلك لم
يجز ان نقول ان العالم واحد اذ كان يصح فرض الكثرة فيه صحة وجوب فهذه
طريقة المذهب الثانى وهى فاسدة المأخذ وانما هو لا من قبل ظنهم ان
كل ما يخالف الجزئى الشخصى فهو كلى بمعنى واحد وهو الذى
يصح وجود الكثرة فيه ونحن قد بينا فى صناعة اخرى ان الجزئى هو الشىء
الذى يمتنع تعقل ماهيته محمولة على كثيرين والذى بازائه هو الذى
لا يمتنع ذلك فيه وليس اذا امتنع ذلك من جهة صورته او من جهة ما
تعقل صورته لم يمتنع من جهة اخرى فان الصورة الصالحة من حيث
هى صورة ان يكون منها عدد فى موادا والمعقول او المفهوم الصالح من

حيث هو معقول ومفهوم ان يطابق به عده سوى الامور في حصول ما هو
محور ومستصلح حصولاً بالفعل الى ان يكون من المواد ما يفصل عن حمل
صوره واحده ولو انه امتنع وجود الحديد الا العدد والمطبوع منه سيف
واحد لم يعن كون صوره السيف حاصله لان يتشكل بها مواد حديد كثيره
في ان يوجد سيوف فوق ذلك السيف الواحد اوهب ان المعقول من
الانسان الواحد يمكن ان يطابق به عده ناس فان اتفق ان يكون الانسان
الا الواحد لم يعن ذلك في ان يجعل هذه المطابقه للكثرة موجوده بالفعل وكذلك
الحكم في امر العالم فمن المسلم ان صورته صورة لا يمنع كونها هي هي او
كونها معقوله من ان يكون محموله على كثرة لكنه يمتنع وجود مادة مستعدة
لذلك الشيء بعرض مع ذلك ان يمتنع وجود عوالم كثيرة نعم لو كان ما هو
ممكن باعتبار نفسه لا يعرض له ان يصير ممتنعا بسبب وواجبا بسبب لكان
الامر كذلك لكن الامور التي هي بطباعها ممكنه فانها ممنوة باسباب منها ما يفرض
عليها الامتناع ومنها ما يفرض عليها الوجود فهذا ما نقوله في شان الحجج غير
موجبه لما يدعون الله وهي ان يوضح ان الدعوى نفسها كاذبه بل باطلة
ولنقدم لذلك حال المعرف للاحياز الطبيعيه للاجسام البسيطه اذ
المركبات سلوها في الاحكام ولنبين انها كيف يجب ان تكون فنقول ان
الاحياز الطبيعيه للاجسام البسيطه هي الاحياز التي بعضها هذه الاجسام
حالة ما هي غير ممنوعة في اوضاعها واشكالها عن الامر الطبيعي فان
اختلاف الوضع والشكل قد يحوج الجرم الى ان لا يطابق مكانه الطبيعي
فاذا كان كذلك فالاحياز الطبيعيه للاجسام البسيطه مرتبه بعضها على بعض
بحسب المجاورات الطبيعيه ترتيب مستدير على مستدير ان كان يصح فيه

توهم

توهم ابعاد مفطورة فاذا كانت الاحياز الطبيعيه على هذه الجمله وكانت
الاحياز الطبيعيه للاجسام هي احياز اجسام اخرى بالطبع اذ لا حيز الغير صح
له الا وله جسم طبيعي كما لا جسم طبيعي الا وله حيز طبيعي وهذا كله
مفروغ عنه فيما سلف فلا يوجد غير الواقع في هذا النمط من الترتيب
فان كانت العوالم كثيره وجب ان يكون الاحياز الطبيعيه لكل
طبقة اجسام عوالم بحيث يجتمع منها لو فرضت ابعاد مفطوره ما
يحكي الكره فيكون احياز كريه يحمل جماعة اجسام عالم فاما ان جماعة صح
يكون بينها خلا او ملا ويحشو ما بينها جسم والخلا ممتنع ضروره والجسم
الحاشي يكون لا محالة اما في حيز طبيعي له او غير طبيعي له وطبيعي لغيره
فيكون على كل حال حيزه مستديرا لكن ذلك محال اذ فرضنا
المجموع غير منحصر في كره واحده فلا احاز كونه كثيره لطبقات
اجسام مختلفه فالحيز الجامع واحد فالمتحيز المجموع واحد هذا هو البيان
المطلق واما ان جعل كل عالم في الصوره كالعالم الاخر حتى
يكون في كل عالم ارض ونار وهوا وسما كما في الاخر عرض ان
يكون الاجسام المتفقه في النوع ماوى اماكن طبيعية متباينة
في الوضع او بالطبع وهذا قد دللنا على بطلانه بل يجب كما اوضحنا
في الاصول الكليه ان يكون مكان الارضين مكانا يصح ان يجتمع فيه
جملتها كرة واحده ويملاه وكذلك مكان كل واحد من العناصر
واذا كان كذلك كان الارض اما مقسوره الحصول في الجميع فلا موضع
طبيعي له وهذا محال او يكون انها طبيعيه في الجميع وقد بينا استحالة ذلك
او يكون موضعها الطبيعي واحد بعينه وقد قسرت الى مواضع اخرى

فكيف خلصت عن الاجسام المحدده للجهات التى لا تحرق وما الذي مرّ بينها
وبعرض ان يكون طبيعه واحدة تتحرك بالطبع الى جهات متضاده وليس يعرض
فى هذا الباب كون الارض كثيرة بالعدد حتى يكون لها امكنه كثيرة
بالعدد كلها تشترك فى انها وسط كما الارضين كلها تشترك فى انها
ارض وذلك انه وان كان لا شك فى ان الاجسام الكثيرة بالعدد لها امكنة
كثيره بالعدد ولكن يجب ان يكون كثره على نحو يجعل الكل لو اجتمع كل
المتمكن شيئا واحدا ومكانا واحدا بالعدد على ما بيناه وهذا الاجتماع مما
لا مانع له عنه فى طبيعته فان الطبيعة الواحدة المتشابهة لا تقتضى الافتراق
والتباين ثم كيف صارت السموات مختلفه الامكنة والشيء الذي
فرق بين احيازها حتى صارت الاوساط كثيره بالعدد وقد تقرر من
الاصول المتقدمة ان السماويات على تحدد سائر الامكنة فلا يكون سائر الامكنة
على تحدد تحددها فينبغى ان يكون لاختلاف احيازها بحيث لا تتجاور ولا تجتمع
فى حيز مشترك علة غير طبعها وغير الاجسام الاخرى التى انما تحدد امكنتها
بها ولا تختار ان ذلك سبب ان لم يكن امرا طبيعيا من جهة الجرم ولا طبيعيا من
جهة الاجسام الاخرى وقد منعنا ان يقسر هذا الجرم فى الانتقال المكاني
فاذا استحال ان يكون للمحدودات المتشابهة الطباع احياز متباينة بالطبع
الا بالقسر الذي هو ايضا مستحيل استحال اوساط كثيره فبهذه الاشياء
يوضح ان لا عوالم كثيره متجانسة طبايع البسائط واذ قد بينا ان الجسم
السماوي هو الجسم المحدد للحركات المستقيمة مشتملا عليها ولا جسم خارجا عنه
مما سالم فى عالم اخر معنى انه اذا كان جسم اخر فيكون محيطا به فلا يخ
اما ان يكون ساكنا لا مبدء حركة فيه وقد قلنا ان كل جسم ففيه مبدء

حركة واما ان يكون مبدء حركة مستقيمة وقد قلنا ان الاجسام
التى فيها مبادي حركه مستقيمه انما وجودها فى ضمن الجسم المحدد
للجهات لا خارجا عنه واما ان يكون فيها مبدء حركة مستديرة فيكون
مشاركا لها فى الجنس ونحن لا نمنع كثرة الاجسام المستديرة
الحركة فيجب ان يكون اخر هذا العالم بالقياس من الاجسام مستدير
الحركة والعالم متناه لا بد له من جسم هو اخر الاجسام ويكون جملة
ما بين الوسط وذلك الجسم هو كلية العالم ولا جسم خارجا عنه ولا هيولى
غير متجسمة اذ لا وجود للهيولى بلا صورة فلا يكون اذن مادة خارجة متصورة
بصور العالمية فيكون صورة العالمية مخصوصة بمادة واحدة يلتئم منها
جملة امور محصورة فى عالم واحد فلا يكون فى الامكان وجود عوالم
كثيرة فيكون العالم واحدا تاما محصلا فيه اصناف الطبايع البسيطة
الممكن وجودها والحركات المستديرة والمستقيمة مستمرة الى الاكوان
والتراكيب منها ويكون صانعه مليا بان يبلغ بالواحد كمال الواجب فى
الحكمة على مقتضى الامكان فى طباع الوجود من غير حاجة الى تكثيره تمّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الفن الثالث فى الكون والفساد وهو مقالة واحدة فصل فى اختلاف اراء
الاقدمين فى الكون والاستحالة وعناصرهما قد فرغنا من تحديد الامور
العامة للطبيعيات وتعريفها وفرغنا من تحديد الاجسام التى هى اجزاء
اولية للعالم ومنها ينتظم هذا الكل الذي هو واحد والاجزاء الاولية للعالم
بسائط لا محالة وبينا ان بعض هذه البسائط لا يقبل الكون والفساد وهي

البسايط التي في جواهرها مبادي حركات مستديره ولم يصح لنا من
حال الاجسام المستقيمه الحركة انها قابلة للكون والفساد او غير
قابلة نعم قد اوضحنا ان الاجسام التي في طباعها ان يقبل الكون و
الفساد في طباعها ان تتحرك على الاستقامة فيجب من ذلك لمن احسن
النظر ان بعض الاجسام المتحركة على الاستقامة يقبل الكون والفساد
فيكون بعض الاجسام البسيطة قابلة للكون والفساد واما ان ذلك
كيف يجب فان الاجسام المستقيمه الحركة لا مبدء للحركة
المستديره فيها وهي في امكنتها الطبيعيه ساكنة في الاين والوضع
جميعا واختصاص الجزء المفروض بجهة مفروضة يكون اما لامر عارض
قاسر واما للطبع والامر العارض القاسر اما ان يكون قد اتفق ابتدا الحدوث
هناك او بالقرب منه فاختص به او اتفق ان نقل ناقل القسر ولا يجوز ان
يكون ذلك الامر بالطبع فقد عرفته ولا يجوز ان يكون ذلك كله لنقل
ناقل حتى لو لم يكن ناقل لها كان يجب منه اختصاص الشيء وبالجملة فان القسر
يعرض على طبيعي ولو كانت الارض او غيرها من الاستقصات ازلية
لم يجب ان يكون مصير الاجزا كلها دائما يجب نقل قاسر ووجب
ان يكون لها وضع مقتضى بامر غير القاسر الناقل بل يجوز ان يكون
ذلك في بعض الاجزا معنى ان يكون العمدة فيه ان الجزء كان في ابتداء
تكونه حاصلا في حيز مخصص حدوثه عن بعض العلل لوجود ما يكون
عنه فيه فلما كان اول حدوثه في ذلك الجزء او في حيز يؤدي التحريك
الطبيعي منه الى ذلك الموضع من موضع كليته صار الموضع مخصصا
به على ما علمته سالفا واما المركبة فلا شك انها من حيث هي مركبة

فقد تكونت

فقد تكونت بعد ما لم يكن فيجب ان يكون في طباعها لا محالة ان يفسد فقد بينا لك
ان كل كاين جسماني فاسد فقد اتضح من هذا ان الكون والفساد موجود
وقد كان اتضح لك قبل ذلك الفرق بين الكون والاستحالة وبين النمو و
الذبول في ما هنا بها وانما بقي لك الان ان تعرف وجود كل واحد
منها فمن الناس من منع وجود كل واحد منها فمن الناس من منع وجود
جميع ذلك بل منع وجود الحركة اما من ابطل الحركة الكاسر والوضعية
فلا كثير فايدة لنا في الاشتغال بمناقضته وان كانت العادة قد جرت
بها فان لنا بمناقضته اراضلت في امور ليس الحكم فيها بين شغلا شاغلا
عن تكلف ما بان وجوده بغي اثباته واما هذه الناقيه فان اشتغل
في اثباته وجودها مما ينبغي ان نعتد به فقد منع قوم الكون وزعموا ان
البسايط مثل الارض والنار والهوا والما فان جواهرها لا تفسد بل لا شيء
منها يوجد صرفا في طبيعته بل هو مركب من الطبيعة التي تنسب اليها
ومن طبايع اخرى لكنه انما يسمى بالغالب فلا ارض صرفا ولا ماء صرفا ولا
نار صرفا بل كل واحد منها يختلط من الجميع ويعرض له من وقت ملاقاة
غيره اياه مما الغالب فيه غير الغالب فيه ان يبرز ويظهر منه ما هو مغلوب
لملاقات الذي من جنس المغلوب فيه غالب وظهوره ان يتحرك الى مقاومة
ما عليه وعلاه فيستعلى عليه واذا تحرك الى ذلك عرض للنظام الذي كان
يحصل باجتماع الغوالب والمغلوب ان يحيل ويستحيل والحس انما نشاهد
من جملة ذلك غالب الاجزاء التي برز ويظهر فيحسب ان جميعه استحال الى الغالب
بان صار مثلا الخشبه او غيرها نارا ولا نشاهد الاجزا التي تفرق من الجوهر
الاخر كالدخان مثلا نعم انما نشاهد بعضه بعد من الاول بحاله ونشاهد

ما يبقى من الاول وقد تفرق وتشتت وبطلت تلك الصورة التي كانت
له بها الرماد واما جوهر الماء فلن يصير نارا البتة ولا جوهر النار يصير ماء البتة
بل يفرق ويغيب عن الحس فيرى ما يبرز ويظهر للحس فيظن انه يحيل استحال
فهولاء الطبقة يرون ان النار لا يكون من شيء بل الكائن فيها يبرز ويستعلي
للحس ليس على انه حدث بل انه ظهر ويرون انه لا استحالة البتة وان الماء ليس
يسخن بالحقيقة من النار بل يخالطه اجزاء نارية فما دام لمسها البدن في اول ما
بطنها يستحيل لمس اجزاء محرقة واجزاء مبردة لها لا يميز الحس بين افرادها فيتخيل
هنالك امرا بين الحر الشديد والبرد الشديد وهو الفتور فان كثرت الاجزاء
النارية بلغ الامر الى ان يحرق ما لوا وليست الشعرة الواحدة تسود بعينها و
تبيض بل مرة يجري فيها وفي غذائها اجزاء تغلب عليها في ظاهرها سواد فيخالطها
وتعلوها فتسودها ومرة يجري فيها اجزاء تعلوها بياض فتخالطها وتعلوها
وان الركنة ليست لونا متوسطا بين السواد والبياض بل مختلطا منهما بان
يكون اجزاء سودا واجزاء بيضا مختلطان ويريان فلا يميز الحس بينهما واذا لم يميز
الحس بينهما تخيل المجتمع لونا واحدا ومن هولاء يرى ان الحجر الحار مثلا ليس فيه
حامل ومحمول حتى يكون هناك جوهرا وحرارة محمولة فيه بل يجعل الحرارة
بنفسها جوهرا بنفسها ومنهم من يرى ان هناك حاملا ومحمولا لكنه ليس من
شان الحامل ان يفارقه المحمول البتة وليس ان يكون نارا هولاء قوم يرون
وجودا ما يسمى كونا ولا يرون للاستحالة وجودا البتة حتى منعوا ان يكون
الماء يسخن وهو ماء البتة بل اذا سخن فقد استحال وانه ما دام ماء ويرى انه
فهو مختلط وقد الجا بعض المطالبات واحدا من المتفلسفة على مذهب نصارى
بغداد الى ان قال بذلك وههنا قوم يرون الاستحالة ولا يرون كونا البتة و

اكثر هولاء هم الذين يقولون بعنصر واحد اما نارا واما ماء واما هواء واما شيئا
متوسطا بين هواء ونار او هواء وماء فان راوا ان العنصر نار مثلا كونوا عنه
الاشياء بالتكاثف فقط حتى انه اذا تكاثف حدا من التكاثف صار
ارضا ولا يجوزون مع ذلك ان يكون جوهرية النار والذاتية يبطل بل عندهم
ان الارض من نار محفوظة في جوهرها مسلوب عنها عارض التخلخل المفرط
وان راوا العنصر ارضا اقاموا التخلخل بدل التكاثف وعملوا بالعكس وان
راوه شيئا اخر عملوا فيه الضدين من التكاثف والتخلخل فجعلوه بحيث اذا
تكاثف صار عنصرا اكثف منه واذا تخلخل صار عنصرا الطف عنه واخف
من غير بطلان جوهره وههنا ايضا قوم ينكرون وجود الكون ويثبتون
الاستحالة مع فرضهم عناصر فوق واحدة فمنهم من يفرض العنصر الارض و
النار ومنهم من يفرض الارض والهواء والنار ومنهم يفرض الارض والماء
فالذي يفرض الارض والهواء والنار يلغي الماء فان الماء عنده ليس الا هواء
متكاثف ومنهم من يقول بالاربع ومع ذلك يقول بالاستحالة ولا يرى بعناصر
فصل كونا البتة لكن القائلين بهذا القول قد ينقضون قول انفسهم اذ سوغ
لهم ان يجعلوا القوة المسماة عندهم محبة والفة قوة من شانها ان تتسلط مرة
على العناصر الاربعة فتوحدها جسما متشابه الجوهر يسمون الكرة ثم اذا عاد
سلطان القوة المضادة لها وهي التي يسميها تارة عداوة وتارة غلبة وتارة
بغضة فرقها طبائع اربعا فتكون العناصر الاربعة اذا حصلت في سلطان
المحبة قد فسدت صورها التي بها هي هذه الاربع وقد منع من ذلك و
بالجملة فان طبيعة قوة قبول هذا الانسلاخ وهذا اللبس موجودة في العناصر
وهو موقوف في الخروج الى الفعل على غلبة من محبة موحدة او غلبة مفرقة وهذا

شأن القابل في الكون والفساد واكثر من قال بالعناصر الكثيرة يلزمهم ان
ينكر الاستحالة في الكيفيات الفاعلة والمنفعلة لان منهم من يراها ام
العناصر او لازمة للعناصر لا تفارقها فكيف يستحيل منها وهو لا يرى ان
شيئا من العناصر يستحيل وههنا قوم يريدون ان يجوزوا الكون في
الاستحالة بوجه لا يتم وذلك لانهم يضعون مبادي الاجسام كلها
اجزاء غير متجزية فيقولون انها غير مختلفة الا بالشكل وان جوهرها واحد
بالطبع وانها لا تنقسم لا لانها لا تقبل الانقسام المضافي بل لا تقبل قسمة
الانفصال لصلابتها التي هي عدم تخلل الخلا عندهم اذ الانفصال من الملا
والملا انما هو عندهم بالخلا قالوا وان هذه انما تصدر عنها افعال مختلفة
لاجل اشكالها المختلفة لكن ليس من شان شيء منها ان ينسلخ عن شكله و
لا يتحاشون ان يجعلوها مختلفة بالصغر والكبر ثم منهم من يرى الاشكال
متناهية ومنهم من يراها غير متناهية ويقعون في ان الاجزاء غير متناهية
وانها تتحرك حركات اتفق فمنهم من يرى حركاتها حادثة عن حركات قبلها بلا نهاية
كل حركة عن صدمة عن حركة عن صدمة وانها ربما ارتكت واجتمعت
فحابست عن الحركة ومنهم من يرى لبعض اشكالها خفة ولبعضها ثقلا
وكلهم لا يرون لطبايع هذه الاجرام كونا ولا فسادا ولكنهم يرون ان للمركبات
منها كونا وفسادا وان كونها عنها وفسادها اليها وان الكون هو باجتماعها و
ان فسادها بافتراقها وان استحالتها بافتراق الوضع والترتيب لتلك الاجزاء في
المجتمع منها اما الترتيب فمثل ان هذه الاجزاء لو كانت حروفا مثلا فوقع منها
ترتيب في الجهات على مثال هجا مليك ثم حال الترتيب فصار على هجا كلم فح
لم يكن عندهم قد فسد اذ لم يفترق لكن يكون عندهم قد استحال واما الوضع

فان

فان يكون مثلا كلاهما مليكا لكن احدهما قد كتب فيه الحروف على الترتيب
المكتوب وجهات روس الحروف تلك الجهات والاخر حرف اوضاع الحروف
عن ذلك فكتب مثلا هكذا مليك حتى صارت اللام جهتها الى غير جهة الكاف
وهولاء بعد واهذا الى ان جعلوا الاستحالة امرا بالقياس الى الادراك و
الاحساس لا على انها موجودة في طبايع الامور قالوا وذلك كاللون المحسوس
في طوق الحمام فانه اذا كان على وضع ما روي ارجوانيا وانه ليس له في نفسه
سواد ولا ارجوانية بل ذلك له بالقياس الى الناظر فهولاء اصحاب الاجزاء
الغير المتجزية واما اصحاب السطوح فانهم يرون الكون باجتماعها والاستحالة
لشيء قريب مما يقوله هولاء ويجعلون مبادي السطوح سطوحا مثلثة فهولاء
يرون بالجملة انهم اثبتوا كونا ولم يثبتوه وذلك لان الطبايع اذا كانت محفوظة
في البسايط متشاكلة في الجواهر فلا تفعل الاجتماع والافتراق امرا غير
زيادة حجم وعظم ومخالفة شكل وذلك اذا تغير في الكم او في الكيف
واما النمو فلم يتعاطوه بمذهب يذكره خارج عن مذهب الفرقة المنكرة
للحركة اصلا وان كان النمو من حقه ان يبعث فيه شكوك ويكفينا في غرضنا
هذا من تعديد هذه المذاهب ما عددناه وبالحري ان نشتغل الان
بتعديد القياسات الفاسدة التي دعت اولئك الى اعتقاد هذه
المذاهب ثم نقبل على نسخها ونفسخ نتايجها عن انفسها **فصل في اقتصاص
حجة كل فريق** اما اصحاب الكمون فقد دعاهم الى ذلك انه من المستحيل
ان يكون شيء لا عن شيء اذ اللاشيء لا يكون موضوعا للشيء فاذا كان كذلك
فالمتكون ان كان موجودا فتكونه عن شيء بعد كان الشيء قبل تكونه والمتكون
هو ما لم يكن قبل تكونه فالمتكون غير متكون هف واذ قد صح بالعيان انه

مد يكون شئ فليس التكون ما ذهب اليه بل هو البروز عن الكمون وحسب
بعضهم ان الاستعداد للاكوان بلانهاية يحوج الى ان يكون العنصر
المستعد له بلانهاية فجعل الاجزا المتشابهة عنده لما يكون عنه اجزا بلانهاية
كى لا يضطر الى ما هى المادة الى انقطاع الكون واما اصحاب الاستقص الواحد
فان جميعهم اشتركوا اول شئ فى حجة واحدة فقالوا لما راينا الاشيا الطبيعية
تتغير بعضها الى بعض وكل متغير فان له شيئا ثابتا فى التغير هو الذى
يتغير من حال الى حال فيجب من ذلك ان يكون لجميع الاجسام الطبيعية
شى مشترك محفوظ وهو عنصرها ثم مال كل واحد منهم الى اجساد
عنصر واحد بتيسر ان يكون اقدمهم من راى ان العنصر الواحد هو الما
ودعاه الى ذلك ظنه ان العنصر ينبغى ان يكون مطاوعا للتشكل والتخليق
حتى يكون منه ما هو عنصر له فكل ما هو اشد مطاوعة لذلك فهو اولى
بالعنصرية ثم وجد هذه المطاوعة كانها فصل خاص بالرطوبة والناس
كلهم يعتقدون ان الرطوبة ماء او شئ غالب عليه الماء فجعل الماء هو
هو العنصر قال ولهذا ما نرى الحيوانات لا تخلق الا من الرطب وهو المنى
والذين راوا ان الاستقص هو الارض وهم قليل وغريب فقد دعاهم
الى ذلك وجودهم جل الكائنات الطبيعية مستقرة على الارض ومتحركة
الى مكان الارض بالطبع فحكموا من ذلك ان الارضية هى جوهر الكائنات
كلها وعنصرها واما الذين راوا ان الاستقص نار فقد دعاهم الى ذلك
ما ظنوه من كبر جوهره كانهم استحقروا حجم الارض والما والهوا فى حسب
اذا السموات المشفة والكواكب المضيئة كلها عندهم نارية وحكموا بان
الجرم الاكبر مقدارا هو الاولى ان يكون عنصرا وخصوصا والاجرام اصرف

فى طبيعته من النار وان الحرارة هى المدبرة فى الكائنات كلها وما الهوا الا
نار مفرطة برد البخار وما البخار الا ماء تحلل وما الما الا نار مكثفة هو امتكثفا
ماء ولو كان للبرد عنصر مصور به ولم يكن البرد امرا عرضا يعرض لذلك
العنصر الواحد لكان فى العناصر بارد ببرده فى دران شده حر النار واما القائلون
بالهوا فقد دعاهم الى ذلك مثل ما ادعى القائلين بالما الى القول به وقالوا ان
معنى الرطوبة اثبت فى الهوا منه فى الما وذلك لان مطاوعته للمعنى المذكور اشد
وما الما الا هوا متكاثف والمتكاثف اقرب الى اليبس منه الى التخلخل واما الارض
فهى ماء عرض له التكاثف الشديد كما تراه من انعقاد كثير من المياه السائلة
حجارة واما النار فليست هى الا هواء اشتدت به الحرارة فزام سموا واما القائلون
بالبخار فقد دعاهم الى ذلك انهم راوه جرما نسبته الى العناصر نسبة الوسط
انه يقتضى به درجة من التخلخل الى الهوائية ودرجة اخرى الى النارية ثم يقضى به
درجة من التكاثف الى المائية ودرجة اخرى الى الارضية وانه ليست هذه
الخاصية لغيره وان العنصر هو الذى يتساوى نسبته الى غيره لا غيره وهولا
كلهم قد اشتركوا فى حجة واحدة هى التى ذكرناها واما القائلون بالارض و
النار فقد دعاهم الى ذلك ان ساير الاستقصات يستحيل اخر الامر الى هذين
الطرفين والطرفان لا يستحيلان الى استقصات اخرى خارجة عنهما فهما
اللذان يحل اليهما ساير هما ولا يحلان الى شئ اخر فهما الاستقصان ولذلك
هما بالغان فى طبيعة الخفة والثقل والاخران يقصران عنهما واذا حركة
استقصية الا اثنان فالاغلب فى الاثنين هو الاستقص والنار والارض
بالقياس الى غيرهما اغلبان ولا شئ اغلب منهما ثم الهواء نار جامدة مفترة
بالما المتبخر والما ارض متحللة سيما لمخالطتها نارية فهى اخف من الارض واما

القائلون بالارض والما فقد دعاهم الى ذلك تساوى حاجة المركبات الى
الرطب واليابس فكما انها محتاج الى الرطب لتسهل التخليق كذلك يحتاج الى
اليابس ليحفظ التخليق فان الرطب كما انه سهل القبول لذلك فهو ايضا سهل
الخلع له واليابس كما انه صعب القبول لذلك فهو صعب الترك له واذا تخمر
اليابس بالرطب استفاد المركب حسن مطاوعة للتخليق ومن اليابس شدة
استحفاظ واليابس والرطب فى المشاهدة هما الارض والما لاغير واما الهوا
اى واما النار فهواء بحسب الحركة واما القائل بالاربعة مع الغلبة والمحبة فقد
دعاه الى القول بالاربعة انه لاشئ منها اولى بان يجعل عنصر الصاحبة من صاحبه
ان يجعل عنصرا له وان القوى الاولى هى الاربع والمزاوجات الصحيحة منها
هى اربع على ما نستحقق القول فيه بعد ثم هذه الاربعة لا تكون منه الكاينات
ولا تفسد اليها الا باجتماع من اجزائها الى المركب وافتراق من المركب اليها و
لن تجتمع منها المركب الا بافتراق يقع فيها وانه لاسبيل الى الظن بان شيئا ينفعل
بنفسه الى اجتماع او افتراق اذ كل منفعل فانما يخرج من القوة الى الفعل فاعل
فيه وانه من المستحيل ان يكون طبيعة واحدة بسيطة يصدر عنها فى
موضوعات باعيانها جمع وتفريق معا وان كانت الطبيعة المركبة لا تسعدان
يصدر ذلك عنها لكن انما يصدر حينئذ كل واحد منها عن جزء من المركب
خاص فيكون الجمع يصدر عن جزء والتفريق عن اخر ويكون المصدران
الاوليان لذينك الفعلين هما الجزءان اللذان يجب ان يكونا مختلفين فى
الطبايع لان فعليهما مختلفان فى الطباع ويكون كل واحد اما قوة مجردة
واما قوة فى جسم واخرى ما يسمى به القوة الجامعة هو الالفة والمحبة واولى
ما يسمى به القوة المفرقة المشبه الموجبة تباعد ما بين المتشاكلات

هو الغلبة

هو الغلبه والبغض والعداوة فالواجب ضرورة ان يكون ههنا استقصات
اربع تصرف فيها الغلبة والمحبة واذا التصرف انما هو بالجمع والتفريق وذلك
لا يوجب تغيرا فى الجوهر ولا سبب لايقاع تغير فى جوهر العناصر فلذلك
ما لا يرى هذا القائل ان العناصر يستحيل بعضها الى بعض البتة ولا
يراها يقبل كونا وفسادا وليس يقتصر من فصولها على الكيفيات الاربع
فقط بل يرى لها فى ذواتها الفصول من جميع الكيفيات الاخرى معه
لكنه يراها اربعا لاغير وهى عنده متناهية العدد والمقدار واما اصحاب
السطوح فيشبه ان يكون داعيهم الى ذلك هو ما اعتقدوه من ان يكون
الاشيا عن العناصر انما هو بنوع التركيب وذلك التركيب نتيجة الفعل و
الانفعال وان ذلك الفعل والانفعال باللقاء والتماس وان التماس
الاول للاجسام انما هو بالسطوح فيكون اول فعل وانفعال عند التركيب
انما هو للسطوح وما كان اول ذينك فيه فهو العنصر فالسطوح هى العناصر
ولان العناصر ينبغى ان يكون بحيث يتركب منها الكاينات تركيبا
لا يؤدى الى المحال والسطوح التى يحيط بها غير الخطوط المستقيمة يودى
تاليفها لا محالة الى فرج يبقى منها فينبغى ان يكون السطوح الاولى مستقيمة
الضلوع وليس فى المستقيم الاضلاع شئ اقدم من المثلث ويمكن
ان يؤلف من المثلثات ساير الاشكال المستقيم الخطوط كما يمكن
ان تحل اليها فيكون السطوح العنصرية هى السطوح المثلثة ثم يؤلف
منها تاليف فيكون منه شكل مائى وشكل هوائى وشكل نارى
وشكل ارضى واما الشكل النار فهو الذى يحيط به اربع قواعد
مثلثات فيكون صنوبرية بعاده وطاعم مستعدة للحركة و

اما الهوائي فالذي يحيط به عشرون قاعدة مثلثات فيكون شديد الانبساط للاحاطة واما المائي فهو الذي يحيط ثمان قواعد مثلثات واما الارضي فهو مكعب والكعب اصلا عمر مربعات بالقوة من مثلثات وهو لتكعيبه غير نافذ ولا ثاقب فلذلك هو غير مسخن وان جعلوا تاليفه بالفعل ايضا وجب ان توجد وافي النار جزء من الارض ولذلك ان جعلوا هذه السطوح مقسمه وجب ان يمكنوا من ايجاد كل عنصر في العنصر الاخر قالوا واما السماوي فيحيط به اثنا عشر قاعدة مخمسات كل مخمس مؤلف من خمس مثلثات ويشبه ان يكون داعيهم الى ذلك شدة حرصهم على العلوم الرياضية وانضاح المذاهب فيها لهم وانغلاق الطبيعية عليهم اذا كان نظرهم في الطبيعيات والزمان ذلك الزمان والفلسفة في الابتداء نظر المبتدى والسادي والذي لم يندرب ولم يمون فهو بعد في الامانى فراموا ان يتناولوا المشكل من الواضح وهذه المخمسات الخمسة سنقف عليها في احدى الجمل الرياضية في هذا الكتاب و يشبه ان يكون في تكثر العناصر وتوحيدها مذاهب كثيرة غير ما ذكرناها لم يحضرنا في الحال واما اصحاب الاجرام الغير المتجزية فان الفيلسوف الذي هذب مبادى هذه الصنايع لقد اسهب شيء عليهم ويفرطهم على بحطسه اياهم ويقدمهم على ساير الطوايف وخصوصا على اصحاب السطوح فانه لا انهم احدوا مبادى محسوسة معرا بها وسعوا عليها القول نوعا من النسق ثم حافظوا على اصولهم ولم يرتعوا عنها في اكثر الامر وذلك لانهم اعترفوا بوجود الحركة ثم صاروا الى اثبات الخلا لا كالذين اخذوا اخذا مسلما ان لا خلا واوجبوا منه ان لا حركة وذلك ان هولا ساعدوا اولئك على ما وضعوه مسلما من ان الحركة والقسمة متعلقة بالخلا ثم كان وجود الحركة اعرف واظهر من عدم الخلا

لان

لان هذا لا يشك فيه صحيح الرأى وفي ذلك موضع شك كثير فنشب هولاء من هنالك قالوا ان ما لا خلا فيه فلا يتكثر ولا ينقسم ووافقوا اصحاب السطوح في كنسبة السطوح الى الخطوط وكنسبة الخطوط الى النقط وانه ان صح تركيب الاجسام من السطوح فلا مانع من تركيب السطوح من الخطوط والخطوط من النقط واما ان يبطل تركيب المتصل من الغير المنجزيات واما ان يق بالتركيب من النقط فان بطل التركيب من النقط فقد بطل التركيب من ساير ما لا يجرى من النحو الذي تركب عليه وبقى ان الجسم بما هي في القسمة الى اجسام لا يجرى وان صح ذلك النحو من التركيب فالنقط هي الاوايل لا السطوح ولان يولف الاجسام من اجسام لا يجرى صلابة لافقدان اتصال ومساحة اقرب الى الصواب من ان يؤلف عما لا اتصال له في جهة التاليف وهولا ايضا فقد بدوا عندهم سبيل الى التفرقة بين الكون والاستحالة ولم يكن لاولئك المذكورين فاما حجة هولا فقد ذكرناها فيما سلف واومانا الى سبب الغلط فيها فصل في نقض حجج المخطئين منهم فقد بقى الان ان نشير الى سبب الغلط في حجة حجة من هذه الحجج المقتصة اما القايلون بالكمون والتداخل وان الكون ظهور الكامن فالسبب في غلطهم هو ظنهم انه اذا كان مسلما ان الشيء لا يكون موضوعا عن لا شيء اما الاول فلنضعه مسلما فيجوز ان يكون الشيء لم يكون عن لا شيء ولكن يكون عن الشيء لكن عن شيء ليس مثله في النوع ولا مشابهة في الطبع ويكون مع ذلك لم يكون عن لا شيء واما قوله في اليد و الرجل وفي البيت وفي الكرسي هل هذه الاشيا متكونة عن لا شيء فقد بطلت المقدمة وان كانت عن شيء فهل ذلك الشيء مثل وليس بمثل و

انما هو كمية من
حسن شيء هو
هذا قوا وابطاء م
هذا الاحساس م

سائر الاجزء من
فان كان صح

لس يمكن ان يق ان الوجر متكون عن الوجر والكرسي متكون عن
الكرسي بكونا بالحقيقة لا بالعرض وعلى ان الشئ على الشئ يق كما ان
الكرسي عن الخشب وهو غير شبيه وكيف يكون الموضوع شبيها
بالمركب منه ومن الصورة وقد يكون كما يكون عن شئ قبلر يطلب
صورتر بقبول صورة هذا كما يحدثا من الكرسي فيكون ليس ايضا
عن التشبيه واما المقدمة الاخرى وهى ان لا شئ لا يكون موضوعا
للشئ هذا اذا قيل انر كان عنر وهو موجود فير واما اذا كان الوضع
ان الشئ كان عن لا شئ اى بعد لا شئ لم يصر لا شئ موضوعا للشئ و
الاولى ان يق ح لا عن شئ حتى لا يقع هذه الشبهة على انه ليس نقيض
قولنا ان الشئ كان عن الشئ هو ان الشئ كان عن لا شئ او كان عن
شئ بل ان الشئ لم يكن عن شئ وهذا اذا كان الشئ مرادا بر امر بعينه
واما ان كان مهملا فلا نقيض حقيقيا لر وان كان بمعنى العموم حتى يكون
كانر قال كل شئ يكون عن شئ فليس نقيضر ان الشئ لا يكون
عن شئ وذلك ان معنى هذا ان كل شئ وهذه المقدمة ضد الاولى
لا نقيضها واما الحجة التى يشترك فيها مثبتوا استقص واحد وهى ان هذه
المسماة بالاستقصات تتغير بعضها الى بعض فلا بد من شئ ثابت فانما اتجه
لهم ان شيئا مشتركا ولم يثبت انر جسم طبيعى ذو صورة مقيمه اياه بالفعل
حتى يطلب بعد ذلك انر اى الاجسام وترجم فير الظنون بل يجوز ان
يكون ذلك الشئ جوهرا قابلا لصورة واحد من العناصر يصير جسما طبيعيا
بتلك الصورة واذا سلخها اكتسب اخرى ثم مرج الما من بينهم لما فيه
من قبول الشكل بفسد احساره الما بما فير من التخلية عن الشكل

فان

فان جعل تكاثفه حافظا للشكل فقد جعل تكاثفر مزيلا عنه الصفة التى
بها صلحت للاستقصية ومرج الهوا مخاطب بمثل ذلك ومرج الارض يفسد
مقدمته ما فى الارض من امتناع الاجتماع بعد الافتراق والامتناع من قبول
الشكل وانر ليس كل متكون فانما الارضيه غالبة عليه فههنا متكونات
هوائير ومتكونات مائية وكثير من المتكونات لا ترسب فى الما ولو كانت
الارضية غالبة لرسبت جميعها ومع ذلك فليس اذا رسب كل متكون دل
ذلك على اكثر من ان الارض غالبه فير ولم يدل على ان لا خلط للارض فيه فان
الغالب غير المنفرد فربما كان عن امتزاج من عدة وواحد منها غالب بالقوة و
بالكميتر واما القائلون بترجح النار فقد اعتمدوا فيه الكبر وظنوا انهم صححوا الكبر
بكبر السموات وعظمها فما ندرينا ان السموات كلها بازائر حتى عسى ان يصح ما
يقولونر وما الذى يوجب اختصاص النار بالعنصريتر لحاجتر الكائنات الى الحرارة
كانها لا يحتاج الى الرطوبتر وكانها لا يحتاج الى اعتدال من الحرارة بمزاج
البرودة وما فى النار قد تمحض نارا من انها هى العنصريتر فانر ان كان الما نارا مستحيلة
وكانت الارض نارا غير محضة فيكون من النار ما ليس بمحض واما اذا اخذت النار
التى هى مجاوره للفلك فالذى يدل على محوضتها يدل على انها محوضة الارض
المجاوره للمركز ومع هذا كله فما المانع من ان يكون كل واحد من هذه
استقصا لكن الواقع فى جوار الفلك لا يرتفع اليه من البواقى ما يسويه واما التى
عند المركز فان الشعاعات الفلكية والتاثيرات السماويه يمزج بعضها ثم
بما يعض من المياه وما يصعد من الابخرة والادخنه الدائمة الحدوث فلا يبقى صرفا و
هذا لا يستبين من امره انه ممتنع محال واما القائلون بالبخار لانر متوسط بين العناصر
ونسبتر الى الاطراف البعيدة وان كان مختلفة نسبة واحدة بالتخلخل و

التكاثف فمن سلم لهم ان الشيء اذا كانت نسبته الى اشيا اخرى هذه النسبة
كان اولى ان يكون عنصرا ولو كان هذا حقا لكان كل واحد من العناصر
بهذه الصفة وذلك لان الهوا ايضا اذا يبس كان نارا واذا يبس اشد كان
ارضا واذا برد كان بخارا واذا برد اشد كان ماء ولا فرق الا ان الانتقال هنالك
بمتقابلين وهما التكاثف والتخلخل والانتقال ههنا بغير متقابلين الا انه ليس
بنا بنفسه انه يجب ان يكون التوسط الذي ينتقل الى الاطراف بمتقابلين
هو الاستقص الاول لا غير على ان البخار ليس شيئا الا ماء قد تفرق وانبسط كما
انه ليس الغبار والدخان الا ارضا قد تفرق وانبسط وليس هو عنصرا خامسا او
كعنصر خامس بل هو فتات بعض العناصر وسائر مع بقا نوعه وانه لو انسلخ
نوعه في ذلك الطريق لانسلخ الى الهوائية لا غير ولم ينسلخ الى البخارية ولا
يلتفت الى ما يقوله من ظن ان الاستقص لا يستحيل الى اخر الا بتوسط فلا بد
من بخار فان المسئله مع البخار قائمه ويلزم ان يكون بين كل استقصين وسط
اخر وليس كذلك بل الكون انما يكون دفعة بلا توسط بل البخار مثل الغبار الا ان
البخار والدخان انما تفرقا عن سبب حار والغبار تفرق عن سبب ساهل فاذا
جعل البخار متوسطا فبالحرى ان يجعل الدخان متوسطا وان لم يجعل الغبار
متوسطا لانه ظاهر من حاله انه متفرق فقط ويصير الاجسام المعتبر فيها هذه
المناسبات سبعه فلا يكون البخار وسطا بين العناصر بل ليس البخار من حيث هو
بخار وسطا بين الما والهوا والا لكان مكانه الطبيعي فوق مكان الما دون مكان
الهوا فلا يكون خارقا بحركته للهوا والهوا نفسه لا يتحرك في الهوا بل يقف بالطبع
ولو في اقرب حيزه من الماء فان قيل فلان لا يخرق الهوا وهو ماء اولى فنقول ان
الما يعرض له ان يصيره الحر بالتحريك الى فوق وربما قسرا جراما اثقل من الما كقطع

خر

خشب راسبه اذا اشتعلت اصعدتها النار القوية في الجو
ليس هذا حكم البخار فانه ليس يكون البخار على قولهم شيئا عرض له
عارض حرارة مصعدة بل جوهر البخار هذا الجوهر ومعنى اسمه هذا المعنى حتى
اذا بطل عنه هذا المعنى لم يكن الا ماء قد كان قسر على التصعد فان لم يكن
ذلك له بالقسر كان بالطبع وكان يجب ان لا يكون مكانه الطبيعي
الا فوق الما دون الهوا فلما كانت حركته الطبيعية تجاوز ذلك الحد
ويخرق الهوا فان كان هذا التصعد والسخونة عارضين للبخار بحيث لو
زالا بقي البخار فالقول ما قلناه من ان البخار ماء مبثوث واما القائل بالمحبة
والغلبة فلانه لا يرى كونا ولا فسادا للعناصر ثم نسي ذلك فجعل
العناصر قد يستحيل عند غلبة المحبة وتاخذها اياها وجمعها كرة هي
مخالفة في الطباع للعناصر ولذلك يستحيل الكرة متفرقة الى العناصر فيكون
الاجتماع يردها الى المادة المشتركة لا محالة وينسخ عنها صورة العناصر و
يكسوها صورة الكرة والافتراق يخلع صورة الكرة عنها الى صورة
العناصر ويلزم من وجه ان يجعل المحبة متحركة حركة خارجة عن الطبع
وهي طبيعة التحريك عنده اما انه كيف يصير علة لذلك فلان الطبيعة
من حركات العناصر عند الجمع وعند قائل هذا القول يوجب تباعد
بعضها من بعض ومفارقتها بان ينزل الارض ويصعد النار واذا تحركت الى
الاتحاد فقد اخرجت عن طبيعتها والمحبة ايضا يصير عنده مفرقة ويتحاشى
من ذلك اما كيف يلزم ان يكون مفرقة فلانها يفرق بين المادة والصورة
التي للعناصر فيكون قد فرقت بين ما هو اشد مجاورة من مجاورة الاجسام
المتلاقية او المتصلة بعضها ببعض وايضا فلانها لا يجتمع الا فرقت اي جمع

نسب اليها واما القائلون بالارض والنار فقد اضلهم ظنهم انه لا استحالة الا على
طريق الاستقامة وهم مع ذلك يسلمون ان النار فلو كان اعتبار الاستحالة
مقصورا على استقامة من جهة الى جهة من غير انعكاس لكانت المائية انما
تتجه في استحالتها مثلا الى الهوائية والى النارية ولا ينعكس حتى يكون الهوائية
تتجه الى المائية والمائية الى الارضية فاذا كان كذلك فلا واجب ان يكون النار
ياخذ في استحالتها لو كانت مستحيلة الى عنصر اخر اخذا مستمرا في استقامة
استحالة الهوائية اليها بل يجوز ان يكون بعكس ذلك وهو الذي يتصل
باستمرار استقامة استحالة الهوائية الى المائية حتى يكون النار منعكسة
باستحالتها الى الهوائية واما المقتصرون على الارض والما فقد جعلوا العنصر
هو البرد ومعلوم انه لا يكون عن مجرد ماء وارض الا الطين وان اصناف
الطين لن يستغني في تميز بعضها عن بعض عن مخالطة الحار الطابخ وليس اذا
كان للمركب شيء يقبل به الصورة وشيء به يحفظ فقد كفى ذلك فان
اقل ما يحتاج اليه المركب هو الشكل والتخطيط بل قد يحتاج الى قوى واحوال
اخرى خصوصا في النبات والحيوان ولا شيء كالحار الغريزي في اعانة
القوى على حفظ النوع والشخص واما اصحاب السطوح فقد غلطوا اذ ظنوا
ان الانفعال اولا هو فيما يلي الشيء او لا يلي الانفعال فيما من شانه ان ينفعل و
لو كان كذلك لكان السطح يتحرك من تحرك الجسم بالملاقاة قبل الجسم وكان
البياض ايضا يسخن قبل الجسم ولو كان يجوز ان يكون نفس المماسة منفعلة
بالسخونة اذ هي موديه الى ذلك وبها ينفعل فصل في ابطال قول اصحاب
الكمون ومن يقرب منهم ويشاركهم في نفي الاستحالة واذ ليس
بعض القياس المنتج لمطلوب ما كائنا في بعض المطلوب نفسه وكيف

للنار استحالة الى جهة الارض واخرى الى جهة الهواء صح

وربما انتج صادق عن مواد كواذب وربما انتج صادق لا عن قياس صحيح في صورته
فالحري ان يشتغل ببعض مذهب فذهب نفسه ليتوصل من ذلك
الى تحقق التفرقة بين الكون والفساد ومن ساير الحركات ويستعد
لتحقق القول في عدد العناصر وطبايعها وفي الفعل والانفعال والامتزاج
ولنبدء بمذهب اصحاب الكمون اما الطبقة القائلة منهم ان في كل جسم
مزجا من اجزاء كامنة لا تتناهى فيكذبهم ما علم من قبل من امتناع وجود جرم
متناه مؤلفا من اجزاء فيه بلا نهاية كانت اجراما او غير اجرام كانت متساوية
الكم ان كانت اجراما او مختلفة واما القائلة منهم متناهي ذلك مجوزة
ان يكون عن كل ماء نارا وارض او غير ذلك على سبيل الانقاص
فيفسد مذهبها الحاطتنا بان الما اذا انقصت عنه الاجزا النارية المتناهية
بقي هناك ما ان استحال نارا لم يكن كون كل نار عن ما انما هو سبيل
الانقاص والتمييز بل على سبيل سلخ الصورة ان امتنع عن الاستحالة لم
يكن كل ما من شانه ان يكون عنه نارا وهوا واضطر الى ان يقول ان هذه
الاختلاط بحيث لا يتاتى كمال التمييز فيه فلم يخل اما ان يكون جميع الاجزا النارية
التي في الماء او الهوا متشابهة في شدة الملازمة للاجزا المائية او بعضها الزم
وبعضها اسلس طاعة للتمييز فان كان الجميع سواسية في ذلك وجارية للمفاصلة
على حد جار ايضا على كل جزو ان كان بعض الاجزا من شانه ان يفاصل فان
كان ذلك الطبيعة النارية فالاجزا مثله وان كان الطبيعة مضافة اليها فهو خلط
اخر والكلام عليه وفي مخالطته ومفاصلته ثابت ومع ذلك فيبقى الذي
لا يفاصل في طائفة من الما يصير به تلك الطايفة ما لا يكون عنه نار
واما ان قيل ان الما يكون عنه نارا وهوا الى ان يتميز الاجزا المائية ويبقى

ماء صرفا لا يتكون عنه نار بعد ذلك وهو قول غير قول المخالطين في
هذا الوقت فلا يلزم هو لا شي مما قلنا البتة وكانت مخالطتهم من وجه
اخر وبالكلام المشترك المخاطب جميع من راى ان الاشيا التي يسمها
نحن الاستحالة انما هي بروز من الكوامن او مداخله مستداه وذلك لان
الما اذا سخن لمجاورة النار ففيه ظن من يرى ان نارا بات فيه قد برزت و
ظن من يرى ان نارا بات قد نفدت فيه وداخلته من النار المجاورة والشركة
بين المذهبين انما هو في شي واحد وهو ان الما لم يستحل حارا ولكن الحار نار
تخالطه والفرق بينهما ان احدهما يرى ان النار قد كانت في الما لكنها
كانت كامنة والثاني يرى ان النار لم يكن فيه ولكن الان قد خالطته
فيجب ان يوضح فساد كل واحد من المذهبين فاما المذهب الاول فمما
بين فساده تامل حال هذا الكون وما معناه فان جوزوا فيه تداخل
الاجسام فقد ارتكبوا المحال الذي بان فساده من كل وجه وان
لم يجوزوا ذلك ولكن اوماوا الى مجاورة ومخالطة يكون وتكون الكامن
هو المستبطن من الاجزا فهذا الاستبطان لا يعقل منه الا انحصارها في
باطن الجسم وبعدها عن بسيطه وظاهره فيجب ان يكون باطن للكامن
النيران او يكون كيفية ذلك المكان مثل كيفية الما المسخن الذي لا
يعقل تسخينه امرا غير ابراز الكامن فيه الى ظاهره بل يجب ان يكون اسخن
من ذلك بكثير وذلك لان الانحصار في الباطن اجمع من الانتشار
في الظاهر والمعول في تصديق هذه القضية وتكذيبها هو على الحس
فان ظاهر الماء وباطنه واي حر وجد اخذ منه هو في طبيعة واحدة متشابهة
وكذلك حال الاجسام السود والبيض والحلوة والمرة وغير ذلك فانها توجد
منها

منها ما يقبل الاستحالة الى الضد مع دلالة الحس على تشابه اجزائه وانه اذا
استحال ايضا الى الضد لا يكون ذلك بان يبرز شي الى الظاهر ويكمن ضده
في الباطن بان يكون اذا سخن ايضا ظاهر البارد فان باطنه ايضا سخين و
ان كان الكامن كامنا بالمداخلة التي هي محال فيجب انها اذا انفكت
حتى يخلص البارد من الحار والحار من البارد ان ياخذ في كل حال مكانا
اعظم وليس كذلك فان الانفكاك الذي يخلص الحار ظاهرا من البارد
فقد يتعسر ويلزمه العظم واما الانفكاك الذي يمر البرد بانه ينقص الحجم
نقصانا بينا للحس فان كان ظهور البرد يوجب فرط مداخلة والمداخلة
يوجب زيادة خفا فيكون الاستغلال استحما على ان المداخلة يقضي
على المداخلين بحكم واحد فان حكم كل واحد منهما من الاخر حكم الاخر
منه واذا كان الكامن كامنا بالمجاورة فلا محالة ان للكامن حيزا يختص به
وان الكامن باطنه ضد ظاهره اعني بالطنه الجزء وليس بموجود في الحس وليس
هذا الوجود الا وجودا حسنا فليس هذا بموجود اصلا ثم ما بال الما مثلا اذا
اراد ان يبرز الكامن منه من الهوا احتاج ذلك الهوا الى مكان اعظم من المكان
الذي احتاج اليه وهو في الما ومعلوم انه اذا كان على حجمه وقدره المتقدم
لم يحتج الا الى مثل مكانه فلا يخ اما ان يزداد تلك الاجزا حجما او يحدث هوا
جديدا او يقع خلا لكنها ان ازدادت حجما يعرض للاجزا المذكورة ان ينفعل
بغير التميز وهذا خلاف اصل المذهب ولا محالة ان ازديادحجمها تابع لانفعال
يعرض لها او مقارن تقارنها وظاهر العلة لذلك هو التسخين وهذا اثبات
الاستحالة وليس للاستحالة عندهم وجه اثبات وان صار الهوا اكثر بهوا مضاف
اليه حدث فقد حدث هوا جديد ولزم القول بالكون مع القول بالاستحالة

وكان الاعتبار العكسى اذا احدث من الحار بارد وطلب حجما اصغر واما الخلا
ووقوعه فلا هو حق ولا هم يقولون به ونحن نشاهد مشاهدة لا يمكن دفعها
من استحالة الما اللطيف حجرا صلدا وهو ارض او ارضى فان كان هذه
الاجزا الصلبة موجوده فى الما كامنة فكان يجب ان نفعل فى الما من الجحوده
ما نفعله سحقنا هذا الحجر وطحننا اياه ومزجنا اياه بقدر من الما المقطر
المصعد الصافى قدره اضعاف ذلك وكلما امعن هذا المزاج وزادت
الاجزا بصغرا ازداد الما خثوره مكان يجب ان يكون فى شى من الما الاول
ظاهره او باطنه خثوره ما لا اقل من الخثوره التى نجدها عند مزجنا اياها به
كذلك قد يمكن ان نجد مياه حاده تحل الحجارة ما ها سيالة فى الحال ولولا
والمادة مشتركة قابلة لكلى الامرين فاين هذه الاجزا السياله من الحجر افى
باطنه او ظاهره وهل اكثر ما نظن بالكامن انه مغلوب فكيف صار غالبا
ولم يحدث له زيادة استحالة او كون وان كانت الاجزا الرطبة مغلوبة
المقدار فى الحجر فكيف صار مقدارها غالبا عند الانحلال ولم يحدث
شى وان كانت مساوية معادلة وكانت مغلوبة فى الظاهر فلم
ليست غالبة فى الباطن وان كان النار الباطنة هى الجسم الذى لا يحرق
لا تسخن ثم اذا جاوزه مغلب فابرزه صار محرقا مسخنا والما الباطن على
صفة اخرى فقد ثبت الاستحالة اذ صار ما لا يحرق بكيفيته محرقا
بكيفيته اللهم الا ان يلجئوا الى ان الحركه يحرق بالشكل النافذ فتركوا
قولهم وايضا فان كل واحد من الاجزا البسيطة فى الخليط لا يخ اما ان
يكون مما لا يجرى اصلا كالنقطة فيلزم ان لا يلزم منتظم منه و
من غيره متصلا وقد فرغ من هذا وان كان جسما فيلزمه لا محالة شكل

فان

فان لكل جسم طبيعى شكلا طبيعيا ويلزمه ان يكون شكله مستديرا
لانه بسيط ضرورة ولانه لا ينفعل فلا نغلب على شكله البتة واذا كانت
اشكالها مستديرة لزم ان يقع هناك فرج خالية وهذا مخالف للحق ولمذهبهم
جميعا ومما يجب ان يواحد وابه حال الكامن وانه ما الذى يوجب بروزه
اقوة طبيعية لم يجب ان لا يتاخر الى وقت او سبب من خارج وذلك السبب من
خارج ان كان حركة فلا يخ اما ان يؤثر فيه اثرا ويجذب فيه قوة
حركة وانبعاث بتبع ذلك الاثر وتلك القوة حركته فيكون قد فعل
عندها الشى انفعالا فى الاثر واستحال وصحت الاستحالة او يكون
يحرك بالاثر يتقدمه من المحرك فى المتحرك بل انما يحرك بجذب او دفع
او غير ذلك فان كان الجذب او الدفع مماسة وجب ان يكون المحرك الى
خارج قد نفذ اولا الى غور الجسم فلاقى كل جزء من الكامن الذى يبرز
فيجب ان يكون كل مستحيل عند ما يستحيل بعظم حجمه لنفوذ الجاذب
او الدافع فيه وان كان لا يحتاج الى مماسة بل الى حد ما من المجاورة
فنحن نشاهد ان مجاورة الحار يسخن ومجاورة النار يبرد ويعلم ان الكامن
فى مكمنه قوى كثيره وانما نقل فى الظاهر فان كان المبرز هو
مجاورة الشبيه كيف كانت فلم لا يحرك الاجزا الكامنة المتجانسة
المجاورة بعضها بعضا الى البروز ان كان سبب البروز والظهور مجاورة
الشبيه وان كان المتجانس ليس سببا للبروز لانه مجانس فقط بل لانه مجانس صح
بارز فهو يحرك نحو جهته ويميل الى مقامه فلان يجذب الكامن الى
مجاورة الاقرب اليه الكامن اولى من ان يجذب الى مجاور يحول بينه
وبينه بالضد الاخر اللهم الا ان يقال ان السبب فى ذلك امران احدهما

هرب الضد الظاهر الى خلاف جهة الضد والثاني انتقال الضد الاخر
الباطن الى سطحه الذي هو ضد الهارب فيجب ان يكون الظاهر البارز
يهرب من الكامن اللهم الا ان يجعل الاغلب احدب ومعلومات
الذي يلي جسما من جهة واحدة تتحرك اليها بالاستقامة هو ما يساويه
ثم ان فصل شيء فهو مباين لذلك خارج عنه لا ينفع او يبقى باشتداد
القوى عند ازدياد المجاورات وهو استحالة ثم ان لم يكن الضد عند
الاستحالة يكمن ولكنه يكون مخالطا لضده مخالطة غالبة فاذا اراد
ان يستحيل المستحيل يحلل هو وفارق ظاهر المستحيل وظاهره وباطنه
فبقي الضد الاخر صرفا لم يخل اما ان يكون مع تحلله يسد ضده مسده او
لا يسد مسده فان لم يسد مسده وجب ان يكون كل مستحيل ينقص
حجمه او يكون كل مستحيل يتحلل وينقص وان كان قد يسد ضده
على سبيل الورود من خارج لا على سبيل البروز فلم صار الشيء الذي يبرد
بعد الحرارة ينقص حجمه اللهم الا ان يكون الذي يتحلل حاره ويظهر بارده لا
يسد ضده مسده ويكون الذي يتحلل باردة بالضد وهذا محكم ومع هذا
كله فان ذلك البارد يسخن من اخرى والحار يبرد من اخرى كل ليس دون
الاول ويجب ان يكون دونه لان التحلل صرفه ومحضه او ترك فيه من الضد
شيئا يسيرا واما المذهب الذي يخالف الكمون ومع ذلك يشابهه في احكامه
وهو ان الحار مثلا يبرد بالانكشاف عن بارد كمن ولكن يرد عليه من خارج
ما يخالطه وهو حار وانه ربما كان بعض الاجسام قوي القوة في كيفيته
فيكون القليل منه في المقدار يظهر قوة كثيرة كمن يورد ... قليلا
على لبن كثير فيصعده فربما لم يكن للوارد كثير اثر في زيادة الحجم وكان له

كثير اثر

كثير اثر في زيادة الاثر وقد يجوز ان يكون الضد الوارد طاردا لضده
وربما احتاج الى ان يطرد ما يساويه في المقدار وربما احتاج ان يطرد
ما هو اكثر منه وربما كفى ان يطرد ما هو اقل منه حتى يظهر اثره وربما
لم يحتج ان يطرد شيئا البتة بل جاز زيادة وهو المذهب ليس بمذهب
ضعيف فمما يدل على فساد هذا المذهب ان حبلا من كبريت تمسه نار
صغيرة قدر شعلة مصباح ثم ينحى عنه بمحله مبعده فيشتعل كله نارا
فان كان الاستحالة انما هو ورود المخالط من المجاور فيجب ان يكون
الوارد عليه لا اكبر من جميع تلك الشعلة بل يعلم ان المماسة لن تقع
الا في زمان غير ذي قدر فالمنفصل عن الشعلة المداخل للكبريت لن
يكون ان كان الاجزاء الامدرك فهذا الاحتراق كله اما ان يكون حادثا
عن الاستحالة او يكون على سبيل الكمون المذكور وقد بطل الكمون المذكور
فبقيت الاستحالة وان كانت النار اليسيرة القدر تفعل تسخينا واحراقا
شديد الشدة قوتها فعود الشيء الى البرد لا يخلو اما ان يكون بمفارقة
تلك النار اليسيرة فيجب ان لا يكون نقصان الحجم الكائن عند البرد امرا
محسوسا بل بقدر ما انفصل وان كان بورود البارد ويحتاج ضرورة
الى بارد كثير حتى يغلب تلك النار اليسيرة او يخرجها فيجب ان يكون
المقدار محفوظا ان لم يكن زائدا اللهم الا ان يجعل النار اذا انفصلت
استصحبت شيئا كثيرا من الجسم فما بالها اذا سخنت مرة اخرى وجاءت يسيرة
صرفة ليس معها الرطوبة المستصحب اعادت ذلك الحجم بحاله وان كان الجمد
اذا وضع عليه شيء فرد دلك الشيء يتحلل اجزاءه ومخالطته اياه وكان
المداخل يطرد مثل نفسه وجب ان يحفظ الحجم او يطرد اكثر من نفسه وجب

ان يكون المعيد الى الحالة الاولى بالمخالطة حارًّا اكثر من البارد والداخل فكان
الحار اضعف في القوة من البارد وهذا لا يستمر على هذا الاصل فانهم
يخرجون الى ان يجعلوا قليل النارية كثير القوة ومع ذلك فما السبب
في انفصال اجزاء الحار عن الحار في جهة ما يجاوره وانفصال اجزاء البارد
عن البارد في مثلها فان كان السبب فيه حركة طبيعية فيجب ان يكون
في جهة واحدة لا غير وان كان السبب امرًا من خارج لسلب تلك الاجزاء
عن مقرها فلان يسلبها عن غير الجنس كان اولى فلم لا يسلب عن المجاور بل
يتمكن فيه ويسلب عن الاصل وكيف يسخن الهوا بالحركة الصرفة
والما بالخضخضة ويزداد حجمه حتى ان المحصن ينشق وليس هناك وارد البتة
كيف يرد هناك وارد والجسم تشاهد انه يتحرك من مركزه منبسطا
بحيث يرى مندفعًا من كل جهة لا من جهة واحدة وبحيث يقوى على
ان يدفع شيئًا ان اراد ان ينفذ فيه وكيف ينفذ جسم في جسم وهو دافع
عن نفسه الا بقوة شديدة اقوى من قوته في مستقره فيقدر على تفريق
اتصاله ونفوذه فيه وليس يحيط بالجسم المحرك او المحوص شيء حاله هذه الحالة
وحمله النار المسخن بها ما يسخن ايضًا ضعيفة المقاومة يدفع بادنى قوة
فكيف يكون لها لو كان التسخين بها لا بالمحض ان تقدر اجزاؤها
على خرق الجسم المجتمع في الاناء الصلب وتحريكه والنفوذ فيه حتى
يخلط به ثم يبلغ ان يوجب بالمداخلة ثم نفا انبساطيًا يقاوم كل ما
ثم كيف يدخل منه في الاناء الصلب الا قدر ما يسع اما في خلا
او في مكان اخلاه عن غيره لنفسه فاذا امتلا لم يكن يدخل فلم يجب الا تشقق
لان الانشقاق هو بسبب ان المحشو في الاناء ليس يسع الاناء ولم يدخل

حشوه بعد ذلك شيء من الحر ان يكون باطنه لا يسع غيره بحيث يشو عنه بل
انما لا يكون يسعه بحيث لا يدخل فيه فان دافع فانما يدافع المداخل فيجب ان
يقل الاناء واما ان يشقه المدخل وربما كان الاقلال ايسر موته من شق
اسر من حديد ونحاس فلم لم يقل بل يشو في موضع غيره مدخله وانت اذا
ماملت تولد بعاحات العليان المحشوة حرمًا مندفعًا الى فوق يشو عنه
العالى وسعس هو في الجو تولدا بعد تولد بحيث لو جمع حجم الجمع لبلغ امرًا عظيمًا
صدقت بان ذلك ليس لنار بداخله وصدقت بصحة القول بالاستحالة في
الكيف والاستحالة في الكم ورايت الشيء يصير اضعافًا مضاعفة لنفسه من
غير زيادة جرم عليه **فصل في مناقضة اصحاب المحبة والغلبة والقائلين
ان الكون والفساد بافتراق الاجزاء الغير المتجزية او السطوح واجتماعها**
واما مذهب اصحاب القول بالمحبة والغلبة فالحق يعصمه مما يشاهد من استحالة
العناصر بعضها الى بعض وهو نفسه يعض قوله اذ يرى ان المحبة سلطانًا عليها
يجمعها الى طبيعة واحدة فلا يكون نارًا ولا هواء ولا ماء ولا ارضًا ثم اذا عادت الغلبة
تسلطه فرقت واحدية العناصر فيكون صورة هذه العناصر من شانها ان
تنسلخ عنها باستيلا المحبة ثم يجب ان يكون على مذهبه الالوان لا اكثر من
اربعة لانها تكون بعدد العناصر وكذلك الطعوم وكذلك ساير القوى النباتية
والحيوانية واما مذهب من يرى ان عنصرًا واحدًا يوجب الاستحالة بالفعل
والانفعال ولا يوجب كونًا فقد يبطل بما يتحققه من ان اليابس وحده لا
يكون منه الكاينات ان لم يخالطه رطب ولا الرطب وحده ان لم يخالطه
يابس ولا الرطب واليابس ولا حر هناك ولا برد وانه لا كون للمتولدات الا
عن بارد صرف ولا عن حار صرف فان الكاينات لو كانت احدى هذه

لم يكن الا نارًا او ارضًا او هواءً او ماءً في طبيعته وليس الامر كذلك فاذا كانت
هذه العناصر والاصول نسبها الى الكائنات هذه النسبة واما نسبة
بعضها الى بعض كما يعترفون به كافتهم او يلزمهم وان لم يعترفوا به لان
كل واحد منها اذا فرض الاستقص الاول كان راجعًا الى الاخر
بالاستحالة لزوم رجوعًا اليه ولا يكون كونه اصلا اولى من كونه فرعًا واذا كانت
نسبة بعضها الى بعض في كون بعضها عن بعض وبطلان كيفية الكائن
عنه عند وجود كيفية الكائن الاخر نسبة واحدة ونسبتها الى الكائنات
نسبة واحدة فليس بعضها اقدم فيما بينها من بعض ولا بالقياس الى الكائن
وكفى بهذا المذهب خطأ ان تجعل النارية عارضة للماء وهو ماء والمائية
عارضة للنار وهي نار فلنفض الان مذهب القياس بالاجرام الغير المتجزية
اما مذهب السطوح فهو اركّ واضعف وقد سلف منا في دليلنا ما هو كاف
في ابطاله واما ما قيل في مناقضاتهم ان السطح لو كان له تعلل لكان يجب
ان يكون للخط ثم للنقطة تعلل ثم اشتغل بان النقطة لا تعلل لها فانها لا يتميز
وبغير ذلك مما لا يوضح عدمها للتعلل فليس ذلك بيانًا برهانيًا بل نوعًا من
التمثيل والاولى والاحرى ولا حاجة بنا الى سلوك ذلك المسلك و
اما مذهب القائلين بالاجرام الغير المتجزية واشكالها فنقض مذاهبهم
من وجوه من ذلك انهم اذا جعلوا هذه الاجرام متشابهة الطبع وفي
غاية الصلابة حتى لا ينقسم فلا يتجه بعد وضعهم ذلك ان يقولوا ان
اشكال هذه الاجرام ومقاديرها امور تقتضيها طبيعتها او يقولوا انها امور لا
تقتضيها طبيعتها بل تعرض لها من خارج فان كانت تقتضيها طبيعتها
فطبيعتها واحدة فيجب ان يكون اشكالها ومقاديرها غير مختلفة وان كان

ذلك

ذلك عرض لها من خارج فطباعها مستعدة لان تقبل التقطيع والتشكيل من
خارج فطباعها بحيث يقبل القسمة والاتصال فيجب ان يكون
كل جزء منها بحيث يجوز عليه الفصل في نفسه والوصل بغيره وايضًا
اذا كانت هذه الاجزاء مختلفة بالصغر والكبر فغير مستحيل ان ينقسم
سطوحها المحيطة بالمماسة سطوح اخرى فيكون ح سطوح من جسم واحد
غير سطوح اخر ويكون المحاط بسطوح احدهما لا محالة غير المحاط بسطوح التي
هي غيرها ويكون متصلة مع الغيرية بان لها حدًا مشتركًا وطبيعة
كل قسم طبيعة جزء منها خارج عنها فيكون الجائزات عليها واحدة فيكون
من طبيعة ذلك الخارج جواز الاتصال بما اتصل به من طبيعته فان لم يتصل
به فلعائق قسري غريب وقد قالوا ايضًا ان هذه الاجرام يتألف منه الهواء و
الماء والارض والنار ثم بعد ذلك يتألف منها ساير المركبات يتألف ثان
وان الهواء والماء والارض والنار يتكون بعضها من بعض على سبيل الافتراق
والاجتماع وان كان قوم منهم قالوا ان النار لا يتكون منها شيء اخر قالوا و
ان هذه الاربعة العناصر قد يتقوم من اجرام متشاكلة الشكل مختلفة
في العظم والصغر فالمثلثات المقومة للهواء مخالفة في العظم للمثلثات المقومة
للماء وانه ليس الارض كلها من مكعبات بل قد يكون فيها مثلثات لكنها
كثيرة ولا الهواء كله من مثلثات بل قد يكون فيها مكعبات ولكن صغيرة
وبعضهم جعل للنار اجزاء كرية وبعضهم جعلها من مثلثات صنوبرية
يحفظ شكلها وبعضهم لم يجعل لها شكلا محفوظا منها بل جعلها متبدلة
الاشكال بما فيها من لطافة تنبسط بها وتلتحم ومن جعل النار كرية جعلها
كرية ليتمكن من سرعة الحركة ولم يعلم ان الكرية تعين في

التدحرج وان الزاوية الحادة اعون منها في النفود سويا وان النار لا تسمو
متدحرجة ومن جعلها صنوبرية جعل طرفها الذي يلي فوقا حاد التقطع و
جعل الارض مكعبة لتكون باردة غير نافذة ولم يعلموا ان الارض
ايضا سريعة الحركة اذا فارقت مكانها اسوة النار وان النار يسكن
ايضا ولم يعلموا ان الاحراق ان كان يتفرق الزاوية للاتصال والتكعب
لعدم ذلك فيجب في الارض ان لا يحرق فقط لا ان يوجب ضده وهو
ان يبرد ولم يعلموا انه ان كان الاحراق بالزاوية والتبريد يجب ان
يكون بضد شكل او زاوية ولا شكل يضاد شكلا ولم يعلموا
ان الصنوبري يلاقي بتسطيحه اكثر مما يلاقي بزاويته وكان يجب
ان يكون اكثر احوال النار ان لا يحرق وذلك بان يلاقي البسيط
واذ قد حكينا صورة مذهبهم فلنرجع الى الموضع الذي فارقته من
الزامهم بغير هذه الاجرام فنقول انهم اذا كونوا من الهواء ماء لزمهم ضرورة
ان يصغروا المثلثات وينقصوها والنقصان عندهم لا يكون الا بان يحذف شيء
ويضمه من المنقوص فيجب ان ينقسم بالانفصال وكيف جوزوا ان
يكون من الارض ماء والارض مكعبات والماء من مثلثات وكانهم
جوزوا ان يثلث المتكعب فقد وجب ما قلناه بدءا وايضا فان ذا العشرين
قاعدة وهو الهواء اذا استحال ما تركبت بماسه بماسة من اجزائه وفصلت
اربعة لا يستحيل ماء وليس شيء من اجزائه اولى بان ينبعث الى ما تركب
الهوائية منه من الآخر حتى يفصل اربعة باعيانها يلزم ان يتركب منها الاخر
نارا وجسم آخر ان امكن او سعطل تركيبه ولا يكون شيئا البتة وعندهم
ان لا تركيب الا هو احد هذه العناصر او المركبات منها والماء اذا صار

هواء صار اعظم حجما وصارت المثلثات اكبر يكون ذلك الا ان يكون قد
تحللها خلاء تباعدت به تباعدا يحصل به الحجم الهوائي فيلزم من ذلك ان
يكون نوع من الجمع والتفريق يوجب ان يكون به للاجرام بعد فلا الى
محدود ونوع آخر يوجب خلافه حتى يكون الجمع والضد والتاليف نفسه
مما يوجب في طباع تلك الاجرام ان يهرب بعضها من بعض هربا الى
حد محدود فيحدث لها حركات عن طباعها لا عن قاسر هي حركات
متضادة متخالفة بها ينبسط الى حد محدود وهذا كله مح فان
كان الماء انما كان ماء قبل ان صار هواء باشيا يختلف الآن
عند استحالته هواء ولم يستحل هو وتلك الاشيا المختلفة كانت هي
الجامعة ما بين الاشيا التي تباعدت عند استحالتها هواء فلم يستحل الهوا
مرة اخرى ماء من غير ان يكون هيئة تلك المختلفات ومن غير ان
يأتيها شيء خارج ثم ان كانت التراكيب من هذه الاجرام من غير احوال
وشروط اخرى وحدود يوجب الطبيعة بقدرها على حدود محدودة
من القرب والبعد يوجب مغايرة في الطبايع فواجب ضرورة ان يكون
التغاير في الطبايع غير متناه ضرورة لانه وان كان لنا ان نجعل لكل منها
حدا في اللطافة والتخلخل وفي وقوع الخلاء في خلله فلذلك الحد عرض اذا
تعداه صار في تخوم غيره فيكون كل واحد متناهيا من ذلك لا سيما
ان كانت العناصر هي الاربعة على ما سلموها وكان لكل في ذلك
منها حد لا تتعداه فكانت الحدود لا محالة محدودة بين اطراف فاذا اخذنا
بين الاجرام بعدا اكثر من البعد الذي بين اجزاء النار مثلا وجب ان
يحدث نوع آخر من التاليف خارجا عن تاليف الاربعة وليس لازدياد

حدود الابعاد حد وثها بر اللهم الا ان يجعلوا البعض الا بعض حداً في
التخلخل غير متناه حتى اذا كانت اجزا اربعة يكون منها الصنوبرية النارية
وواحد منها بالحجاز والاخر بالعراق والباقيان على مثل ذلك من بعد
كان من الجملة ناراً واحدة والعجب العجب تجويزهم ان يكون جسم
واحد من اجزا متباعدة متفرقة في الخلا ولو ببعد قريب فان الافتراق
اذا حصل لم يحصل منه نار ولا ارض واحدة الا في غلط الحس واذا
لم يكن نار واحدة موجودة لم يكن نيران كثيرة بالفعل
فما معنى تاليف النار والهوا من تلك الاجزا والصورة هذه الصورة
ثم لو اضطر مضطر اجزا المؤلف من اربع قواعد مثلثات حتى اجتمعت
وتلاقت لم تخ اما ان يبقى النارية ليس التخلخل بالخلا شرطاً في وجودها
او يبطل فيكون تاليف موجود وليس عنصر اولى من عنصر وقد منعوه
وبئس ما عملوا اذ كانت هذه الاجرام بافرادها لا كيفية لها عندهم و
يحدث كيفيتها بالاجتماع وكان يجب ان يكون تاكيد الاجتماع
اعمل في تظاهرها على حدوث الكيفية منها ثم من العجائب ان يكون
الاجرام لا كيفية لواحد واحد منها وفي مجموعها حرارة او برودة و
ليس التنشر ذلك في فرد من ذلك المجموع حتى لو مست الجملة ولم يشك
ان كل واحد من اجزائها انما يلاقي ح لما يساويه فان كان ذلك
الواحد لا يوثر فيما يلاقيه وكذلك كل واحد اخر مكون ليس عن الحادث
المتماسات فعل وانفعال بل سلامة والجملة غير سالمة ولا مسلمة
وان كان الاجتماع يوجب ان يحدث الحرارة سارية في الجميع حتى
تكون في كل فرد ايضاً المحاورة فرسه ما لو انفرد عنه لم يكن فتكون

من شانها

من شانها ان يستحيل في الكيف وقد امتنعوا من ذلك وهو مضاد منوخاهم
في مذهبهم ثم لا نشك في ان للاجرام حركات طبيعية فان كانت
الحركات الطبيعية يصدر عن جواهرها وجب ان يكون حركاتها
متفقة وان لا يكون في العالم حركتان طبيعيتان متضادتان وان
كانت يصدر عنها الاشكال واشكالها غير متناهية وقد اوضحنا
انها لا يكون الا متناهية وهي متناهية عند اخرين منهم ولكن كثيرة
جداً فوجب ان يكون اصناف الحركات الطبيعية كثيرة جداً و
ليس كذلك على ما علمت فان الحركات الطبيعية المتضادة موجودة و
قد عرف من حالها انها انما يصدر عن قوى متضادة فيجب ان يكون
في الاشكال اشكال متضادة وقد منع ذلك فاما ما ظنوه من
ان عدم الزاوية ضد لذي الزاوية فيجب ان يكون للمستدير ضد
فليس كذلك فانه ان كان للمستدير ضد ففرضنا المستدير نوعاً واحداً لزم
ان يكون اضداد المستدير انواعاً من الاشكال بغير نهاية او امراً جنسيا
اعم من الشكل المضلع المنوع وضد الواحد في النوع واحد في النوع و
اما كون هذه الاجزاء غير متناهية وخصوصاً على قول من يقول
ان صورها متناهية فان ذلك بين البطلان مما قيل في امر غير المتناهي
فاما الذين يعترضون على هولاء ويقولون ان الاجتماع والافتراق لا
يغير الطبايع والصور كما ان الذهب اذا سحل ثم جمع فان هذا ليس باعتراض
صحيح فانهم يقولون ان السحل لا يرد الذهب الى اول التاليف الذي
يكون به ذهباً بل هذا الذهب المحسوس عندهم ذهب كثير و
هذا الماء المحسوس عندهم مياه كثيرة متجاورة وان اول اجتماع

ذهبي او ما في غير محسوس فكيف يحس بالتفريق اذا وقع فيه وتركيب
الترياق من ادوية مختلفة تحدث فيها صورة الترياقية بالاجتماع ثم لا
نقدر بعد امتزاجها على ان تقسيمها للحس البتة بحيث يخرج الاقسام
عن الترياقية وليس في ذلك ان الترياقية لم يحدث عن اجتماع وامتزاج
وكذلك الذي يقي لهولاء ان الهوا لا شكل له والما لا شكل له وانه يقبل كل
شكل اما او لا فهو كاذب فان الما اذا لم يعرض له عارض باللقا
يتشكل بشكل كرى وكذلك الهوا وجميع البسايط واما ثانيا فان هولاء
انما يوجبون الشكل المذكور للما الواحد بالتاليف الاول وما
بعد ذلك فلا يمنعون البتة ان يتالف الجملة الكثيرة منه على اشكال
سوى لها ولا يوجبون لمجموع المياه شكلا يوجبونه لاول تاليف المياه
وكذلك ما قيل من ان الجسم السافل ينعقد حجرا والمتحجر يستحيل ماء
من غير اجتماع ولا افتراق ولا انقلاب من هيئة ووضع فانه ان زيد في
هذه المقدمة شرط الادراك بالحس حتى تصدق وتسلم لم يلزم شيء
لانه ليس يجب اذا لم يكن افتراق واجتماع محسوس ان لا يكون البتة
وان لم يشترط بل ادعى انه لم يحدث فيها اجتماع واختلاف ترتيب ووضع
وما لا يدركه الحس لم يسلم فهذه الاعتراضات عليهم اشبه بالتكلف
والتعنت فلنرجع الان الى نفرق بين الكون والاستحالة **فصل في التفرقة
بين الكون والاستحالة** قد علم ان غرضنا في مناقضة هؤلاء انما كان
بسبب تحصيل امر الكون والاستحالة ثم احوجنا لذلك الى ان تكلمنا
في امر العناصر وناقضنا مذاهب في العناصر بغيرها ناقضناها اياها
على عرض لنا اخر وهو معرفة العناصر والاولى ان نقدم اول شيء امر

الكون والاستحالة فنقول ان المشاهدة يودي بنا الى ان نحكم ان ما
لا يتحجر وقد دلت التجربة على ان قوما يسيلون الحجارة ماء ويعقدون
المياه حجارة وان الهواء الصافي من غير انجذاب بخارات اليه ينعقد
سحابا فيسيل ماء وثلجا وهذا شيء يشاهد في قمم الجبال الباردة
وقد شاهدنا الهوا الصافي اصفى ما يكون وبالجملة على ما يكون في
السما من الصفا ينعقد دفعة من غير بخار يتصعد اليه او يساق
يساق نحوه فيصير سحابا اسحم ويلقى الارض ويركم عليه ثلجا بكليته
ومقدار ذلك رمية في رمية منه فيصير الهوا صافيا في لحظة ثم ينعقد
ويدوم هذا الدور حتى انه ينضد من هذا الوجه على تلك البقعة
ثلج عظيم لو سال لعمر واديا كثيرا وليس الا هواء قد استحال ثلجا
وماء وقد يوضع القدح في الجمد فينهد ما فيه ويترك فلا يزال يجتمع
على صفحته الباطنة من القطر اجتماع بعد اجتماع حتى يمتلي ماء وليس
ذلك على سبيل الرشح فان الرشح من الماء الحار اولى وايضا فان
هذا القدح والة اخرى يجري مجراه اذا لم ينهدم كله في الجمد
بل بقي منه مجاوز لا على الجمد اجتمع ايضا على طرفه القطر لان البرد ينتهي طرف
اليه فيكون ذلك على سبيل احالة الهواء ماء لا على سبيل الرشح اذ الرشح
يكون حيث يلاقي الاناء الرشح فقط وربما كان ذلك الجمد لم يتحلل
منه شيء ولم يعدم بل كلما كان الجمد ابعد من التحلل كان هذا المعنى
اغزر وبعكس هذا يستحيل الماء هواء بالتسخين واما استحالة الاجرام نارا
فمثل الكبر يحمى عليه بالنفخ ويخنق الهوا ولم يترك ان يخرج ويدخل
فانه عن قريب يستحيل ما فيه نارا ويحترق وقد علمت كيف يستحيل

دهن البلسان في دفعة واحدة نارًا وليس ذلك الا باستحالة ما فيه من
العناصر والحطب اذا كان رطبًا عصى فاجتمع منه دخان كثير
هو الاجزا العاصية منه واذا كان يابسًا لم يجتمع منه شي او كان
قليل الاجتماع بالنسبة الى ما يجتمع من الرطب وليس يمكن ان
ينسب هذا الى ان الاجزا الارضية في الرطب اكثر فالثقيل الذي
يصعد بالقسر فيه اعز فانه ربما كان اليابس اثقل ويكون ما يتدخن
منه وما يرمد جميعًا اقل بل المائية عسرة الاستحالة الى النار لشدة
المضادة مانعة لما يقارنها من الاستحالة والارضية اليابسة اشد
استحالة الى النارية ولو كانا لا يستحيلان معًا بل يصعدان فقط لكان
الدخان عنهما واحدًا اذا جمع فاذن الدخان في احدهما اقل مع انه ليس
في الرمد اكثر فقد استحال ما فيه من الارضية الى غير الارضية
ولا غالب هناك الا النار فقد استحال الى النار وظاهر بين من هذا
وما اشبهه ان هذا اذا لم يكن على سبيل الكمون ولا على سبيل الاجتماع
والافتراق لم يكن الا على سبيل الاستحالة في الجوهر فالعناصر يستحيل
بعضها الى بعض والمركبات قد يستحيل ما كان من هذا النوع الى نوع
اخر كالحنطة يستحيل دمًا والدم يستحيل عظمًا ولحمًا وغير ذلك فما كان
من هذه الجملة يبقى نوع الجوهر من حيث هذا المشار اليه ثابتًا كالما
يسخن وهو ثابت بشخصه فهو استحالة وما كان لا يبقى نوعه عند تغيره
كما ضربناه من المثل فهو فساد فالكون المطلق هو الكون الجوهري و
الكون المقيد كقولهم كان ابيض او كان اسود فهو الاستحالة او شي
اخر من التغيرات التي ليست في الجوهر وهذا شي بحسب المواضعة

وقد كان

وقد كان بعضهم يرى كون اشرف الاستقصين واكثرهما وجودية
عن اخسهما كونًا مطلقًا وعكسه كونًا مقيدًا وقد راوا ايضًا ارا اخرى لا
حاجة بنا الى اقتصاصها ونقضها فان اضاعة الزور وحادثها من السدى
ثم لا يجوز ان يكون كون الجرم واقعًا عن لا جرم مايل فانك تعلم ان
ما يكون عنه الجسم لا يكون الا الجرم المادي والجوهر المادي لا
يوجد مجردًا وكل جرم يقبل كله او بعضه الكون والفساد
فليس بازلي اما اذا قبل بكليته فلا شك فيه وان قبل جزء منه وهو
مشارك له في نوعه فطبيعة نوعه قابلة للكون والفساد وقد
بينا من قبل ما كان كذلك فليس غير كاين وما ليس غير كاين
مما هو موجود فليس بازلي فعناصر الكون والفساد غير ازلية وجودها
بل وجودها عن كون بعضها من بعض فحري بنا الان ان نعرف
ان الفعل والانفعال كيف يجري بين هذه والفعل في
هذا الموضع نعني به تحريكًا في الكيف ونعني بالانفعال تحركًا
فيه على نحو ما علمت من صورة ذلك في مواضع اخرى فنقول
ان ذلك يكون بمماسة فانه او لم يكن بسبب مماسة لم يخل اما ان
يكون بنسبة اخرى وضعية او يكون كيف اتفق والا لكان الجرم
يسخن مثلنا مما يسخنه قبلنا بالمضادة كيف كان وضعه منه فكان
الجسم يسخن لان نارًا مثلًا موجودة بعد عشرين فرسخًا منه فاما ان
كان على نسبة وضع اخر غير المماسة يقتضي نوعًا من المحاذاة
والقرب فان المتوسط اذا كان لا يسخن ولا يبرد لم يسخن المنفعل
الابعد ايضًا ولم يبرد وان سخن المتوسط فهو المؤثر القريب ويوثر بمماسة

لامحة فالفعل والانفعال انما يجري بين الاجسام التي عندنا الفاعل
بعضها في بعض اذا كانت بينها مماسة فلاجل ذلك جرت العادة بان
تخص هذا المعنى في هذا الموضع بالمماسة حتى اذا التقى جسمان ولم يؤثر
احدهما في الاخر لم يسم في هذا الموضع مماسة وان كان احدهما يؤثر
ولا يتأثر قيل انه مماس المتأثر عنه ولا مماسة المتأثر فكان المماسة في
هذا الموضع ملاقاة مؤثر ولا بد من ان يكون له وضع ويلزمه ان يكون
ذا ثقل وخفة اذ قد تبين ان الاجسام القابلة للتركيب والمزج بهذه
الصفة وقد يطولون في هذا المعنى مما لا فائدة فيه فالفاعل من هذه الاجسام
يفعل بالمماسة وقال قوم من الاقدمين ان الفاعل ما لم ينفذ في ثقب
خالية من التفعل لم يفعل فيه ولم يدروا ان غاية ما بعده هذه الثقب
هي التمكن من زيادة اللقاء فان حصل اللقاء من غير ثقب حصل الفعل في
المنفعل وكان المعتبر بالذات هو اللقاء والمماسة لكن الفاعل كلما كان اكثر
مخالطة كان الانفعال افشى والاجسام العنصرية اذا تلاقت فعل بعضها
في بعض فكان كل واحد منها يفعل بصورته وينفعل بمادته كالسيف
يقطع بحدته ويكل وينثلم بحديده ويفعل كل واحد منهما في
ضده في النوع الشبيه له في الجنس المشارك في قوة مادته وهذا
الانفعال لا يزال يستمر الى احد امرين اما ان يغلب بعضها بعضا
فيحيله الى جوهره فيكون كونا في نوع الغالب وفسادا للمغلوب
واما ان لا يبلغ الامر باحدهما ان يغلب على الاخر حتى يحيل فيهما
يسمى المزاج وهذا الامتزاج فان وقع اجتماع كما بين دقيق الحنطة و
الشعير لم يجر فيما بينهما فعل وانفعال فلم يسم ذلك مزاجا بل تركيبا و

[illegible] صح

الاجتماع ليس صح

اختلاطا

اختلاطا ومن الناس من يستعمل في هذا الموضع لفظة الاختلاط
مكان لفظة الامتزاج ثم قد اجمع المشاؤون عن اخرهم ان الامتزاج لا
يقع اذا كان البسيطان محفوظين ولو كانت البسايط تحفظ على حالها
لما كان يوجب اجتماعها لحمية او عظمية بل لكان المركب انما يخفي
بسايطه حسا وهي موجودة فيه حتى لو كان الحس البصري في غاية
القوة على الادراك لكان ذلك الانسان يرى في اللحم ماء وارضا
ونارا وهواء متمايزات فلا يكون اللحم بالحقيقة لحما بل بحسب رؤية
الانسان دون انسان وقالوا ولا اذا فسد احدهما ولا اذا فسد كلاهما
فان الفاسد لا يصح ان يبقى لهما مزج ولا الفاسد والباقي ثم قال
المعلم الاول بعد ذلك فالممتزجات ثابتة بالقوة او قال لكن الممتزجات
قوتها ثابتة وعنى بالقوة الفعلية التي هي بالصورة ولم يعن انها
تكون موجودة بالقوة التي تعتبر في الانفعالات التي تكون للمادة
في ذاتها فان الرجل انما اراد ان يدل على امر يكون لها مع انها لا تفسد
وانما يكون ذلك اذا بقيت لها قوتها التي هي صورتها الذاتية
واما القوة التي بمعنى الاستعداد في المادة فانما يكون مع الفساد
والرجوع الى المادة او يكون مع الفساد فانها لو فسدت ايضا
لكانت ثابتة بتلك القوة فان الفاسد هو بالقوة الشيء الذي
كان اولا يرجع اليه ولكن المفسرين يتساهلون في ذلك بسبب
اضطرابهم في التفرقة بين الصور والاعراض الدالة على التفرقة
بين الصور الطبيعية لهذه الاجرام وبين كيفياتها ولظنهم ان
هذه الكيفيات كلها او بعضها صور لهذه الاجرام مع انها

تقبل الاشتداد والضعف فنقول امثلهم طريقة ان كيفياتها تكون محفوظة مكسورة السورات فيكون الاجسام بالقوة خواص
فلسطر في قولهم هذا فنقول لا يخ اما ان يعنوا انها وهي مثلا ماء وارض ثابتة بالقوة ماء وارضا او ثابتة بالقوة على حكم كالات الماء والارض
فان جعلوها بالقوة ماء وارضا فقد فسدت لكنهم يقولون انها لا تفسد بل سوراتها تنكسر وجهاتها تضعف ومع ذلك فان
بعضهم يرى ان النار العنصرية غير ذات سورة ولا محالة ان سورتها تنكسر بتغير وذلك التغير اما ان يكون يسلخ الماء مثلا الصورة المائية
حتى يصير لا ماء او مع بقاء الصورة المائية حتى تكون الماء ماء والارض ارضا فان صارت بهذا التغير غير ماء او غير ارض فهذا فساد وان
كان الماء ماء والارض ارضا ولم يبطل من كل واحد منهما صورته التي اذا بطلت لم يكن ذلك ماء وهذا ارضا لم يكن الاستحالة من طبيعة النوع
وخصوصا وقد سلموا ان الصور الجوهرية لا تقبل الاشد والاضعف
وان كان الارض قد انتقصت ارضيتها حتى صارت ارضا ناقصة وكانت الارضية تقبل الاشد والاضعف فانما تنقص ارضيتها لا محالة
بدخول طبيعة اخرى لولا دخولها كانت تلك الطبيعة خالصة و
الان انما دخل شطر منها فتكون مع انها ارض ناقصة شيئا اخر كنارا او ماء مثلا ناقص فتكون شيء واحد نارا وارضا معا ناقصتين و
تكون بالقياس الى النار الصرفة نارا وهذا مح فان النار في عرض ناريتها نار وليس ارضا البتة والارض في عرض ارضيتها ارض ليست
بنار البتة على انهم يعترفون ان هذا الانكسار ليس الا في الحر والبرد

والرطوبة

والرطوبة واليبوسة وانت تعلم ان الماء لا يزول مائيته بان يسخن شديدا ويغلي فضلا عن ان يفتر فيكون التغير الذي يعرض انما هو في الكمال
الثاني للماء لا في الكمال الاول الذي هو به ماء فاذا كانت هذه الاستحالة لا يبطل طبيعة النوع فليست هذه هي الاستحالة في الجوهر فهي لا محالة
في الكيف جوهر محفوظ في انه جوهر غير محفوظ في انه مكيف واما المعلم
الاول فقال ان قواها لا يبطل وعنى بها صورها وطبايعها التي هي مبادٍ
لهذه الكمالات الثانية التي اذا زال العايق صدر عنها الافعال التي
لها فحسبوا هو لا انه يعني القوى الاستعدادية ولو ان الهيولى الاولى
كان يجوز ان تبقى مجردة لكانت قوى الاستقصات الاستعدادية
التي بها يقع للشيء انه بالقوة نار او ارض او غير ذلك لا يبطل فضلا عن
المزاج الذي يصرح انه ليس فيه فساد فما تكون الفايدة في هذا الكلام
فبقي لنا ان نصرح عن الذي يحومون حومه ولا بد كونه ان كل
واحد من الاستقصات له صورة جوهرية بها هو ما هو ويتبع هذه
الصورة الجوهرية كمالات من باب الكيف ومن باب الكم ومن باب
الاين فيتخصص كل جرم منها ببرد او حر من جهة تلك الصورة
ويبس ورطوبة من جهة المادة المقترنة بالصورة ويقدر من الكم طبيعي
بحركة طبيعية وسكون طبيعي فيكون تلك الصورة تنقص عنها
في ذات ذلك الجسم قوى بعضها مما لها بالقياس الى المنفعل كالحرارة
والبرودة الطبيعيتين وبعضها بالقياس الى الفاعل المستكمل
كاليبوسة والرطوبة الطبيعيتين وبعضها بالقياس الى الاجسام
المكتنفة كالحركة والسكون الطبيعيين وانما الماء انما تنقص في

جوهره عند البرد اذا كان على طبيعته ولم يعق كما يجمد واذا كان على طبيعته
ولم يعق وانه قد يفوته هذه الكيفية بقاسر يسخن كما يفوته تلك الحركة و
مثلها بقاسر راح الى فوق فيحدث فيه ميلا غريبا وكما ان الما اذا سخن
فيصعد بالسخونة او سحب اجزا الارضية ايضا فصعدت بالسخونة فكانت
السخونة محدثة للميل الى فوق كذلك ان انبعث السخونة عن الطباع احدثت
ذلك الميل عن الطباع هذا ان سلم ان صعود الما وصعود اجزا الارض انما
هو لتسخنها لا لمخالطة النارية المصعدة اياها وسنوضح ذلك في فن اخر و
انما اوردنا ما اوردنا من ذلك تمثيلا لا وضعا ولو كانت البرودة المحسوسة
صورة المائية لكانت المائية تفقد صورتها وهي بعد ماء وليس كذلك بل هي
هي عند الغليان ماء بعد ولو كانت الرطوبة المحسوسة ايضا صورة الماء
لكان الجامد قد خرج عن طبيعة الما وصار اما استقصا اخر واما مركبا وليس
احدهما ولو كان الميل الذي بالفعل صورة الما لكان الما المزوج الى
فوق وقد صح انه يصعد بعد مفارقة الراح بميل يحدث فيه اما فاقد
الصورة المائية او مجمعا فيه بالفعل ميلان ميل مصعد وميل مهبط
كل منهما بالفعل وقد قيل في هذا ما قيل وقد بان مما سلف ان الطبيعة
غير هذا الميل بل هي مبدء هذا الميل وكذلك فاعلم ان الطبيعة غير الكيف
المذكور بل هي مبدوه وقد علمت ان الطبيعة ليست مبدء للحركة
المكانية والسكون فيها فقط بل مبدا لجميع الحركات التي بالطبع والسكونات
التي بالطبع وكذلك فاعلم ان طبيعة الهوا هو الذي يغير الما الى هذا الكيف
ويحفظ عليه وان تلك الطبيعة اذ لا اسم لها فيستعار لها عن الفعل
الصادر عنها اسم فتارة يسمى ثقلا وتارة برودة ورطوبة فانها اذا اعتبر

مايصدر

ما يصدر عنها من الميل المهبط سميت ثقلا وانما هي مبدء للثقل واذا
عتبر ما يصدر عنها من الكيفية سميت بردا وانما هي مبدء البرد وهذا
كما يسمى قوة في الانسان نطقا او ضحكا وانما هي مبدء النطق
والضحك واذ قدمنا هذه المقدمات فنقول ان الطبيعة المائية
محفوظة في الممتزج واما الكيفيات فهي منكسرة لا باطلة بطلانا
تاما فهذا القدر هو القدر من الاستحالة التي يوجبه المزاج فيكون
الكمالات التي لكل نوع من العناصر معدومة بالفعل موجودة
بالقوة القريبة كقوة النار على الصعود لا قوة الما على الصعود فلا يكون
العناصر موجودة بحالها مطلقا محفوظة على ما هي عليه ولا فاسدة
كلها ولا فاسدة بعضها فيكون كل مستنقص من جهة نوعه انه
ماء مثلا جسما طبيعيا نصفه ومن جهة كماله الثاني انه مثلا بارد بالفعل
ركنا من اركان العالم كاملا ومن جهة انه يكسر بالمزاج
استنقصا في المركب وكلما كانت الاجزا اشد تصغرا كان
اقرب الى المزاج لان كل واحد يكون اذعن للانفعال عما يكيفه
ويكون كل واحد اوصل في التاثير الى كل واحد فلذلك ما كانت
الرطوبة اسهل امتزاجا اذا لم يكن لزجة فان اللزجة اعسر انفصالا وتقطعا
واما الكبير مع الكبير فقلما يعسر وقوع الانفعال بينهما بحسب ما قلنا في الصغير
والكبير مع الصغير يفسد الصغير ولا يختلط به وربما كان الصغير يؤثر
في الكبير من غير ان يكون له قدر محسوس حتى يرى انه اختلط به
كما يفعله اصحاب دعوى الاكسير فانهم يصبغون نحاسا
كثيرا برصاص مكلس يسيرا وبزرنيخ مصعد يسيرا فيكون

كانه تفعل فيه بلا زمان ويختلط به **فصل في ابطال مذهب محدث في
المزاج** لكن قوما قد اخترعوا في قرب زماننا مذهبا غريبا عجيبا وقالوا ان البسائط
اذا امتزجت وانفعل بعضها من بعض مادى ذلك بها الى ان تخلع صورها
فلا يكون لواحد منها صورته الخاصية وتلبس ح صورة واحدة فيصير لها
هيولى واحدة وصورة واحدة فمنهم من جعل تلك الصورة امرا متوسطا
بين صورها ذات الخمسة ويرى ان الممتزج يستعد بذلك لقبول الصورة
النوعية التي للمركبات ومنهم من جعل تلك الصورة صورة اخرى هي
صورة النوعيات وجعل المزاج امرا عارضا لا صورة ولو كان هذا الرأي
حقا لكان المركب اذا تسلط عليه النار فعلت فيه فعلا متشابها
فلم يكن القرع والانبيق يطيره الى شى قاطر سحر لا يثبت على النار البتة
والى شى ارضى لا يعمل البتة فانه ان كان كل جزء منه كالاخر يساوى
الاستعداد في جميعه وان اختلف فعسى ان يكون اختلافه بالاشد و
الاضعف حتى كان بعض الاجزاء اسرع استعدادا وبعضها ابطأ استعدادا
ومع ذلك فما كان يكون ذلك فيها وهي مكتسبة صورة واحدة لا تمايز
بينها بل لا بد من تمايز وذلك التمايز لا يخ اما ان يكون بامور عرضية او صور
جوهرية فان كانت امورا عرضية فاما ان يكون من الاعراض التي يلزم
طبيعة الشيء او من الاعراض الواردة من خارج فما كان من الاعراض التي
يلزم طبيعة الشيء فالطبايع التي يلزمها اعراضها مختلفة هي مختلفة وان
كان من اعراض وردت عليها من خارج فاما ان يكون الاجزاء الارضية
مثلا يقتضي في كل مثل ذلك التركيب ان يكون اذا امتزجت
عرضت لها من خارج دائما مثل ذلك العارض او لا يقتضي فان كانت

يقتضى

من ذلك
يقتضى وجب ان يكون لها عند الامتزاج خاصية استعداد القبول ذلك
او خاصية استعداد لحفظ ذلك لغيرها وذلك الاستعداد اما ان يكون
امرا جوهريا فيثبت الجوهر فيكون البسائط متميزة في المركب بجواهرها او
امرا عرضيا فيعود الكلام من رأس واما ان لا يكون الاجزاء الارضية
مثلا تقتضي في كل مركب مثل ذلك التركيب ان يكون اذا امتزجت
يلزمها من خارج بل ذلك قد سبق في بعضها اتفاقا ولو كان كذلك
لكان ذلك بالاقل ولم يكن مثل ذلك المركبات موجبه لاختلاف ذلك
الثمر وكان يمكن ان يوجد من اللحوم لحم في نوعه يقطر كله او يرسب كله
او لا يقطر وكذلك كان يجب ان لا يكون التحليل معينا للحيوان والنبات بافناء
مادة وابقاء مادة اعني افناء المتحلل الرطب وابقاء مادة اليابس ثم لسطر ان
هذه العناصر اذا امتزجت فما الذي يبطل صورها الجوهرية فلا يخ اما
ان نظن ان النار مثلا يبطل صورة الارض منها او شيء خارج عنها يكون
ذلك الشيء من شانه ان يبطل صورها اذا اجتمعت فان كان النار يبطل
صورة الارض فاما ان يكون مبطلة لصورة الارض وناريتها موجودة او
مبطلة وناريتها معدومة فان ابطلت والنارية معدومة فيكون ابطالها
الصورة الارضية بعد عدم النارية او مع عدم النارية وعدم ناريتها في
هذا الموضع انما هو ايضا بسبب الارض والكلام في ذلك هو الكلام
بعينه فيكون حاصل ما ذكرناه انه لما عدمت النارية من الارضية
ابطل احدهما صورة الاخر وهذا مح واما ان يكون شيء اخر خارج هو الذي
يبطل صورة كل واحدة منهما اذا اجتمعت فان كان يحتاج في ابطال
الصورة النارية مثلا واعطا الصورة الاخرى الى الارض والارض موجودة

او الارض معدومة فقد دخلت الارض في هذه المعونة او عادت كلا
من راس وان كان لا يحتاج فلا حاجة الى المزاج في سلب الصورة النارية
واعطا الصورة الاخرى بل البسيط يجوز ان يتكون عنه الكاينات
بلا مزاج واما الاستحالة فلا يلزم فيها مثل هذا القول فان النار مثلا
اذا كانت عليه لتسخن مادة الارض كانت علة وهي نار بالفعل و
تسخن لسخونة موجودة فيها وان انقصت لانها ايضا يقبل البرد بمادتها
عن الارض بالفعل فيكون فاعله بصيغة ومنفعلة بمادة ويكون الهيئة
عندنا تفعل في المادة موجودة فلا يعرض منها هذا الشك لكن من الامور
المشكلة التي بالحري ان نورد شكا يؤيد القول الذي نختاره ويورده
اصحاب هذا المذهب المحدث هو انه ان كان الممتزج لا يتغير جواهر بسايطه
وانما يتغير كما لاتها فيكون النار فيه موجودة لكنها برده قليلا والما
موجودا ولكنه مسخن قليلا ثم تستفيد بالمزاج صورا زايدة على صور
البسايط ويكون تلك الصور ليست من الصور الذي لا يرى في الكل
من الصور الاجتماعية مثل صورة التاليف كالاشكال والاعداد فان
المقناطيسية واللحمية مثلا ليست من الصور التي يكون من هيات اجتماع
امادعدا او احاد مقادير حتى يكون للجملة ولا الواحد من احاد الجملة و
اذا كان كذلك كانت هذه الصور سارية في كل جزو كان الجزو الموجود
من الاستقصات في المركب وهو نار مستحيلة ولم يفسد قد اكتسب
صورة اللحمية فيكون من شان النار في نفسها اذا عرض لها نوع من
الاستحالة ان يصير لحما وكذلك كل واحد من البسايط مكون نوع
من الكيف المحسوس وحد من حدود التوسط فيه بين الرطب واليابس

والحارّ

والحارّ والبارد بعد الاجسام العنصرية لقبول اللحمية ولا يمنعها عن
ذلك صورها كما لا يمنع صورة الارض في الحجر المدحرج ان تقبل حرارة
مصعدة فيكون نحو من شان البسايط ان تقبل صورة هذه الانواع
وان لم تتركب بل اذا استحال فقط فلا يكون الى التركيب والمزاج
حاجة البتة فنقول اولا فليس اعتراض هذه الشبهة على احد المذهبين
اولى من اعتراضها على الاخر فان صاحب هذا المذهب المخترع ايضا
يرى ان اجتماع العناصر شرط في حصول الصورة للتركيب بسبب
ما يقع بينها من الفعل والانفعال ولها او لا يعرض لها ان يخلع صورة
ويلبس صورة ولولا ذلك لما كان لتركيبها فايدة واذا تركبت فانما
يقع بينها تغير في كيفياتها بالزيادة والنقصان حتى يستقر على
الامر الذي هو المزاج ويحدث صورة اخرى بعدها المزاج او لا يكون
ما يظن انه وارد بعد المزاج وكيف ما كان فذلك لاستحالتها في
كيفيتها فيجب ايضا من ذلك ان تلك الاستحالة اذا عرضت للمفرد
منها قبل المفرد وحده تلك الصورة وان كان لا يقبلها الا ان تلك
الاستحالة تستحيل فيها الى ان يتصغر اجزاؤها والا ان يتجاوز فاعله
ومنفعله على اوضاع مخصوصة وان يكون تلك الصورة مستحيلة
ان تستحفظ الا بتلك الصورة لا يحل مادة تستحفظها او غير هذا
من العلل والمقادير فهذا جواب مشترك للطايفتين معا على انه
ان يكون الحدود المحتاج اليها من المزاج في تهيئة المادة لقبول الصورة
التركيبية لا يحصل ولا يبقى الا بالمزاج فهذا هو الذي يجب ان
تعقل من امر وجود البسايط في المركبات والذي نفع من الاضطراب

في اعراب القدماء عنه وهو ما لا يتميز لبعضهم الصور التي بها النار نار
والماء ماء عن هذه الكمالات الباعثة على ان هولا ايضا اذا اسئلوا فقيل
لهم ما تعنون بقولكم ان الماء بارد رطب اذا حدتم الماء هل هو برد بالفعل
او برد بالقوة ولسنا نعني به البرد بالفعل فيكون احدهم البرد في حد
الماء هو القوة التي يصدر عنها التبريد بالفعل للماء ولما يجاوره وليس هذه
القوة على البرد بالفعل كقوة النار على البرد بالفعل وذلك لان النار
يحتاج الى ان ينسلخ صورتها عن مادة ويلبس صورة اخرى حتى يكون
لها هذه القوة واما الماء فهذه القوة فيه قريبة حدا من الفعل لا يحتاج
في صدور الفعل عنها الا الى زوال المانع فهذه القوة ليست قوة
الهيولى بل هي صورة زائدة على الهيولى فاعلة للبرد في الماء وفيما ينفعل
بتوسطه وهم اذا قالوا ان العناصر بالامتزاج تنكسر حدتها ويصير بالقوة
هي ما هي انما تعنون هذه القوة القريبة فهذه القوة القريبة هي فصل
حد كل واحد منها واذا بقي للشيء فصل حده فلم يفسد صورته لا محالة
فهم من وجه قد يشيرون الى هذا وان لم يسعهم التصريح به ثم هذا
المزاج على وجوه اما ان يكون الحار من البسائط يسخن البارد مقدار ما
يبرد البارد الحار حتى يحصل امر متوسط بين جهتي البرد والحر وكذلك بين
جهتي الرطوبة واليبوسة فيسمى هذا الامتزاج معتدلا مطلقا فان كان
اعتدال بين الحر والبرد ولم يكن بين الرطوبة واليبوسة بل غلب الرطوبة
قيل مزاج رطب او غلب اليبوسة قيل مزاج يابس فان كان الامر بالعكس
فكان اعتدال بين الرطوبة واليبوسة ولم يكن بين الحرارة والبرودة
بل غلب الحر او البرد قيل مزاج حار او مزاج بارد فيكون هذه امزجة خارجة

عن الاعتدال خروجا بسيطا وذلك اذا استقر الفعل والانفعال على
غلبة من احد طرفي مضاده وعلى اعتدال بين الطرفين الاخرين وبازائها
اربعة اخرى مركبة وذلك عندما لا يقع بين طرفي مضاده من
المضادين اعتدال بل يكون الاستقرار على غلبتين فيكون حار يابس
وبارد يابس وحار رطب وبارد رطب فيكون جميع الامزجة تسعة معتدل
واربعة بسايط واربعة مركبات واذ قد قلنا في الكون والاستحالة وما يتعلق
بهما وفرغنا من جميع ذلك فبالحري ان نتكلم في النمو **فصل في الكلام في النمو**
واما النمو فانه لا يكون الا بزيادة ما ولا كل زيادة فان المتكاثف كالماء
اذا استحال هواء فزاد حجمه فقد فسد وحدث شيء اخر مع حجمه ولم
يكن موصوفا بحركة الازدياد الذي عرضت ولا ايضا اذا كان
الموصوف باقيا ولم يصف اليه زيادة من خارج مثل الماء اذا تخلخل
عند استحالته الى السخونة وهو ما بعد ولا كل زيادة منضمة فانه
اذا التزق بالجسم جسم او زيد على ماء ماء وكل واحد من المزيد عليها
ساكن لم يستحل شيئا وانما انضاف اليه زيادة فلا يكون ذلك
حركة النمو بل يجب ان يكون الشيء الباقي بالنوع تحرك بكليته
الى الازدياد بما يدخل عليه ولا كل ما كان ايضا كذلك فان الشيخ
بعد وقوف النمو قد يسمن كما ان النامي في سن النمو قد يهزل وليس زيادة
السمن من النمو كما ليس نقصان الهزال من الذبول بل يجب ان يكون
ذلك الازدياد مستمرا على تناسب مود الى كمال النشو ويكون
الوارد قد فسد واستحال الى مشاكلة المورود عليه والمورود
عليه قد نما ممتدا في الاقطار متجها الى كمال النشو فيجب ان يكون هذا

الوارد بداخل المورود عليه فاذا تحلل في تحدثه في جسمه يندفع له المورود
عليه الى اقطاره على نسبة واجبة في نوعه والنوع باق في شخصه ولو
كان نفرده في الخلا لما كان يحتاج الجسم في ان يزداد الى امتلاء ما فيه من
الابعاد الخالية بل كان حجمه واحدا كانت الابعاد خالية او لم
يكن وهذه الحركة مما ينسب الى المتحرك بها من النبات و
الحيوان من جهة الجسم فان الحيوان والنبات ايضا قوامه من نفس وبدن
وهذا انما يعرض العروض الاولى للبدن ويعرض لبدنه من جهة
مقداره فهاهنا هيولى للنامي الحامل لصورة جسمه وهاهنا المقدار
الذي لتلك الهيولى وهاهنا الصورة الشكلية الخلقية المحيطة
بذلك المقدار والهيولى دائم التبدل فيشكل من امره ولا يبعد
ان يظن به انه عساه ان ياتي التحلل على كل قديم منه ويحصل للشخص
في وقت من الاوقات جملة مادة غير الجملة الاولى فلا يكون مادته هي
الباقية الثابتة حتى يكون النمو والزيادة منسوبا اليها نسبة اولية فمن
هذا لا يبعد ان لا ينسب النمو الى مادة واحدة بعينها وايضا فان المادة
لا ينمو لا زيادة واحدة بعينها وان بقيت بقي الدهر فانها لا تعظم بسبب
النمو اعظم بل الاعظم هو المجتمع منها ومن الزيادة وهي مع الزيادة على
القدر الذي كانت عليه قبل الزيادة وانما الازيد هو شيء اخر وهو
هذا المجموع من حيث هو مجموع انما حدث الان بانضمام الزيادة الى الاصل
فلا المادة نامية ولا الزيادة وايضا فان المقدار المحمول في المادة حكمه
في الامرين جميعا هذا الحكم والصورة ايضا يفتح ما ظن فيها من انها يحفظ
بتبديل المادة حتى يكون الينا المركب من الاجزا اذا انزع منه اجزا

حتى يبدل الاخر كله يكون هو بعينه البنا الاول بالعدد ويكون الشكل
والصورة ينتقل وهي واحدة بعينها بالعدد من مادة وهذا من الحجر
انما يتم ذلك بان يبطل الصورة الاولى من البنا مع انتقاص حاملها
ويحدث صورة اخرى شبيهة بالاولى وهذا شيء قد سلف منا
بيانه وايضا ان يبدل بعض المادة فيجب ان يعلم ان الصورة ليست
واحدة بعينها ولا يلتفت الى ما يقولون وذلك ان الباقي من الصورة
في بعض الباقي من المادة وهو جز الصورة ولعمري انه لم يحدث لا
من جهة ليس كلامنا في مثلها واما البعض الاخر من الصورة
ولعمري انه لم يحدث الا وهي التي في المادة المتجددة فليس هو الاول
بعينه كما علمت في تبدل المادة باسرها وانما هو مثل الاول واذا صوره
الكل في هذا الموضع هو جملة الباقية والحادثة وليست هي الجملة
الباقية والصورة الباقية بجملتها هي جملة باقية فليست الصورة باقية
عند النمو فينبغي لنا ان نطلب التخلص من هذه الشبهة فنقول يجب
ان نعلم ان انواع النبات والحيوان لا يتبدل البتة منها جميع المادة
ولا يتحلل عنها جميع المادة بل يتحلل في اول الامر الالطف المتحلل منه و
يستمد بدله وان تحلل الكثيف منه فانما يتحلل اخر الامر ويتحلل القليل
منه ويبقى في الجملة على الاستمرار ما يستحفظ القوى والصور الواجبة
والنفس ان كانت محتاجة في قوامها الى المادة وكانت محتاجة في فعلها
الاول الى المادة فان انضم اليها شيء استحال اليها وزاد فيها وفي كمالات
القوة المستحفظة الاول التي هي قائمة بالمادة فيكون كان في كمالات
تلك القوة شيء قديم وشيء يضاف اليه او يكون الصورة والقوة هي

تلك القديمة وانما انضاف اليها كمالاتها وليست هي القديمة بل حادثة من القوى ويكون الاول لم يبطل بل انضاف اليه ما صار به اكمل ولو كانت المادة تتبدل لكانت الابدان والنباتات قد تبدلت فالباقي في الشخص من مادته هو ما يستحفظ به الصورة الاولى الاصلية ومن الصور القائمة في المادة التي لا تتبدل تمامها صورة النوع واما القوى التي هي الكمالات التابعة لصور النوع فقد تضاف الزيادة والمقادير فقد يكون الاول منها المحفوظ بالمادة المحفوظة باقية وتضاف اليها زيادة تتميز عن الاول في القوام والاستحكام لتأخره فيكون هو ايضا معرض للتحلل قبل المادة الاولى واما الشكل والخلقة فمن جملة امور عارضة لازمة للصورة النوعية او عارضة غير لازمة فالباقي في هذه الحركة التي هي النمو هو الصورة النوعية والزايد هو المقدار في اول الامر ثم الصورة الشكلية الخلقية لاجل المقدار فانها تصير ازيد لان الصورة الواحدة الشكلية بعينها تصير اصغر واكبر فانها تكون في المقدار الذي هو انقص اصغر وفي الازيد اكبر والمقدار ايضا كذلك قد يكون اولا ناقصا ثم اذا اضيف اليه الغذاء المنمي صار اعظم لانه مجموع مقدارين لا ان المضاف اليه نفسه صار اعظم بل هو كما كان انما الاعظم هو المجموع واما الشيء الذي له هذه المادة حتى له هذا الشكل فهو نوع الشيء وهو باق واحد بعينه بلا اختلاف وهو الذي تصير مادته مادة مضافا اليها زيادة ولا ينمو وهو في حاق النسبة فان النمو والازدياد في الحجم ليس مما يعرض لميلها من الصور الطبيعية التي ليست مقدارا ولا اعراضا من الاعراض الذاتية للمقدار ولا المقدار نفسه ينمو فانه كما كان

في

في نفسه والزيادة لم تجعله اعظم بل احدث مجموعا منه ومنها عظيما واما الصورة الشكلية فهي التي تنمو اي ان كل جزء من الصورة تغير اعظم مما كان ولا كذلك المادة ولا المقدار فالمتحرك اولا هو النوع وحركته هي في صورة الشكل والخلقة وبوساطة المادة ثم المقدار الثاني فالنوع هو النامي اي هو الزايد في مقدار خلقته بسبب مادته ومقدارها فهكذا ينبغي ان تعقل امر النمو والمنمي هو المقدار فهو غذاء ومنم وهو غذاء من جهة ما هو شبيه للشيء بالقوة يقوم بدل ما يتحلل منه وهو منم من جهة ما لم مقدار يزيد في مقدار النامي والغذاء هو الذي يقوم بدل ما يتحلل منه وهو بالاستحالة الى نوعه فقد يقال له غذاء وهو بعد بالقوة مثل الحنطة وقد يقال له غذاء اذا لم يحتج الى غير الالتصاق والانعقاد فقط وقد حصل له التشبه في الكيف وقد يقال له غذاء وقد غذا وصار لحما والغذاء ثم منفعته في كونه غذاء بان يتشبه ويلتصق فاما بدل ما يتحلل فان لم يتشبه كمادة البرص كان غذاء لا في كمال احواله وان يتشبه ولم يلتصق كمادة الاستسقاء الزقي لم يكن غذاء بالفعل نافعا في كمال احواله بل يجب ان يتشبه ويلتصق معا ثم تغذو غذاء طبيعيا والغذاء بالمعنى الاول اعني المتشبه بالقوة هو جوهر لا محالة فانه يستحيل ان يكون غير الجوهر جوهرا بالقوة ويجب ان يكون جوهرا غير ممتنع عن ان يكون له مقدار طبيعي والا لم يكن عنه جسم طبيعي فلا يخلو اما ان يكون له ذلك بالفعل عند ما هو شبيه بالقوة او يكون بالقوة فان كان بالقوة فهو هيولى مجردة ويستحيل قوامها الا مقارنا لصورة جسمانية وهي اذن تكون مقارنة لصورة جسمانية

وتلك الصورة الجسمية يزول عند قبولها هذه الصورة ولا يطول
الكلام في بيان ان تلك الصورة يكون صورة جسمية له لا لغيره
والا لكان هذا الهيولى هيولى اخرى في صورة واحدة وصار جسمان
في جسم وغير ذلك فليس الى ذلك للمحصلين حاجة بل يكفينا ان
نعلم ان تلك الهيولى لما قارنتها صورة جسمية قبل هذا فقد كانت
الجسمية موجودة لها قبل وكان الشبيه بالقوة جسما بالفعل ولا يجوز
ان يكون الجسم الكلي العام فان ذلك لا وجود له الا في الوهم
بل هو جسم ما شخصي فقد اكل جسم شخصي جسم شخصي ومبدء احالة
الغذا موجود في المغتذي لان القوة المشبهة موجودة فيه ومبدء
النمو وهو الذي يلتصق بالنامي ما هو يزيد في كمية هو ايضا في النامي
لكن كمية الغذا شيء يصير ايضا كمية المغتذي اكبر فهو ايضا مبدء للنمو
وهو في الغذا وقد يتفق ان يكون الذي به يقع النمو محللا وذلك اذا
لم يقدر القوة المشبهة ان يكمل تشبيهه في جوهره وكيفيته
او يكون اول ما يرد يؤثر في البدن ثم يكر عليه البدن فيؤثر فيه و
يحيله اذا كان قد استرخت قوته في موافقة من المغتذي مثل
النوم فانه يغذو النامي ويسخنه معا والمربي بالفعل شبيه بالفعل
والمربي الذي هو بعد غذا لم يستحل شبيه بالقوة وربما كان ضدا
او متوسطا وربما لم يكن ضدا فان الحنطة ليست ضدا للدم وانما
هي غذا من طريق ما هي حنطة لا من طريق ما هي حارة وباردة فقط
فليكن هذه كافيا فيما يجب ان يقول من امر المربي والمنمي و
هو الغذا من حيث لم مقدار يريد فيما يغذو فحري بنا ان ننتقل

الان الى ايضاح القول في الاستقصات وعددها **فصل في ابانة
عدد الاستقصات** وقد سبق منا القول انه لا يصح ان يكون
الاستقص واحدا وكيف يكون ذلك وقد علمت انه لا يصح ان يكون
ما هو في جوهره ماء نارا او نار ماء او ارض هواء او هواء ارضا وكيف يكون
ذلك وههنا فعل وانفعال بقوى متضادة لا تنبعث عن صور متفقة بل
انما ينبعث عن صور مختلفة والصور المختلفة يستحق تنوعات مختلفة
ولا فضل لصورة على اخرى حتى يحتمل تركيبها مع العنصر استقصا بالتخصيص
دون غيره واذ هذا من المتضح الذي لا شك فيه متضح لا شك فيه ان
الاستقص ليس بواحد فهو اذن كثير ومعلوم انه ليس بكثير غير متناه
فبقي ان يكون الاستقصات كثيرة متناهية وينبغي ان يكون ذات صور
يصدر عنها كيفيات ثم بها فيما بينها فعل وانفعال حتى يكون
استقصات يكون منها المركبات بالامتزاج وان يكون الكيفيات
الصادرة عنها اقدم الكيفيات المتفاعلة ولانها استقصات لهذه
الاجسام المحسوسة ليست استقصات للاجسام الموهومة فيجب ان
يكون الكيفيات التي تخصها كيفيات محسوسة ومن شان الحاس ان
يشعر بفعلها فيه والكيفيات المحسوسة منصفة مع نصف الحواس
لكن الكيفيات التي تخص حس البصر كالالوان او حس السمع كالاصوات
او حس الشم كالروايح او حس الذوق كالطعوم ليست من الكيفيات
الاولى في هذه الاجسام العنصرية ولا من المشترك فيها فان المركبات
انفسها قد توجد خالية عن اطرافها ووسايطها وانما يحدث في المركبات
بعد تفاعل يقع منها في كيفيات قبلها وهذا يدل على ان الاسطقسات عرية

واما الكيفيات الملموسة فلا تخ عنها وعن وسايطها جسم من الاجسام المستقيمة
الحركة ولا جسم منها الا وطرف من اطراف مضادتها موجود فيه او ضده
او هو قابل له او لضده فينبغي ان تكون الفصول الاولى للاجسام الاولى منها
محصلة بهذه الكيفيات دون الطعوم والروايح والالوان واما الكيفيات
الاخرى المتقدمة لساير الكيفيات مما لا يحس احساسا اوليا باللمس مثل
الشكل ومثل الخفة والثقل واشيا سنعدها فانها لا يفيد الفصول التي
نحن في طلبها اما الشكل فلان الطبيعي منه متشابه في البسايط فلا يفصل
ولو كان مختلفا ايضا لما صلح ان تقع به فعل وانفعال والقسري ابعد من
ذلك واما الخفة والثقل فبالحري ان تفيد الفصول للاجسام الاستقصية
لكنه لا تفيد ولا واحد منهما الفصل الذي هو به استقص فان الفصل
الذي به الاستقص استقص هو الذي به تفعل وينفعل الفعل و
الانفعال الذي يتم به المزاج وذانك في الكيف لان الاستقص انما
هو استقص للمزج ولا فعل ولا انفعال في باب الكيف يصدر عن
الخفة والثقل وانما يوجب الخفة والثقل بالذات انفعالا في الحركة
المكانية ويجب ههنا ان تذكر ما سلف من قولنا ان الماء مثلا ليس
كونه ماء هو كونه استقصا وليس كونه استقصا هو كونه جزء من العالم
وذلك لانه في نفسه ماء وله قياس الى تقويمه العالم وقياس الى
تقويمه المركب ومن حيث هو ماء يجب ان يكون في طباعه ان يرجحن وان
يكون باردا رطبا اذا لم يعق ومن حيث هو جزء العالم فلا نفع له الثقل
المحصل في حيزه الطبيعي وهو الاعون له على استكمال معنى كونه
جزءا من العالم ومن حيث هو جزء من المركب واستقص فلا تغين فيه

الثقل

الثقل له ولا الخفة التي له اللذان بهما يصير الى موضعه كل المعونة بل
كانهما ناقصان منا قصة ما للمنفعة المطلوبة في الاستقص من حيث
هو استقص فان الاستقص عند كونه استقصا انما يكون الاولى به
مفارقته لمكانه الطبيعي ويصير الى مشاكلة اضداده بل انما يكون الانفع
له والاعون ان كان ماء ان يكون باردا رطبا يفعل بهما وينفعل حتى
يستفيد المزاج وان كان نارا قصد ذلك وهو ان يكون حارا يابسا واما
ثقل ذلك وخفة هذا فقليلا النفع او مضادا النفع فيما يحتاج اليه من
المزاج لانهما يدعوان الى التباين والتبادي لا الى الاجتماع والتلازم
ولا لهما في الاجتماع تاثير في المجتمع سار فيه وكذلك ان كانت من الكيفيات
كيفيات مثل الثقل والخفة لا ينفع في الفعل والانفعال فلا تكون
داخلة في الفصول التي بها يصير الاجسام البسيطة استقصات من
حيث يصير استقصات ثم ان الكيفيات المنسوبة الى اللمس مختلفة
المراتب فليس كلها في درجة واحدة بل بعضها اقدم من بعض ويشتمل
على جملها هذا التعديد وذلك ان الكيفيات الملموسة هي الحرارة و
البرودة والرطوبة واليبوسة واللطافة والغلظ واللزوجة والهشاشة
والجفاف والبلة والصلابة واللين والخشونة والملاسة واللطيف يقع
على معنيين احدهما رقة القوام والاخر قبول القسمة الى اجزاء صغيرة جدا
والغلظ يقابلها ويشبه ان يكون التخلخل مشابها للطف بالمعنى الاول
الا ان التخلخل يستدعي معنى زايدا على الرقة وان كان تابعا له حتى تكون
الرقة يدل عليه دلالة الملزوم والتخلخل يدل عليه دلالة المتضمن وذلك
لان التخلخل هو اسم واقع على معنيين احدهما ان تكون المادة انبسطت

فى الكم من قصر فيتضمن هذا المعنى مع الرقة ازديادحجم ويكون فيه اضافة الى
شيء احر او غير يكون اصغر حجما اما الاحر فكالما للهوا واما الغير فكالماء الواحد
لنفسه اذا كان اشد تكاثفا فصار اشد تخلخلا ولو لم يكن هذه الاضافة
لكان الاولى بالمعنى اسم اللطافة والرقة ويقع تخلخل لتباعد اجزاء الجسم بعضها
من بعض على فرج يشغلها ما هو الطف من الجسم ويكون جملة الاتصال
بينها لم يفقد بل بين اجزائها تعلق ثابت فلا يسرى بعضها من بعض بروزا
تاما وهذا غير مشتغل به فى هذا العرض لكن اللطيف والمتخلخل على اول
الوجهين وفيه الكلام غير نافع فى الفعل والانفعال الا بالعرض و
هما جاريان مجرى الخفة والثقل ويكادان يلازمانها حتى ان كل ما
هو اثقل فهو اغلظ واشد تكاثفا واما اللزوجة فانها كيفية مزاجية
لا بسيطة وذلك ان اللزج هو ما يسهل تشكله باى شكل اريد ويعسر
تفريقه بل يمتد متصلا فهو مؤلف من رطب ويابس شديدى الالتحام
والامتزاج فاذا غلبه من الرطب واستمسك كثر من اليابس وانك اذا احدث
ماء وترابا وجهدت فى جمعها بالدق والتخمير حتى اشتد امتزاجهما حدث
لك جسم لزج والهش الذى يخالفه هو الذى يصعب تشكله ويسهل
تفريقه وذلك لغلبة اليابس فيه وقلة الرطب مع ضعف المزاج و
اما البلة فمعلوم ان سببها رطوبة جسم رطب يمازج غيره فان ههنا رطب
الجوهر ومبتل ومنتقع فرطب الجوهر هو الجسم الذى كيفيته الرطوبة
مقارنة لمادته ويكون كونها لركونا اوليا مثل الماء واما المبتل فهو الذى
انما يرطب برطوبة جسم غيره تلك الرطوبة ولذلك الجسم اولية لكن ذلك
الجسم قد قارنه فقيل انه مبتل فيصلح ان يخص باسم المبتل ما كان هذا

الجسم

الجسم جاريا على ظاهره ويصلح ان يقع على التعميم حتى يكون المبتل هو كل جسم
يرطب رطوبة غريبة لكن المنتقع لا يكون منتقعا الا ان يكون الرطب الغريب
جرى فيه ونفذ الى باطنه فالمنتقع من الوجه الاول كالنوع من المبتل
ومن الوجه الثانى هو مباين له غير داخل فيه وقد يكون الجسم اليابس
رطبا ومنتقعا ولا سواء رطوبة العصر النضير ورطوبة الداوى اليابس
المنتقع فان جوهر هذا يابس وقد نفذ فيه رطب غريب وذلك جوهر
رطب فى نفسه فالجاف بازاء المبتل كما ان اليابس بازاء الرطب والصلابة و
اللين ايضا من الكيفيات المزاجية وذلك ان اللين هو الذى يقبل الغمز
الى باطنه ويكون له قوام غير سيال ينتقل عن وضعه ولا يقبل امتداد
اللزج ولا يكون له سرعة تفرقه وتشكله فيكون قبوله الغمز من الرطوبة و
تماسكه من اليبوسة واما الملاسة فمنها ما هو طبيعى ومنها ما هو مكتسب
والطبيعى لازم لكل جسم بسيط لوجوب احاطة سطح واحد به غير مختلف
الاجزاء فى النتو والانخفاض وبالجملة غير مختلفة الوضع فلا يختلف به
الاجسام البسيطة لكن الملاسة قد يعتبر فى طبيعة الاجسام من جهة
اخرى وذلك ان من الاجسام ما يسهل تفريقه على الملاسة حتى يكون
تمليسه سهلا على اى تفريق كان فيكون الفصول التى تقع فيها
اما ملسا واما سهل الحركة الى الملاسة وهذا يتبع رطوبة جوهر الشيء
والخشونة فى الجملة تقابل ذلك فالملاسة والخشونة فى لا تدخلان فى
الفعل والانفعال وبعد ذلك فالطبيعى لا يختلف به الاجسام و
المواتى والعاصى يتبع الرطوبة واليبوسة التى فيه فيرجع اكثر هذه الاشياء
الى الرطوبة واليبوسة لكن الرطوبة قد يقع للبلة وقد يقع للكيفية

وكلامنا في رطوبة الكيفية وتبع بعض الاجسام الرطبة الجوهر امر وهو
الملاصقة والملازمة لما يماسه من جنسه كما للماء حتى ان الجمهور يظنون
ان الرطوبة حقيقتها هذا لكنهم يشاهدون ان الجسم كلما كان ارق كان
اقل التصاقا واستمساكا بما يلامسه وكلما كان اغلظ كان اشد واكثر ملازمة
والماء اللطيف الجيد اذا غمز فيه الاصبع كان مما يلزم من الماء الغليظ والدهن
او العسل فاذن هذه الخاصية لا يلزم الجسم من جهة ما هو رطب مطلقا و
الا لكان ما هو ارطب وارق من الرطوبات اشد لزوما والتصاقا بل هذا
لازم للكثافة والغلظ اذا اقترنا بالرطوبة بل يبقى للرطوبة سهولة التحدد
بغيره والتشكل بغيره مع سهولة الترك وضعف الامساك كما ان اليابس
يلزمه الثبات على ما يوتاه من الشكل مع معاوقه في قواه فيجب ان
نحقق ان الرطوبة هي الكيفية التي بها يكون الجسم قابلا النحو الاول الثاني
من القبول فلا يستبعد ان يكون الهواء رطبا وان كان لا يلتصق اذ الالتصاق
ليس لكون الشيء رطبا بل للغلظ فصار ماء صار ارضا على صفة الملازمة
والالتصاق فالكيفيات الملموسة الاولى هي هذه الاربعة اثنتان
منها فاعلتان وهما الحرارة والبرودة ولكونهما فاعلتين ما يحدان بالفعل
بان يقال ان الحرارة هي التي تفرق بين المختلفات وتجمع بين المتشاكلات
كما يفعله النار والبرودة هي التي تجمع بين المتشاكلات وغير المتشاكلات
كما يفعل الماء واثنتان منفعلتان وهما الرطوبة واليبوسة ولكونهما
منفعلتين ما يحدان بالانفعال فقط فيقال ان الرطوبة هي الكيفية التي بها
يكون الجسم سهل الانحصار والتشكل بشكل الحاوي الغريب و
سهل الترك له واليبوسة هي الكيفية التي بها يعسر انحصار الجسم وتشكله

من غيره

من غيره وبها يعسر تركه كذلك فان الجسمين الرطبين يسهل اتصالهما
مع التماس ويصعب او لا يمكن تفريقهما عن التماس المحفوظ الى ان
يفترقا بل عن الاتصال بسهولة جدا واليابس بالخلاف من ذلك فلهذا
ما يسمى باتك فاعلتين وهاتان منفعلتين وان كان الحار والبارد كل واحد منهما
ينفعل بالاخر كما ينفعل فيه وكذلك كل واحد من الرطب واليابس يفعل
في الاخر وينفعل منه لكنه اذا قيس الحار والبارد الى الرطب واليابس
وجد الرطب واليابس لا يوثران فيهما ووجدا يوثران في الرطب واليابس
كما نعلمه بعد من حال الحل والعقد وغير ذلك فهذه الاربعة
هي الاوائل ويتركب منها ازواج اربع صحيحة فيكون من
الاجرام البسيطة جرم يتبع طبيعته كيفية الحرارة واليبوسة واخر يتبع كيفية الحرارة و
الرطوبة واخر يتبع طبيعته كيفية البرد والرطوبة واخر يتبع طبيعته كيفية
البرد واليبوسة فيكون هذه هي الاستقصات والارض هو الجسم الظاهر من
امره انه بسيط يابس وبمخالطته يكون كل جسم يابسا والماء ظاهر من امره انه
بسيط بارد رطب وبمخالطته يكون غيره باردا رطبا والهواء ظاهر من امره
انه بسيط رطب والنار ظاهر من امرها انها بسيطة حارة لكن الارض في
طبعها البرد ايضا وذلك لانها اذا تركت وطباعها وازيل عنها تسخين الشمس او
سبب اخر وجدت باردة اللمس وانما يسخن بسبب غريب وكيف لا و
الثقل لا يوافي الحرارة وجميع الاجسام الغالب فيها الارضية يبرد الابدان
والهواء اذا ترك وطباعها ولم يبرد بسبب مخالطة ابخرة يزول عنها الحرارة
المصعدة ويعود الى طبيعته الماء كان حارا وكيف لا يكون كذلك والماء اذا
اريد ان يحال هواء سخن فصل تسخين فاذا استحكم فيه التسخين كان هواء واما

النار فانها ليست سهلة القبول للاشكال بل هي منحصرة بذاتها فهي يابسة
لكن اثبات حر الهواء وبين النار وخصوصا يبس النار فايضاح القول فيها
يصعب وسياتي فيه بالممكن وقد قيل ان اللهب والغليان لما كان كل
واحد منهما حرارة وكان الجمود افراط برد وكان الجمود البارد الرطب فكان اللهب
والغليان خاصة الحار واليابس وهذا قول ليس افهمه حق الفهم وعسى ان
يكون عند غيري تحققه وتفهمه وذلك لان الغليان فليس افراط حر بل
ان كان ولابد فهو حركة تعرض للرطب عن الحر المفرط ولا اللهب افراط
الحر بل اضاءة تعرض عن افراط الحر في الدخان فان سمي اشتداد الحر لهيبا
فلا مضايقة فيه والجمود ليس افراط برد بل اثر يعرض من افراط البرد لا في كل جسم
بل في الرطب ولا الجمود ضد الغليان لان الغليان حركة الى فوق
وتضادها الحركة الى اسفل اذا كانت نصفه فاما الجمود فليس بحركة
وهل الواجب ان يجعل الجمود اجتماع المادة الى حجم صغير مع عصيان
على الحاصر المشكل والغليان انبساطها الى حجم كبير مع وفق و
طباعة بحصر المشكل فان كان كذلك كان الخلاف بينهما ما بين
التكاثف والتخلخل ولم يستمر ما يقولونه ثم ليس مما يجب ضرورة ان يكون
الضد تعرض للضد فان الاضداد قد يشترك في امور منها الموضوع و
قد علمت في كتب المنطق ان مثل هذا الكلام كلام مقنع لا محقق و
جدلي لا برهاني ويشبه ان يكون لما يشككت به على هذا القول جواب
لكني لم احصله بعد ولم افهمه فالاولى ان نشتغل بتبيين يبس النار و
نجعل الطريق اليه اثبات انها لا يقبل الحصر والتحديد ويكون بيانها
انها لا يقبل الحصر والتحديد لا من جهة المحسوس وذلك لان النار

المحسوسة

المحسوسة غير صرفة ومع ذلك فانه يعرض للاحساء في غير مواضعها الطبيعية ان
ان لا يحفظ اشكالها المواسر للحركة كالماء المصبوب في الصابه بل ...
سا سا ذلك نضرب من القياس وهو ان النار لا نشك في انها حارة فلا تخ
اما ان يكون رطبة او يابسة لا تسهل طباعها للحصر من غيرها فان
كانت حارة رطبة فهي من جوهر الهوا وان كانت من جوهر الهواء لزم ان
يكون مكانها مكان الهواء فيلزم ان لا يكون النار هاربة عن حيز الهواء الى
حيز اخر فهي اذن حارة يابسة وقد يقول على هذا قائل ان الهواء اذا سخن
نفسه ارتفع عن حيز هذا الهواء المعتدل الحر والبخار ايضا يرتفع ويطلب
مكانا فوق مكان الهوا وهو بعد اشبه بالما من الهوا بالما وانما يصعده الحر
المفرط فالحر المفرط هو سبب ان يكون النار هاربا عن حيز هذا الهواء
الذي ليس حره بمفرط وان كان من طبعه كالماء الذي هو دونه في
المكان اذا سخن فانه يهرب عن موضع الماء والهواء جميعا هاربا الى فوق
وكالهواء نفسه اذا سخن فما كان من الهواء اسخن من ساير الهواء فهو هارب
من حيز المعتدل بسخونته فنقول مجيبين ان الحيز المطلوب اذا كان من
طبعه الحيز المهروب عنه لا لمخالفة فطلب ذلك والهرب عن هذا مح
وان كان ليس من طبعه فهو لا محالة حيز لغير الهوا وليس يمكن ان
يكون حيزا الا المفرط الحرارة اذ كان هذا التصعد انما يتصعد لانه
مفرط الحرارة حرا عن حيز الهواء ولا شك ان ذلك هو حيز النار فيكون
النار غير الهواء في الطبع والهواء المتسخن هو يطلب غير حيز الهواء كما ان
الماء المتسخن يطلب غير حيز الماء ولكن ذلك الحيز حيز لجرم اخر لا محالة
بالغ فيه الكيفية المصعدة للهواء والماء عن حيزهما وليس شيء

منها طلب حيز نفسه وفي طلبهما حيزا اخر اثبات حيز اخر لجسم اخر وهو النار
وليس يجوز ان يكون الحيز واحدا الا ان الاسخن يطلب منه ما هو ارفع
وذلك لان هذا الارفع انما يتحدد بحد جسم شامل او حد جسم مشمول ان
لا وجه لاثبات الخلا ولا لاثبات الابعاد فان كان ذلك الارفع و
الادون يتحدد بتحديد جسم شامل متعين او مشمول متعين ليس هو حد
جسم شامل للادنى او مشمول في الادنى والارفع والادنى مكانان
مختلفان فلهما جسمان بالطبع مختلفان وان كان يتحدد لشامل واحد في
الطباع فلا مكان ارفع وادون بل المكان ذلك او اجزاؤه ان احدب على
التوسع واجزاؤه متفقة في القرب والبعد والعلو والسفل فتبين من هذا
ان النار حارة يابسة لكن سلطان النار الحرارة وسلطان الما البرودة و
سلطان الهوا الرطوبة وسلطان الارض اليبوسة وبالحري ان يكون
الما والارض بالقياس الى الهواء يابسين فان البرد يقتضي الجمود و
التكاثف ولولا الحرارة الخارجة لكان الما جامدة لكنه بالقياس الى الارض
رطب اما سيال بذاته واما شديد الاستعداد للسيلان من ادنى
سبب خارج والبرد الذي يحدث الما ان اردت الحق وتركت
العادات فليس الا بردا مستفادا في الهوا من الارض والما فاذا صار
الهوا بحيث لا يسيل الما استولت طبيعة الما والارض وعاونهما الهواء
على الماء اما بالتبريد واما بازالة التسخين فحمد من الماظاهره اولا لاحتقان
الحار في باطنه ثم لا يزال يحمد حتى يستولي الجمود على جميعه لطبيعة البرد
الذي اولى العناصر به الماء واولى الاثار به الاجماد وطبيعة الماء و
الارض هما اللذان يحدثان بردا في الهواء بعود ذلك البرد معينا الطبيعة

الماء

الماء على احداث كيفية البرد في نفس الهواء الماء على قدر ما يتادى
الى الاجماد فالنار والهواء بالقياس الى الجامدات متخلخلان رطبان
لكن النار بالقياس الى الهواء يابس لانه ابعد من قبول التشكل و
الاتصال مع المماسة من الهواء فهذا هو الحق الذي يجب ان تعتقد ان
ذكره من تحقيق ذلك فيما يستقبلنا من الكلام ههنا شكوك

فصل في ذكر شكوك يلزم ما قيل بالحري ان يتبع هذا الفصل بذكر
شكوك لم يعرض لها ثم نعقبها بالكلام الفصل من ذلك امر حدود
الكيفيات الاربع ورسومها فان الحرارة ليست انما تفرق المختلفات
بل قد تفرق المتشاكلة كما تفعل بالماء فانها تفرقه تصعيدا او
ايضا فان النار قد تجمع المختلفة فانها يزيد بياض البيض وصفرتها
فلا زما بالحقيقة فلا واحد الفعلين لها فعل اول وذلك لان فعلها
الاول تسييل الجامد من الرطوبات بالبرد وتحليله ثم تصعيده و
تبخيره فان كان المجتمعات مختلفة في قبول التحلل والتبخر بان كان بعضها
اسرع فيه وبعضها ابطا او كان بعضها قابلا وبعضها غير قابل عرض
من ذلك ان يبادر بسدد الاسرع دون الابطا والقابل دون غيره
القابل الى التصعد والتبخر فعرض منه الافتراق ولو كانت هذه الاشياء
متشاكلة في الاستعداد لهذا المعنى لم يكن للنار ان يفرق
بينها وايضا فان الحار تفعل في البارد والبارد في الحار وكذلك
الرطب يفعل في اليابس واليابس في الرطب ولا تفعل الرطب في
الرطب ولا اليابس في اليابس واذا كان الحار والبارد تفعل
كل واحد منهما في الاخر وكل واحد منهما ينفعل عن الاخر

وكذلك الرطب واليابس فليس احد الطرفين اولى بان يخص بالفعل من
الاخرى والاولى من ان يخص بالانفعال من الاخرى ومن ذلك
الشك في امر النار ويبسها والهوا وحره والارض وبردها فان لقائل ان
يقول انه ليس يجب ان يكون جميع ما يوجبه القسمة ولا ينكره العقل
في اول النظر حاضرا موجودا فعسى ان لا يمكن ان يكون شئ هو حار
رطبا او شئ هو بارد يابسا ليس لان العقل وحده يمنع عن اجتماع
الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة منعه عن اجتماع الحار والبارد
والرطب واليابس لكن لامر ليس يعقل بديهة فان ههنا امورا لا يمنع
الازدواجات عن وجودها ولا بديهة العقل ويمنع الحق وجودها فانه
ليس يمنع في اول العقل ان يكون حار بالطبع في غاية الثقل وليس هذا
بموجود البتة ولو كانت القسمة يعتبر ويلتفت اليها لكان يجب ان
يقول ان من العناصر ما هو حار يابس خفيف ومنها ما هو حار يابس
ثقيل ومنها ما هو حار رطب خفيف ومنها ما هو حار رطب ثقيل
وكنا نحكم ان كل ما لا يمنع القسمة الجمع بينه كما بين الحرارة
والثقل في اول العقل فان المستحصل منه بالقسمة موجود في
الاعيان فكما ان الثقل لا يخالط الحرارة مع كونه غير مضاد للحرارة
ولا مقابل ولا محكوم عليه بضرورة العقل انه مناف فكذلك
يجوز ان يكون الرطوبة واليبوسة لا يخالط الحرارة او لا يخالط البرودة
فيكون في الموجود نقص من المقسوم ومع هذا فلم يسنوف اصحاب
هذه القسمة قسمتهم بل نحوا القسمة ههنا وذلك لانه لا يخلو اما ان
يكون الحرارة او البرودة او الرطوبة او اليبوسة الاستقصية لا يكون

الا خالصة صرفة و وجب ان لا يكون حرارة استقص اقل من حرارة
استقص اخر فان الذي هو اقل حرارة وليست حرارته خالصة بالقياس
الى حرارة ما هو اشد حرارة بل الاقل حرارة يكون بالقياس الى الخاص
حرارة فاترا او باردا وان كان قد يكون في الكيفيات الاول
كيفية غير خالصة ويكون منها ما هو دون النهاية فقد حصل
ههنا قسم قد ضيع وذلك ان اول المزاوجات حتى لا يكون اربعة بل
يكون اكثر من ذلك فيكون حار وبارد ومتوسط او منكسر ورطب و
يابس ومتوسط او منكسر فينبغي ان تتحد المزاوجات من ثم فيكون في
الازدواجات اكثر من العدد المذكور ثم يكون الهوا مثلا رطبا
معتدلا في الحر والبرد والنار حارا معتدلا في الرطوبة واليبوسة و
الارض يابسا معتدلا في الحر والبرد وعسى ان يكون ههنا عناصر
اخرى منها ما هو بارد معتدل في الرطوبة واليبوسة ويكون حار
رطب غير الهوا وكانه البخار او شئ اخر وبارد يابس غير الارض و
كانه الجمد او شئ اخر وحار شديد اليبوسة وكانه الدخان او شئ
اخر ثم من الواجب ان ننظر في امر النار التي يدعى انه تحت الفلك و
انها في هذا الجو ولكنها شديدة الحر حتى انها تحرق ما يصل اليها هل
لها تلك الحرارة من جوهرها او يعرض لها بسبب تحريك الفلك
فان كان بسبب تحريك الفلك في جوهر ذلك الجسم في نفسه
الذي عرض له ما عرض فان كان جوهره هوا لكنه سخين فيشبه ان يكون
نسبة النار الى الهواء بعينها نسبة الجمد الى الماء فلا يكون مفارقة له
بالفصل بل يكون مفارقته له بعرض من الاعراض وان كان الحق ما

بدعنه قوم من انها فانرة ولا محرق فيما اذا يصادف الجو واما النار التي عندنا فهو بالاتفاق غير تلك النار فان كانت هذه التي عندنا تلك و قد عرض لها اشتداد في الحر للحركة واضاءة للاشتعال في الدخان فيما داخالف الهواء حتى ينسل عنه ويطفوا عليه حادة في الحركة المسخنة فيسخن لذلك وان كان معنى النار في هذه غير معنى النار هناك فهذا اما استقص واما مركب فان كان استقصا فقد زاد عدد الاستقصات وان كان مركبا فلم صار المركب في كيفية اقوى من البسيط ولم صار الحر يصعد ما مكانه الطبيعي هو السفل كما يصعد الما والدخان وفيهما طبيعة مهبطة لكنها تغلب بهذه الكيفية ثم البرد لا يفعل ضد ذلك في اهباط النار وهل يجوز من هذا ان يق ليست النار الا هوا سخن جدا فهو يرتفع عما هو ابرد منه وليس العنصر الا الهواء والماء والارض فالمسخن من الهوا نار والمسخن من الماء بخار و المسخن من الارض دخان وكل مسخن فانه يصعد الى فوق لكن مسخن الهوا هو شيء في طبيعته قوى البرد سريع اليه التبرد فيقصر عن مسخن الارض الذي هو اقل بردا في الطبع وابطأ وكلاهما يقصر عن مسخن الهوا الذي طبعه اما معتدل واما الى الحر فمسخن الهوا يسبق ذينك الى الحيز الذي ليس فيه الا الهوا المسخن جدا بالحركة حتى هو نار هذا وايضا لم لا نقول ان الاجسام التي تحت الفلك كلها جسم واحد من مادة و صورة موجب الكون تحت الفلك ثم يعرض له بعد ذلك هذه الكيفيات فما يلي الفلك ويكون تحت الحركة يلطف ويسخن بسبب من خارج لا من جوهره وما يبعد ويكون حيث السكون يبرد ويثقل بضد ذلك

البرد

السبب فيعرض من ذلك ان يختلف ذلك الواحد اختلافا بكيفيات يعرض له من خارج لا من طبيعته وصورته هي التي صار بها جسما طبيعيا متحيزا في ضمن الفلك لا يقتضي طبعا غير ذلك الوضع ومما يحق ان يورد شكا على ما قيل في اثبات هذه الاربع ان الخلوص الى اثبات الكيفيات الاربع المذكورة حتى ظن بسببها ان المزاوجات اربع وان العناصر كذلك اربعة انما كان بسبب الرجوع الى الحس وتقدم اللمس على غيره ورجوع الكيفيات الملموسة الى هذه الاربع فيجب ان يكون المعنى الذي يسمى رطوبة هو المعنى الملموس لا معنى اخر يشاركه في هذا الاسم ثم المعنى الذي يشترك فيه الماء والهواء الذي يسمى رطوبة ليس هو الرطوبة الملموسة وذلك لان هذا المعنى الذي يسمونه الرطوبة ليس وجوده في الهوا وجود الحرارة والبرودة المحسوستين في ان ههنا تين قد يجوز ان يستحيل الهوا من كل واحد منهما الى الاخر ويكون الهوا هواء فان الهواء اذا سخن وبرد لم يجب بذلك ان يكون قد استحال في جوهره واما الهوا اذا بلغ من تكاثفه الى ان يبس او من تخلخله حتى يصير نارا عندكم لم يكن بعد هواء فالهوا الحاضر الذي يسميه هوا لا بد انه المعنى الذي يسميه رطوبة الذي يشاركه فيه الما عندكم واذا كانت الحال كذلك وجب ان يكون الهواء دائما بحيث يلمس رطوبته وان كان لا يجب دائما ان يلمس حرارته او برودته اذ يا ملك تزايلانه وهذا يلازمه فلو كانت هذه الرطوبة ملموسة لكان يجب اذا كان هواء معتدل لا حار ولا بارد وكان ساكنا لا حركة فيه ان يكون اللامس يلمس رطوبته اذ الرطوبة لا يفارقه كما يلمس ما يسميه العامة

رطوبة من الماء ولو كان الهواء دائما بحيث يلمس رطوبته كان الهوا
دائما محسوسا ولو كان الهوا دائما محسوسا لكان الجمهور لا يسكون
في وجوده ولا يظنون هذا الفضا الذي بين الارض والسما خاليا اذ
لم يوجد فيه ريح او غيم او ما ينسب اليه او حرا و برد كما اذا برد او سخن
فاحسوا به على انه مؤثر في البدن بردا او حرا او ان هناك بردا وحرا
من ان سبيل هذه الرطوبة في انها ملموسة فاذا كان كذلك لم يكن
الينا على امر صحيح ثم ما معنى قول القائل ان الرطوبة سريعة كذا او
عسرة كذا و كذا وان اليبوسة بالضد في الامرين فان السريع و
العسير وما يقابلهما انما هو بالقياس الى غيره وليس له حد محدود فيجب ايضا
ان لا يكون الشيء مطلقا رطبا او يابسا بل القياس الى غيره وعلى ان صناعة
المنطق منعت ان يوجد في حدود الامور الغير المضافة معان مضافة على
انها اجزاء لحدها فهذه وما اشبهها شبه من حقها ان تحل ويشعر بها
حتى يكون القضا على الامر بحسب مراعاة جانبها فلنشتغل الان بما يجب
ان نعتمده **فصل في حل شطر من هذه الشكوك** نقول ان تحديد الامور
التي هي محسوسة بالحقيقة تحديد بحدود ناقصة واعني بالمحسوس
بالحقيقة ما ليس احساسه بواسطة محسوس او بالعرض فان تكلفنا لها
حدودا او شروح اسما فربما حددناها او رسمناها باضافات او اعتبارات
لا بد فيهما شيء بالحقيقة على ماهياتها بل امور يلزمها ولذلك من البعيد ان
تقدم على ان تحد الصفرة والحمرة والخضرة بل السواد والبياض لكنه لما
كان السواد والبياض طرفين رسما بسهولة لتاثيرهما في الابصار على
الاطلاق الذي يحتاج ان تقدر مثله في الاوساط فيعسر وذلك

التأثير بالحقيقة ليس هو مقوما الماهية السواد والبياض ولا من فهم ذلك
فهم ان الشيء سواد او بياض اللهم الا ان يكون قد احس السواد و تخيله
ثم احس هذا الفعل منه فجعله علامة له ولذلك يجب ان تعرف حال
البرودة والحرارة بالحقيقة وان الحدود التي قيلت حدود غير محققة
ولا محكمة بل انما يوقف بقياسها على افعال لها في امور من المركبات
عندنا او في البسايط والافلا اقتدار على تحديدهما تحديدا حقيقيا
وبالحري ان يكون الحرارة كما تجمع بعض المتجانسات كما في رمد الحطب و
تفرقه لكن يجب ان يفهم ما قالوه على ما اقوله ان الحرارة يفعل في الاجسام
البسيطة و يفعل في الاجسام المركبة والجسم الواحد البسيط مجتمع
فيستحيل ان يوقع ان النار يجمعه لان قولنا كذا يجمع كذا معناه اثر
يجمع ما ليس بمجتمع والبسيط المذكور مجتمع الاجزا متشاكلها واما امر التفريق
فلا يدخل له في اعتبار البسيط وذلك لان التفريق انما قيل بالقياس
الى الاشيا المختلفة فهذا الفعل المنسوب الى الحار من جمع وتفريق
انما يوقع بالقياس الى جسم فيه متشاكلات متفرقة ومختلفات مجتمعة
والجسم الذي جعل فعل الحار بالقياس اليه هو المركب القابل لفعل
النار وهذا المركب لا يجوز ان يكون اجزاؤه متشابهة الانفعال
التحريكي عن الحار فان الجسم المتشابه الانفعال عن تحريك قوة واحدة محركة
كالحار هو بسيط من حيث الاستعداد لذلك وكيف لا يكون بسيطا
ولو كان مركبا من اجزاء كانت اجزاؤه مختلفة في استحقاق الاماكن
الطبيعية الخاصية بها والحار اذا فرق فانما يفرق بتحريك يحدث في
الاجزا المختلفة ولا سوا قبول الخفيف والثقيل للتحريك الى الجهات فاذن

يجب ان يكون هذا المركب مختلف الاستعداد فيكون اول ما يستحيل
اجزائه ليستحيل بالسخونة وكل جزء اسرع فيه التسخين كان اسرع الى
التصعد فيعرض ان ينفصل بعض الاجزاء الى حيز العلو اسرع وبعضها
ابطأ او لا يقبل بعضها ما يتصعد به فليس كل الاجسام يقبل التصعيد و
التبخير بالذات نعم قد يتفق ان يكون مما لا يقبل التصعيد مخالطا لما يتصعد
مخالطة شديدة فيسوق تصعيد الحار بما يخالطه تفريقه بينهما ويكون
المتصعد اغلب فيصعد ذلك الاخر تبعا له واذا فعلت الحرارة هذا
الفعل عرض ان تفاصلت المختلفات ضرورة وصار كل الى حيز واحد
يليق به فيجتمع فيه وان كانت رطبة الجواهر قابلة للاتصال بسهولة كان
اجتماعها اتصالا وان كانت يابسة لا يتصل بسرعة كان اجتماعها حصولها
في حيز واحد وان لم يكن اتصالا على ان النار في قوتها ان يسيل
اكثر الاجسام حتى الرماد والطلق والنورة والملح والحديد تسيل اذابة
وخصوصا اذا اعينت بما يزيدها اشتعالا كالكبريت والزرنيخ و
الاملاح الحادة واما ما ظن من ان النار يفرق الماء فليس كذلك فان النار
لا يفرق الماء ماء بل اذا احال حرا منه هواء فرق بينه وبين الماء الذي
ليس من شانه طبعه ثم يلزم من ذلك ان يختلط بذلك الهواء اجزاء مائية
فيتصعد مع الهواء ويكون مجموع ذلك بخارا على ان من الناس من ظن
ان البخار هو طبيعة اخرى غير الماء والهواء وغير المختلط منهما واما ما
يتعلق به من عقد البيض فليس عقده جمعه بل هو احالة في قوامه
ثم ان النار سيفرق ذلك عن قريب يعرف ذلك اصحاب الحيل
واما الذهب فانه ليس لا يفرقه النار اذا اذابه لانه متشابه الجوهر ولا

لانه

لانه متشابه الانفعال ولا لان النار من شانها ان لا يفرق المركبات ولكن
لان الامتزاج في جوهر الذهب والتلازم بين بسايطه شديدان
جدا فكلما مال شيء منه الى التصعد جذبه المايل الى التحدر فيحدث من
ذلك حركة دوران وغليان فيكون النار قد اوجب تاثيرا مختلفا
لكن هناك عايق اخر فالامور التي ينسب الى القوى والكيفيات
الطبيعية وخصوصا العنصرية ينسب اليها بشرط ان لا يكون عايق
فان الخفة انما يقال لها انها تصعد بشرط ان لا يكون عايق والثقل كذلك
انما يقال له ينزل بشرط ان لا يكون عايق ومانع فكذلك الماخوذ في حد
النار من تفريق كذا ومن جمع كذا واما ما قيل في حدث الفعل و
الانفعال فلعمري ان الاعتبار اذا توجه نحو الاضداد كانت متفاعلة
وكانت نسبة الحار الى البرد في الفعل والانفعال قريبا من نسبة الرطب
الى اليابس في الفعل والانفعال وان كان لقائل ان يقول ليس
يجب ان يكون الاضداد كلها متفاعلة بل من الاضداد ما يتبع
اضدادا اخرى مثل الابيض والاسود فان اللون الابيض لا يحيل
الاسود الى البياض ولا بالعكس بل بالمخالطة فيكون استحالتها
مانعة لاستحالة الحال في اضداد قبلها ولا يبعد ان يقول يشبه ان
يكون الرطب واليابس من ذلك القبيل فانا لم نشاهد رطبا رطب
اليابس او يابسا يبس الرطب بالاحالة دون المخالطة اما الرطب
فبلا واما اليابس فتنشفا واما الحار والبارد فيفعل احدهما في الاخر
بالاحالة من غير ان يتغير الجوهر في نوعه اصلا كما قد صححنا من احالة
الحار للبارد انه ليس كله على سبيل تفرد ومخالطة فيشبه على قول

هذا القائل ان يكون استحالة الاجسام البسيطة فى الرطوبة واليبوسة
تابعة لاستحالة اخرى او الكون وفساد ولا يكون للرطب ان يحيل الى
اليبوسة من غير فساد الجوهر او من غير استحالة تتقدمهما ولا لليابس ان
يحيل الى الرطوبة من غير فساد او استحالة كما للحار ان يحيل البارد والبارد
ان يحيل الحار وغير ذلك فان الما اذا صار ارضا لم يكن لاستحالة اولية
فى رطوبة ويبوسة بل لاستحالة الصورة الجوهرية التى تتبعها الكيفيات
على ما بينا فيكون لما استحالت الصورة الجوهرية استحال ما يتبعها بان
فاض عن الصورة الجوهرية الحادثة ضد ما كان فاض عن الصورة الجوهرية
الفاسدة كما ان الهوا اذا استحال ماء فنزل لم يكن الحركة المستفلة
حادثة عن ضد الحركة المتصعدة الاولى بل عن الصورة المعاندة للصورة
الموجبة للتصعد واما الماء اذا جمد ويبس فليس ذلك لرعن يبوسة فعلت
فى رطوبته بل عن البرد فيكون البرد هو الذى اوجب اليبس ويكون الحر
بازائه هو الذى اوجب الترطيب والتسييل فيكون هاتان الكيفيتان
منفعلتين عن الحر والبرد ولا ينفعل احدهما عن الاخر انفعالا اوليا والحر
والبرد ينفعل احدهما عن الاخر انفعالا اوليا فهذا قول ان اراد بريد ان
يدفع الشك به عسرت مقاومته لكنا نسلم ان الرطب من شانه ان يرطب
اليابس واليابس من شانه ان ييبس الرطب ونقول بعد ذلك اولا الى ان
يورد جوابا اخر ان هذا النحو من الفعل والانفعال لا يصلح ان يلتفت اليه
فى التحديدات وانما يحد القوى بافعال وانفعالات على غير هذا النمط و
ذلك لانا اذا اردنا ان يحد الرطب استحال ان ياخذه فى حد نفسه واستحال
ايضا ان ياخذ ضده فى حده وذلك لان ضده ليس باعرف منه فكيف نفسه

وانما

وانما يجب ان يوجد فى الحدود والرسوم ما هو اعرف من الشيء وايضا اذا
احد ياخذ ضده فى حده وكان ضده ايضا اذا اخذ على نحو حده حد به
واحد هو فى حده يكون قد ادرنا التعريف وعاد الامر الى تعريف الشيء
بنفسه مثاله اذا اردنا ان نحد الحرارة فقلنا هو الذى يسخن البارد يكون
قد اخذنا التسخين وهو التحرير الذى هو افادة الحرارة فى حد الحرارة فيكون
قد اخذنا الحرارة فى حد الحرارة واخذنا ايضا البارد فى حد الحرارة وكان
الحال فى جانب البارد والبرد ليس اعرف من الحر ولا الحر من البرد واذا
كان قانون الحد ما ذكرناه وكنا نحد الحرارة من حيث فعلها ذلك
الفعل الذى فى ضدها فقلنا ان الحار ما يسخن البارد احتجنا ان نقول
والبارد ما يبرد الحار فيكون قد اخذنا الحار فى حد البارد الماخوذ فى
حد الحار وهذا مردود فبين ان نحو هذا الانفعال لا يوجد فى حد
هذه القوى ولا تعريفاتها التى تناسب الحدود بل انما ينسب القوى
فى حدودها الى افعال وانفعال يصدر عنها يكون فهمها ليس دائرا
على فهم المحدود وان الحار والبارد يصدر عنهما افعال ليست نفس
التسخين والتبريد ولا دائرا عليهما وتلك الافعال مشهورة والرطب و
اليابس ليس كذلك البتة ولا يتصور الرطب الا من جهة سهولة قبول
الشكل وسهولة الاتصال وتركهما واليابس من جهة عسر قبول الامرين سهولة
وعسر التركهما وهذه الاحوال منسوبة الى الانفعال وان اريد ان
نعرف الفعل الذى لكل واحد منهما على حسب التضاد والانفعال
الذى على حسب ذلك ان سلم ذلك لم يكن تعريفا حقيقيا واما
الحار والبارد فان عرفا بالانفعال المذكور الذى يجرى بينهما لم

يكن تعريفا حقيقيا بل يجب ان يكون تعريفهما على النحو الذي قيل فالحار
والبارد يوجد لهما كيفيتان فاعلتان ليس بالقياس الى كل شيء بل بالقياس
الى هذه الاجسام المركبة المشاهدة فانها يفعل افعالا ظاهرة مما قيل
ولا ينفعل انفعالا الا عن الضد واذا قيل للرطب واليابس انفعاليتان
فليس بالقياس الى كل شيء لكن بالقياس الى هذه الاجسام المشاهدة
فانها لا نفعل فيها الا ما ينسب الى الفعل والانفعال التضادي ولا
يفعل فيها شيء اخر بل نفعل فيها بسهولة وعسر وبعد هذا فالذي يجب ان
يعتمد في هذا شيء اخر وهو ان قولنا كيفية انفعالية يعني بذلك الكيفية
التي بها يكون الجوهر مستعدا لانفعال ما اما على سهولة او على صعوبة و
نعني بقولنا كيفية غير انفعالية ما ليس بها يكون هذا الاستعداد
ويعني بالفعلية الكيفية التي بها نفعل في المستعد فعلا ما واما بالجملة فان
الكيفية نفسها لا ينفعل البتة ووحدها لا تفعل اذ لا يوجد وحدها وانما
تفعل بان تماس او يحاذي او يكون لها النسبة التي بها يصح الفعل ثم ان الحرارة
والبرودة ليستا من الكيفيات التي بها يستعد الجوهر لانفعال ما خصوصا
ما اورد في الشك وذلك لان الحار ليس استعداده للبرد لانه حار وكيف
والبرد يبطل الحر وما دام وهو حار فممتنع ان يصير باردا فالحر يمنع وجود البرد
لا ان تعدله المادة بل المادة مستعدة بنفسها لقبول البرد المعدوم فيها
لكنه يتفق ان تقارن تلك الحال وجود الحر الذي يضاد البرد وبما نعرف
يستحيل وجوده معه وكذلك حال الرطوبة عند اليبس وليست الرطوبة
انفعالية لان الرطب قد ينفعل الى اليبس وهو رطب بل بان يزول رطوبته
وهذا النمط لا يجعل الكيفية انفعالية بل نحو النمط الذي للرطوبة في

قبول

قبول جسمها التشكيل والتوصيل بسهولة فان الجوهر يقبل بالرطوبة
هذا التاثير وهو رطب ويبقى له ذلك ما بقيت له الرطوبة ومع ذلك
فان اليابس والرطب موضوعان للحر والبرد يفعل كل واحد منهما
فيه فعلا تابعا للتسخين والتبريد والرطب واليابس لا يفعلان في الحار
والبارد شيئا الا بالعرض مثل الحقن المنسوب الى الرطوبة والحقن هو اما
وجه يضطر الحار الى هيئة من الاجتماع والتشكل مضادة لمقتضى طبيعته
اذا كانت يابسة فلا يحدث الا اذا ابطلت طبيعته واما على سبيل ان لا ينفعل
الرطب لكثرته اذا قوبلت بالقوة المحيلة فلا يستحيل الى مادة يحفظ
الحار فلا يتولد حار بعد حار واذا انفصل الحاصل من الحار صاعدا لم يكن
بد و يحفظ اتصاله كما يعرض عند كثرة دهن السراج وهذا في
المركبات واذا شئت ان يحقق حال فعلية الحار والبارد ولا فعلية الرطب
واليابس فانظر ما يعرض لك من ملامسة الطفنين **فصل في حال قطعة اخرى من
هذه الشكوك** واما الشك الذي اورد بعد هذا فالجواب عنه ان ايجابنا
وجود عناصر اربعة ليس المعول فيه عليه على القسمة بل على قسمة يتبعها وجود
فان الشيء اذا اورده الفعل في القسمة ثم دل عليه الوجود لم يكن اظهر منه
وقد وجدنا الحر والبرد ملائمان الكيفيتين المنفعلتين ليس انما يلائم الواحد
منهما الرطوبة دون اليبوسة او اليبوسة دون الرطوبة فقد راينا اليابس
يسخن ورايناه يبرد وكذلك راينا الجسم الرطب يسخن ورايناه يبرد فلم يكن اجتماع
البرد مع الرطوبة واليبوسة او اجتماع الحر مع الرطوبة واليبوسة
مستنكرا في العقل المفطور وفي الوجود المحسوس اذ كانت المادة
يحتمل ذلك وكانت ازدواجات ممكنة في الوجود واما حديث

التكثير بازذ واجات من مفرط ومعتدل فنقول في جواب ان المادة
البسيطة اذا كانت فيها قوة مسخنة وكان من شانها ان يقبل السخونة
فمن الحج ان لا يسخن السخونة التي في طباعها ان يقبلها الا لعائق وذلك
لان من شان المسخن اذا لقي ما ليس فيه سخونة وهو يقبلها ان يحدث
فيه سخونة والسخونة مسخنة اذ من شان السخونة اذا لاقت مادة ان
يحدث فيها سخونة اخرى فكيف اذا كانت في نفس المادة واحتملت
المادة سخونة اخرى فهذه القوة المسخنة اذا احدثت حدا من السخونة
فبعد ذلك اذا لم يفد سخونة والسخونة الموجودة ايضا في المادة اذا
لم يفد السخونة بعد التي افادت فاما لاجل ان طباعها ليس يفيد السخونة
في القابل الا وقتا ما ومحال ما قد فرضنا القوة مسخنة بطباعها وكذلك
السخونة الحاصلة منها التي يحدث عنها سخونة فيما يلاقيها واما لان المادة
لا يقبل وقد فرضنا انها تقبل اكثر من الحد الموجود في الفاتر والمعتدل
بل يسخنها كذلك واذا كانت حارة كان امعانها في التسخين عند وجود
ما يوجب تكون السخونة اولى منها اذا كانت باردة واما العايق ونحن لا
نمنع ذلك انما نتكلم على مقتضى الطباع فان القوة المبردة في الماء يجوز
ان يعاق عن التبريد اصلا فضلا عن ان يبالغ في التبريد فربما كان العايق
داخلا وربما كان خارجا فاذ لا عايق ولا امتناع قبول المادة عن ان
يسخن زيادة سخونة عن تلك القوة بعينها وعن السخونة الحادثة فيها الى
الغاية التي من شانها ان يبلغها حادثا فيها السخونة عن السخونة التي لا حايل
بينها وبينها التي هي اولى ان يحدث فيها سخونة من سخونة خارجة فانه
فاعلة في جسم ملاق احداث الميل الطبيعي للميل بعد الميل على سبيل

الحمة

الحمة وكما قد عرفته فواجب ان يكون الامر بالغا الغاية وليس هذا كما
يعلم من حال القوة المصعدة للنار الصغيرة فانها لا يبلغ الغاية الممكنة في
الاسراع فان ذلك لعايق من خارج وهو ما فيه الحركة فانه يمنع
على الانخراق له ومقاومة فلا يقدر بتلك القوة ان يخرق فوق ذلك
معرض في فعله من العايق قصور لا يعرض لما هو اكثر واقل قوة للمقاومة
ولو لم يكن معاوقة من جهة المتوسط لكانت الحركات كلها متشابهة
كما مر لك في مواضع اخرى وكذلك لو لم يكن في الماء مقاومة للمسخن لكان
يسخن بلا فتور غاية السخونة عند لقاء المسخن فيجب من هذا انه اذا لم يكن
مانع كانت المواد المتسخنة عن القوة المسخنة الموجودة فيها يتسخن على
السوية فاذا كان بعض الاستقصات لا يبلغ الغاية في التسخن الطبيعي
عن طبيعته وليس عايق من خارج فهناك عايق من امر فيه عن طبعه وليس
يجوز ان يكون الطبيعة وحدها عايقة وموجبة فيجب ان يكون
بوساطة امر اخر يفيض عنها فيكون القوة اذا كان من شانها ان يسخن
ويرطب معا عاقت الرطوبة المادة عن ان يقبل السخونة عن تلك
القوة الى غاية الحد بل فقدت بها وكانت المادة لا يبقى رطبة اذا افرط
فيها الحر فيكون الرطوبة التي يفيض عن القوة يجعل للمادة حدا محدودا
في استعداد قبول الحرارة ولقائل ان يقول ان المادة وان كانت مستعدة
فانها لا يخرج الى الفعل الا عن قوى يقوى على اخراجها الى الفعل فان
المتوسط مستعد ايضا للانخراق الاشد والماء مستعد للتسخن الاشد
ولا يكفيه ذلك ما لم يكن قوة يقوى عليه لانه مستعد لامر عن علة
فاعلة ذات قوة محدودة فاذا كانت القوة ليس لها ان يسخن اكثر من حد او

يحرق اكثر من حد لم يكف استعداد المادة فنقول ان تصور ما قلناه
على الحقيقة يغني عن ايراد هذا الشك وذلك لان القوة اذا كان من شانها
ان يسخن ووجد القابل المستعد بلا معاوقة استحال ان لا يسخن وان
لا يقوى على ان يسخن هذه القوة بعد ان وجد من السخونة المقدرة لا يمنع
القابل عن ان يكون قابلا للسخونة وكل السخونة الموجودة فيها من شانها
ان يوجد السخونة في اي مادة لانها قابلة للسخونة ولا مانع لها فاذا كانت المادة
الخارجة يسخن عن تلك السخونة الملاقية اولى لا محالة فيجب ان يحدث عن
القوة وفي المادة بعد ما حدث عن السخونة سخونة زائدة في طباعها ان
يقبلها وفي طباع القوة والسخونة ان يحدثها لا من حيث هي زيادة
اولية بل من حيث هي سخونة فان تلك الزيادة سخونة لا شيء اخر كما
لو ان مسخنا اخر اضاف اليه لكان يفيد سخونة والقوة والسخونة من
شانها ان يوجد السخونة كل وقت لذاتها لا بسبب كان عنها
سخونة او لم يكن والسخونة التي وجدت عنها لا يمنع ان يفيض عنها
ايضا السخونة في طبعها ذلك والتاخر الى وقت ثان على سبيل الوقوف
لا معنى له فان في الزمان الذي بينهما لم يكن عايق زال فيجب ان
يحدث ذلك بلا تاخر بفعله وتوقف وليس حال الحرق كذلك فان الحرق
وجوده ان يكون شيئا بعد شيء اذ لا قرار للحركة ولا لما يجري مجرى
الحركة ثم المحرق وان كان قابلا لا بمادته فهو مقاوم بصورته مقاومة
شديدة او غير شديدة ولهذا لا يحرق الماء والهواء عن السوط اذا رام
اسراع الحرق وترك طريق الرفق لانه يقبل قليلا قليلا لما فيه من
المعاوقة ويسخن الما انما يكون شيئا بعد شيء لان في اول الملاقاة

يريد ان يقال عنها انه اوجد السخونة في القابل المسخن عنها كل وقت وجود ما وجد من السخونة صح

يكون

يكون الما باردا والبرد يمنع استعداد المادة للضد ما دام ثابتا فيحدث
اولا في زمان يفرض او لا حرارة ما بقدر الاستعداد المعوق ثم يكون
الفاعل بعد ذلك حرارة من خارج وحرارة في الما بيعا وتنازع على الاحالة
ويكون البرد العاوق اقل فيكون في الزمان الثاني يستحيل اسرع
واشد وذلك لان حال الفاعل والقابل معا في الزمانين يختلفان
وليس هكذا الحال في مسئلتنا نحن على انا لا ننافس في ان يستمر
ازدياد التسخن في مادة الهواء عن القوة وعن السخونة الحاصلة في زمان
على الاتصال ولكن ذلك ايضا غير موجود وقول القائل ان السخونة
يسخن الى حد ما لا يقوى على اكثر من ذلك فان كان ممكنا في الوجود وفي
طباع المادة قول لا يلتفت اليه فان ذلك انما يكون اذا قيس الى مقاوم
واما اذا لم يكن مقاوم فهذا القول محال لانه اذا احدث منه سخونة
لم يكن عايقه فمن ان يحدث اخرى عنه الى ان يستوفي الحد الذي
في قوة المادة قبوله اذا لم يكن مانع وهو الحد الذي للنار مثلا فلا
يكون هناك تحدد دون النهاية البالغة واذ قد بينا هذا فبالحري ان
نعود الى مسئلتنا فنقول قد بان ان بعض الاجسام البسيطة اذا كانت فيه
قوة تسخن وترطب بالطبع وكان في جسم اخر ايضا مثلها لم يجز ان يكون
احد الجسمين حارا رطبا على حد والاخر اقل في احدهما او كليهما او اكثر بل
يجب ان يتشابها في ذلك الا لعايق فان لم يتشابها ولا عايق من خارج فانما
يجوز ان لا يتشابها في كيفية واحدة حين لا يكون هناك عايق من
خارج الا يعوق من الكيفية الثانية فيكون العايق وجود الكيفية
الثانية التي يفيض عن تلك القوة بعينها فانها تمنع المادة منعا ما ويعاوقها

عن الاستكمال ونقص الاستعداد النقص المنسوب الى المعاوقة فيصير لها
المادة غير قابلة الا بشدة وعسر وان كانت الطبيعة فاعلة لكن لقائل ان
يقول ان العوق ايضا يجب ان يبلغ الغاية او لا يكون اصلا فان نسبة العوق
الى القوة والمادة نسبة التسخن اليهما وكما ان التسخن يبلغ الغاية اذا لم يكن
عوق كذلك العوق يجب ان يبلغ الغاية فنقول نعم اذا لم يكن للعوق
عايق واما القوة المسخنة فمعاوقة للعوق فلا يبلغ الحد الاقصى واذا كان
كذلك انحل الشك المذكور ولقائل ان يقول انه كيف يمكن ان
ينبعث عن مبدء واحد قوتان يعاوق احديهما الاخرى ويتقابلان و
يتنازعان والمادة واحدة غير مختلفة فنقول ان ذلك ليس على سبيل
المقابلة بل على سبيل تقدير استعداد المادة ومعنى العوق هو هذا المعنى
وهو ان وجوده يجعل المادة محدودة الاستعداد وذلك لان الحرارة
اذا اخذت مرة صرفة ومرة متوسطة فلان احدهما مع يبوسة والاخرى
مع الرطوبة وكذلك البرودة فح يعود الاقسام الى الاربع **فصل في حل
ما في الشكوك** واما الشك المذكور في التماس البيان لاثبات
كون النار مفارقا للهواء لانه اشد منه سخونة وهو من طبعه بل بالفصل
الذاتي فقد فرغ من ذلك وبين ان هناك مكانا لجسم طبيعي غير الهواء و
انه حار واما ما اخذ في التشكل كالمسلم من مورا النار البسيطة فانا
لا نقول به الا المقصر في الصناعة فلذلك لا يلزم الا من قال ان المركب
اقوى من البسيط في الكيفية على ان لقائل ان يقول متاولا ان المركب
قد يعرض له ان يكون اقوى من البسيط في الكيفية اذا كان هناك
اسباب اخرى توجب الازدياد في الكيفية غير الذي في الطبع متظاهر

الطبع

الطبع والوارد المرفد اياه على تقوية الكيفية وان كان هذا القول ربما
لم يلتفت اليه واما ما سئل عن امر النار التي هناك اعني عند الفلك
وهل السخونة امر يعرض لها من حركة الفلك وهي في نفسها غير
حارة او هي في نفسها حارة في طبيعتها فنقول انه لا يمتنع ان يكون
بالتحريك يسخن ما ليس يسخن في طبيعته ويكون مع ذلك طبيعته
الذاتية محفوظة ويكون ما يغير المتسخن الا في السخونة ولا يمتنع ان
يكون التحريك يحيل طبيعة المتحرك الى صورة النارية ابتداء او وجد
خاليا عنها او يكون التحريك سبب دوامها مدة وجودها ومثاله
الحك المشتعل فانه لشدة التسخين يعد المادة لقبول صورة النارية
ويعاوق الاستعداد المقابل له فيكون الحك سببا ما بوجه للصورة
النارية لا للتسخين شيء له طبيعة قائمة غير موجبة للسخونة وانما يسخن
من خارج فقط بل لافادة الطبيعة التي هي مبدء السخونة بنفسها حتى
لو توهم الحك زائلا والتحريك باطلا بقي الجسم على الصورة النارية الا
ان يرد شيء مفسد للصورة النارية مقاوم لها ولو كانت هذه النسبة
من المحاكة او التحريك دائما لكان وجوب لبس الصورة النارية
دائما فالمادة التي هناك ملبسه صورة النارية بمعاضدة من حركة
الفلك ولا تضاده في طباعها لذلك ولو كان في طبيعة ذلك
الجسم شيء مضاد لذلك لكان التحريك الذي هناك يبطل تلك
الطبيعة المضادة بفرط التسخين الذي هناك هذا ان كان التحريك
مسخنا وان لم يكن مسخنا فالشبهة زايلة من كل وجه اذ كانت
الشبهة في ان ذلك الجوهر الذي هناك اذ قد عرض له المتسخن من

خارج فليس له ذلك طبيعيًا وذلك لانه عرض له الحك فسخنه والحك عرضى فالسخونة عرضية فان المجيب عن ذلك يقول ان السبب الخارج العارض قد يكون سببًا لصورة طبيعية سوغ بها المادة وسيصح هذا فضل ايضاح في الصناعة الحكمية الالهية ونعم ما اوجبت العناية الالهية اسكان النار في حيز الحركة والا لكان كل ما يتوهمه انه يحصل هناك مما ليس بنار من الاجسام العنصرية منقلب نارًا فيتحرك الى حيز النار الاخر ان لم يكن حيزه تلك المجاوزه ويعقب غيره فلا يزال النارية يتضاعف حتى يفسد ما ليس بنار واما الشكل المبنى على ان الحار ما انا لم يصعد قبل استحالته صورته الطبيعية كما يصعد البخار والدخان والبارد لا يفعل ذلك فقد يمكن ان يجاب عنه بوجوه من الاجوبة من ذلك ان الحار في الجملة اقوى من البارد ولذلك ما لا يطاق النار و الماء والجمد لا يبلغ واحد منهما من برده الطبيعي ان لا يطاق وقد يبلغ ذلك من حره العرضى فكيف يكون الشىء الذى في طبيعته حار فيشبه ان يكون الحار لقوته يغلب مقتضى جوهر الشىء وطبيعته ولا يقدر عليه البارد او يشبه ان يكون البرد يهبط ايضًا ما يعرض له وان لم يحل المعروض له عن جوهره ولم يغيره كما اذا استحال الهواء ضبابا عن برد ما عرض وهو بعد ضباب فلا يبعد ان يقال ان الضباب هواء قد برد ومال الى اسفل ولم يبطل صورته الذاتية كما لم يبطل صورة الماء فى الجمد او يكون الشىء البارد الذى يتصعد بالتسخين هو ارض وما قد يسلان حرًا اشد من حر الهواء ولا يكونان قد فسدا بعد فسادًا تامًا فيظهر صعودهما في الهواء لمجاورتهما اياه ولعل الهواء والنار ليسا يقبلان من البرد ما يصيران

برابرد

بر ابرد من الماء حتى ربما انعقد في الماء هبوطًا ولعل ما يبرد من النار يعرض له ان ينحدر من حيزه الى حيز الهواء لكنه اذا انحدر لم يكن محسوسًا لان النار البسيطة غير محسوسة ولعل الضباب هواء متكاثف لكنه ليس مستحيلًا بعد الى المائية وايضا فلقائل ان يقول ان البخار والدخان يصعدان على سبيل مرافقة النارية وبالقسر وعلى ما قلنا قبل وبالجملة ان صعدا بالمرافقة لم يلزم السؤال وان صعدا لا بالمرافقة بل للاستحالة في الكيفية فقط فالفرق ما قيل واما الشك المبنى على استحالة ان يكون ما تحت الفلك طبيعة واحدة وانما يختلف الاعراض فيبطله وجود الحركات الطبيعية متضادة لوجود المركز والمحيط والجسم المتشاكل الطبيعة النوعية لا يختلف حركاته الطبيعية اذ لا يختلف قواه الاصلية واما ما ظن ان السكون يبرد اذ الحركة يسخن فذلك باطل فانا قد بينا ان السكون عدم الحركة وعدم العلة علة لعدم المعلول الا الضد المقابل له فان الحركة اذا كانت يوجد حرارة فان لا يكون حركة هو ان لا يوجد حرارة واما ان يوجد برودة فيحتاج الى علة فيشبه ان يكون الجسم الساكن البعيد عن الحركة قوى الاستعداد لقبول القوة المبردة من الاشيا الكاسبة المواد صورها ويكون ضعف الاستعداد لقبول الطبيعة المسخنة بل يحتاج الى معاون من حرارة مماسة او حركة حتى يستعد فينال من واهب الصور ما يستعد له وسنبسط في هذا حين نتكلم في الفلسفة الاولى واما الشبهة المبنية على حال اللمس فانه ان تقدم بحلها مقدمة ونقول ان قولنا ان الرطوبة سهل القبول والترك هو على سبيل التجوز فان السهل والصعب يكاد ان يكون من

المضاف وليست الرطوبة من المضاف ولكن يجب ان نعلم ان الرطب
هو الذي لا مانع له في طباعه البتة عن قبول الشكل والانحصار والاتصال
وعن رفضه مع زوال القاسر راجعا الى الجهة التي له ان يتحرك اليها
والشكل الذي له ان يتشكل بالطبع به واليابس هو الذي في طباعه
مانع الا ان في طباعه امكان قبول ذلك عند تكلف بجسم القاسر
اياه فيكون نسبة الرطوبة من هذا الوجه ومن حيث هو هكذا الى
اليبوسة قريبا من نسبة الامر العدمي الى الامر الوجودي فيكون
الاحساس بالرطوبة ليس الا ان يرى مانع ومقاوم وباليبوسة ان
يرى مانع ومقاوم فالرطوبة وحدها لا يثبت عند الحس من جهة اللمس وحده
جسما واليبوسة يثبت ذلك واذا نسبنا احد الطرفين الى الحس بالذات
كفانا امر مقابلة العدمي في امر المزاوجة بل لو وجدنا بالحس اللمسي
كيفيتين لتمت المزاوجة الرباعية بين مضادتين وبين فسه و
عدم فليكن هذا مبلغ ما نقوله في حل الشكوك المذكورة على الاحتمال

**فصل في انفعالات العناصر بعضها من بعض واستحالاتها في
حال البساطة وفي حال التركيب وكيفية تصرفها
تحت تاثير الاجسام العالية** فقد تبين مما سلف ان العناصر للكائنات
الفاسدات اربعة لا غير واذا اعتبر المعتبر صادف النبات والحيوانات
المتكونة في حيز الارض مستمدة من الارض ومن الماء ومن الهواء و
حدها ثم بالحار المنضج فالارض تفيد الكائن تمسكا وحفظا لما يفاد
من التشكيل والتخليق والماء يفيد الكائن سهولة قبول التخليق و
التشكيل ويتمسك جوهر الماء بعد سيلانه لمخالطة الارض

ديتمد

ويستمسك جوهر الارض عن تبدده لمخالطة الماء والهواء والنار يكسران
عنصرية هذين ويفيدانهما اعتدال الامتزاج والهواء يخلخل ويفيد وجود
المنافذ والمسام والنار ينضج ويطبخ ويجمع وهذه الاربعة قد ظهر انها
تتكون بعضها من بعض وان لها عنصرا مشتركا وان ذلك بالحقيقة
هو العنصر الاول ومع ذلك فان تكون بعض منها من بعض اسهل وتكون
بعض منها من بعض اعسر ويكون بعض منها من بعض اعسر ويكون بعض منها
من بعض وسط فاما السهل فاستحالة عنصر الى مشاركه في احدى
الكيفيتين وهو فيها ضعيف مثل استحالة الهواء الى الماء فان الهواء يشارك
الماء في كيفية الرطوبة ويخالفه في كيفية الحرارة وكيفية الحرارة
فيه ضعيفة والبرودة في الماء قوية فاذا قوي عليه الماء وحاول ان يحيله
باردا في طبعه انفعل سهلا وبقيت رطوبته وكان ما ليس لان استحالته
في هذه الكيفية وهو كونه ماء بل يستحيل مع ذلك في صورته التي
شرحنا امرها وصورته اشد اذعانا للزوال عن مادته الى صورة المائية
من صورة النار واما العسر فان يحتاج المتكون الى استحالة الكيفيتين
جميعا في طبعه واما الوسط فان يحتاج الى استحالة كيفية واحدة فقط
لكنها قوية مثل ما يحتاج اليه محاولة الارض في استحالتها الى النارية
والماء في استحالته الى الهوائية ولكل واحد من هذه العناصر
عرض في قبوله الزيادة والنقصان في كيفيته فانه قد يزيد في
كيفيته الطبيعية او العرضية وينقص وهو حافظ بعد لصورته
نوعه لكن للزيادة والنقصان في ذلك طرفان محدودان اذا
جاوزهما بطل عن المادة التهيؤ التام لصورته واستعد استعدادا

تاما لصورة ان تفاض بتلك الصورة عليها من واهب الصور للمواد فكسبها
وبسبب ذلك ما يتخصص المواد المتشابهة في انها مواد لصور مختلفة
وذلك من عند واهب الصور ويجب ان يعلم ان القوة شيء وان الاستعداد
التام شيء اخر والمادة متهيأة لجميع الاضداد بالقوة لكنها يختص بواحد من
الاضداد من جملة الامور المختلفة بما يحدث من استعداد تام يخصصها به
فان المحكوك والمتحرك معد لقبول الحرارة اعدادا خاصا وان كان
هو ايضا في طبعه قابلا للبرودة وليس هذا للعناصر وحدها بل للمتكونات
ايضا ولكل واحد منها مزاج ومزاجه يقبل الزيادة والنقصان الى
حد ما محصور العرض بين طرفين واذا جاوز ذلك بطل استعداده لملائمة
لصورته وهذه المركبات مختلف امزجتها لاختلافها في مقادير العناصر
فيها فمن الكائنات ما الارضية فيه غالبة وهو جميع ما يرسب في الهواء
والماء من المعدنيات والنبات والحيوان وقد يجوز ان لا يرسب بعض
ما الارضية فيه غالبة فانه يجوز ان يكون الارضية غالبة لمفردات استقص
وليس غالبا لمجموع استقصين حقيقين ومنها ما المائية فيها غالبة و
منها ما الهوائية ويعسر امتحان ذلك من جهة الطفو والرسوب وذلك
لان الجسم وان كانت المائية فيه غالبة وفيه هواء ونار قليل فهو لا محالة
لا يكون بسبب كثرة مائيته اثقل من الماء حتى يرسب فيه الا ان
يكون ارضية كثيرة تزيد ثقلا على مائيته ومنه ما النار فيه غالبة
وهذا جميع ما يعلو في الجو وقد يجوز ان يكون منه ما لا يعلو النظر ما قلناه
في الغالب فيه الارضية وهذه الغلبة قد يكون بالفعل وقد يكون
بالقوة والذي بالقوة فهو الذي اذا فعل فيه الحار الغريزي من ابدان

الحيوان

الحيوان استحال الى غلبة بعض الاستقصات ولهذه الاستقصات
غلبة في المركبة من وجهين احدها بالكم والاخر بالكيفية والقوة و
ربما كان استقص مغلوبا في الكمية لكنه قوي الكيفية وربما
كان بالعكس ويشبه ان يكون الغالب في الكم يغلب في الميل
لا محالة وان كان قد لا يغلب في الكيف الفعلي والانفعالي فان
الميل عند ما يلزم من الصورة يكون شديد اللزوم للصورة اشد من
لزوم الكيف الفعلي والانفعالي وان لم يكن دائم اللزوم فانه
قد يبطل اذا عرض عايق قوي والممتزج فكثيرا ما يعرض له من الاسباب
الخارجة ان تغلب من استقصاته ما ليس بغالب فانها اذا عاونت
كيفية غير الغالب حتى قوي غلب واحال الاخر الى مشابهته و
ظهر سلطانه فنقول الان ان الكون والفساد والاستحالات
امور مبتداه ولكل مبتدا سبب ولا بد على ما اوضحنا في الفنون
الماضية من حركة مكانية والحركة المكانية هي مقربة الاسباب
ومبعد بها ومقوية الكيفيات ومضعفها ومبادي الحركات كلها كما
وضح من المستديرة فالحركات المستديرة السماوية المقربة لقوى
الاجرام الغالبة والمبعد بها هي اسباب اولى للكون والفساد وعودها
لا محالة اسباب لعود ادوار الكون والفساد والحركة الحافظة لنظام
الادوار والعودات والواصلة بينها والمسرعة لما لو ترك لابطا ولم يعتدل
تاثيره هي الحركة الاولى ونشرح هذا المعنى فنقول انه لو لم يكن
للكواكب حركة في الميل لكان التاثير يختص بنفعه واحدة على جهة
واحدة فيحلو اما يبعد عنها ويتشابه فيه ما يقرب منها فيكون السلطان

هناك لكيفية واحدة يوجبها ذلك الكوكب فان كانت حارة افنت
مواد الرطوبات واحالت الاجسام التي يحاذيها الكواكب الى النارية
فقط ولم يكن مزاج به يتكون الكاينات الحيوانية ولم ينبت شي
من النباتية نباتا يعتد به بل صار حظ ما يحاذيه الكوكب في الغالب
كيفية وحظ ما لا يحاذيه في الغالب كيفية مضادة لها وحظ المتوسط
في الغالب كيفية متوسطة فيكون في موضع مثل صيف شديد
دائم وفي اخر مثل شتاء شديد دائم وفي اخر ربيع دائم وخريف دائم
وفي مثل الربيع والخريف لا يتم النضج وفي الشتاء يكون الهجوم و
في دوام الصيف الاحتراق وعلى هذا فيجب ان تعتبر حال الكيفيات
الاخرى والقوى الاخرى ولو لم يكن عودات مسالته وكان
الكوكب يتحرك حركته البطيئة بميل او غير ميل لكان الميل
قليل العنا والتاثير شديد الافراط لا يتدارك بالضد المخالط وكان
التاثير مقيما في بقعة صغيرة مدة طويلة لا يدور في البقاع كلها
الا في مدد متراخية وكان يعرض ايضا قريبا مما يعرض لو لم يكن مثل
ما ذكرناه وكذلك لو كانت الكواكب يتحرك بنفسها الحركة السريعة
من غير ميل عرض ذلك ايضا وكان مدار الميل وما يقرب منه وما يبعد
بالصفات المذكورة فوجب ان يكون ميل يحفظه حركة غريبة مدة ما
ثم يزيله الى جهة اخرى بمقدار الحاجة في كل جهة فوجب ان يبطي المايل
في جهة ميله حتى يبقى في كل جهة برهة ليتم بذلك تاثيره وان
يتكرر على المدار مع ذلك سريعا ليتشابه فعله في جميع الجهة التي هو
مايل اليها ولا يفرط تاثيره في بقعة يقيم عليها وبالجملة ليكون جميع الجهة

تنال منه التاثير نيلا معتدلا غير مفسد ولا يزال كذلك الى تمام الحاجة
وذلك انما يتم بحركة اخرى سريعة حتى يوجد الوجهان واعتبر هذا
من الشمس فان الشمس بميل يحركها الى الشمال فتبقى مدة في تلك
الجهة لا دايما على سمت واحد بل يتكرر اتباعا للحركة الاولى فانها
ان بقيت دايما افسدت كما لو دام هجيرها ولقصر ايضا فعلها وتاثيرها
عن جميع الاقاليم الاخرى فلما جعل لها ذلك التكرر وصار للشمس ان
يحرك المواد الى غذو النبات والحيوانات حتى اذا فعلت فعلها في
الشمال وجذبت المواد الكامنة في الارض زالت الى الجنوب قبل ان
يفسد بالاحراق والتجفيف ففعلت فعلها هناك فعلها ههنا
وبرد وجه الارض ههنا فاحتقنت الرطوبات واجتمعت في باطن
الارض كانها يحزن وبعد لعود الشمس مرة اخرى لسعو على النبات
والحيوانات بعمر بالقسط وبين الامرين تدريج ربيع وخريف لئلا
ينتقل من افراط الى افراط دفعة وليكون الفعل مدرجا فسبحان
الخالق المدبر بالحكمة البالغة والقوة الغير المتناهية وبالحري ان يلحق
بهذا القول في الادوار والاجال **فصل في ادوار الكون والفساد** من
الكاينات ما يكفي في تكونه جزء دورة واحدة وربما كانت
مدة تتمة تلك الدورة فما دونها كضرب من الحيوانات الفرقسه
والنبات الرعي فيكون في يوم واحد ويفسد فيه ومن الكاينات ما
يحتاج في تكونه الى ادوار من الفلك ومنها ما يحتاج الى عودات
حمله حملة من ادوار حتى يتم تكونه وكل كاين كما ظهر فاسد وله مدة
ينشو فيها ومدة يقف فيها ومدة يضمحل وينتهي الى اجله ولا يمكننا

ان نقول قولا كليا في نسب هذه المدد بعضها الى بعض فهي مختلفة
لا تنضبط ومن رام حصر ذلك صعب عليه والذي سمعنا لم تقنعنا فلعلنا
لم نفهمه حق الفهم وعسى ان يكون غيرنا يفهمه على وجهه ولكل كاين
اجل يستحقه بقوة المدبرة لبدنه فانها قوة جسمية متناهية تتناهى فعلها
ضرورة ولو كانت غير متناهية لكانت المادة لا يحفظ الرطوبة الا الى اجل
لاسباب محللة للرطوبات خارجة وباطنة واسباب عايقة عن الاعتياض
مما يتحلل ولكل قوة من قوى البدن ولكل مادة حد يقتضيه كل واحدة
منهما ولا يحتمل مجاوزته وذلك ان جرت اسبابه على ما ينبغي وهو الاجل
الطبيعي وقد يعرض اسباب اخرى من حصول المفسد او فقدان النافع المعين
فيعرض لتلك القوة ان تقصر في فعلها عن الامد فمن الاجال طبيعية ومنها
اخترامية وكل بقدر وجميع الاحوال الارضية منوط بالحركات السماوية
وحتى الاختيارات والارادات فانها لا محالة امور تحدث بعد ما لم يكن
ولكل حادث بعد ما لم يكن علة وسبب حادث وينتهي ذلك
الى الحركة ومن الحركات الى المستديرة فقد فرغ من ايضاح هذا فاختيار
انا ايضا تابعة للحركات السماوية والحركات والسكونات الارضية
المتوافقة على اطراد مستو تكون دواعي الى القصد بواعث عليه وهذا
هو القدر الذي اوجبه القضا والقضا هو الفعل الاول الالهي الواحد
المستعلي على الكل الذي منه تتشعب المقدرات واذا كان كذلك فبالحري
ان تشكل على الناظرين امر العود وانه هل يجب اذا عاد الفلك شكل
بعينه كما كان ان يعود الامور الارضية الى مثل ما كان اما عود ما بطل
بعينه بالشخص ولا الامور الارضية يعود باعيانها بالعدد فان الفاسد

لا يعود

لا يعود بعينه والذي يخالف في هذا فسبيله ان يستحيي من نفسه
الى ان نكشف فضيحته في الفلسفة الاولى فمن الناس من اوجب
هذا العود المماثل ومن الناس من لم يجوز هذا العود واحتج بان الامور
العالمية مختلطة من طبيعية واختيارية مثل كثير من النسل والحرث
وعود الشكل السماوي ان اوجب اعادة فانما يوجب الامر الطبيعي
لا الاختياري ولا المركب من الطبيعي والاختياري واذا لم يجب
عود واحد من الاسباب المبني عليها مجرى الكل احال العود كله
فلم يجب ان يكون كما كان وذهب عليه ان الاختيار ايضا مما يجب
عوده ان كان العود يصح فان الاختيار مستند ايضا الى الاسباب
الاول والذي عندي في هذا انه ان كان يتفق ان يعود بشكل
واحد بعينه كما هو فسيعود الامور الى مثل حالها لكن السبيل
الى اثبات عود الشكل الواحد مما لا يمكن بوجه من الوجوه
وذلك انه انما يمكن ان تقع الامور المختلفة عودات جامعة اذا كانت
نسبة العودات الخاصية بعضها الى بعض نسبة عدد الى عدد فكانت
مشتركة في واحد يعدها فوجد لجميعها عدد يعدها مثلا ان
يكون احدى العودات عددها خمسة والاخر سبعة والثالث
عشرة ليشترك في الواحد فيكون عدد السبعين عددا مشتركا
يعدها هذه الاعداد فيكون اذا عاد صاحب الخمسة اربعة عشر عودة
وصاحب السبعة عشرة وصاحب العشرة سبعة اجتمع الجميع معا ثم
جعل يعود في المدد المتساوية اشكال مشابهة لما سلف وان لم
يكن بسبب مدة العودات نسبة عدد الى عدد وذلك جائز

لان المدد متصلة لا منفصلة ولا يستحيل ان تكون المتصل مباينا
للمنفصل كان مستقيما او مستديرا فلا يكون نسبه اليه نسبة
عدد الى عدد فقد صح وجود هذا في المقادير فيصح في الحركات والازمنة
لا محالة لاستحالة وجود شيء جامع مشترك فيه اذ قد ثبت في صناعة الهندسة
ان المقادير التي يشارك مقدار والمباينات غير مشتركة فلا يشارك
مقدارا واحدا فلا يوجد لها مقدار مشتركة بعده جميعها واذا لم يوجد
استحال عود التشكل بعينه فان كان الحركة الاولى ثم حركة
الثوابت ثم حركات الاوجات والجوزهرات ثم حركة السيارات
تشارك مدد عوداتها الخاصية في واحد بعدها فيكون الادعاة
المدعاة واجبة وان كان كلها او واحد منها غير مشارك لم يكن ذلك
لكن طريق احتياطها بهذه الامور هو الرصد والرصد على التقريب باجزاء
الالات المقسومة ومثل هذا التقريب لا يحصل التقدير الحقيقي وحساب
الاوتار والقسي وما بني عليها ايضا مستعمل فيها الجذور والصم وقد سوح
في اجرائها مجرى المنطقات والتفاوت بين المنطق والاصم مما لا يضبطه
الحس فكيف يحققه الرصد فاذن لا سبيل الى ادراك ذلك من جهة الرصد
والحساب المبني عليه وليس عندنا فيه سبيل غيره واما تقسيم العلماء الزمان
بالشهور والايام والساعات واجزائها وتقسيمهم الحركة بازائها وايقاعهم
بينها نسبة عددية فذلك على جهة التقريب مع علمهم بانه غير ضروري
الا انه مما لا يظهر تفاوته في المدد المتقاربة لكثرة وان لم يظهر في المدد
المتقاربة فتيسر ان يظهر في المقادير المدد المتباعدة واكثر ما يمكن ان
يحدس في هذا هو انه يجوز ان يكون عودات متقاربة الاحوال وان لم

يكن

يكن متشابهة في الحقيقة ويمكن حال الكلي منها قريبا من حال العودات
الجزئية كصيف يشبه صيفا وربيع يشبه ربيعا او يكون اشد
مشابهة من ذلك او لعل الامر يكون بخلاف هذا الحدس واذ قد
فرغنا من هذا البيان ايضا فبالحري ان نختم هذا الفن باشارة
مختصرة الى علل الكون والفساد ونقول ان لكل كاين مادة
وصورة وعلة فاعلة وغاية تخصه يوجد ذلك بالاستقراء وعلى سبيل
الوضع فاما جملة الكون والفساد وانما له فعلته الفاعلة المشتركة التي
هي اقرب هي الحركات السماوية التي هي اسبق فالمحرك لها والعلة
المادية المشتركة هي العنصر الاول والعلة الصورية المشتركة هي
الصورة التي للمادة قوة على غيرها مما لا يجتمع معها والعلة الغائية استيفاء
الامور التي لا يبقى باعدادها واستحفاظها بانواعها فان المادة العنصرية
لما كانت كما يلبس شيئا فقد خلعت غيره وكان الشيء كما يكون هو قد فسد
غيره ولا سبيل الى بقاء الكائنات باشخاصها دبر في استبقاء انواعها
بالتناسل والتجارث والتعاقب المعلق بالكون والفساد والاسبق
من هذا هو الجود الالهي المعطي كل موجود ما في وسع قبوله وابقاه
اياه كما يحتمله اما بشخصه كما للاجرام السماوية واما بنوعه كما للعنصرات

تم الفن الثالث بعون الله تعالى

الفن الرابع من الجملة الثانية في الافعال والانفعالات معا لبيان

وقد فرغنا من تعديد الامور العامة للطبيعيات ثم من تعريف الاجسام
والصور والحركات الاولية في العالم واختلافها في طبايعها ثم من
تعريف احوال الكون والفساد وعناصرها فحقيق بنا ان نتكلم

على الافعال والانفعالات الكلية التي تحصل عن الكيفيات العنصرية
بمعاضدة من تاثيرات الاجرام السماوية فاذا فرغنا من ذلك شرعنا
ح في تفسير احوال طبقات الكاينات مبتدين بالاثار العلوية و
المعدنيات ثم ننظر في حال النفس فان النظر في النفس اعم من النظر في
النبات والحيوانات ثم ننظر في النبات ثم في الحيوانات ونختم هذه الجملة
الطبيعية انشاء الله تعالى المقالة الاولى من هذا الفن فصل في طبقات
العناصر هذه العناصر الاربعة يشبه ان يكون غير موجودة على محوضتها
وصرافتها في اكثر الامر وذلك لان قوى الاجرام السماوية ينفذ
فيها فيحدث في السفليات الباردة حرا يخالطها فيصير بذلك بخارية و
دخانية فيختلط بها نارية وهوائية ويرقى الى العلويات ايضا ابخرة مائية
وادخنة ارضية فيخلطها بها فيكاد ان يكون جميع المياه وجميع الاهوية
مخلوطة ممزوجة ان توهمت صرافته فيشبه ان يكون للاجزاء العلوية من
النارية فان الابخرة والادخنة اثقل من ان يبلغ ذلك الموضع بحركتها
واذا بلغت فما اقوى تلك النار على احالتها سريعا ويشبه ان يكون باطن
الارض البعيد من اديمها الى غورها قريبا من هذه الصفة فان لم يكن بد من
ان يكون كل جرم من النار والارض كاينا فاسدا باطنه وظاهره الا ان ما
يخلص الى مجاورة الفلك من النار محض ولا تكسر محوضتها بشايب وكذلك ما
يخلص الى المركز من الارض يشبه المحض فلا ينفذ فيه تاثير من السماويات
نفوذا يعتد به ولا ينفذ اليه شايب اذ لا يقبل رسوبا الى ذلك الحد فيشبه
لذلك ان يكون للارض ثلث طبقات طبقة يميل الى محوضة الارضية و
يغشيها طبقة مختلطة من الارضية والمائية هو طين وطبقة منكشفة عن الماء

جفف

جفف وجهها الشمس وهو البر والجبل وما ليس بمنكشف فقد سال
عليه البحر وهو استنقص الماء ويستحيل ان يكون للماء استنقص وكليه
غير البحر وذلك لانه اما ان يكون باطنا غايرا او ظاهرا فان كان
ظاهرا فهو لا محالة بحر غير البحر وان كان باطنا لم يخ اما ان يكون مستقرا
في الوسط فاما ان يكون بالطبع فيكون الماء اثقل من الارض و
هذا مح واما بالقسر فيكون هناك قاسر للماء الى حفر غور الارض و
الانحدار فيه وهذا ايض مح وان كان منحازا في جنبه واحدة فيكون
كلية الماء محصورة في بقعة صغيرة من الارض وكلية الماء لا تقل لا محالة
عن الارض ان لم تزد عليه ثم يكون مقدار ماء البحر غير قاصر عن
مبلغه فلم لا يكون البحر كلية الماء دونه على انا لا نشك ان في
الارض اغوار مملوة الا انها لا يبلغ في الكثرة مقادير البحار ولا الارض
يكثر فيها التجاويف كثرة يكون لها تاثير بالقياس الى كلية
الارض كما ليس للجبال تاثير في كريتها والهواء ايض فهو طبقات طبقة
بخارية وطبقة هواء صرف وطبقة دخانية وذلك لان البخار وان
صعد في الهوا صعودا فانه انما يصعد الى حد ما واما الدخان فيجاوزه
متعلوا لانه اخف حركة واقوى نفوذا لشدة الحرارة فيه واعني بالبخار
ما يتصعد من الرطب من حيث هو رطب واعني بالدخان ما يتصعد
من اليابس من حيث هو يابس ولان البخار بالحقيقة على ما بيناه ماء
متحلل متصغر الاجزاء وطبيعة الماء ان يبرد بذاته ومن صورته اذا زال
عنه المسخن وبعد عهده به فيجب ان يكون الحر البخاري من الهوا
باردا بالقياس الى ساير الهوا لكن ما يلي الارض منه يسخن بمجاورة

او محاط الى بعض اجزائه فانه مستقر في الوسط

الارض المسخنة بشعاع الشمس المستقر عليها استقرار الكيفيات لا
الاجسام وما يبعد عنه يبرد بسكون طبيعة الهوا السافلة بخار يسخن
بمجاورة الشعاع ثم يليه طبقة بخارية باردة ثم يليه هوا اقرب الى
المحوضة ثم يليه هوا دخان وكانه خلط من هوا ونار وارض ثم يليه
نار فيكون هذه الطبقات بسه ارض الى الخلوص ما هي وطين و
برمع الجبال والبحر كطبقة واحدة مركبة وهو يتسخن بالشعاع و
هوا بارد وهوا اقرب الى المحوضة وهواء دخاني ناري ونار فهذه طبقات
العناصر في ترتيبها ووضعها **فصل في احوال كلية من احوال البحر** ماء
البحر ليس حكمه حكم ساير العناصر في ان له طبقات مختلفة ظاهرة الاختلاف
في ترتيب العلو والسفل وذلك لان الما سريع الاختلاط بما يخالطه لانه
ليس عمقه وتحته مثل عمق الهوا وتحته فلذلك يشتد اختلاط الاثار بكليته
وينفذ فيه وحذب الشمس لما في باطن الارض وتحريكها اياه بقي بتبليغه
وجه البحر واخراجه عنه ولولا ذلك لكان ظاهر البحر وما يلي وجهه اقرب الى
طبيعة الهوا وكان لا كثير تاثير فيه للارضية وليس كك بل ما البحر كله مالح
او زعاق والما لا يتغير التغيرات التي بعد الكيفيات الاول بنفسه انما يتغير
بمخالطة شيء اخر والهوا اذا خالطه جعله ارق واعذب ولم يجعله ملحا انما
يصير ملحا بسبب الارضية المحترقة المرة اذا خالطته وانت فيمكنك ان
تتخذ الملح من رماد كل محترق ومن كل حجر يفيده التكليس حدة ومرارة
اذا طبخته في الما وصفيته ولم تزل يطبخ ذلك الما او يدعه في الشمس فانه ينعقد
ملحا ولهذا ما يتخذ قوم من القلي ومن النورة ومن الرماد ملحا متى شفا وانما سببت
ملوحة البول والعرق مخالطة المرة المحترقة للمائية فيمتلح وليس ما ظنه قوم

من ان ملوحة ماء البحر انما هو بسبب ان الكثيف منه يبقى محتبسا فيه بعد
تبخير البخارات اللطيفة فيكون بسببه مرا ومعلوم ان كثافته
باختلاط الارضية به فهلا كان الطين مرا او مالحا ولم اذا عاد اليه
ما يتبخر عنه في الادوية العذبة والامطار الجود لا يعود البتة مرة اخرى
عذبا والما بنفسه ليس فيه كثيف ولطيف بل هو متشابه الاجزا انما
هو الكثيف منه ما خالطه الارضية لانه لا شيء اكثف من الما الا الارض
والارضى واذا خالطته ارضية لا كيفية لها لم ينكثف وانما ينكثف
من كيفية الارض فان كانت الارض شديدة المرارة لم يمتلح بل
يزعق وان كانت قليلة المرارة بحيث اذا تحلل في الما قيل نوعا من
الاستحالة عن مرارته ملح واي ماء مالح طبخته انعقد منه احرا الطبخ لا محالة
ملح وحتى من البول ومن العرق والدليل على ان ماء البحر متملح لمخالطة
الارضية وليس ذلك طبيعيا له انه يقطر ويرشح فيكون عذبا وقد
يتخذ كرة من شمع فترسل فيه فيرشح العذب الى باطنها شحا و
البحر ايضا فقد تكون في مواضع منه مياه عذبة وقد يمده مياه عذبة
الا انه الطف من ماء البحر المجتمع فيه قديما فيسبق اليها التحلل فان
اللطيف يسبق اليه وخصوصا في حال الانتشار فان الانتشار
يعين على ذلك كما لو بسط الما على اليم واذا كان كك صار العذب
يتحلل بخارا ويصير سحابا وغير ذلك والمالح الكثيف يبقى وقد يتفق
ان يصعد منه بخارا الا انه لكثافته لا يجاوز حد البحر بل ينزل عن
قريب مطرا مالحا وهذا في النوادر فالبحر بالحقيقة هو كما قيل من انه
يعطي الصفو لغيره ويحبس الكدر لنفسه مع انه ياخذ الصفو ايض

والبحر لملوحته مائيته وكثرة ارضيته اثقل من المياه الاخرى فقلما
يرسب فيه البيض واما بحيرة فلسطين فلا يرسب فيه شيء حتى الحيوان
المكتوف ولا يتولد فيها حيوان ولا يعيش وههنا بحر عذب ايضا لا يتولد
فيه حيوان لبرده من منبعه الى مصبه على ان في البحر مواضع بعد بها
ما ينبع اليها من عيون تحتها وقد قال انبادقلس ان ملوحة البحر بسبب
البحر عرق الارض وهذا كلام شعري ليس بفلسفي لكنه مع ذلك
يحتمل التأويل فان العرق رطوبة من البدن تملحت بما يخالطها من
المادة المحترقة من البدن وما البحر قد يملح بقريب من ذلك فاذا كانت
ملوحة البحر لهذه العلة ولغاية هي حفظ مائه عن الاجون ولولاه لاجن
وانتشر فساد اجونه في الارض واحدث الوبا العالم على ان ماء البحر ما
اذا اخرج من البحر ايضا وانما يحفظ بعضه بمجاورة بعض ويمدد التمليح
الذي يصل اليه فلهذه الاسباب كان الغالب من ماء البحر مالحا انما
العذب منه قليل فبين من هذا ان جميع اجزا الما قابل للاختلاط بما يصل
من الارض وينفذ لما ينفذ من القوى السماوية فليس للبحر طبقات و
اما اختصاص البحر في طباعه بموضع دون موضع فامر غير واجب بل الحق
ان البحر ينتقل في مدد لا يضبطها الاعمار ولا يتوارث فيها التواريخ والاثار
المنقولة عن قرن الى قرن الا في اطراف يسيرة وجزاير صغيرة لان البحر
لا محالة مستمد من انهار وعيون يفيض اليه وبها قوامه ويبعد ان يكون
تحت البحر عيون ومنابع هي التي يحفظ دون الانهار وذلك لانها لو كانت
لوجب ان يكثر عددها جدا وان لا يخفى على ركاب البحر بل انما
البخار بالانهار التي يصيبها من نواحي مشرقة عالية بالقياس الى البحر و

من شأن الانهار ان يستبقي من عيون ومن مياه السما ويعولها القريب
انما هو على العيون فان مياه السما اكثر حدوثها في فصل بعينه دون
فصل ثم لا العيون ولا المياه السماوية تحب ان يتشابه احوالها في بقاع
واحدة باعيانها تشابها مستمرا فان كثيرا من العيون تغور وتنضب
ماؤها وكثيرا ما يقحط السما فلا بد من ان يجف اودية وانهار ور
بما طمت الانهار بما يسيل من اجزا الارض جوانب من البحار وانت
ترى اثار ذلك في كثير من المسالك وفي اودية الجبال والمفاوز
وتتيقن انها كانت وقتا من الزمان غامرة المياه وقد انقطع الان موادها
واذا كان كذلك فيستحيل مواد اودية وانهار ويعرض للجهة التي يليها من
البحار ان ينضب وتستجد عيون واودية وانهار من جهة اخرى فيقوم
بدل ما نضب ويفيض الما في تلك الجهة على البر فاذا مضت الاحقاب
بل الادوار يكون البحر قد انتقل عن حيز الى حيز وقد يعلم من امر النجف
الذي بالكوفة انه بحر ناضب وقد قيل ان ارض مصر هذه سبيلها
ويوجد فيها رميم حيوان البحر وقد حدث عن بحيرة خوارزم انها حالت
عن المركز الذي عهدها به مشايخ الناحية المسنون ولا ان
اعمارنا لا يفي بضبط امثال ذلك في البحار الكبار ولا التواريخ التي
يمكن ضبطها تفي بالدلالة على الانتقالات العظيمة فيها وهكذا
حال الجبال فان بعضها ينهال وينضب وبعضها يحدث ولسنا
بنجز مياه تسيل عليها انفسها او ما يصحبها من الطين ولا محالة انها متغيرة
عن احوالها يوما ما من الدهر ولكن التاريخ فيه لا يضبط فان الامم
يعرض لهم افات من الطوفان والاوبية ويتغير لغاتهم وكتاباتهم

فلا ندری ما کتبوا وما قالوا وهو دی یوجد فی کثیر من الجبال وبالهرم
الذی بمصر علی ما بلغنی کتابات منها ما لا یمکن اخراجه ومنها ما لا
یعرف لغته واعلم ان البحر ساکن فی طباعه وانما یعرض له ما یعرض من حرکة
بسبب ریاح تهب من قعره او ریاح یعصف فی وجهه او بمضیق یکون
فیه یتضغط فیه الما من الجوانب لثقله فیسیل مع ادنی تحرك ثم یلزم ذلك
لصدم الساحل والسو عنه الی الناحیة التی هی اغور والاندفاع او دیته فیه
موجته بقوة وخصوصا اذا ضاق بنداخلها وقل عمقها وارتفع فیعرض
ان یتحرك الی المغار واذا کان فی البحر موضع مشرف ووقع ادنی سبب محرك
للما فسال عنه الی الغور ولا یزال یحدث مقدمه موخرة علی الاستتباع
فیدوم سیالا والبحر الموضوع فی الوهاد الغایرة اسلم من تمویج الریاح
ایاه حتی یحیل من الجریان ما یحیله بطبعه فی موضع عال قالوا ان البحر
الموضوع فی داخل دیار هرقل لقلة عمقه وضیق مواضع منه وکثرة ما یسیل
الیه من الانهار یحیل جریانا والبحر الذی من الجانب الاخر بخلافه لکبره و
قلة ما ینصب الیه وشده عمقه **فصل فی تعریف سبب تعاقب الحر والبرد**
وقد یعرض فی هذه العناصر بل وفی المرکبات منها شیء یسمی التعاقب و
هو انه اذا استولی حر علی ظاهر بارد اشتد برد باطنه وبالعکس ولهذا ما
یوجد میاه الابار والقنی فی الشتا حارة وفی الصیف باردة وقد اختلف
الاوایل فی هذا فقائل ان الحرارة والبرودة ینهزم احدهما من الاخری
کانها تهرب من عدوها فاذا استولی علیه فی الظاهر انهزم غائرا واذا
استولی علیه من الباطن انهزم ظاهرا وکما یظن من هرب الما عن النار و
هذا المذهب یوجب ان یکون العرض من شانه ان ینتقل من حر

موضوع الی حر موضوع بل من موضوع الی موضوع فان کثیرا اما یکون
الباطن من الجسمین جسما منفصلا بنفسه فیعرض هذا العرض له فی ذاته
اذ المشتمل علیه منهما یستحیل استحالة مفرطة عن برد کانه انتقل من
المحط به وهو موضوع مفرد الیه وهو موضوع غیر مفرد وقد علمت ان
انتقال الاعراض مما لا یقول به المحصلون وقوم اخرون ابوا ان
یکون هذا المعنی حقیقة الا فیما یکون الجسم الواقع فیه هذا الشان
انما سخنه جسم لطیف حار هو سار فیه او یبرده جسم لطیف بارد هو
سار فیه فان کان ذلك الجسم حارا فاستولی البرد علی ظاهره
احتقن البخار فی داخل الجسم المستولی علی ظاهره ولم یتحلل فازداد سخونة
او کان المستولی حرا فجفف الظاهر وکیفه فان ذلك الجسم اللطیف
لا یتحلل بل یبقی داخلا محتقنا فیزداد لا محالة قوة اذ لولا الاحتقان لکان
یتحلل واکثر هولا لم یصدقوا امر الابار والقنی بل ذکروا ان ذلك
غلط من الحس کما یعرض لداخل الحمام فانه اول ما یدخل عن هوا بارد
شتوی یستسخن ما یفیض علی راسه من ماء فاتر ثم اذا استحم بالحمام
الداخل استبرد ذلك الما بعینه وذلك لانه اول ما دخل کان
بارد البشرة وکان الما بالقیاس الیه حارا ثم لما اقام فی الحمام الداخل
سخنت بشرته بالتدریج حتی صارت اسخن من ذلك الما فلما اعاد ذلك
الما علی بشرته کان باردا بالقیاس الیها واما الانتقال المدرج
فیه فلا یحس به کما یحس عن المغافص الذی یسمیه الاطبا سوء المزاج
المختلف قالوا وکذلك حال الابار فی الشتا فانها تکون ابرد من القناة
وفی الصیف اسخن من تلك المیاه والمیاه فی الفصلین علی حال

لكن الحس يغلط فيه الغلط المشار اليه وهذا الذي قالوه ليس مما لا بد منه لكن ليست الصورة في الآبار والقني على نحو ما ذكروا بوجه من الوجوه فانا
قد امتحنا تلك المياه فوجدناها في الشتا يذيب الجمد في الحال ولا يذيبه
في الصيف وليس يصعب علينا في الشتا ان يسخن ابداننا سخونة تعادل
سخونة الصيف فاذا فعلنا ذلك وجربنا تلك المياه صادفناها حارة
وفي الصيف جربناها فصادفناها باردة كثيرا منها يقارب الميا
المبرد بالثلج والجمد وههنا امور جربت في الاحوال الطبيعية يكذب
هذا الرأي منهم ويبطله سحصها خلال ما نحن شارحوا امره في حركات
الطبيعيات لكن الحق في هذا شيء اخر نقول ان الجسم الذي له طبيعة
مبردة او مسخنة فانه يبرد ذاته او يسخنه بطبيعته ويبرد ايضا ما يجاوره و
يتصل به او يسخنه وايض نقول ان القوة الواحدة اذا فعلت في موضع
عظيم وفعلت في موضع صغير فان تاثيرها في الموضع الصغير اكثر واقوى
من تاثيرها في الموضع العظيم وهذا امر قد تحققته من امور سلفت ويوجد لك
التجربة مصداقه فلا سواء احراق خشبة صغيرة واحراق خشبة كبيرة ولا
سواء اضاءة مشكاة ضيقة من سراج واحد بعينه واضاءة صحراء حسرمنه
فاذا كان في جسم ما من نفسه او من شيء شيء فيه مبدء تسخين وكان ذلك
المبدء يسخنه كله كان تسخينه لكله اضعف من تسخينه لما هو اصغر
من كليته فاذا استولى البرد على الاجزاء الظاهرة منه فاسع فعلها فيه و
بقي المنفعل عنه الاجزاء الباطنة وهو اقل من كليته كان تسخنها وانفعالها
من تلك القوة بعينها كمن كان عليه ثقل يحمله فعصت بعضه وتسلطت
قوته على سطر منه فيكون تاثيره فيه اسرع واقوى وكذلك الحال في التبريد

بنجر

يسه
فيجب ان يعتقد حال التعاقب على هذه الجملة لا على سبيل اختلاف مقا
ولا على سبيل انتقال عرض وانهزام ضد من ضد فالما ليس انما ينهزم
من النار على ما يظنونه بل يسحر دفعه بخارات شانها ان يرتفع الى
فوق دفعة مع مخالطة الما الذي لم يستحل فيحدث من ذلك حركة
مضطربة وصوت ينبعث عن شدة حركة هوائية يعرض هناك
لا على سبيل ان الما لستغيث من النار بوجه من الوجوه وهذه
الحركة انما يقصد الما فيها كالمتباعدة للنار والمصير نحو جهتها لما قبله
من السخونة فربما لم يمكنه لثقله ولبطلان الكيفية المكتسبة له
عند مفارقة مستوقد النار بالغليان وربما فسره الهوا الذي يحدث
فيه منه على التفرق وقذفه الى بعيد تطريقا لنفسه كما يغلبه ويحبسه
وكما يحدث عن اغلائه من التموج فصل في تعريف ما يقوي ان الاجسام
كلما ازدادت عظما ازدادت شدة قوة ولهذه العناصر بل وللمركبات
شيء اخر نظير ما قلناه وهو ان الكمية اذا ازدادت الكيفية
فان النار اذا عظمت وادخل فيها حديدة فانما يماس الحديدة منها
سطحا مثل السطح الذي يماسه من النار الصغيرة لكن سطح النار الكبيرة
يحمي في زمان غير محسوس وسطح النار القليلة يحمي بعد حين و
كذلك الشيء الذي يلقى في ملح قليل فانه لا يتملح كما يتملح اذا القي في
الملاحة في مدة قليلة فبين ان كيفية الاعظم اشد من كيفية
الاصغر فمن الناس من يظن ان السبب في ذلك ليس هو لان
الاعظم اشد كيفية لكن الاعظم يتدارك اجزاؤه البعيدة ما يعرض
للاجزاء القريبة من المنفعل فان هذا المنفعل لا محالة كما يتاثر بما دونه

فقد يؤثر بصورته فان الفاعل في الطبيعيات ينفعل فاذا انفعل
الاجزا القريبة من الفاعل الكثير عن المنفعل المكوف الضعيف
اعادت الاجزا التي يليها اياها الى فوقها فحفظت قوتها وهذا ميل
التغمس في الما الغمر فانه يصيبه من البرد ما لا يصيبه لو انغمس في
ما يسير لان الما اليسير اذا برد البدن يسخن ايضا من البدن فاذا اسخن
لم يحد مما يطيف به ما يتداركه فبرده واما الماء الغمر فانه اذا سخن
ما يلي البدن منه تداركه ما يلي ما يليه فعلا يبرد البدن فلا يزال
يتضاعف تبريده فهو لا يكاد ان يكون احتجاجهم يناقض مذهبهم
اما اولا فلانهم يجعلون الاجزا ابرد من الاجزا وليس يجب ان يسخن
الشئ حتى يبرد فان البارد اذا لم يكن الجامد في الغاية بل كان من
شانه ان يقبل زيادة برد كان من شانه ان يبرد مما هو ابرد زيادة
تبريد وهذا يوجب ان يكون الاجزا كلما تجاورت اكثر زاد كل واحد منها
في برد صاحبه لان صاحبه يبرد من طبيعته ويبرد ايضا من مجاورته
لانه مبرد فيجب من هذا ان يكون كلما ازداد عظما ازداد تبردا وان
لم هناك يسخن وليس لقائل ان يقول ان الما كله متشابه فيستحيل ان
يفعل جزء منه في جزء قابلا ان الشئ كما قد علم لا يفعل في شبهه واذا
كان كذلك فما دام مجاوره باردا مثله لم يصح ان يؤثر فيه بل يجب ان
يتسخن هو اولا حتى يصير ضده فيفعل ذلك فيه البرد وانما ليس له ان
يقول ذلك لان المجاور البارد ليس ينفعل من مجاوره من حيث هو
بارد بل من حيث ذلك يبرد وهو ناقص البرد مستعد لزيادة التبريد
فهو من جهة ما هو مستعد مقابل للبارد بالفعل ومعنى قولهم ان

الشئ

الشئ لا ينفعل في شبهه هو ان الشئ الحاصل بالفعل من المستحيل ان
يبقى انه مستفاد من طارئ من شانه ان يحدث عنه مثل ذلك الحاصل
بخلاف ما يعرض اذا كان الطارئ بهذه الصفة والمطر وعليه عادم
لذلك الشئ الذي فرضناه فيما كلامنا فيه حاصلا بل فيه ضده
واما الزيادة على الحاصل فقد يقع من الطارئ اذا كان بطبعه فاعلا
لها وكان في المجاورة بقية استعداد لقبولها كيف كان الطارئ في
كيفية كان قويا او ضعيفا الا ان يكون ضعفه في تلك الكيفية
يجعله الى ضدها اقرب فيكون السلطان في التاثير لضدها فهذا
هو الذي يجب ان يسلم من قول الناس ان الشئ لا ينفعل في شبهه فانه
ان لم يفهم على هذه الصورة فليس بواجب ان يسلم فالبارد اذا
جاوره البارد عرض من ذلك ان يكون يبرده من قوته المبردة التي في
طبعه اقوى كثيرا من تبرده عنها لو كان مجاوره شيا حارا يكون ذلك
الحار كاسرا من البرد الفايض من طبيعته واذا كان مجاور الماء ماء فانه
مع انه لا يكسر تبريد قوته فهو يبرد ايضا لان القوة التي في الما على ما علمت
يبرد الماء التي هي فيه وما يجاوره معا من كل قابل للتبريد وهذه
القوة بالحقيقة ليست شبيهة للجرم البارد فوق انها لا يفعل في شبهها
فان هذه القوة مبردة وليست بباردة وهي الطبيعة المائية وهي ايضا
محركة وليست متحركة فهي اذا وجدت مادة مبردة محتملة لان تبرد
وصار ما فيها لا يعوق عن التبريد الذي يفيض منه لانها مجانسة مشاكلة
والشئ لا يبطل شكله وجب ان يحصل هناك زيادة زايدة في تبرد
الما فان كانت تلك المادة التي هي فيها زادتها تبردا وتعدى ذلك

ايضا الى تبريد ما يجاورها فيكون بالمجاورة كل واحد من الجرمين
يزداد كيفية لان طبيعته لا تجد عائقا عن تكميل الفعل ولانه يفعل
في مجاوره وكلما كثرت هذه الزيادة التي في الكم ازداد هذا
التاثير الى ان يبلغ الحد الذي لا وراه ولو كان جايزا ان يذهب الزيادة
الى غير نهاية لكان يجب ان يذهب الاشتداد الى غير نهاية للعلة المذكورة
ولهذا ليس يحق ما يشكك به بعض المتشككين على ما ذكر في علوم المشائين
انه لو كان للفلك مع عظمه نارا لكان يجب ان يفسد ما تحته فوق الارض
ذلك بحث فان المفسد بالحقيقة هو السطح المماس وهذا السطح يكون
على طبيعة واحدة وان كان للجسم الذي وراه اى عظم شئت فانه لو
يعلم ان هذا السطح لا يلبث كيفيته على مبلغ واحد حال التي عظم
وصغر وقد سال ايضا وقال ولو كان الازدياد في العظم يوجب الازدياد
في الكيفية لكان يجب ان يكون نسبة ماء البحر الى برد ماء اخر كنسبة عظمه
الى عظمه قال وليس كذلك فان ماء البحر وان كان اشد تبريدا وكان الشارع
اياه لا يحتمل من تطويل المكث فيه ما يحتمله الشارع في ما قليل فليس يبلغ
ان يكون نسبة بردي الماءين نسبة الماءين في مقداريهما فنقول ان
هذه ايضا مغالطة وذلك لانه ليس قولنا كلما ازداد الجسم البارد مثلا قدرا
ازدادت كيفيته شده يوجب ان يكون نسبة القدرين نسبة الكيفية
في المزيد عليه الى الكيفية الاولى وذلك لانا انما قلنا انه اذا زيد على
الماء ماء مثله صار برد المزيد عليه اشد ولم نقدر فانه انه صار برد
المزيد عليه ضعف برده الاول فانا لم نقل اليه برد المضاعف عليه
بكليته حتى يضعف وليس اذا كان انضمام ذلك اليه يوجب

زيادة

زيادة برد فيه يجب ان يكون تلك الزيادة مثل الاصل الاول او مثل
الذي في المصام نعم لو كان يبرد الماء المبرد كله بنقل اليه لكان
بالحري ان يظن هذا الظن وان يقال ان المبرد اذا كان مثله تضاعف
برده وليس كذلك بل برد الماء المزيد عليه المضاف اليه الذي يلزمه
ولا يفارق جوهره انما يتعدى عنه الى هذا اثر زيادة قليلة واذا
اضيف اخر الى المضاف زادت زيادة اخرى قليلة اقل من تلك
لان المضاف الثاني ابعد فليس يجب في الزيادات ان يتضاعف
الكيفية فيها بتضاعف الاقدار اذ ليس يجب ان يكون الزيادة مثل
مثل الاصل بل يجوز ان يكون اقل منه بكثير وبحيث لا يحس في
الاضعاف اليسيرة فلا يجب ان يكون ما اعترض به حقا نعم لو كانت
جملة البردين اللذين في الماءين يمكن ان يفعل في موضوع كان
يفعل فيه الجوهر الاول لكان يكون تبريده ضعف تبريد ذلك و
لكن هذا مح وغير نافع لهذا المتعنت اما انه مح فذلك لان الاول انما
كان يكون بالمماسة وانما كان التبريد بمماس مثل مثلا وذلك الذي
كان يماسه لا يمكن ان يماس مجموع الجرمين بل انما يماس مجموع الجرمين
ضعف ذلك وعند ذلك يكون فعله فعلا متشابها لفعله لان
المنفعل ضعف المنفعل الا ما يريد زيادة اشتداد الكيفية للاجتماع
وهذا الباب اصل فاضل ينبغي ان يحصل ويحقق واما انه غير نافع للمتعنت
فلان المسئله في قعر سطح واحد وبعد هذا فيجب ان يعلم ان النسبة في
تصغر وتصغر دائما على ترتيب واحد فصل في تعديد الافعال
والانفعالات المنسوبة الى هذه الكيفيات الاربع ان لهذه

الكيفيات الاربع افعالا وانفعالات منسوبة اليها مشتركة في
جميع الاجسام فمنها ما هي للفاعلين ومنها ما هي للمنفعلين فاما التي للفاعلين
فمنها ما ينسب الى الحر ومنها ما ينسب الى البرد ومنها ما ينسب اليهما
جميعا فالمنسوب الى الحر مثل النضج والطبخ والشي والتبخير والتدخين
والاشتعال والاذابة والمنسوب الى البرد مثل التفجيج ومنع الطبخ
ومنع الشي ومنع التبخير والتدخين ومنع الاشتعال والاذابة
التي هو الاجماد ومنع الانعقاد وهو الحل والتلزج واما الامر المشترك
بينهما فمثل التعفين ومثل تجميد كثير من الاجسام كالحديد و
الفرن فان كل واحد منهما يجمد بالحر والبرد مثل العقد والتحجر و
اما الامور المنسوبة الى الكيفيتين المنفعلتين فهي انفعالات لا
غير فمنها ما هي بازا هذه الافعال الصادرة عن الكيفيتين الفاعلتين
مثل قبول النضج وقبول الطبخ ومثل الانقلاء والانشواء والتبخر و
التدخن والاشتعال والذوبان والانعقاد ومنها ما ليس بازا هذه
الافعال فمن ذلك ما يقتاس احدى الكيفيتين الى الاخرى اما
لليابس فمثل الابتلال والنشف والانتقاع والميعان وللرطب
مثل الجفوف والاحالة الى النشف ومنها ما ليس يقتاس احدهما الى
الاخر فمن ذلك ما هو للرطب وحده ومنه ما هو لليابس وحده و
منه ما هو للمركب منهما فاما الذي للرطب وحده فمثل الانحصار
وسرعة الاتصال والانخراق والذي هو لليابس فمثل الانكسار و
الارضاض والتفتت والانشقاق وامتناع الاتصال بمثله و
الالتصاق بغيره واما الذي للمختلط فمثل الانشداخ والانطراق و

الانعجان

الانعجان والانعصار والتلبد والملرح والامتداد والتزرق فهذه
هي الافعال والانفعالات التي يصدر عن بساطة هذه الكيفيات
وتركبها صدورا اوليا فما كان من هذه الاحوال بفعل وانفعال
مشترك جمعنا القول فيه في باب واحد وما كان من هذه الاحوال
مشتركا من الفاعلة والمنفعلة فسبيلنا ان لا نكرره في باب المنفعلة
فصل في النضج والنهوة والعفونة والاحتراق فنقول ان النضج احالة
من الحرارة للجسم ذي الرطوبة الى موافقة الغاية المقصودة وهذا
على اصناف منه نضج نوع الشي ومنه نضج الغذا ومنه نضج الفضل
وقد يقال لما كان بالصناعة ايضا نضج فاما نضج نوع الشي فمثل نضج الثمرة
والفاعل لهذا النضج موجود في جوهر النضيج ويحيل رطوبته الى قوام
موافق للغاية المقصودة في كونه وانما يتم فيما يولد المثل ان يصير بحيث
تولد المثل واما نضج الغذا فليس هو على سبيل النضج الذي لنوع
الشي وذلك لان نضج الغذا يفسد جوهر الغذا ويحيله الى مشاكلة
طبيعة المغتذي وفاعل هذا النضج ليس موجودا في جوهر ما ينضج بل في
جوهر ما يستحيل اليه لكنه مع ذلك احالة من الحرارة للرطوبة الى موافقة
الغاية المقصودة التي هي افادة بدل ما يتحلل والاسم الخاص بهذا النضج
هو الهضم واما نضج الفضل من حيث هو فضل اعني من حيث لا ينتفع به
في ان يغذو فهو مفارق للنوعين الاولين فان هذا النضج احالة للرطوبة
الى قوام ومزاج به يسهل دفعها اما بتغليظ قوامه ان كان المانع عن دفعه
شدة سيلانه ورقته واما بترقيقه ان كان المانع عن دفعه شدة غلظه و
اما بتقطيعه وتفتيته ان كان المانع عن الدفع شدة لزوجته لكن هذا

النضج مع ذلك احالة من الحرارة للرطوبة الى موافقة الغاية المقصودة
وكذلك النضج الصناعي وهو بالطبخ او الطحن او القلي او غير ذلك مما
نذكره ويعارض هذا النضج امران احدهما كالعدم وهو النهوة و
الفجاجة والثاني كالضد وهو العفونة فاما النهوة فان سعي الرطوبة لم
مبلوغ به الى الغاية المقصودة مع انها لا تكون قد استحالت الى كيفية
منافية للغاية المقصودة مثل ان سعي الثمرة منه او سعي الغذا بحاله لا يستحيل
الى مشاكلة المغتذي ولا ايضا سعيه او سعي الخلط بحاله لا يستحيل
الى موافقة الاندفاع ولا ايضا يفسد فسادا اخر فان استحالت الرطوبة
الى هيئة رديئة يزيل صلوحها للاندفاع بها في الغاية المقصودة فذلك
هو العفونة والنهوة فعلها بالعرض مانع فعل الجوهر البرودة واما العفونة
فيفعلها اما فيما سبيله ان ينضج على القسم الاول فيضعف الحرارة الغريزية
وقوة الحرارة الغريبة فان الحرارة الغريزية لو كانت قوية لكانت تحسن
احالة الرطوبة او حفظها ولو لم يكن حرارة غريبة لما كان هذا يستحيل
الى كيفية حارة رديئة بل سعي فجا ولهذا ما يكون الميت اسرع الى التعفن
بالحرارة الغريبة من الحي بكثير والساكن من المتحرك واللحم التي من المطبوخ
وابرد الجنسين من اسخنهما فان السخين الحار لا يقبل من العفونة ما يقبله
مضاده مثل ماء البحر ومياه الحمات فانها اقل عفونة من مياه الاجام وجميع
ذلك انما يصير اسرع تعفنا لان حرارته الغريزية يبطل وقد يبطى التعفن
اذا لم يكن حرارة غريبة وان بطلت الحرارة الغريزية لان عدم الحرارة
الغريزية لا يكفي في ذلك واذا اردنا ان نحفظ العصير من ان يعفن و
سو فانا نجعل فيه الخردل او رفا الكبر فان ذلك تورثه تسخينا غريزيا

او يقوى

او يقوى حرارته الغريزية فيقا ومع حرارة غريبة ويكون اليه للغالب
منهما فان استولت عليها الحرارة الغريزية وجهت التدبير الى الجهة
الموافقة للغاية المقصودة وان استولت عليها الحرارة الغريبة انصرف
التدبير عن الجهة الموافقة بل صارت الرطوبة ذات كيفية غريبة
غير ملايمة للنوع ولانها ليست موجودة في شئ اخر حتى يصير ملايمة
له فيكون تلك الحرارة حرارة منافية للوجود كما الغذا اذا انهضم عن
حرارة غريبة لشئ اخر فانه سعي معطلا عن موافقة الوجود ومنتهى
العفونة اليبس فالعفونة في الكاينات عن الرطوبة طريق مضاده لطريق
الكون فان الكون يصرف الرطوبة على المصلحة الى الكمال والعفونة
يصرفها على المفسدة الى البوار والبرد يعين على العفونة بما يضعف
من الحرارة الغريزية اولا وبما يحقق من الغريبة ثانيا وهذا هو العفونة
وربما استعد الشئ بالعفونة لقبول صورة اخرى فيولد منه شئ اخر
نبات او حيوان وهذه الحرارة الغريبة ان كانت قوية بحيث يسرع في
تحليل الرطوبة المذكورة لم يكن عفونة بل احراق وتجفيف فانما
يكون العفونة اذا بقيت الرطوبة مدة يستحيل عن الموافقة وهي رطوبة
فقد عرف من هذا القول حال النضج النافع في تكميل الصورة
النوعية واما النضج الثاني والثالث فان السبب فيهما حرارة غريبة ايضا
لكنها غريزية للشئ الذي لاجله ما ينضج النضج المذكور فاذا فعلت تلك
الحرارة فعلها وبلغت به الغاية المقصودة فقد نضج وان قصرت و
عاوقها برد كانت لحاجة وان استولت عليها حرارة غريبة اخرى
افسدت على الغريزية فعلها وقهرت الحرارة التي في الغذا فزال

الغذاء غير طبيعية ولم يستحل الى طبيعة البدن وصار معطلاً لا ينتفع به وذلك هو العفونة وكذلك الخلط اذا لم يبق بحالہ ولم يستحل الى النضج تبقى عفنا لكن الخلط العفن قد يلحقه النضج فيجعله بحيث يندفع لان غاية هذا النضج هو هذا فالنضج مادة جسم رطب ليس بيابس صلب ولا ايضا سخيف لا يحفظ الرطوبة التي له كالخشب والفاعل فيه حرارة غريزية وصورته تكيف الرطوبة بكيفية موافقة لعرض الطبيعة وغاية تمة لتولد الاشخاص الحر والنهوة مادتها جسم رطب وفاعلها برد او عدم حر وصورتها بقاء الرطوبة غير مسلوك بها الى الغاية الطبيعية فصورتها عدم وغايتها الغاية العرضية التي يسمى الباطل وقد بينا حكمه والتكرج ليس كل من وجه العفونة الا ان التكرج يبتدي من حرارة عفنية في الشي تفعل بحرافية لا يبلغ الى ان ينفصل عنه بالتمام بل يحبسه البرد على وجه الشي وظاهره فداخل جرمه او ما يغشى جرمه ويحدث منه لون ابيض من اختلاط الهواء بتلك الرطوبة كما يعرض للزبد ويبقى على وجهه فان لم يكن هناك حرارة البتة لم يكن تكرج وان كانت الحرارة اقوى كانت عفونة وان كانت اشد من ذلك تجفيف واحراق فصل في الطبخ والشي والقلي والتبخير والتدخين والتصعيد والذوب والتليين والاشتعال والتجمير والتفحيم وما يقبل ذلك وما لا يقبل واما الطبخ فالفاعل القريب له حرارة رطبة تسخن وتخلخل المطبوخ بما هو حار وكذلك تحلل من جوهره ومن رطوبته شيئا ولكن يرطبه بما هو رطب اكثر مما يحلل منه ومع ذلك فان رطوبته الطبيعية تتحلل من ظاهره اكثر من تحللها من باطنه ويقبل الرطوبة الغريبة ايضا من ظاهره اكثر من قبوله اياها من باطنه ومادته

جوهر فيه رطوبة فان اليابس المحض لا ينطبخ الا باشتراك الاسم فانه قد يقال للذهب وما اشبهه قد انطبخ وذلك اذا بقيت الحرارة النارية ما فيه من الجوهر الغريب وخلصته بقياً واما الشي فالفاعل القريب حرارة خارجة يابسة ولذلك ياخذ من رطوبة ظاهر المشوي بالتحليل اكثر مما ياخذ من رطوبة باطنه فيكون باطنه ارطب من ظاهره وبخلاف المنطبخ ويكون الرطوبة الموجودة في المشوي رطوبة جوهرية وقد لطفت واذيبت وفي المطبوخ فقد يكون رطوبة ممتزجة من الشي الطبيعي ومن الغريب والشي اصناف فمنه ما يكون الحرارة الملاقية هواء ناريا ويسمى مشويا على الاطلاق ومنه ما يكون الحرارة الملاقية حرارة ارضية فان كان مستقرها مس النار الجمري سمي تكميسا وان كان مستقرها جسم اخر ارضيا يسخن من نار خارجة منه ثم يسخن ذلك الجسم سمي ملا وقد يكون منه ما يشبه الشي من جهة والطبخ من جهة وهو الذي يكون التاثير فيه بحرارة لزجة دهنية وهذا يسمى تطحيسا فلان هذه الحرارة رطبة فهذا التاثير يشبه الطبخ ولانها لزجة لا ينفذ في جوهر الشيء نفوذا يخلخله ويلينه بل يجمعه ويحصر رطوبته في باطنه بتشديد اللزوجة فهذا التاثير يشبه الشي وقد يقال للهضم والنضج طبخ باشتراك الاسم واما التبخير فهو تحريك الاجزاء الرطبة متحللة من شيء رطب الى فوق بما انفاد من مبدء ذلك بالسحر والتدخين هو كذلك للاجزاء الغالب فيها اليابس فمادة التبخير مائية ومادة التدخين ارضية والبخار ما يتحلل والدخان ارض متحللة وكل ذلك عن حرارة مصعدة فالجسم الرطب المحض كالماء لا يدخن والجسم اليابس المحض كالارض لا يبخر وقد يكون جسم مركب من رطب ويابس يبخر ولا يدخن

وذلك اذا كانت الرطوبة فيه غير شديدة الامتزاج باليابس واليابس كان
عاصيًا لا يتصعّد كمن يعجن الطلق والحديد ويحمّيها بالماء ثم يقطره فانه لا يقطر
منه الا الماء اللهم الا ان يتولى في ذلك الباب حيل ولا يجوز ان يكون
جسم ممتزج هذا الامتزاج ويدخن ولا يبخر وذلك لان الرطوبة اطوع
لتصعد الحرارة من اليبوسة وكل ما يتصعد ويتبخّر ويتدخّن فاوّل ما
يتصعّد منه بخار ساذج لا محة او شيء الغالب فيه المائية ثم يصعد عن
ذلك فان كانت فيه دهنية صعدت الدهنية بعد المائية وان كان
جوهر اليبوسة فيه مما يقبل التصعد صعدت الدخان وذلك لان الرطوبة
اطوع ثم المختلط من رطوبة ويبوسة كالدهنية اللزجة ثم شيء اخر فانه و
ان كان مادة التبخر والتدخن ما قلنا فليس يجب من ذلك ان يكون كل
مركّب متبخّرا او متدخنا وذلك لان الرطب واليابس اذا امتزجا شديدًا
يعسر مفارقة احدهما الاخر وانفصاله عنه وربما كان الامتزاج اسلس من
ذلك فان كان المزاج سلسًا امكن ان ينفصل بعض الاجزاء عن بعض
فيتبخر ويتدخن وان كان محكمًا لم يكن لبعض الاجزاء ان يفارق بعضًا
فان كان الرطب جامدًا فربما اثر فيه الحر حتى يذوب وربما لم يؤثّر اثرًا يذوب
به ولكن بلين كالحديد وربما لم يؤثر اذابة ولا تليينًا كالطلق والياقوت
ويجوز ان يكون جوهر الغالب فيه المائية قد جمد جمودًا لا يؤثر فيه النار
كالياقوت وكل ما كان كذلك فهو رزين ثقيل لشدة تلاحم الاجزاء و
اذا كان من هذه الاجساد ما قد يتحلل منه شيء يسير بالتسخين من النار الا
ان جوهره لا يفسد فقد يعرض ان يفسده النار لذاته واجتماع اجزاء
مصعرة كالنحاس والفضة وغير ذلك فان هذه اذا عمل فيها النار كثيرا

ينفصل

انفصل عنها شيء من جوهرها الكباريت والزرانيخ والشك وازداد
ثقلا وذلك لان الشيء الذي ينفصل منه شيء هواي والهوائية
بخفف واذا زالت وبقيت الارضية وحدها كان الشيء
اثقل اذا كان مخلوطا بهوائية واصفر فالجسم المبخر وحده هو
الرطب الصرف او الذي لا تشتد ملازمة رطوبته ليبوسته
فهو غير محكم تلازم الاجزاء والجسم المدخّن هو اليابس المحض
القابل اجزاؤه للتلطف او المركب الذي لزم رطوبته ويبوسته
الا ان جملة تركيبه متخلخل غير محكم فتقبل اجزاؤه الانفصال ويعين
رطوبته على تصعد فان كثيرا من الاجسام التي لا يتصعد بالحرارة
والتي يعسر تصعدها اذا خلطت بالاجسام التي يتصعد خلطًا شديدًا
تصعدت فان قومًا يرومون ان تصعد والحديد والزجاج والطلق و
غير ذلك فلا يزالون يصغرون اجزاءها ويخلخلونها بالتربية في النوشادر
المحلول ثم يوقدون عليه بقوة فيتصعد الجميع وكثيرا ما لا يحتاج الى ان
يخلط به ما يصعد في نفسه بل يلطف ويصغر اجزاؤه تصغيرًا مفرطًا
فانه يقبل التصعيد مثل النحاس مما يذوب ولا يتصعد فاذا بحر بحرة
محكمة حدا بالغة صعد عن ادنى حرارة وكذلك كثير من الاجسام التي
يتصعد بسهولة يجعل بحيث لا يصعد اما بان يغلب عليه ما لا يصعد
بمزاج قوي مثل النوشادر يحل ويحل الملح الحجري ويخلطان خلطا جيدا
فيه الملح ثم يترك المخلوط مدة حتى يشتد امتزاجه ثم يعقد فلا يدع الملح
النوشادر ان يصعد لانه يقويه ويسهله وشدة الامتزاج لا يمكنه من
الافتراق لكن ذلك المجموع يذوب فان جعل النوشادر اغلب صعد

واستصحب الملح كما اذا جعل الملح كما اذا جعل الملح اغلب نعت وصحب
النوشادر واما ان يجمع اجزاؤه جمعا مدمجا حتى تصغر الحجم وتشتد اجتماع
ويتلازم الاجزا فلا يتفرق ولا يتصعد وقد يحاول قوم ان يجعلوا
النوشادر وما يجري مجراه بهذه الصفة واما الاذابة فيحتاج الجوهر
القابل لها الى رطوبة تلازم اليبوسة واذا انحلت عن جمودها وسالت
بقيت بعد التحلل والسيلان متلازمة فان لم يبق فهي متبخرة وان بقيت
قليلا ثم انفصلت فهو مما يذوب ويتبخر معا كالشمع واما التليين بالنار
كما للحديد والزجاج فيشبه ان لا يكون الرطوبة التي فيه بحيث يسيل بعد
التحلل وهذا فلما يتبخر والرطوبة في الذائب اكثر منها في المثلين وجميع
ما يلين ولا يذوب بل ما لا يلين ولا يذوب فانه اذا افيد كيفية حادة رسمية
من شي ناري لشوي به او يقلى عليه سهل قبوله بفعل النار وحللت
اليابس العاصي فيه وخلخلت جوهره حتى يسيل للتخلخل مثل الحديد
الطلق والمارقشيثا والملح فان جميع ذلك اذا شوي بالكبريت او الزرنيخ
او النوشادر وزبد البحر او الملح المتخذ بالقلي واشيا اخرى من هذا الجنس
ذاب واما المشتعل فهو الذي ينفصل عنه بخار ليس من الرطوبة والبرودة
بحيث لا يستحيل نارا بل هو رطب حار دهني او يابس لطف فان كان
يابسا كثيفا او رطبا لا دهنية فيه لم يشتعل وجميع البخار المنفصل عن
الدهنيات وعن الاشربة الحارة المزاج والمياه البحرية يشتعل فكل مشتعل
فهو الذي من شانه ان يتصعد عنه دخان قابل للاستحالة الى النارية
اضواء واشراقا وحرارة واما المتحمي الغير المشتعل فهو الذي يستحيل اجزاؤه
الى النارية اشراقا واضاءة وحميا لكنه لا ينفصل عنه شي واما اليبوسة

مثل الصخر والحجر واما الشدة رطوبة حتى يكون ما يتحلل منه بخارا مائيا
لطيفا لا يشتعل واليابس منه يبقى في جوهره فيحترق واما المشتعل
الغير المتحمي فهو الذي ليس من شان اجزائه ما لم يحمر ان يستحيل الى النارية
مثل الدهن فانه لا يحمى البتة بل يشتعل والمشتعل المتحمي هو الذي يجتمع
فيه الامران جميعا والفحم من جوهر ارضي قابل للاشتعال بطل تحمره قبل
تماما في جوهره من المادة المستعدة للاشتعال والرماد هو بقية جوهر
ارضي قد تفرق اجزاؤه لتصعد جميع ما في اجزائه من الدخان المتصعد
فان كان جوهر الشي مشتعلا كان رمادا وان كان غير مشتعل بل يحمر
فقط او ذايبا سماه قوم كلسا وقد يتفق ان يكون شي واحد قابلا للذوب
التدخين والاشتعال معا ومثل هذا الشي لا يكون عسر الاذابة لما ندر
فصل في الحل والعقد ينبغي ان يستقصى القول في امر الحل والعقد
فليس كل شي يحل عن اذابة الحل الحر فقد يحل اشيا من البرودة والرطوبة
بل قد ينعقد اشيا من الحر فان الملح يعسر انحلاله بالنار ويحل بالما والنداوة
بالسهولة حتى يصير ماء من غير ان يكون داخله من جوهر الما زيادة
يعتد بها او يكون بحيث لو خلط مثلها بجسم يابس سيله والبيض
ينعقد بالنار حتى يصلب بعد سيلانه وانحلاله وكثير من الاشياء
يعرض له ذلك ان لا ينعقد بالحر بل يحر وكثير منها يعرض له ذلك من
البرد كالزيت وكثير من الاشيا يحرلهما جميعا كالعسل واما المني فانه
يرق لا محالة بالبرد فنقول اولا ان من شان المايية ان يحر بالمخالطة وان
يجمد بالبرد وان ينعقد ايضا باليبوسة وكذلك يصير الما ارضا لا لزيادة
برد للجمد واذا اجمد البرد فربما كان ذلك بمشاركة من ضغط الحار

اولا ومعونة منه حتى يحدث بخارا حارا وتحلل فسعه الجمود وايضا فان من شان
المائية ان يتحلل ويرق بالحر وذلك معلوم ومن شانها ان يحمر بالمخالطة و
اما بالحقيقة فبمخالطة الارضية كما يحدث عند الطين واما بالحس فالمخالطة
بالهوائية كما يحدث عند الزبد وذلك بكثرة ما يحدث من السطوح التي
اينعكس عنها البصر فلا يبعد نفوذه في المشف ومع ذلك فيكون الهوا
لشدة اجتماعه في المحتقن اياه الممحى عليه ثقل يعرض له من المقاومة ما
يعرض له في الرق المنفوخ فيه اذا دفع بالسدور الرق ومن شان الارضية
ان تشتد جفوفها بالحر فيكون بحيث تتندى وتسيل بالبرد فيكون
البرد من شانه ان يجمد السيال ويلين ضده والحر من شانه ان يدبج ويجفف
اليابس وان يرق ضده ومن شان الهوائية والنارية ان لا يجمد الماني طبعا عنها
من اللطيف وان صارا بحيث يجمدان فقد استحالا عن جوهرهما واسمار طوبة
حصلت فيها ارضية وهوائية لم يجمد لسبب الهوائية ولكنها يحمر من الحر
والبرد جميعا اما من الحر فبسبب ما فيها من الارضية واما من البرد فبسبب
استحالة ما فيها من الهوائية الى المائية وهذا كالزيت واليبس من طباعه ان
يحيل الضد الى مشاكلته فاليبس من شانه ان يجمد وكذلك الرطوبة من
شانها ان يذيب ويحل وهذا هو الحق والحرارة يعين كلا من اليبوسة و
الرطوبة على فعله فالرطب الحار اشد تحليلا لما يحل به واليبوسة الحارة
اشد عقدا لما يعقد بها واما العسل فيجعله الحر اولا ارق في قوامه وذلك
لما يتحلل من لطيفه فيكون هو ارق بالقياس الى ما كان قبل ان مسه الحر
لكنه ان اصابه البرد لم يكن اولا ارق بالقياس الى ما كان قبل وذلك
لانه في هذه الحال يجمد اشد مما كان قبل فالبرد يجمده لان فيه رطوبة و
الحر

الحر يجمده لان فيه يبوسة يغلب بالحر على ما علمت وبعضها تحلل ما يتحلل
من الرطوبة واما الزيت فعسر الجمود وذلك للزوجته ولما فيه من
الهوائية وان كان قد يحمر لاستحالة هوائيته الى الضبابية والطبخ لا
يحمره كثير تحمير لانه لا يقدر على التفصيل من رطوبته ويبوسته
لانه شديد الاختلاط جدا ولذلك هو لزج وانما ينقص قدره لتبخر ما
يتبخر عنه لكن المتبخر يكون في صفة ما بقي فيه من حيث انه يتصعد
ممتزجا من الجوهرين لا الطف كثيرا منه وذلك كما يتبخر الصاعد من
الما ويترك الباقي بحاله والزيت لعسر تصعيده لانه لزج مشتعل واما
البيض فان الحر يعقده عن سيلانه ثم يحله بالتفريق لا بالتسييل وانما
ينعقد البيض بالحر لان المنبث في جوهره يبوسة دفعها النضج في
الرطوبة فاذا ما سخن استعانت اليبوسة بالحرارة على ما قد وقعت عليه
فغلبت الرطوبة وعقدت ومادة الملح ماء عقده يبس ارضي خالطه
بمعاونة حرارة فلذلك ينحل بالبرد وخصوصا ان كان مع الرطوبة وقد
ينحل ايضا برطوبة حارة وان لم يكن الرطوبة لزجة فان اللزج لا يفعل
رطوبته حلا ويزيد حرارته عقدا واغلب ما يحل الملح هو الرطوبة لان
انعقاده في مادة رطوبية هو لسبب اليابس الارضي الذي فيه ولو لم
يكن هناك رطوبة انعقدت بل يبوسة ارضية لكان يعسر انحلالها
بالرطوبة واما البرد فيحله لانها به قوة اليبوسة التي فيه المستفادة من الحر
لسببه ما قدر اليابس على عقد تلك الرطوبة المقتضية للسيلان
في مثل حالها ومن الاشيا ما يجمد بالبرد ويحل بالرطوبة كالدم فهو مائي
ارضي فالمائية يجمده البرد والارضية يحله الرطوبة والشظايا الذي في

الدم يعين على اجماد الدم ليبسها وان كانت الشظايا قليلة ابطأ انعقاده
واما المنى فانما يخثره الريح المخالطة وهى الهوائية فاذا كسرها البرد واحالها
وانفصل عنه رق والدم قد ينعقد لكنه ان كان رقيقا جمد ولم يخثر كالما
وان كان غليظا خثر اذا لا لاختلاف جوهر اجزائه والجبنية هى علة انعقاد
اللبن لارضيتها وتجفيفها وكل لبن قليل الجبنية فهو لا ينعقد و
لذلك اذا نزع جبنيته لم ينعقد والدم ايضا فان ثقله واللبنية التى فيه
سبب من اسباب انعقاده فان قل ثقله ولبنه كدم بعض الحيوان او الدم
الغير النضيج المائى من كل حيوان اذا نزع عنه ليفه لم يجمد وكل ما يحل بالحر
فهو الذى جمد بالبرد والغالب عليه الرطوبة وكل ما ينحل بالبرد فهو الذى
جمد بالحر والغالب عليه اليبوسة وقد يجتمع الحر والبرد على اجماد الشى
فيصعب حله واذابته وذلك الشى هو الذى اعان عليه الحر على جموده بما
حلل من الرطوبة وبما غلب من سلطان اليبوسة واعان البرد على جموده
بكره على ما بقى رطبا منه فيشاركا فى اجماده وهذا مثل الحديد ومثل
الخزف فان كانت قد بقيت فيه رطوبة صالحة امكن ان يذاب بالاحتيال
والا فبالقسر فان الخزف ايضا تلين وتسيل فى شدة الحر واعلم ان الحر اذا
اشتد سلطانه خلخل المادة وسيل الرطوبة فابطل معه اجماد اليابس الذى
يستعين به وبما يحدث منه فى تلك اليبوسة ايضا من تخلخل وكذلك الملح
والخزف قد يذوب اخر الامر لكن الملح اذا اراد ان يذوب لم يكن لان
اليابس فيه قليل فى الكم كثير فى القوة وكذلك حاله اذا انحل فى الما واما
الاشيا الاخرى فاولا تلين وتخثر ثم تذوب والرطوبات القابلة للخثورة
منها ارضية كالعسل ومنها هوائية ارضية كالزيت وكل ما يخثر بالبرد

فيه

فيه هوائية فانه يبيض اولا بجمود هوائيته وقربه من المائية وكثير من
الرطوبات اذا طبخت فى النار ابيضت ايضا كالزيت وذلك لتحلل
الوسخ منه وتحلل شى من المائية والهوائية التى خالطته وكثيرا
ما يسود لما يخالطها ويحصر فيها من الدخان بسبب الاحتراق والمذوب
فى الرطوبة منه ما ينحل ومنه ما يختلط والذى ينحل فهو الذى لا
يرسب وهو الذى رجع الى اجزا صغار ليس فى قوتها ان يخرق جرم
الرطوبة وينفذ فيه كالملح والنوشادر ومنه ما يرسب كالطين اذا
حلل فى الما فانه لا يفعل الرطوبة فى تحليله ما يفعل فى تحليل الملح
لان مسام الملح كثيرة ومستقيمة واجزاؤه لطيفة وليس كذلك حال
الخزف ولا ينفذ فيها الرطوبة نفوذا مفرقا ومن اراد ان يمزج اشيا
مختلفة مزاجا لشد تلازمه فهو يحتال فى حل تلك الاشيا ثم جمعها
ثم عقدها لكن اكثر ما يفعل به ذلك يبطل خاصيته وكثير منها يبقى
خاصيته كالملح والسكر والرطوبة اذا كانت مغلوبة جمدت ادنى برد
وانحلت بحرارة شديدة وان كانت غالبة فبالضد ولذلك ما كان
الرصاص يسهل ذوبه ويبطو جموده والحديد بالعكس **فصل فى اصناف
انفعالات الرطب واليابس** واما الاستلال والانتقاع والنشف
والميعان فلنتكلم فيها فنقول ان من الاجسام ما يبتل ومنها ما لا
يبتل اما الذى يبتل فهو الذى اذا ماسه جسم مائى لزمه منه
رطوبة غريبة والذى لا يبتل فهو الذى اذا ماسه ذلك لم يعرض له
هذا العرض وذلك اما لشدة صقالته واما لشدة دهنيته على
ان الدهنية يفعل ذلك بما يحدث هناك من الصقالة فان الصقل

لاستواء سطحين لو عنه الرطوبة الى جهة يميل اليها بالتمام واما غير
الصيقل فيلزم الرطوبة به ما فيه من المسام ثم يتصل ذلك اللزوم
فيحصل منه شيء كثير على وجهه واما الانتقاع فان نعوص الرطب
في جوهره فيحدث فيه لينا مع تماسك فانه ان لم يحدث فيه لينا لم نقل
مسع وان انحل ايضا لم يكن متنقعا وكل مسع مثل وليس كل مبتل
متنقعا والاجسام الرطبة اما رطبة برطوبة هي لها في انفسها مثل الغصن
الناضر واما رطبة رطوبة غريبة وتلك اما لازمة لسطح الجسم كالخشب
المبلول واما غايصة في عمقه كالجسم المنقوع في الما واذا نفذت الرطوبة
في العمق ولم يحدث العارض المذكور كما في حال النشف الذي لا يبلغ
الترطيب البالغ فلا يسمى نقيعا والنشف يحدث لدخول الرطوبة المائية
اثرما مس من مسام الجسم اليابس من الاجزا الهوائية المحصورة فيه
المحتبسة في مجاريه بالقسر لضرورة الخلا فاذا وجدت ما ينفذ ويقوم
مقامها امكنها ان يتحلل بالطبع الذي يقتضي مفارقتها له فان انحصار
الهوائية في الارضية وفي المائية انحصار قسري فاذا تحلل وانفصل
وجرى الما في مجاريها فربما عرض لما جرى في المسام وخالط الجسم
ان ينعقد من اليبوسة المخالطة لمثل السبب الذي ينعقد له الملح
وما يجري مجراه فيعرض له ما يعرض في الجص اذا خلط به الما وكذلك
في النورة وغيره وربما لم يعرض وكثير مما ينشف يعرض له ان يجف
في الحال وذلك لان الرطوبة اذا كانت قليلة وانجذبت بالقوة الى
باطن لم يجب ان يحتبس على الظاهر اذ تجد الهوا الاخر المماس للرطوبة
يتبعها منجذبا عن انجذابها من الهوا المنفصل ويكون جذب الهوا المقسور

اشد من ممانعة الهوا الذي في موضعه الطبعي لان المحبوس المقسور
ذو ميل بالفعل والذي في موضعه الطبعي لا ميل له بالفعل الا
اذا تحرك فزال عن موضعه وانما ينفعل عن الهوا الجاذب فيما نحن
فيه من الهوا ما هو ساكن في موضعه لا ميل له واذا تحرك غلب ميله
الطبعي ايضا فلم يكن ميل الساكن الذي لم ينزع من ذاته ميلا
طبعيا واذا كانت الرطوبة المنشوفة مائية رقيقة اسرع نفوذها و
كثيرا ما تكون سرعة الحركة سببا لتسخن الرطوبة حتى يتبخر ويتحلل وان
لم تكن الرطوبة مائية بل كانت دهنية ابطا نفوذها ولا ينشف من
الاجسام اليابسة الا ذو مسام موجودة بالفعل لطيفة واما المصمت
فلا ينشف وكذلك ما مسامه مملوة من غير الهوا وقد بقي مما نحن نتكلم
فيه الانحصار والاتصال والانحراق فالانحصار هو قبول الرطب
وضعا يلزمه شكل مسا ولشكل باطن ما يحويه فان كان ما يحويه
مشتملا على جميعه يشكل جميعه بشكله وان كان اعظم منه فان
كان الجسم الرطب مائيا وينقص من الحاوي سطحه الاعلى شكل
علوم سمته والسبب في ذلك التقنيت ان ذلك السطح لا يلزمه
شكل غريب واذا لم يلزمه كان له الشكل الذي عن طبعه والشكل
الذي عن طبعه هو الكرى والجسم الرطب اذا كان محلى عنه امتد
في وضعه نافذا وان كان محصورا او ممنوعا يشكل في الحاصر والمانع
يميل شكله واما الاتصال فهو امر يخص الرطب وهو ان الرطب اذا
لاقى ما يجانسه بطل السطح بينهما بسهولة وصار مجموعهما واحدا
بالاتصال واليابس لا يسهل ذلك فيه والرطوبات المختلفة اذا

اجتمعت فما كان منها مثل الماء والدهن ظهر تميز السطوح فيها وما لم يكن
كذلك بل كان مثل دهنين او شراب وخل او شراب وماء لم يظهر فيشبه
ان يتحد في بعضها السطوح اتحادا وان يخفى عن الحس وتحقيق الامر
في ذلك وتفصيله في كل شيء مما يصعب واما الانخراق فهو
خاصية الرطب وهو سهولة انفصاله بمقدار حجم النافذ فيه مع التيام
عند زواله وانواع تفرق الاتصال هو الانخراق والانشقاق والانكسار
والارضاض والبعث بق لما قلنا وقد بق لما يكون من تفرق الاتصال
للاجسام اللينة لا لحجم ينفذ فيها بل بجذب بعض اجزائها عن جهة بعض
فينفصل واما الانقطاع فهو انفصال بسبب فاصل بنفوذه يستتم مساويا
لحجم النافذ في جهة حركة نفوذه لا ينفصل عليه وانما قلنا من جهة الحركة
لانه يجوز ان ينفصل على الحجم من الجهة التي عنها الحركة واما الانشقاق فهو
تفرق اتصال عن سبب تفريقه في جهة حركته اكثر من الموضع الذي
ماسه قوة السبب اولا وهذا على وجهين فيكون تارة بمداخلة جسم ذي
حجم فيزيد تفرق الاتصال في الجهة التي اليها الحركة على حجمه والثاني
ان لا يكون لاجل حجم نافذ بل لجذب يعرض للاجزاء بعضها لبعض والسبب
في ذلك ان الجزءين المفصولين يكون بينهما اسم مستطيل ويكون الجزءان
ناسين والى الصلابة ما هما فاذا حمل عليهما بالتفريق لم يجب الاجزاء
الطولية المحمول بالقوة عليها وحدها للتباعد مع بقاء الاتصال
كانها لا سحى بل هو ذي يجب ان يكون تباعدها مستتبعا لاجزاء
كثيرة واكثر ما ينشق طولا لا ينقطع عرضا ومن انواع القطع الحردو
الخرط والنقر والنشر والبعث والحفر وغير ذلك مما لا نطيل الفصل

بتقديره

بتقديره واما الانكسار فهو انفصال الجسم الصلب بدفع دافع
قوي من غير نفوذ حجمه الى اجزاء كبار والارضاض كذلك الى اجزاء
صغار واما التفتت فكالارضاض الا انه مما يتهيأ ويصير بقوة ضعيفة
والمنكسر والمرض والمتفتت هو الذي له منافذ خالية عن غير الهواء
والمنكسر منافذه اقل واعظم والمرض منافذه اكثر واصغر وكلاهما
منافذهما متصل عند حدود محكمة يتماسك بها والمتفتت منافذه
كثيرة صغيرة ضعيفة الالتيام الحدود ونقول ايضا ان من الاجسام
المركبة ما هي لينة ومنها ما هي صلبة واللين هو الذي سطا من
سطحه عن الدافع بسهولة ويمكن ان يبقى بعد مفارقته مدة طويلة
او قصيرة وبهذا يفارق السيال لان السيال لا يحفظ الا زمانا يجب
ضرورة بين كل حركتين مختلفتين وفي ذلك الزمان يكون
ملاقيا للفاعل الحجم ولا يمكن ان يحفظ الحجم والشكل مع مفارقة الفاعل
البتة والصلب هو الذي لا يبطا من سطحه الا بعسر ثم ان انواع اللين
يقبل انحاء من التشكل والوضع لا يقبلها انواع الصلب فمنه
ما ينشدخ ومنه ما ينحني ومنه ما يتمدد والمنشدخ اعم من المنطرق لان
المنشدخ هو الذي يتحرك اجزاؤه الى باطنه فمنه ما يبقى على ما يعمل به
من ذلك وهو المنطرق ومنه ما لا يبقى بل يعود مثل الاسفنجة التي
يعصر فيعود وبين المعتصر والمنطرق فرق لان المنطرق متصل الاجزاء
غير مشوب بجسم غريب وانما سطا من حر منه مجيبا للدافع لا لخروج
شيء منه والمعتصر سطا من بخروج شيء منه ويخرج منه دائما اما مائية
واما هوائية ثم يجوز ان يبقى على حاله ويجوز ان لا يبقى والمنطرق هو

المندفع الى عمقه بانبساط يعرض له في القطرين الاخرين قليلاً قليلاً
وهو يحفظ ذلك في نفسه ويكون من غير انفصال شئ منه والمنعصر
يخالفه في كلي الشرطين او احدهما والمنعصر الذي سقي على الهيئة
التي نفدها العصر ان كان يابساً سمي متلبداً وان كان رطباً سمي منحماً
ويقع انعجان لاندفاع الاجزا اليابسة فيما يخالطها من الرطوبة المائية
ليشتد بذلك تداخلها ويعرض لكل منطرق انه يترقق فيكون من حيث
يندفع في عمقه متطرقا ومن حيث ينقص في عمقه ويزيد في قطريه الاخرين
مترققاً واما المنحني فهو الذي من شانه ان يصير احد جانبيه الطوليين
ازيد والاخر انقص زوالا عن الاستقامة الى غيرها وذلك يكون للين
فيه مطاوع ويكون ذلك لرطوبة فيه والتمدد هو حركة الجسم مزداداً
في طوله متنقصاً في قطريه الاخرين وذلك الجسم اما لزج واما لين
جداً والاولى ان يسمى هذا لدنا وهو الذي يقبل التمدد والعطف و
لا يقبل الفصل بسرعة وانما يكون الحال كذلك في جميع ذلك لانه يكون
قد اشتد مزاج رطوبته ويبوسته حتى ان رطوبته لا يسيل بل تماسك
لشدة ما خالطها من اليبوسة ويبوسته لا تتفرك ولا يتفتت بل تماسك
لشدة ما جمعها من الرطوبة اذ الرطب يتماسك متقوماً باليابس واليابس
يتماسك مجتمعاً بالرطب فمن المتمدد ما يلزم المادلة بالالتصاق و
هو اللزج ومنه ما يلزمه متعلقه به كالسم وهذا الصنف لا يسمى لزجاً
بل لدناً فان اللزج ما يسهل تشكيله وحصره ويلزم جرمه ما يماسه وذلك
بسبب ان الغالب فيه الرطوبة لكن اللزج الزم من الرطب لان الرطب
سيال جداً واما اللزج فان اجزاءه التي يلزم الشئ اكثر من اجزا الرطب

لان اللزج

لان اللزج لا ينفصل بسهولة الى اجزا صغار انفصال الرطب فيكون
حركته ابطا وزواله اعسر وليس كل لزج يمتد فان الدهن لا يمتد و
لكن كل لزج له قوام صالح وانما يقبل التمدد من اللزج ما لا يجف
وذلك هو اللزج الحقيقي فان اللزج التام اللزوجة لا يجف وانما
يجف لزج لم يبلغ مزاج رطبه ويابسه مبلغاً لا يتميز ان بعد الكثة
مع ذلك امتزاج متداخل جداً لا ينفصل الا بقوة محللة لطيفة و
الاجسام التي في طباعها رطوبة يعتد بها فاما ان تكون بكليتها
جامدة فلا ينطرق ولا يمتد ولا ينحني كما يعرض للياقوت والبلور وكثير من
الحجارة التي تكون عن مياه تجمد بل كنفس الجمد واما ان يكون بكليتها
فيها فضل من رطوبة ليس تجمد وانما ليس تجمد لدهانيته فذلك الشئ
ينطرق وخصوصاً اذا حمي فسال ايض شئ مما هو جامد فان سيل
الجميع عاد ذائباً والنار وان كانت يعقده بمعونة اليابس فذلك الى
حد ما دام لم يشتد فعلها في اليابس ولم يخرج عن كونه يابساً كثيفاً
فاذا افرط فعلها في اليابس خلخلت اليابس ايض فاذا تحلل اليابس تحلل
الجميع

المقالة الثانية وهذه المقالة نصف فيها جملة القول فيما يتبع المزاج في احوال المختلفة

فصل في ذكر اختلاف الناس في حدوث الكيفيات المحسوسة
التي بعد الاربع ونسبتها الى المزاج ومناقضة المبطلين منهم

اما المزاج وما هو وكيف هو فقد قلنا فيه فيجب ان نذكر جميع ما يتبع
من ذلك والذي يجب علينا ان نستقصي الكلام فيه حال الامور
التي توجد في هذه المركبات عند المزاج فنقول ان هذه العناصر

الاربعة لا يوجد فيها من الكيفيات الاربع والا الخفة والثقل ما خلا
الارض فقد يشبه ان يكون لها لون لكن لمانع ان يمنع ذلك فنقول ان
اللون الموجود للارض انما يوجد لها بعد من ما يعرض لها من امتزاج
المائية وعند ذلك يصلح لذلك المزاج ان يكون ملونة ونقول انه لو
كان لنا سبيل الى مصادفة الارض الخالصة لكنا نجدها خالية عن الالوان
وكنا نجدها شافة فان الاخلق بالاجسام البسيطة ان لا يكون لها لون و
الاحرى عندي بعد الشك الذي يوجبه الانصاب وبعد وجوب
القضا الست فيما لا سبيل فيه الى قياس يستعمل وانما المعول فيه
مجرد سعد ان الارض لها في ذاتها لون وان الامتزاج الذي وقع لا
يبعدنا عن وجود ما فيه ارضية غالبة فكان يجب ان يرى في شيء من
اجزا التربة والارضية مما ليس متكونا تكونا معدنيا شيئا فيه اشفاف
ما فكان لا يكون هذه الكيفية فاشية في جميع اجزا الارض ولكان
حكم الارض حكم الما ايض والهوا فانها وان امتزجت فلا يعدم فيها مشف
فالاحرى ان يكون الارض ملونة لا ينفذ فيها البصر فانا نعني بالملون
ما اذا جعل وراه مرى لم يودى الى البصر والبساطة لا يمنع ان يكون
الجرم ملونا غير شفاف فان القمر على مذهب الجمهور من الفلاسفة هذا شانه
ثم ان انكر ذلك منكر كان حاصل الامر انه لا كيفية للعناصر خلا ما
ذكر وان اعترف فلم يكن لها الا لون لبعضها واما الطعم والرايحة فلا
يوجد لشيء منها الا بالمزاج فان كان من ذلك شيء لشيء منها فعسى ان
يظن انه للارض وبالحقيقة لا رايحة لارض لم يستحل بالمزاج والارض
الصحيحة كالارض الذي يتولد فيها الذهب لا نواجد لها رايحة البتة وكذلك

غالب حال الارض ومما يعلم ان ذلك يحدث بالمزاج ما يراه اشد
بالامتزاج ثم ان كان للارض طعم او رايحة وكان للاشيا الاخرى بسبب
الارض فانما يجب ان يحصل للمركب من الارض وغيرها ذلك
الطعم وقد انكسر والرايحة وقد انكسرت واما طعم ورايحة غريبة فلا
فكيف الطعوم والروايح المتضادة الا ان يكون الرايحة قد تتولد
بالامتزاج وليست انما يستفاد من الارضية على ما ظنه بعضهم
وكذلك الالوان ونحن نشاهد ايضا افعالا لا يصدر عنها ليست في
البسايط لا صرفة ولا مكسورة وذلك مثل جذب المقناطيس
للحديد والكهربا للتبن والسقمونيا للصفرا وافعالا لا والحوالا اخرى
للجمادات والنباتات بل للحيوانات والجوة ايضا من هذه الجملة
فمعلوم ان هذه الاشيا انما يحصل لهذه الاجسام بعد المزاج فمن
الناس من ظن ان هذه الافعال نسبة يقع بين الممتزجات بل بين
المجتمعات عند الذين لا يقولون بالمزاج وبامور اخرى فيقولون
انه لا لون بالحقيقة وان اللون الذي يرى هو وضع وترتيب مخصوص
يكون للاجرام الغير المتجزية بعضها عند بعض وعند الاجسام الشعاعية
التي يقع عليها وان الطعوم ايضا هي انفعالات يعرض من تقطيع حده
تلك الاجسام وزواياها على نظم مخصوص فيكون الذي تقطع
تقطيعا الى عدد كثير صغار مقادير الاحاد شديد النفوذ يرى
محرقا حريفا والذي يلاقي تقطيعا مثل ذلك يسمى حلوا وكذلك في
الروايح وانه لا طعم في الحقيقة ولا لون ولا رايحة ولو كان لون حقيقي
لكان طرق الحمامة لا يختلف حكمه عند البصر مع اختلاف مقاماته

الناظر اذا انتقل الناظر وجعل يستدل بالقياس اليه والى الشمس وضعًا و
بعد وضع ولو كان طعم حقيقي لكان المرور لا يستمر العسل فهذا مذهب
وقوم يرون ان الامر بالضد وان العناصر موجود فيها اللون والرايحة
والطعم الا انها كامنة مغمورة بما لا لون له ولا رايحة له وان المزاج لا
فايدة له في حصول ما ليس من ذلك بل في ظهوره وهولاء اصحاب الكمون -
وقوم يرون ان المزاج الذي له كيفية متوسطة حدًّا من التوسط اذا كان حدّه
بحال ما كان لونًا وطعمًا وان كان بحال اخرى كان لونًا وطعمًا اخر وانه
ليس الطعم واللون وساير الامور التي يجري مجراهما شيئًا والمزاج شيئًا اخر
بل لكل واحد منها مزاج خاص يفعل في اللمس شيئًا وفي البصر شيئًا وقوم
اخرون يقولون انه ليس الامر على احد هذه الوجوه بل المزاج على النقد بن
الذي يتفق له امر يهيئ المادة لقبول صورة وكيفية مخصوصة فما كان قبوله
ذلك انما هو عن علل فاعلة لا يحتاج الى ان يكون لها وضع محدود قبله
مع استكمال الاستعداد مثل النفس والحيوة وغير ذلك وما كان قبوله
ذلك انما هو عن علل محتاجة الى وضع محدود قبله اذا صار له مع علته
ذلك الوضع كصبح التين مثلًا من الشمس اذا اشرقت عليه فهذه هي المذاهب
التي يعتد بها في هذا الباب فاما المذهب المبني على الاجرام التي يجري
وعلى ان سبب حدوث الكيفيات اختلاف احوالها بحسب اختلاف
الترتيب والوضع الذي يعرض لها فما قدمناه يغني عن اعادتنا قولًا كثيرًا
في رده بل نحن نعلم ان هذه الاجسام متصلة وان الاسود منها اسود كيف
كان شكله ووضعه والابيض ابيض كيف كان وضعه وكذلك قولنا في
الطعوم والروايح وان ذلك لا يختلف بحسب وضع وترتيب وانه لاختصاصه

لكلّ واحد من الاجسام المختلفة لا استحال ان يتخيل منها الحواس تخيلات
مختلفة فاما طوق الحمامة فليس المرئي منها شيئًا واحدًا بل هناك اطراف
الريش ذات جهتين او جهات كل جهة يستر الجهة الاخرى بالقياس
الى القايم وذلك بالجملة على مثل سدى ولحمة البوقلمون من النبات
والفرش ومذهب الكمون فقد بان فساده في نقصه في موضعه واما مذهب
القايلين ان كل واحد منهما مزاج ليس انه مع المزاج فهو مذهب
خطا لان كل واحد من الامزجة على التفاوت الذي بينها لا يخرج
عن حد ما بين الغايات ويكون ملموسًا ان كان خرج من اللامس الى
الطرف لا محالة او يكون مساويًا للامس لا ينفعل عنه واما ان يكون
المزاج لا يدرك باللمس بل بالبصر او بالشم فهذا باطل لان المزاج كيفية
ملموسة واللون ليس بملموس وكذلك الطعم وغيره وليس لقايل ان يقول
ان الابصار لمس ما المزاج مخصوص لا يضبطه ساير الات اللمس وذلك لان
كل ملموس يحس وله اضافة الى برد او الى حر او الى رطوبة او الى
يبوسة واللون لا يدرك اللمس منه شيئًا من ذلك ولا الطعم ولا الرايحة
وهذه الكيفيات يوجد فيها غايات في التضاد والامزجة متوسطة
لبسبب غايات البتة فهذه اذن اشيا غير المزاج لكن الامزجة المختلفة
تختلف في الاستعداد لقبول شيء منها دون شيء فيستعد بعضها
للاصفرار وبعضها للابيضاض وبعضها لطعمها وبعضها للرايحة ما بل
بعضها للنمو وبعضها للحس وبعضها للنطق وقد يحصل الامزجة في
المركبات استعدادات لقوى فعالة افعالًا لا يصدر عنها بالطبع البسيط
من جنس افعال البسايط مثل جذب المقناطيس للحديد وغير ذلك

فيكون هذه القوى التي تحدث بالحقيقة منها ما هي طبايع لانها مبادي
حركات لما هي فيه بالذات ومنها ما هي مبادي تحريكات لاشيا اخار
عنها بفعل فيها بالاختيار والناس قد يقعون في شغل شاغل اذا
اخذوا يبحثوا عن علل هذه الاحوال والقوى ويدومون ان ينسبوا
ذلك الى كيفيات او اشكال او غير ذلك مما للبسايط فتشق عليهم لامر
فيدفعون الى تكلف يخرجهم عن الجادة المستقيمة فلا سبيل الى
ادراك المناسبات التي بين الامزجة الحريه وبين هذه القوى و
الاحوال التي يتبعها ويوجد بعد وجودها ومن شان الناس ان لا
يبحثوا عن علل الامور المتعارفة الظاهرة لان كثرة مشاهدتهم اياها
يزيل عنهم التعجب وزوال التعجب يسقط الاشتغال بطلب العلة و
لا يعني اكثرهم بان يعلموا انه لم كانت النار يحرق في ساعة واحدة
بلدة كثيرة او لم البرد يببس الما ولعنهم ان يعلموا لم المقناطيس
يجذب الحديد ولو كانت النار شيا عزيز الوجود يعمل عن قطر بعيد
من اقطار العالم ثم يشتغل من شغله منها شغل كثيرة لدهش الانسان
من التعجب الموجود فيها ولكان طلبه لسبب فعلها اكثر من طلبه السبب فعل
المقناطيس وكذلك لو كان البرد مما يجلب من بلاد فيسلط على الما
فيسه لكان الناس يتعجبون من ذلك لكن كثرة مشاهدتهم
ما يشاهدون من ذينك يسقط عنهم الاشتغال به حتى ان سال
سايل لم يفعل البرد ذلك استنكروا وقالوا لان طبعه ذلك و
لانه برد وكذلك في جانب النار يقولون انما يفعل النار ذلك لانها
نار والبصر منهم الذي يرتفع عن درجة العامة يقول لان المادة

التي

التي للنار اكتسبت صورة بفعل هذا الفعل لذاتها ولان البرد طبيعته
ان يكثف الجسم ويجمده ثم لا يقنعه مثل هذا في حجر المقناطيس
بل لان المزاج سبب لان يحصل في هذا المركب قوة هي لذاتها
وطباعها يجذب الحديد لا لشيء اخر وليس امر مقناطيس باعجب من
امر نبات ما نبت واحساس ما يحس وحركة ما يتحرك بالارادة
لكن جميع ذلك اسقط عنه التعجب كثرته وعليه وجوده والقول في
جميع ذلك قول واحد وهو ان الجسم المركب استعد مزاجه لقبول هيئة
او صورة او قوة مخصوصة ففاض عليه من واهب الصور والقوى دون
غيره اما فيضانه عنه فلجوده ولانه لا يقصر عنه مستحق مستعد واما
اختصاص ذلك الفيض به دون غيره فلاستعداده التام الذي حصل له
بمزاجه فجميع هذه الاشيا يفعل افاعيلها لان لها تلك القوة الفعالة
وانما لها تلك القوة هبة من الله تع فيجب ان يتحقق ان المزاج هو المعد
لذلك على ان كثيرا من الاعراض يعرض ايضا بسبب مخالطة
غير مزاجية فان كل جسم شاف اذا خالطه الهوا فصار اجزا صغارا
ابيض كالما اذا صار زبدا وكالزجاج اذا دق وغير ذلك ويكون
ذلك لان النور الذي ينفذ فيه يقع على سطوح صغار لا يرى
افرادها ويرى مجتمعة فيتصل رويته شي منير باطن لنفوذ الضو في المشف
الى السطوح الباطنة وانعكاسه عنها مستقرا عليها ولا ينفذ الضو فيها
لكثرة ما ينعكس عنها من الضو فان المشف الذي يشف وينعكس عنه
الضو جميعا لا يشف حين ينعكس الضو عنه فاذا صار لا يشف رؤي ذا
لون ويكون هو البياض وكذلك الشي اليابس اذا عملت فيه علا كثيرا

واخرجت عن منافذه الرطوبة واوردعنه الهوائية سهتر واما
انه هل يكون بياض غير هذا وفي جسم متصل فمما لم اعلم بعد امتناعه
ووجوده وسياتي الى كلام في هذا المعنى اشد استقصا واما
في الطعوم والروايح فليس الامر فيها على هذه الجملة وذلك لانه ليس
شيء فيها مذوق او مشموم بذاته ينفذ في الاجسام فيجعلها بحال من
الطعم والرائحة كما ان الضوء شيء مرئي بذاته فاذا خالط الاجسام جاز
ان يجعلها على حال من الرؤية فههنا يفترق حال اللون وحال الطعم
والرائحة اذا اللون يصير مرئيا بمرئي بذاته وهو الضوء على ما تحقق
الامر فيه من بعد هو كيفية حقيقية كذلك الطعم والرائحة واما القوى
فانها ليست من هذا القبيل فانها ليست بحسب ادراك الحس او نسبة
الى شيء غير الشيء الذي ينفعل عنها وان لم يكن الجسم الذي يصدر
عنه فعل مخصوص مخصوصا مميزا مما ليس يصدر عنه الفعل الذي
كان مخصوصا به لم يصدر عنه فعل مخصوص واذ ليس الاختصاص
بالجسمية فهو بغير الجسمية واذ ليس الفعل صادرا عن المزاج صدورا
اوليا لان الفعل الصادر عن المزاج هو ما يصدر عن حار وبارد ورطب
ويابس مكسور وليس هذا الفعل ذلك فهو اذن عن قوة غير المزاج
لكن لقائل ان يقول انكم تقولون ان المزاج وليس كونه الا كيفيات
مكسورة قد يوجب اعدادا لم يكن للبسايط ولا هو كسر اعداد للبسايط
فكذلك سيوجب صدور افعال لم يكن للبسايط ولا هو كسر افعال لها
فنقول ان هذا غلط فان الافعال انما ينسب نسبة اولية الى الكيفيات
ولا يكون للمزاد فيها شركة ويكون كل قوة انما هي بما هي لاجل

فعلها

فعلها ويكون معنى قولنا هذه القوة ضعيفة مكسورة اي الفعل الذي
يصدر عنها يصدر ضعيفا فلا مفهوم لقولنا حرارة ضعيفة الا ان الفعل
الذي للحرارة يصدر عنها ضعيفا ثم لا ننكر ان يكون الافعال عن الحرارات
المختلفة في الضعف والقوة يختلف اختلافا كثيرا حتى يكون بعضه
احراقا وبعضه انضاجا لكنها يشترك في المعنى الذي يكون للحرارة فالذي
يقع ذلك المعنى منه شديدا وقويا يقع منه احراق والذي يقع منه ذلك
الى حد يكون انضاجا ولا ننكر ان يحدث امور مشتركة بين الحرارة واليبوسة
وبين الحرارة والرطوبة ويكون عنها اختلافات الا انها يرجع اخر الامر
الى ما يقتضيه الحرارة واليبوسة او الحرارة والرطوبة واما شيء خارج
حمله عن طبيعة الحرارة وعن الطبيعة المشتركة التي يتالف عن الحرارة
وشيء اخر فلا يكون ذلك فعل الحرارة بذاتها وذلك مثل جذب
المقناطيس هو من قبل المزاج وذلك كاللون وكيف والمزاج يلمس ويحس
به ولا نشعر بلون اصلا واللون يدرك ويبصر به ولا يشعر بمزاج اصلا فيجب
لا محالة ما ادرك غير ما لم يدرك وليس يلزم من هذا ان لا يكون امور
يلحق هذه الكيفيات باختلاف احوالها مما ليست هي افاعيل هذه
الكيفيات بل امور اخرى يتبعها واما ما كنا فيه من امر الاستعداد
فيجب ان يعلم ان الاستعداد بالحقيقة امر للمادة ويكاد يكون المادة
مستعدة لكل شيء وفيها قوة قبول كل شيء لكن الامور التي يوجد فيها
منها ما من شانه ان لا يجتمع مع بعض ما هو في قوة قبول المادة فاذا وجد
ذلك لم يوجد هو فيقدح ان الاستعداد في المادة لذلك الامر ومنها
ما من شانه ان يجتمع معه اجتماعا وكل ذلك لان الكيفية فعلت في

ذلك فعلاً ما ولكن لأنّ المادة في نفسها هذا شأنها ولا يمتنع ان يكون
بعض مقادير الكيفيّات بحيث لا يصلح لبعض الامور وبعضها يصلح
فانّا ندري انه لا يستوي الغالب والمعتدل وان كنا ندري ان فعل
الغالب والمنكسر من جنس واحد لكنه تارة قوي وتارة منكسر وليس
صلوحه لشئ من الاشيا هو فعله وليس اذا كان فعله متجانساً يجب ان
يكون صلوحه متجانساً فانت تعلم انّ الحرارة القوية جدّا لا يصلح لانضاج
الحصرم وانّما يصلح له الحرارة بقدر دون الغالب فالمزاج اذن لا يوجب اعداداً
لم يكن بل الاستعداد قائم في المادة فربما حيل بين المادة وبين ما هي
مستعدة له بكيفيةٍ وربّما دمغت تلك الكيفيّة بضدّها فخلص الاستعداد
عن العوق لا انه حدث في امر المادّة استعداد لم يكن فالمزاج عليه عرضيّة
للاستعداد بمعنى مميط المانع وليس يلزم من ذلك ان يكون فعلا
الحرارتين مختلفتين الا بالاشدّ والاضعف فبين انّ قياس ما قيل
ليس قياس الاستعداد **فصل في تحقيق القول في توابع المزاج** يجب ان يعلم
ان الاجسام اذا اجتمعت وامتزجت فربما لم يعرض لبعضها من المزاج
الا المزاج نفسه فليس لزم ان يكون كلّ مزاج بحيث يصلح الصّورة
نوع وخاصية وان يكون كلّ امتزاج انما يؤدي الى مزاج يصلح الصورة
النّوع وخاصيته حتّى لا يتّفق امتزاج من الامتزاجات المؤدية الى خروج
عن ذلك فانّ هذا كما اقدر بحكم خايف ثم ان الممتزجات التي يستفيد
بالمزاج زيادة امر منها ما يستفيد بذلك زيادة كيفيّةٍ ساذجة لا يتمّ
به فعل وانفعال طبيعي كلون ما وشكل وغير ذلك ومنها ما يستفيد
زيادة قوّة انفعالية او فعلية او صورة نوعيه فمن ذلك ما يكون

المستفاد

المستفاد فيه قوّة نفسانية ومنها ما يكون المستفاد فيه قوّة يفعل فعلها
على غير سبيل الفعل النّفساني وقد علمناك ذلك في الفنون الماضية
وما كان من هذه القوى الفعلية والانفعالية ليست نفسانية
يسمى خواص على ان من النّاس من يطلق لفظ الخاصة في مثل هذا الموضع
على جميع ذلك وهذه الخواص تابعة لنوعيات المركبات الكائنة او
هي نفس فصول نوعياتها فاذا قيل مثلاً ان دوآء كذا يفعل بجوهره
فمعنى انه يفعل بهذه الصّورة التي تنوع بها فاذا قيل انه يفعل بكيفيّته
فيعني انّه يفعل بما استفاده من العناصر او بمزاجه فالسّقمونيا يسخن
بما فيه من الجوهر النّاري لكنه ليس يسهل الصّفرا بذلك بل بالقوّة المستفادة
التي في نوعيته التي استعد لقبولها بالمزاج وكثيراً ما يكون هذه القوى
فصلاً للنّوع وكثيراً ما يكون خاصة ويعسر علينا اعطا علامة تميزها
من ذينك ولكن لفظة الخاصة في هذا الموضع في استعمال الطبيعيين
تطلق على الشّئ الذي يدعى خاصة وكثير من القوى التي في المركبات
لا تفعل فعلها ما لم يرد بدن حيوان او نبات فيفعل عن البدن وينهض
فيه القوة الفاعلة فيه فكثيراً ما يكون الشّي هنالك قد سخن تسخيناً و
الغالب في جوهره الشّئ البارد وذلك اذا كان الجوهر البارد فيه لا
ينفعل من الحارّ الغريزي انفعال الجوهر الحارّ لان ذلك غليظ كثيف
فلا يستحيل او لا ينفذ في المسام وينفعل الجوهر الحارّ فعله فيكون
ذلك الشئ حارّاً بالقياس الى فعله في البدن ويكون بارداً في اغلب
جوهره وربّما كان الامر بالعكس فكثيراً ما يكون الحارّ غالباً عليه لكنه
يكون شديد الامتزاج باليابس الغليظ الذي فيه ويكون البارد سلس

مزاجًا ويسرع الى الانفصال وربما كان احد هذين من طبيعته ان لا ينفعل
عن الحار الغريزي وكان الاخر بحيث ينفعل فيه وربما كان الشيء حارًّا
في الغالب ولم يستحق تسخين شيء اخر في حكمه اذا كان سريع الانفشاش
والانحلال كدهن البلسان اذا استعمل في المروحات ويشبه ان تكون
الشراب الطري اسخن في نفسه من العتيق المنحل عنه نارية الباقي فيه مائية
وارضية لكن ذلك ابقى في البدن وابطا تحللًا فيسخن اكثر وهذا اشد
تحللًا ومثال ذلك الجمر فانه اذا مس احرق اشد مما يحرقه النار الصرفة اذا
مست لان ذلك الجمر كثيف مشمت والنار لطيفة متخلخلة وكثيرًا ما يبرد
في وقت ويسخن في وقت لاختلاف زمان انفعال ما فيه من الجوهر الحار
والبارد فينفعل احدهما من البدن بعد الاخر وربما كان المبرد يستحيل الى
ودم وربما كان المسخن مركبًا من جوهر لطيف وجوهر غليظ فيسبق
اللطيف الى فعله ثم يتلاشى ثم يليه الغليظ فيفعل فعله من بعد مثل البصل
فان فيه جوهرًا حريفًا يسخن لكن جرمه الذي يبقى بعد ذلك يبرد ويرطب
ويحدث بلغمًا خامًا والاستقصاء في حركات هذه الاشيا يوجب ان يوكل
الى صناعة لكنك قد علمت ان المزاج لا يخلو من احد اقسام اما ان يكون
الكيفيات كلها متساوية فيه وهذا هو الذي يسمى بالمعتدل و
اما ان تكون متضادة متكافئة ومضادة ليس كذلك فيكون مثلًا الرطب
واليابس متعادلين فيه لكن اليابس اكثر من الرطب او الرطب اكثر
من اليابس او يكون الحر والرطوبة غالبين معًا او الحر واليبوسة او البرودة
والرطوبة او البرودة واليبوسة فيكون الاقسام تسعة واما انه لا يمكن
ان يوجد وانها لا يمكن ان يوجد فينبغي ان تكون ما تقدم من الاصول

التي اعطيناكها مغنيًا اياك عن بسطنا الكلام فيه ومعطيًا لك قدرة
على تحصيل الامر فيه لكن ههنا شيئًا اخر وهو ان الامزجة ايضًا تختلف
بحسب اجساد الحيوانات والنبات واجزائها وساير الكاينات و
تكون منها ما هو كما ينبغي لسلامة الفاصل من ذلك النوع وان كان
فيه مثلًا من المضاعف الارض فان كان كذلك فهو معتدل بالقياس
اليه وعدل له وان خرج عن هذا الحد المحدود فاما ان يخرج خروجًا
مجاوزًا للحد الذي هو طرف مزاج ذلك النوع فان لمزاج كل نوع
عرضًا يحتمله اذا جاوز اقصى كل واحد من حدته بطل نوعه فحينئذ لا يجوز ان
تكون مزاجًا لذلك الشيء واما ان يخرج خروجًا محتملًا فيكون الغلبة اما ثمة
على ما قلنا واما مركبة وهذه الامزجة يدل عليها الكيفيات التي يتبعها
دلالة قوية وذلك ان الروائح الحادة يدل على حرارة غالبة والهادية الرائحة
يدل على مزاج بارد والطعوم ايضًا يدل على القوى وذلك لان رؤس
الطعوم تسعة متركبة من الامزجة الحارة واليابسة والمعتدلة مع اجسام
اللطيفة والكثيفة والمعتدلة على ما يمكنك ان تعرفه من كتب الاطباء فيدل
الحريف والمر والمالح على الحار ويدل الحامض والعفص على البارد و
للالوان ايضًا دلالة فان الاجساد التي يكتسب لونًا الى السواد والحمرة
وما يجري مجريهما بعد ان لا يكون ذلك لها في جوهرها فان ذلك يدل
على ميل طباعها الى الحر بل نقول ان ما فيه رطوبة فالحمرة والسواد يدلان
فيه على الحرارة والبياض على البرودة واليابسان فالامر فيهما بالضد لان
الحرارة يبيض اليابس ويسود الرطب المائي لكنه قد يعرض امر يبطل احكام
دلالة هذه الالوان وربما ابطل احكام غيرها وذلك لانه كثيرًا ما ثم

ان يكون دوا قوى القوة مع قلة المقدار كما تعرفه فاذا خلط يسيره بكثير من
الادوية التى ليست لشديد القوة جدا كان الغالب بحسب الروية
غير الغالب بحسب القوة ثم يكون الفعل للمغلوب فى الروية دون
الغالب فى الروية ويكون طبع الغالب فى الروية فى ذاته باقيا على ما كان
قديما وان كان هذا مما لا يجوز ان يكون بالصناعة كذلك قد يجوز ان يكون
بعض الاجسام فى الطبع مركبا من اجسام مركبة ايض ويكون المغلوب
فيها قوى القوة قليل المقدار ومضادا بالطبع للغالب المقدار الضعيف
القوة فيكون الظاهر عند الحس هو كيفية الغالب فى الروية ويكون الظاهر
فى القوة كيفية المغلوب فى الروية مثلا ان يكون الجسم مركبا فى الطبيعة
على نحو تركيبك بالصناعة اذا ركبت ورق نصف درهم فرسون مع رطل
من الماست فلا يحس هناك للفرسون لون ولا طعم ويكون لون الماست
وطعمه ظاهرين لكنك اذا استعملت هذا المركب ظهر للفرسون فيه
فعل ظاهر من التسخين فلا يكون ح الابيض الرطب هو المتسخن ولكن
الذى خالطه فلا يكون ما قيل من ان الابيض الرطب بارد قولا كاذبا
لان ههنا ايض الابيض الرطب بارد لكن الذى يسخن هو شىء اخر
فاذا وقع فى الخلقة الطبيعية مثل هذه الحال لم يصح دلالات هذه
الكيفيات على الكيفيات الاولى فى جملة المركبات وان كانت لكيفية
منها يلزم قوة كيفية منها فى المزاج اذ ذلك التركيب لا يفصله الحس فان
من الاجسام المركبة ما تركيبه من العناصر اول وبالحس يراه متشابه
الاجزا فقد جعله المزاج شيئا واحدا على الوجه الذى قلنا ان للمزاج ان
يفعله من الاجسام ما تركيبه بعد تركيب اول كالذهب على راى قوم

يرون

يرون انه يخلق من زيبق قد تولد ايض اولا بمزاج متقدم وكبريت حاله
هذه الحالة ثم عرض لهما مزاج وكالانسان من الاخلاط وهذا على قسمين
قسم منه ما يكون الامتزاج الثانى حاله فى اتحاد الممتزج حال الامتزاج
الاول ومما له ذلك الترياق والمعجونات المحكمة ومنه ما ليس كذلك فانه
مركب من اجزا حقها ان لا تتحد فى الطبع كشىء واحد بل ان يكون مختلفة
متباينة فاكثر الجمادات والمعدنيات بالصفة الاولى واكثر النبات
والحيوان من جهة تركيبه من اعضائه بل جلها على الصفة الثانية
ومن المعلوم ان المركبات عن اعضا متميزة بالفعل ينتهى الى اجزا
بسيطة لا ينقسم بالفعل اجزا متخالفة فلذلك كان اعضا الحيوان
واجزا النبات لا محالة ينتهى الى اجزا اولى بسيطة وهى التى يسمى
المتشابهة الاجزا مثل اللحم والعظم اللذين كل واحد منهما جزء
محسوس لا يحتاج الى افراده فى حسته اليه وهو محسوس مثل لحما
وعظما ثم يتألف فيها الاجزا الالية مثل الورق واللحا والثمرة
للشجر ومثل اليد والرجل للحيوان ثم يتألف من الالية جملة البدن
فهذه مسائل متناسبة من العلم الطبيعى وهى بعينها اصول ومباد
لصنائع الفن الخامس وهذا [illegible] الفن يشتمل العلم الطبيعى
على علل الكوا اكوان الكائنات التى لا نفس لها من المعادن و
الاثار العلوية وما يشبهها المقالة الاولى فيما تحدث بناحية
الارض من ذلك فصل فى الجبال لنبدئ اولا ولنحقق حال تكون
الجبال والمباحث التى يجب ان يعلم فى ذلك اولها حال تكون
الحجارة والثانى حال تكون الحجارة الكثيرة او الكسرة والثالث حال

تكون ما تكون لارتفاع وسمو فوق اما فى الاكثر فان الارض
الخالصة لا تتحجر فان استيلا اليبس عليها لا يفيدها استمساكا بل تقتيتا
وانما يكون الحجارة فى الاكثر على وجهين من التكون احدهما على سبيل
التفخر والثانى على سبيل الجمود فان كثيرا من الاحجار تكون من الجوهر
الغالب عليه المائية فكثير من الطين يجف ويستحيل اولا شيا بين الحجر و
الطين وهو جوهر رخو ثم يستحيل حجرا واولى الطينات لذلك ما كان
لزجا فان لم يكن لزجا فانه يتفتت فى اكثر الامر قبل ان يتحجر وقد شاهدنا
فى طفولتنا مواضع كان فيها الطين الذى يغسل به الراس وذلك فى
شط جيحون ثم شاهدناه وقد تحجر تحجرا رخوا والمدة قريب من ثلثة وعشرين
سنة وقد تكون الحجارة من الما السيال على وجهين احدهما ان يجمد
كما يقطر او كما يسيل برمته والثانى ان يرسب منه فى سيلانه شى يلزم
وجه مسيله ويتحجر وقد شوهدت مياه يسيل فما يقطر منها على موضع
معلوم ينعقد حجرا او حصى مختلفة الالوان وقد شوهد ماء قاطر
اذا اخذ لم يجمد واذا انصب على ارض حجرية يقرب من مسيله انعقد
فى الحال حجرا فعلمنا ايضا لتلك الارض قوة معدنية تحيل السيال
الى الجمود فمبادى تكون الحجارة اما جوهر طينى لزج واما جوهر يغلب فيه
المائية وهذا القسم يجوز ان يكون قد غلبت عليه الارضية على الوجه
الذى ينعقد به الملح بان غلبت الارضية فيه بالقوة دون المقدار و
ان لم يكن على نحو كيفية الارض التى فى الملح بل على كيفية اخرى ولكن
مشاركة لها فى ان ينعقد بمعاونة الحرارة فكما يصيبه الحر يعقده او قوة اخرى
مجهولة عندنا يجوز ان يكون بالضد فيكون ارضية تنقلب بقوة باردة

بارد

يابسة بعينه وبالجملة فان الما فى طباعه على ما علمت ان يستحيل الى الارضية
من غلبة قوة الارضية والارض ايضا كما علمت فى طباعه ان يستحيل
الى المائية من غلبة قوة المائية وههنا شى يتخذه قوم ضلوا فى
حيلهم يسمونه لبن العذرا اذا ساروا وهو مركب من ما من ينعقد
جوهرا حاسا وذلك يدل على صحة هذا ولهم اشيا كثيرة مما يحدونه
حلا وعقدا يصدق هذه الاحكام فكون الحجارة اما لتحجر الطين
اللزج فى الشمس واما لانعقاد المائية من طبيعة ميبسة ارضية
او سبب مجفف حار وان كان ما يحكى من تحجر حيوانات ونبات
صحيحا فالسبب فيه شدة قوة معدنية محجرة تحدث فى بعض البقاع
الحجرية او ينفصل دفعة من الارض فى الزلازل والخسوف فتحجر ما تلقاه
فانه ليس استحالة الاجسام الحيوانية والنباتية الى الحجرية ابعد من
استحالة المياه ولا من الممتنع فى المركبات ان يغلب عليه قوة عنصر واحد
يستحيل اليه لان كل واحد من العناصر التى فيها مما ليس من جنس
ذلك العنصر من شانه ان يستحيل الى ذلك العنصر ولهذا ما يستحيل
الاجسام الواقعة فى الملاحات الى الملح والاجسام الواقعة فى الحريق
الى النار واما السرعة والابطا فى الاستحالة فامر يجوز ان يختلف
ايضا بحسب القوى المختلفة فان كانت شديدة جدا الحالت فى
زمان يسير وفى بلاد العرب حرة كل من يسكنها واى جسم يقع
فيها يتلون بلونها وقد رايت رغيفا على صورة الارغفة المحرقة الموهمة
الوسط المرقومة بالساع قد تحجر ولونه باق واحد وجهته غلبة اثر الخطط
الذى يكون فى السور وجدته ملقى فى جبل قريب فى بلدة من بلاد

خراسان يسمى جاجرم وحملته معي مدة وهذه الاشيا انما يستغرب لقلة
وقوعها واما اسبابها في الطبيعة فظاهرة موجودة وقد تكون انواع من
الحجارة من النار اذا انطفت وكثيرا ما يحدث في الصواعق اجسام حديدية
وحجرية بسبب ما يعرض للنارية ان يطفا فيصير باردة يابسة وقد يقع
في بلاد الترك في الصواعق والبروق اجسام نحاسية على هيئة نصول
السهام لها زايدة منعطفة الى فوق ويقع مثلها في بلاد الجبل والديلم
اذا وقعت غارت في الارض ويكون جوهر جميع ذلك نحاسيا يابسا وقد
تكلفت اذابة نصل من ذلك بخوارزم فلم يذب ولم يزل يتحلل منه دخان
ملون يضرب من الخضرة حتى بقي منه جوهر رمادي وقد صح عندي
بالتواتر ما كان ببلاد خورجانان في زماننا الذي ادركناه من امر حديد
لعله يزن مائة وخمسين منا نزل من السماء فنفذ في الارض ثم نبا نبوة او
نبوتين نبوة الكرة التي يرمى بها الحائط ثم عاد فنشب في الارض وسمع
الناس لذلك صوتا عظيما هائلا فلما تفقدوا امره ظفروا به وحمل الى والي
خورجانان ثم كاتبه سلطان خراسان في عصرنا وهو الامير يمين الدولة
وامين الملة ابو القسم محمود بن سبكتكين المظفر المغلب يرسم له انفاذه او
انفاد قطعة منه فعذر نقله لثقله فحاولوا كسر قطعة منه فما كانت الالات
يعمل فيه الا بجهد وكان كل مثقب وكل مقطع يعمل فيه ينكسر لكنهم فصلوا
منه اخر الامر شيا فانفذوه اليه ورام ان يطبع منه سيفا فتعذر عليه وحكى
ان جملة ذلك الجوهر كان ملتئما من احجار ودسر صغار مستديرة التصق
بعضها ببعض وهذا الفقيه ابو عبيد عبد الواحد بن محمد الجورجاني صاحبي
شاهد هذا كله وحدثت ان كثيرا من السيوف اليمانية الجليلة انما تجد

من مثل

من مثل هذا الحديد وشعرا العرب قد وصفوا ذلك في شعرهم فهذا
جنس من تكون الحجارة وحدثني نفسه من مشايخ دولة اصفهان وهو ابو
منصور هرمزديار بن مشكزار قريب الامير الجليل ابي جعفر محمد بن
دشمنزيار رحمه الله عزه انه وقع في جبال طبرستان من الهوا ما صفر وقعه
صفه وقع هذا الحديد الا انه حجارة كسرة فهذا جملة القول في تكون
الحجر واما تكون حجر كثير فيكون اما دفعة وذلك بسبب حر عظيم يعافص
طينا كثير الزجا واما ان يكون قليلا قليلا على تواتر الايام واما الارتفاع
فقد يقع لذلك سبب بالذات وقد يقع له سبب بالعرض اما السبب
بالذات فكما يتفق عند كثير من الزلازل القوية ان يرفع الريح الفاعلة
للزلزلة طائفة من الارض ويحدث رابية من الروابي دفعة واما الذي
بالعرض فان يعرض لبعض الاجزاء من الارض انحفار دون بعض بان
يكون رياح نسافة او مياه حفارة يتفق لها جرى على جزء من الارض
دون جزء فيحفر ما يسيل عليه ويبقى ما لا يسيل عليه رابيا ثم لا يزال السيول
تغوص في الحفر الاول الى ان يغور غورا شديدا ويبقى ما انحرف عنه شاهقا
وهذا كالمتحقق من امور الجبال وما بينها من الحفور والمسالك وربما كان
الما والريح متفقي الفيضان الا ان اجزا الارض يكون مختلفة فيكون
بعضها لينة وبعضها حجرية فينحفر الرابي اللين ويبقى الحجري مرتفعا ثم
لا يزال ذلك المسيل ينحفر وينحفر على الايام ويتسع ويبقى النتو وكلما انحفر
عنه الارض كان شهوقه اكثر فهذه هي الاسباب الاكثرية لهذه الاحوال
الثلثة فالجبال تكونها من احد اسباب تكون الحجارة والغالب ان تكونها
من طين لزج جف على طول الزمان وتحجر في مدد لا يضبط فيشبه ان تكون

هذه المعمورة قد كانت سالف الايام غير معمورة بل مغمورة في البحار فتحجرت
اما بعد الانكشاف قليلاً قليلاً في مدد لا يفي التاريخات بحفظ اطرافها
واما تحت المياه لشدة الحرارة المحتقنة تحت البحر والاولى ان يكون بعد
الانكشاف وان يكون طينها يعينها على التحجر او يكون طينها لزجاً ولهذا
ما يوجد في كثير من الاحجار اذا كسرت اجزاء الحيوانات المائية كالاصداف
وغيرها ولا يبعد ان يكون القوة المعدنية قد تولدت هناك فاعانت
ايضا وان يكون مياه قد استحالت ايضا حجارة لكن الاولى ان يكون الجبال
على هذه الجملة وكثرة ما فيها من الحجرية لكثرة ما يشتمل عليه البحر من
الطين ثم تنكشف عنه وارتفاعها لما حفرته السيول والرياح فيما بينها
فانك اذا تاملت اكثر الجبال رايت الانحفار الفاصل فيما بينها متولدا
من السيول ولكن ذلك امر اتمام وكان في مدد كثيرة فلم يبق لكل سيل
اثره بل انما يرى اثر الاقرب منها عهدا واكثر الجبال انما هي في الارفضاض
والتفتت وذلك لان عهد نشوها وتكونها انما كان مع انكشاف المياه عنها
يسيرا والان فانها في سلطان التفتت الا ما شاء الله من جبال ان كانت تزداد
ليست مياه يتحجر فيها او سيول تودي اليها طينا كثيرا فيتحجر فيها فقد بلغني كما
احسب انه قد شوهد ذلك في بعض الجبال واما ما شاهدته انا في شط
جيحون فليس ذلك الموضع مما يستحق ان يسمى جبلا فما كان من هذه المنكشفات
اصلب طينة واقوى تحجرا واعظم حجما فانه اذا انهدم ما دونه وبقي ارفع و
اعلى واما عروق الطين الموجودة في الجبال فيجوز ان يكون تلك العروق
ليست من صميم مادة التحجر لكنها من جهة ما تفتت من الجبال وتترب و
امتلا الاودية والفجاج وسالت عليه المياه ورطبته وغشته ارهاص

الجبال

الجبال او خلطت به طينها الجيد ويجوز ان يكون القديم من طين البحر
غير متفق الجوهر فيكون من تربته ما يتحجر تحجراً قوياً ومنه ما لا يتحجر ومنه ما
يسترخي تحجره لكيفية ما غالبة فيه او بسبب من الاسباب التي لا نعد
ويجوز ان يعرض للبحر ايضا ان ينفض قليلا قليلا على بر مختلط من سهل
وجبل ثم ينضب عنه فيعرض للسهل منه ان يستحيل طينا ولا يعرض ذلك
للجبل واذا استحال طينا كان مستعدا لان يتحجر عند الانكشاف ويكون
تحجره تحجرا اساما قويا واذا وقع الانكشاف على ما تحجر فربما يكون المتحجر القديم
في حد ما استعد للتفتت ويجوز ان يكون ذلك يعرض له عكس ما
يعرض للتربة من ان هذا يرطب ويلين ويعود ترابا وذلك مستعد للحجرية
كما اذا صنعت اجرة وترابا وطينا في الماء ثم عرضت الاجرة والطين والتراب
على النار عرض للاجرة ان زادها الاستنقاع استعدادا للتفتت بالنار
ثانيا وللتراب والطين ان استعد الاستحجار قوي ويجوز ان ينكشف
البر عن البحر وانعقد طينه وقد يرى بعض الجبال كانه منضود سافا فسافا
فيشبه ان يكون ذلك قد كانت طينتها في وقت ما كذلك سافا فسافا
بان كان ساف ارتكم اولا ثم حدث بعده في مدة اخرى ساف اخر فارتكم
وكان قد سال على كل ساف جسم من خلاف جوهره فصار حائلا بينه و
بين الساف الاخر فلما تحجرت المادة عرض للحائل ان انشق وانتثر عما بين
السافين وارض البحر قد يكون طينته رسوبية وقد يكون طينته قديمة ليست
رسوبية ويشبه ان يكون ما يعرض له انفصال الارهاص من الجبال رسوبيا
فهكذا تكون الجبال **فصل في منافع الجبال وتكون السحب والانداء**
ومنافع الجبال كثيرة وذلك لانه لا شك شاك في وفور المنافع المتصلة

بالسحب وبالاودية المسعثة من العيون وبالجواهر المعدنية فاما السحب فانها
انما تولد كما بين من بعد من الابخرة الرطبة اذا تصعدت بتصعيد الحرارة
فوافت الطبقة الباردة من الهواء الذى فرعنا من تقديم حيزها والعيون ايضا
فانها انما يتولد باندفاع المياه الى وجه الارض بالعنف ولن يندفع بالعنف
الا بسبب محرك لها يصعد الى فوق والاسباب المصعدة للرطوبات
انما هى الحرارات المبخرة للرطوبات الملجية اياها الى الصعود والعيون ايضا
فان مباديها من البخارات المندفعة صعدا عن تصعيد الحرارة المحتقنة فى
الارض من الشمس والكواكب والجواهر المعدنية فانها ايضا انما يتولد كما
نشرح بعد من الابخرة المحتقنة فى الارض فيكاد ان يكون المبدء العنصرى
لهذه الامور النافعة هو البخار وما يجرى مجراه والبخار قد يتصعد من ارض
صلبة وقد يتصعد من ارض رخوة وقد يتصعد من البخار والمياه والارض
الرخوة سعشى فيها الابخرة فى اكثر الامر قليلا قليلا فلا يكون لاجتماعها سلطان
واما البخار فيشبه ان يكون حكمها هذا الحكم فانها قل ما يتفق فيها حقن للبخار
يعتد به والارضون الصلبة المتوسطة الصلابة يعرض لها ان يحقن البخار
حقنا متوسطا والارضون الصلبة جدا يحقن البخار حقنا شديدا والجبال
اقوى الارضين على حقن الحرارة فى ضمنها وحبس البخار المتصعد منها الى ان
يقوى اجتماعه وبعد تقويه منفذا يندفع منه الى خارج وقد تكاثف و
استحال مياها وصار عيونا فيكاد ان يكون ما يستقر عليه الجبال مملوا ماء
ويكون مثل الجبل فى حقنه الابخرة والجائه اياها الى مجرى العيون مثل الانبيق
الصلب المعمول مثلا من حديد او زجاج او غيره مما يعد للتقطير فانه ان
كان سخيفا مجدا من خشب متخلخل او خزف متخلخل لم يحقن بخارا كثيرا ولم

يقطر منه

يقطر منه شئ يعتد به واذا كان من جوهر صلب لم يدع شيا من البخار
يفشى ويتحلل بل جمع كله ماء وقطره والجبال كالانبيق وقعر الارض الذى
تحته كالقرع والعيون كالمناعب والاذناب التى فى الانابيق والاودية و
البحار كالقوابل فلذلك ما ترى ان اكثر العيون انما ينفجر من الجبال ونواحيها
واقلها فى البرارى وذلك الاقل لا يكون ايضا الاحيث تكون ارض صلبة
او فى جوار ارض صلبة واذا تبعت الاودية المعروفة فى العالم وجدتها منبعثة
عن عيون جبلية وقد ذكر ذلك وشرح فى كتب عملت لهذا الشان ونحن
نحيل بذلك عليها فليقرأ من هناك فانها حرية وكما ان اكثر العيون والاودية
من الجبال فلذلك اكثر السحب تكون من الجبال ويجتمع فى الجبال من الاسباب
ما لا يجتمع فى مواضع اخرى من ذلك انه يعرض للبخارات بها من الاحتقان
والتقوى ما يفجر العيون فكيف حالها اذا تصعدت وهى بعد ابخرة فانها تقوى
فى اندفاعها ولكنا فرحومها لا يتحلل بسرعة بل تكون لها ان يندفع الى الحيز
المبرد العاقد للبخار من احياز طبقات الهوا ويعرض لهذا السبب عونان
اخران احدهما ان فى باطن الجبال من النداوات ما لا يكون فى باطن الارضين
الرخوة والثانى ان الجبال تبقى على ظاهرها من الثلوج والانداء ما لا يبقى
على ظاهر ساير الارضين وذلك ان الجبال بسبب ارتفاعها يكون ابرد
من اديم القرار فقد علم ان البعد من اديم الارض هو من احد اسباب البرد
فانه وان كان شعاع الشمس قد يقع ايضا على الجبل فلا يكون تسخينه كتسخين ما
يقع على الارض بعلل نذكرها فى موضع نوخره عن هذا الموضع لئلا ينقطع
الكلام على ان جوهر الحجارة اشد قبولا للبرد من الارض الرخوة واذا كانت
الاحوال على ما ذكرنا فبالحرى ان تكون الاسباب التى يحتاج اليها السحب

حتى يكثر هي في الجبال اوفر وذلك لان المادة فيها ظاهرا وباطنا اكثر و
الاحتقان اشد والسبب المغشي بقوة وهو الحر اقل فلذلك ما ترى اكثر
السحب الماطرة انما يتولد في الجبال ومنها متوجهة الى ساير البلاد واما الاجسام
المعدنية المحتاجة الى ابخرة يكون اختلاطها بالارضية اكثر واقامتها في مواضع
لا يتفرق عنها اطول فلا شيء لها كالجبال فلذلك يتولد اكثرها بها واما
الارضون السهلة فكيف يكون فيها البقا والاحتباس والاحتقان الذي
بسببه يتم لها الامتزاج المودي الى استعدادها لصورتها فهذه منافع الجبال
ولها منافع اخرى جرت تفصيلها في العلوم الطبيعية الحرية مثل الطب وغيره
مما يليق بهذا الموضع ان يعرف اصول المياه المنبعثة من الارض فصل في
منافع المياه وفي الزلازل نقول ان المياه المنبعثة من الارض منها مياه
العيون السيالة ومنها مياه العيون الراكدة ومنها مياه الابار ومنها مياه
القنى ومنها مياه النز فاما مياه العيون السيالة فانها ينبعث من ابخرة كثيرة
قوية الاندفاع كثيرة المادة يفجر الارض بقوة انفجارها ثم لا يزال يفيض
مستتبعة موادها على ما نعلمه واما مياه العيون الراكدة فانها مياه حدثت
من ابخرة بلغ من قوتها ان اندفعت الى وجه الارض لكن يبلغ من قوتها
وكثرة مادتها ان يطرد تاليها سابقها طردا ويدفعه ويسخنه واما مياه الابار
والقنى فانها معانة في ظهورها وبروزها بالصناعة وذلك لانها لما كانت
ناقصة القوة عن ان يشق الارض ويبرز قصر لها المسافة فازيل عن وجهها
ثقل التراب المتراكم حتى يخلص الحفر الى مستقر البخارات فح تصادف
منفذا يندفع اليه بادنى حركة فما لم يحصل له منها مسيل ولم يصف اليه
جنسه ما يمده فهو بئر وما جعل ذلك له فهو ما ويشبه القنى الى الابار نسبة

العين

العين السيالة الى العين الراكدة والسيالة افضل لان هذه الحركة يلطفها
ومع ذلك فان مدتها في الاختلاط في حركتها الى البروز بالارضية المتولدة
من اختلاطها بها العفونة قريب بعضه واما النز فهو اردى المياه وانما يتولد من
بخارات لها مادة كثيرة وليس لها من قوة الاندفاع ما يخرق الارض بقوة بل
اندفاعها منتشر وارضها رخوة يتحلل عنها اكثر ما يتبخر والذي يبقى ويحبس
بطول مدة مخالطته للارض الى ان يبرز ولان حركته الى البروز رطبة
فتعفن ويتغير في طريقه عند مخالطته الارضية والعيون الراكدة والابار
الراكدة اذا نزحت يجلب اليها بدل ما نزح منها وذلك لانه انما كانت
للبخار الذي هو مادة تلك العين ان يندفع الى ان يبلغ المبلغ الذي
كان استقر فيه قديما عليه فقط فاذا بلغ ذلك المبلغ صار في الثقل بحيث
لا يمكن ما تحته ان يشقه ويدفعه بل يكون ما وقف من ذلك سدا كما كانت
الارض قبل ان يحفر فاذا نقص من ذلك الثقل قدر البخار المندفع الى
جهته ان يتصعد ويحرك ما يعمر من فوق الى الحد المحدود فصل في
الزلازل واما الزلزلة فانها حركة تعرض لجزء من اجزاء الارض بسبب تحته
ولا محالة ان ذلك السبب يعرض له ان يتحرك ويحرك ما فوقه والجسم الذي
يمكن ان يتحرك تحت الارض ويحرك الارض اما جسم بخاري دخاني
قوي الاندفاع كالريح واما جسم مائي سيال واما جسم هوائي واما جسم
ناري واما جسم ارضي والجسم الناري لا يحدث الارض وهو نار صرفة
بل يكون لا محالة في حكم الدخان القوي وفي كلم الريح المستعلية والجسم
الارضي لا يعرض له الحركة ايضا الا لسبب مثل السبب الذي عرض
لهذا الجسم الارضي فيكون السبب الفاعل الاول للزلزلة ذلك فاما

الجسم الريحي ناريا كان او غير ناري فانه يجب ان يكون المنبعث تحت
الارض الموجب لتمويج الارض في اكثر الامر واما الجسم الهوائي
فانه ايضا وان عرض له حركة من تلقاء نفسه ولم يعرض له الا ان
يكون في حكم الريحي والبخاري والدخاني وان يحركه تحريك شي
اخر مثل ما يسيل الى بعض الاغوار دفعة فيحرك الهوا بقوة ومثل انهدام
يقع من نقض ان كل هوة ومغارة فيسقط الى اسفل سقوطا يقلقل
الهواء والارض المتصلة به كما يعرض للسطوح اذا سقطت على القرار التي تحتها
كان المبدا حركة ما اوارض فهذه هي الوجوه التي يمكن ان يعرض معها الزلزلة
اما بخار ريحي او ناري قوي يتحرك فيحرك الارض وهذا هو الوجه الاكثري
فانه لا شي اقوى عن تحريك الارض الحركة السريعة القوية التي للزلزلة
من الريح واما مياه تسيل دفعة وهذا راي ديمقراطيس واما انهدام تما
اركان القرار وربما كانت للزلازل اسباب فوق الارض كجبال يعرض
لها ان يسقط قللها او اجزا كثيرة منها سقوطا قويا فيزلزل الارض على ما تراه
برحل يق لراد كيماس براه وحده سبب الزلزلة وان لم يكن من حق حركة
الارض عن سبب فوقه ان يسمى زلزلة وكان هذا الرجل يقول ان الزلزلة
يعرض من ذلك وقتي كثرة الامطار وقلتها اما كثرة الامطار فانها توجب
اسقاع القلل والرعون وترطيبها وذلك يودي الى انفصالها وسقوطها
واما قلة الامطار فلانها يوجب اليبس المفتت والتفتيت مما يسهل تفرق
الاتصال وليس المذهب بذلك السديد كله فكثيرا ما يعرض زلازل في
بلاد لم يندك في قربها قلل جبال ولا رعونها ولو كان كل زلزلة لذلك
لكان كل زلزلة فانها تصير في اخرها اضعف ولما كانت زلزلة في بلدة

ليس بها جبل كثيرا منها في بعض الاوقات منها في البلاد الجبلية
التي يصابها وربما لم يشاهد في البلاد الجبلية المطيفة بتلك البقعة
واما انكساغورس فانه ينسب العلة الى الهوا وذلك لان عنده ان
الارض محمولة على الهوا بدعمها انبساطا عليها وان الجهة السافلة
متخلخلة والتي نحن عليها متكاثفة للامطار التي يعري وجهها فاذا نفذ
الهوا في التخلخل الذي بتلك الجهة ولم يجد طريقا الى الانفصال والصعود
الطبيعي الذي له وذلك من الجهة التي نحن عليها زلزل الارض وبطلان
هذا المذهب يتحقق اولا بالخطا الواقع في هيئة الارض وسبب وقوفها
وثانيا فان الزلازل انما تكون في اوقات بعينها من الفصول وهذه
العلة موجودة في ساير الاوقات واقتصاره في تعليل كثافة وجه الارض
على الامطار عجز وقد يعرض مع الزلازل احوال فربما كانت نافعة وربما
كانت ضارة اما النافعة فان اتفق ان تستعمل تلك الرياح على مواد بخارية
توجهها وتسوقها الى جهة من الارض او تجذبها اليها مستعمر فيعينها
على التفجر للارض فيفجر عيونا واما الضارة فما يعرض من ان لا يكون المادة
الريحية بهذه الصفة بل تكون يابسة مائلة الى طبيعة النارية فتشتعل
نارا عند الحركة القوية ان يحيل الدخان والبخار والهوا نارا فكثيرا
ما تشتعل المنافخ والكيران اذا الح عليها بالنفخ نارا فاذا كان سبب
الزلزلة قويا جدا خسف الارض باندفاعه وخرج وربما خلص نارا
محرقة وربما حدثت اصوات هائلة ودوي يدل على شدة الريح فان
وحدت هذه الريح المصونة منفذا واسعا بعد المنفذ الذي يصوت
فيه حدث عن اندفاعها صوت ولم يزلزل ومن الدليل على ان اكثر

اسباب الزلزلة هى الرياح المحتقنة ان البلاد التى تكثر فيها الزلزلة
اذا حفرت فيها ابار وقنى حتى كثرت مخالص الرياح والابخرة قلت
الزلازل بها ولكثر ما تكون الزلازل انما تكون عند فقدان الرياح
لان مواد الرياح يعرض لها الاحتباس وفى مثل هذه الحال كثيرا ما يرى
فى الجو سحب مستطيلة استطالة توجهها الرياح المختلفة اذا هاست و
غلب منها واحد فامتد وحبس المغلوب فى قعر الارض وفى اكثر الاوقات
قد يتبع سكون الزلزلة ريح يهب لان السبب ينفصل ويخرج الى الخارج
وكثيرا ما تكون فى وقت الزلازل غمامات راكدة فى الجو ويكون الجو
صاتا وذلك لفقدان الرياح فى ذلك الوقت وربما حدثت الزلزلة
بعد اختلاف رياح متمانعة يمنع بعضها بعضا عن الهبوب ومنع موادها
عن التخلص والبروز من الارض فيحتبها قسرا فى الارض وذلك يكون
فى الاكثر ليلا لتخصف البرد وجه الارض وبالغدوات ايضا وقد
تكون فى انصاف النهار لسبب شدة جذب الحر البخار مع تخفيف وجه
الارض واعادة البرد الى داخلها على سبيل التعاقب واكثر ما تكون
الزلزلة فى بلاد متخلخلة غور الارض متكاثفة وجهها او مغمورة الوجه
بما يجرى او ماء غمر كثير لا يقدر الريح على خرقه وخصوصا اذا كان
متحركا فان المتحرك اشد ممانعة لانه ليس فيه حركة خرق الخارق اياه
بل اسباب كثرة الزلازل ثلثة احدها هذا والثانى عظم الريح و
الثالث كثرة تولدها وقلما تكون الزلزلة فى الشتا لشدة اجماد
برده للبخار الدخانى فان عرض دل على ان رطوبة ذلك الشتا اشد
من برودته فولد سلسة وقلة برده بخارا كثيرا وقل ما يعرض الزلزلة ايضا

فى الصيف

فى الصيف لشدة تحليله فان حدثت فى الصيف دلت على ان
السنة يابسة فينكسف وجه الارض باليبس ويخصف مسامها
فيحتبس فيها الرياح ولا يخرج حتى يجتمع لها مادة كثيرة تقوى على
الزلازل واكثر ما تكون ربيعا وخريفا والكسوفات ربما كانت سببا
فى تجاويف الارض بالتخصيف معه والبرد الذى يعرض دفعة و
تعقب البرد الخارق تفعل ما لا تفعله العارض بالتدريج تامل ذلك
فى الابدان وفى حركات تجارب صناعة الطب وغيرها والزلازل يختلف
فى قوة اوائلها واواخرها فليس يمكن ان يجرى على منهاج واحد واذا كانت
حركات الرياح المحتقنة منها ما تكون على الاستقامة الى فوق ومنها ما يكون
مع ميل الى جهة لم يكن جهات الزلازل متفقة بل كان من الزلازل
رجفية ما يخيل معها ان الارض يقذف الى فوق ومنها ما تكون اختلاجية
رعشية عرضية ومنها ما تكون مائلة الى القطرين كلاهما ويسمى العطعط
وما كان منه مع ذهابه فى العرض يذهب فى الارتفاع يسمى سليميا و
لولا الموانع لكانت حركاتها كلية رجفية لان حركة الريح الى فوق و
الموانع فقدان التجاريب والتعاريج الا فى جهة ولان المنافذ التى ينفذ
فيها الرياح الفاعلة للصوت عند الزلزلة مختلفة فكذلك الاصوات
الحادثة منها يسمع مختلفة وكما ان البصر يسبق السمع فانه اذا اتفق ان
قرع انسان من بعد جسما على جسم رايت القرع قبل ان تسمع الصوت لان
الابصار ليس فى زمان والاسماع يحتاج فيه الى ان يتادى تموج الهوا
الكاين الى السمع وذلك فى زمان كذلك الصوت فى الزلازل تسمع قبل
الزلزلة وذلك لان تموج الهواء اسرع واسبق من تموج الارض الكثيفة

الزلازل الفصل ان احدث فى الكائنات عن الربيع
الشتاء دعوه وتعقب الى داخل

ومن منافع الزلازل تفتيح مسام الارض للعيون واشعار قلوب فسقة
العامة رعب الله تعالى **فصل في تكون المعدنيات** وقد حان لنا ان نتكلم في
احوال الجواهر المعدنية فنقول ان الاجسام المعدنية تكاد تكون اقسامها
اربعة الاحجار والذائبات والكباريت والاملاح وذلك ان من
الاجسام المعدنية ما هو سخيف الجوهر ضعيف التركيب والمزاج ومنه
ما هو قوي الجوهر وما هو قوي الجوهر فمنه ما ينطرق ومنه ما لا ينطرق
وما هو ضعيف الجوهر فمنه ما هو ملحي ينحل بالرطوبة بسهولة مثل الشب
والنوشادر والقلقند ومنه ما هو دهني لا ينحل بالرطوبة وحدها بسهولة
مثل الكبريت والزرنيخ واما الزيبق فهو من جملة القسم الثاني على
انه عنصر المنطرقات ذا سر ولو بالحيلة واكثر ما لا ينطرق فلا يذوب
بالاذابة الرسمية وانما يلين بعسر ومادة المنطرقات جوهر مائي مخالط
جوهرا ارضيا مخالطة شديدة لا يبرأ منه وتجمد الجوهر المائي بالبرد بعد
فعل الحرارة وانضاجه ويكون في جملة ما هو حي بعد لم يجمد لدهنيته
ولذلك ينطرق واما الحجريات من الجواهر المعدنية الحليه فمادتها
ايضا مائية ولكن ليس جمودها بالبرد وحده بل جمودها باليبس المحيل
للمائية الى الارضية وليس فيها رطوبة حية دهنية فلذلك لا تنطرق
ولاجل ان اكثر انعقادها باليبس فلذلك لا يذوب اكثرها الا
ان يحتال عليها بالحيل الطبيعية المدسة واما الشب والنوشادر
فمن جنس الاملاح الا ان نارية النوشادر اكثر من ارضيته فلذلك
يتصعد بكليته فهو ماء خالطه دخان حار لطيف جدا كثير النارية
وانعقد باليبس واما الكباريت فانها قد عرض لمائيتها ان تخمرت

بالارضية

بالارضية والهوائية تخمرا شديدا بتخمير الحرارة حتى صارت دهنية ثم انعقدت
بالبرد واما الزاجات فلانها مركبة من ملحية وكبريتية وحجارة و
فيها قوة بعض الاجساد الذائبة وما كان منها مثل القلقند والقلقطار
فكونها من حلالة الزاجات وانما يحل منها الملحية مع ما فيها من الكبريتية
ثم ينعقد وقد استفادت قوة معدن احد الاجساد فما استفاد من
قوة الحديد احمر واصفر كالقلقطار وما استفاد من قوة النحاس اخضر
ولذلك ما امكن ان يعمل بهذه الصناعة واما الزيبق فكانه ماء خالطه
ارضية لطيفة جدا كبريتية مخالطة شديدة حتى انه لا ينفرد منه سطح
لا يغشيه من تلك اليبوسة شيء فلذلك لا تتعلق باليد ولا ينحصر ايضا
انحصارا شديدا لشكل ما يحويه بل بقيت على شكل ما اللهم الا ان
يغلب وبياضه من صفاء تلك المائية وبياض الارضية اللطيفة
التي فيه وممازجة الهوا اياه ومن شان الزيبق ان ينعقد بروائح الكباريت
ولذلك يمكن ان يعقد بالرصاص او روائح الكبريت بسرعة فيشبه
ان يكون الزيبق او ما يشبهه هو عنصر جميع الذائبات فانها كلها عند
الذوب يصير اليه لكنه اكثر ما يكون ذوبه بعد الحمى فيرى زيبقه
محمرا واما الرصاص فلا نشك مشاهده اذا ذاب انه زيبق لانه يذوب
قبل الحمى واذا حمي في الذوب كان لونه كلون ساير الذائبات اعني
الحمرة النارية ولذلك ما يتعلق الزيبق بهذه الاجساد كلها لانه منها
لكن هذه الاجساد تختلف تكونها عنه بسبب اختلاف الزيبق و
ما يجري مجراه في نفسه وبسبب اختلاف ما يخالطه حتى يعقده و
ان كان الزيبق نقيا وكان ما يخالطه فيعقده قوة كبريت ابيض غير محرق

ولادرن بل هو افضل مما يتخذه اهل الحيلة كان منه الفضة وان كان
الكبريت مع نقائه افضل من ذلك وانصع وكان فيه قوة صباغة نارية
لطيفة غير محترقة افضل من الذي يتخذه اهل الحيلة عقده ذهبا
ثم ان كان الزيبق جيد الجوهر ولكن الكبريت الذي يعقده غير
نقي بل فيه قوة احتراقية كان فيه مثل النحاس وان كان الزيبق رديا
ترابيا متخلخلا ارضيا وكان كبريته نجسا ايضا كان منه الحديد و
اما الرصاص القلعي فيشبه ان يكون زيبقه جيدا الا ان يكون
كبريته رديا وغير شديد المخالطة وكانه مداخل اياه سافا سافا
فلذلك يصر واما الانك فيشبه ان يكون ردي الزيبق مستطيبه
ويكون كبريته رديا منتنا ضعيفا فلذلك لم يستحكم انعقاده و
ليس يبعد ان يحاول اصحاب الحيل حيلا يصير بها احوال انعقادات
الزيبق الكباريت انعقادات محسوسة بالصناعة وان لم يكن الاحوال
الصناعية على حكم الطبيعة وعلى صحتها بل يكون متشابهة او مقاربة
لذلك فيقع التصديق بان جهة كونها في الطبيعة هذه الجهة او مقاربة
لها الا ان الصناعة تقصر في ذلك عن الطبيعة ولا يلحقها وان اجتهدت
واما ما يدعيه اصحاب الكيميا فيجب ان يعلم انه ليس في ايديهم ان
يقلبوا الانواع قلبا حقيقيا بل في ايديهم تشبيهات حسنة حتى تصبغوا
الاحمر صبغا ابيض شديد الشبه بالفضة وتصبغوه صبغا اصفر شديد
الشبه بالذهب وان تصبغوا الابيض ايضا اي صبغ شاؤا حتى يشتد
شبهه بالذهب او النحاس وان يستلبوا الرصاص اكثر ما فيها
من النقص والعيوب الا ان جواهرها تكون محفوظة وانما يغلب عليها

كيفيات

كيفيات مستفادة بحيث تغلط في امرها كما ان للناس ان
يحدوا الملح والقلقند والنوشادر وغيره ولا امنع ان يبلغ في
الدقيق مبلغا يخفى الامر فيه على الفرهة واما ان يكون الفصل المنوع
يسلب او يكسى فلم يبن لي امكانه بل يبعد عندي جوازه اذ لا سبيل
الى حل المزاج الى المزاج الاخر فان هذه الاحوال المحسوسة يشبه ان
لا يكون هي الفصول التي بها تصير هذه الاجساد انواعا بل هي عوارض
ولوازم وفصولها مجهولة واذا كان الشيء مجهولا كيف يمكن ان
يقصد قصد ايجاده او افساده واما سلخ هذه الاصباغ والاعراض
من الروايح والادران او كسرها فهذا مما لا يجب ان يصر على جحده
لفقدان العلم به فليس يقوم البتة برهان على امتناعه ويشبه ان
يكون النسبة التي بين العناصر في تركيب كل جوهر من هذه المعدودة
غيرها في التركيب الاخر واذا كان كذلك لم يعد انه الا ان يفك
التركيب اعادة اياه الى تركيب ما يراد احالته اليه وليس ذلك مما
يمكن باذابة يحفظ الاتصال وانما يخلط به شيء غريب او قوة غريبة و
لنا في هذا كلام طويل لو شئنا لقلنا لكن الفايدة في ذلك قليلة
والحاجة عنه منقطعة في هذا الباب فصل في احوال المسكونة من الارض واذ البلاد
تكلمنا في حال تكون الجبال وما ينفجر في الارض من العيون وما يحدث
فيها من الزلازل وما يتكون فيها من المعادن فبالحري ان نتكلم في
حال المسكونة كيف هي من الارض فنقول اولا انا كنا قد اشرنا
فيما تقدم الى ان الواجب بحكم طبيعة الما والارض ان يكون الارض
في ضمن الما ويكون الما محيطا بها من جميع الجوانب ولكن الوجود ليس

على ذلك وليس على ما هو طبيعي للارض والما بل هو طبيعي لنظام الكل وذلك انه لما كان من شان العناصر ان يستحيل بعضها الى بعض اجزائها كانت الارض لو وجدت على ما هو طبيعي لها لم يثبت لان في طبيعة الارض ان يستحيل اجزاؤها ماء او نارا او غيره من الجواهر الاخرى و تلك الجواهر ايضا قد يستحيل منها ايضا اجزاء ارضا فما يستحيل من الارض الى غيرها ينقص من جملة حجم الارض فيلزم ضرورة ان يقع هناك ثلم في تدوير الارض وغور اذ كانت الارض يابسة لم يجتمع الى شكلها الطبيعي بل يبقى عليها الشكل المستفاد وما يستحيل الى الارض يكون لا محالة زيادة ونتوا ملحقا بها فلا ينبسط عليها انبساط الما المهراق على ما غيره حتى يصير منها حجم مستدير فيلزم ضرورة ان يتولد على كرة الارض نضريس من غور ونجد وحصوصا وللكواكب لا محالة تاثير في ايجاب هذه الاحالة بحسب المسامتات التي يتبدل بحسب حركاتها وخصوصا الثوابت السائرة تارة الى الجنوب وتارة الى الشمال والاوجات والحضيضات المتغيرة في امكنتها فيشبه ان يكون هذه اسبابا عظاما في احداث المائية في جهة ونقلها اليها وابطال المائية من جهة ونقلها عنها اذ نقل المائية من جهة الى جهة انما يكون بتوسط احداث المائية في جهة وافناها من جهة واحداثها انما يكون بتبخير الرطوبة وتصعيدها بالتبخير الى جهة خاصة من الارض وان كل واحد منهما يعظم ويكثر على الدهر حتى يؤثر في هيئة شكل الما يسيلان الما الى الغور وكثيفه للنجد وقد اعان على هذه اسباب اخرى اذ لا بد من حدوث الطين بين الما والارض ولا بد من نفوذ شعاع

الشمس

الشمس والكواكب الى الطين وتحجيره اياه اذا انكشف حتى يتخلق الجبال على ما قلناه واذا كان كذلك لم يكن بد من ان يكون بر وبحر وفي ذلك حكم الالهية لولاها لم يكن للحيوانات الارضية التي يعيش بالنسيم مكان طبيعي فلمثل هذا السبب ما انكشف من الارض شيء برا والاولى ان يكون المستولي على الارض هو الماء الذي من حقه ان يفيض على كلها ثم ان اصحاب الرصد وجدوا ربع الارض برا واذا وجد هذا فمن الذي يطمع في ان يكون غيره برا يعتد به الا احرا قليلا فان انكشاف الربع كثير ووجد هذا الربع احد في طوله نصف دور الارض على ما سنوضح هذا في الفن الذي نتكلم فيه على الهيئة وعرضه احد ربع الارض الى ناحية الشمال حتى يكون الربع الشمالي بالتقريب منكشفا ثم لم يقم برهان واضح على ان الارباع الاخرى معمورة بالما الا ما يوجبه اغلب الظن بسبب وجوب عمور الما للارض اذ الما بحسب غالب الظن اكثر لا محالة من الارض اضعافا لانه يشبه ان يكون كل عنصر بحيث لو استحال بكليته الى عنصر اخر كان مثله والما تصغر حجمه عند الاستحالة ارضا واما امر كون الشمس في ناحية الجنوب اقرب الى الارض ووجوب تسخن قوي بسبب ذلك فليس ذلك مما يقع به تفاوت بعيد فان خروج الشمس عن المركز ليس بالكثير وليس مما يوجب جزم القول بان العمارة لا يمكن ان يكون عنده ولنفرض ان ما تحت مدار نقطة الجدي قد يشتد حره فليس يبعد ان يكون الامعان الى ناحية القطب الجنوبي يتدارك ذلك فيكون امكان الحرارة هناك اوغل من امكان العمارة في القطب

الشمالي فهذا الربع يشبه ان يكون حده الجنوبي وهو خط الاستوا
محاذيًا في اكثر المواضع على البحر ويشبه ان يكون العمارة التي بعد
ذلك الى الجنوب عمارة لا يعتدى بها ولا يكون اولئك الناس ناسًا
يعتد بهم وهم مع ذلك حربيون ليسوا مقيمين على بر متصل بالبر الاعظم
ثم يشبه ان يكون حده الشمالي حيث ارتفاع القطب مثل تمام
الميل ولم يتبين لنا بعد ان مثل ذلك الموضع موضع يصلح لتولد الناس
فيه ولمقامهم الدائم فيه اولا يصلح لذلك بل يمكن ان يسافروا اليه
في الصيف ولا يمكن هناك اقامتهم وعسى ان يكون ذلك الموضع
او ما وراءه ان لم يكن صالحًا لان يتوالد فيه الناس كان صالحًا لان
يتولد فيه حيوانات مخصوصة وجميع هذه الاحكام مني ظنية ولا اجزم
في شيء منها فلنضع اولا انه لا مانع بسبب البحر ولنعتبر المانع بسبب
قرب الشمس وبعدها الذي هو سبب الحر والبرد ولننظر في الاحكام
التي توجبها ذلك في الاقاليم فنقول ان قومًا جعلوا الكرة مقسومة بخمسة اقسام
يفصلها دوائر موازية لمعدل النهار فمن ذلك دائرتان يفصلان من
الارض قطعتين طبليتين يحيط بكل واحد منهما طائفة من محيط الكرة
وسطح مستقيم والحد المشترك بينهما دائرة واما الحد بين العامر والغامر
من جهة الحر عندهم فهو ما بين البلاد التي يكون خارجة عن محاذاة الشمس
الى الارض المحترقة التي تحاذيها الشمس بمدارها فيسخنها تسخينًا لا يتأتى
عندهم للحيوان المقام فيه وهو بين العمارتين فيكون الارض المحترقة
محدودة بدائرتين شمالية وجنوبية بينهما من جهة القطبين عمارتان
فيكون ثلثة قطوع دونه يحيط بكل واحد منها من الجانبين سطحا دائرتين

اقول والاقرب من القياس ان القريب من القطب وثلثة ... احدهما شمالية والاخرى جنوبية ... ارض

تصل

ويفصل بينهما سطح دف وكذلك يكون هيئة العمارتين لكن السطحين
المحيطين بكل واحد منهما لا يكونان متساويين بل الذي يلي
القطب يكون اصغر واما سطحا دف الارض المحترقة عندهم فمتساويان
هذا هو قول قدماء المشائين وليس التحقيق والوجود على ما حكوه
فان ههنا بلادًا عروضها اقل من الميل والشمس تسامت الرؤوس فيها
مرارًا وهي عامرة وقد وجدت بلاد بقرب خط الاستواء بل فقد دونت
الثقات احوال بلاد موضوعة في خط الاستواء ومنها السرنديب
والقياس يجوز بل يوجب ان يكون بقعة خط الاستواء اصلح المواضع
للسكنى واولاها بالاعتدال ولكن ذلك لا يفهم الا بعد تقديم
مقدمات فانه يجب ان يتحقق اسباب شدة تسخن الجو وان يعرف ايضًا
كيفية ملائمة ذلك للسكان وغير ملائمته فنقول بالحري ان يكون
السبب الاول في سخونة الجو الذي يلينا هو الشمس وليس ذلك لان
الشمس حارة ولا لان الشمس يقهر شيئًا من النار وينزله ولا لان الشعاع
شيء ناري ينفصل منه فقد علمت ان للفلك طبيعة تخالف طبائع هذه
الاربع وعلمت من خلال ما مضى لك انه لا يجوز لك ان يكون الشعاع
الشمسي يقهر النار الى الهبوط وستعلم ايضًا ان الشعاع ليس جسمًا او قوة
تأتي مسافة من الشمس الى الارض مادة في الوسط بل هو شيء يحدث
في المقابل القابل للصور دفعة اذا توسط بينهما جسم لا يمنع فعل ذلك
في هذا بالموازاة وذلك الجسم هو الشفاف لكن الجسم القابل للحر اذا
اضاء سخن وكلما اشتدت الاضاءة اشتد الحر وليست الحرارة انما تشتد
في الصيف بسبب ان الشمس يصير اقرب مسافة منا بل هي ابعد ح

مسافة لانها اوجبه لكنها في الصيف اقرب مسامتة وهي في الشتاء
اقرب مسافة وابعد مسامتة والشعاع الذي يقع من الشمس يكون كانه
شيء ينفض منه على صورة مخروطة او اسطوانة مثلا ويكون واسطته
هو الذي لو توهمناه شيا متصلا بين الشمس وبين المستضيء كان خارجا
من مركز الارض نافذا في وسط هذه الصورة كالمحور او كالسهم هي
اشد المواضع انارة لان الاطراف اضعف في التأثيرات من الواسطة
من كل جهة بالسبب القوي فما يسقط عليه هذا السهم المتوهم يكون
اشد اضاءة فلذلك يكون اشد سخونة اعني السخونة التي تلزم نفس
المسامتة المضيئة فقط والذي بقي من امر انعطاف الاشعة ورجوعها
على زوايا حادة تارة ومنفرجة اخرى فهو تشبيه لا حقيقة له فان الضوء
لا ذات له في الجو البتة وكل ما له ضوء فانه يرى والجو لا يرى البتة
بل هو شاف لكن ليس كل سخن الجو من الشمس انما هو بهذه المسامتة
والا لكان الحر والشمس في نقطة الاسد وليس كذلك والا لكان الحر و
الشمس في نقطة الجوزا مساويا للحر وهي في نقطة الاسد والحر وهي في
نقطة الثور مساويا للحر وهي في نقطة السنبلة وليس الامر كذلك ولكان
البلدان التي هي اقرب الى مدار الشمس لا يكون البتة ابرد من البلاد البعيدة
عنه وقد يكون كثيرا وبالجملة فان الشمس لو كان يجوز لها ان ينتقل دفعة
الى نقطة السرطان لكانت لا يسخن البلاد التي تحتها تسخينا شديدا مفرطا
بل كان يكون الى حد ما وهذا مثل النار التي يدخل بيتا ما دفعة فانها
فانها لا يؤثر تاثيرا كثيرا وانما يؤثر بالمداومة فان المداومة يزيد كل وقت
جزا الى جزء ويجعل الهوا ايضا شديد الاستعداد للتسخن ولهذا ما يكون

الحرارة بعد زوال الشمس في الصيف اشد منها قبله والنسبة واحدة
فهذه البلاد التي يلينا يعرض لها ان الشمس يقرب منها بتدريج بعد مدة
تسخين بعد تسخين ثم اذا وازاها وحاذاها عرض ان يقيم عندها مدة
لا يتنحى عن روسها لان الميول عند قرب المنقلبين يقل ويصغر جدا
ثم ان كانت تسامت الراس ويجاوز وتجاوزت المسامتة عن قريب و
يكون النهار ايضا طويلا والليل قصيرا فيدوم الحاح الشمس عليها
بالتسخين لكون مددها متقاربة ومع ذلك طويلة ومع ذلك حافظة
لقرب واحد من الشمس فيكون الحر متجاوزا للحد واما في خط الاستواء
فان الشمس يبلغ المسامتة دفعة لان الميول هناك يكثر ويتفاوت
تفاوتا لا يؤثر الا اثر المسامتة المغافصة ثم يبعد عن سمت الروس بسرعة
ولا يلح عليها وياخذ كل ساعة يزداد بعدا الى ان يبعد الميل كله
غير ملحة ولا محوج ويكون النهار مساويا لليل في الطول والقصر ثم لا
يعود الى سمت الراس عن قرب بل الى نصف السنة ثم يكون المسامتة
حقيقة على الجملة المذكورة ثم ياخذ في البعد فلا يشتد الحر حد ما قلنا
ولا يشتد ايضا البرد وذلك لان بلادنا وخصوصا حيث يحر فقد يكون
بعد الشمس فيها عن سمت روسنا ضعف الميل وزيادة بعد روسنا
عن مدار البروج فيعرض برد شديد ثم يتعقبه حر شديد ويبتلي
الابدان بالانتقال من ضد الى ضد واما هناك فلا ينتقل من ضد
الى ضد بل انما ينتقل من واسطة اعتدال الى حد غير بعيد ولو كان
هناك حر دايم وكانت الابدان هنالك قد نشات على مزاجه لا ينفعل
عنه كثيرا فلا يعرض لها خروج بعد عما نشات عليه لكانت لا يحس

بامر مغر فكيف وليس هناك افراط البتة وللابدان ملائمة لما نشأت
عليه حتى لا ينفعل عنه كثيرا تامل ذلك في حال ابدان الترك فانهم
لا ينفعلون من برد بلادهم انفعالا شديدا ولا الحبشة ينفعلون من حر
بلادهم انفعالا شديدا وربما كان البدوي بخراسان تشكوا البرد في
وقت ما يكون الخراساني يشكو بحر في وقت واحد وقد شاهدت هذا
ببخارا من حال بدوي حضرها في ماه اردي بهشت او خرداد وقد
سلط بها اكثر الحر وهو يرتعد ويتزمل ويستغيث من البرد واهل
البلد يتاذون من الحر لان مزاج العربي الف مزاجا حارا والف الاخرون
مزاجا باردا فيكون ذلك المزاج باردا بالقياس الى الاعرابي حارا بالقياس
الى البخاري بحسب مزاجه الذي له في ظاهر بشرته واما خط الاستوا
فيكون الاحوال فيه متقاربة فمن يكون منشاوه في ذلك المزاج لا يحس
البتة بشعر بلاده محسوس ومتشابه عنده حال هوا بلده ويكون كانه
في ربيع دائم اللهم الا ان يتفق هناك من اسباب الحر غير ما هو منسوب
الى قرب الشمس وبعدها من الاسباب التي نذكرها فهذا هو المذهب
الصحيح الحق فهكذا يجب ان يتصور حال المعمورة من جهة تاثير الشمس فيها
لكن البلاد ايضا قد يختلف حرها وبردها بسبب اخر وهو ان البلاد
المشرفة ابرد من الغائرة والتي بينها وبين الجنوب جبال وناحية الشمال
واضحة تربة من الجبال ابرد من التي الجبال فيها شمالية لسببين احدهما
ان الشمس لا يستوي لسخن ما ينعكس عنه حرها بمقابلها وما ينعكس
في جهة مخالفة لها والثاني من جهة الريح فان الشمالية يبرد والجنوبية
يسخن وانها حنس لسد حنس مقتضاه واذا تشابهت البلاد في هذه

الاحوال جاز ان يكون الشمالية اسخن من الجنوبية واما اختلافها في
انها شرقية وغربية فلا يوجب اختلافا في الحر والبرد اذا كان عرضها
واحدا والذي قيل ان الشرقية انما هي اسخن من الغربية لسبب ان
الغربية يكون الشمس اخذة عنها في حركتها ومودعة اياها والشرقية
يكون اخذة اليها في حركتها فهو كلام من لا يحصله البتة فان كل نقطة من
الارض ياخذ اليها الشمس وياخذ عنها بالسوا وليس الشرق شرقا و
الغرب غربا الا بالاضافة فان كان الشرق اسخن من الغرب فيجب ان
يكون السبب فيه البحر الذي خلفه والذي عن الجنوب منه فان الشمس
قبل ان يوافي سمت الراس منهم بسامت البحر ويجري عليه فيثير بخارا
حارا وكذلك اذا حاذى الناحية لم يعد مرحا قريبا والبلاد البحرية يسخن
بمجاورة البحر اذا كان بحرها بحرا كثيرا ثم تشتد عنها انعكاس الشعاع
الى البحر بحيث يؤثر في البخار وبحسبه وان لم يكن هذه العلة موجودة
كانت مجاورة البحر مما يبرد لسبب برد الماء واما المغرب فالشمس لا يأتي
ولهم مرور ببحر يعتد به بل البحر منهم الى المغرب في قربهم وخليج باخذ
من شماله الى جنوبه ولا يبلغ قرب مسامتة منطقة البروج ومدار الشمس
جنوبي عنهم فلا يحاذي الخليج الشمالي ولا يسامته فاذا حاذت البحر الذي
وراهم كانت اخذة في البعد منهم ومما يجب ان يعلم ان لممرات الكواكب
تاثيرات في الحر والبرد وفي ساير الاحوال وان كانت لا تدرك **المقالة**
الثانية هذه المقالة تشتمل على الاحداث والكائنات التي لا
نفس لها مما يكون فوق الارض فصل في السحب وما ينزل
منها وما يشبه ذلك فنقول اولا في كيفية تولد السحاب ان السحاب جوهر

بخاري متكاثف طاف فى الهوا ومن شاء ان تأمل ذلك امكنه اذا
حضر الجبال الشامخة وتامل كون السحاب فيها وهذا الجوهر البخاري
كانه متوسط بوجه ما بين الماء والهوا فلا يخلو اما ان يكون ماء قد تحلل و
تصعد او يكون هوا قد تقبض واجتمع وقد يعرض تكون السحاب
من كلى الوجهين جميعًا وذلك انا كثيرًا ما شاهدنا الهوا يبرد فى
اعالى الجبال الباردة فينقبض بعد الصحو سحابًا دفعة ثم يثلج وقد شاهد
هذا بجبل طبرستان عندي وبجبال طوس واما تصعد البخار و
انعقاده سحابًا ماطرًا فذلك امر شاهدناه كثيرًا فى كل البلاد الجبلية
وهذا البخار يحتاج كل مرة ان يبلغ الموضع البارد الشديد البرد فى
الجو فقد شاهدنا البخار وقد صعد فى بعض الجبال صعودًا يسيرًا
حتى كانه نكتة موضوعة على وهدة تحتها فرمه احاطة تلك الوهدة
لا يبلغ نصف فرسخ وكنا نحن فوق تلك الغمامة فى الصحو وكان الهوا
حرها ليس بذلك البارد جدا فكان اهل القرية يمطرون من تلك
الغمامة فعلمنا ان البخار كثيرًا ما يؤدي به تكاثفه وتواتر مدده وبطوء حركة
المصعدة اياه الى فوق فيحوج الى ان يتكاثف ويقطر مثل القصور وربما
احوجته الرياح الى ذلك اما مانعة اياه عن الصعود بحركتها فوق واما
ضاغطة اياه الى الاجتماع بسبب وقوف جبال حائلة قدام الريح او
اختلاف رياح متقابلة واما لالحاق المتاخر بالمتقدم الواقف والصاك
به من غير ان يكون حاجز من قدام واما لشدة بردها فكيف به السحاب
وانما يكثر المطر بارض الحبشة مع حرارتها لاندفاع الابخرة اليها وانضغاطها
فى جبالها وهى بين يدى رياحها واما فى اكثر الامر فان الابخرة تتصعد

ويعلو

ويعلو الى الحيز البارد من الهوا ويبرد ويعين ذلك انفصال ما ينفصل معه
من الدخان الحار اليابس الذي نذكره وقد شاهدنا ذلك الانفصال على ابخر
قلل الجبال فاذا بردت بالسكون انعقدت هناك غمامة يستحيل ماء ثم
وينزل والديمة والوابل انما يكون من امثال واما ما كان من جنس الغيوم
الاولى فانها تصب شيئا ويقشع وانما مثلها مثل الطل فان الطل لا
يكون من السحاب بل من البخار اليومي المتناطي بالصعود القليل المادة
اذا ضربه برد الليل وكثفه وعقده ما فنزل نزولا سيلا فى اجزاء صغار جدا
لا يحس بنزولها الا عند اجتماع شيء يعتد به فان جمد كان ضعيفا وهذا
السحاب يعرض له كثيرا اثر كما ياخذ فى التكاثف وفى ان يجتمع فيه حب القطر
ولم يتحلل الحباب بحيث يحس فنزل جامدا فيكون ذلك هو الثلج ونظيره
من البخار الفاعل للطل هو الصقيع واما اذا جمد بعد ما صار ماء و
صار حبا كبارا فهو البرد واكثر البرد انما يكون فى الربيع والخريف و
لا يكون فى الشتا وذلك لان البرد الشتوي ان كان شديدا فعل
الثلج واجمد السحاب ولا تمهله ريب ما ينعقد حبا وان كان ضعيفا
لم يفعل شيئا واما فى الربيع والخريف فان السحاب ما دام لم يتكاثف
بعد تكاثفا يعتد به يكون الحر مكتنفا اياه فلا يجمد ثلجا حتى اذا استحكم
استحصافه واحاط به الهوا الحار والرياح القوية الحارة هربت البرودة
دفعة الى باطن السحاب واستحصف السحاب على ما علمت من التعاقب
المشروح فيما سلف صورته ويكون الاستحصاف قد جمع البخار
قطرا قد عرض له استعداد شديد للجمود يتخلله الحر اياه كما ان الماء
الحار اسرع جمودا من البارد فيجمد وقد صار قطرا كبارا ولذلك ما

هذه الغيوم

يكون البرد في الخريف اكثر لان الصيف يكون قد افاد الاجسام
زيادة تخلخل والمتخلخل اقبل لتاثير البرد والحر جميعا ولا يظن ظان
ان البرد يكون اجزاء صغارا جامدة ثم تتصل في الجو فان اليابس الجامد
يعسر اتصاله ولكن السبب ما اشرنا اليه من التحام يقع دفعة لاجزاء
السحاب تستحيل مائية او بعد ما انتظم فيجمد حبا كبارا او لانه ينزل
رش مطر فكما يجتمع حتى يصير البرد لاسيما اذا اوى في حيز الحرارة فان
الفعل العرضي من الحرارة حتى يكون اشد على انه قد يتفق ان يكون
من اسباب تكون البرد مفاجاة ريح باردة لسحاب حار قريب من
الارض فيجمع بحركته جمعا ويجمد اجزاءه ببرده وقد شاهدناه ايضا وما
كان من البرد نازلا من سحب بعيدة يكون قد صغر وذاب واستدار
لذوبان زواياه بالاحتكاك في الجو واما الكبار وخصوصا التي لا
استدارة فيها فهي التي ينزل من سحب دوان ولو كانت غير جامدة
لكان المطر المسمى بالفلقط فان المطر يعرض له ان يكون اجزاؤه في اول
تكونه صغارا جدا ثم تجتمع ويكبر ويعرض له مرة اخرى في الانحدار اذا
طالت مسافتها ان ينفصل ما ويحمر كالماء فانك اذا صببته من موضع
عال وافي القرار وقد تشتت وتفرق وانما يصير بردا بعد الاجتماع
الاول او معه وقد حدثت ان بلاد الجبل قطعة برده وقعت من السماء
فنقلت الى بدر بن حسنويه من كذا اما وبقل البرد في الصيف لان
البخار الرطب البقل يقل فيه وفي الشتاء لانه يجمد سحابا ويكثر في الخريف
اذا استفادت الارض بلة بالتنشف وقوي فيها القلة التحلل وبمعونة
الليل فاذا تحللت مع قوة من الحرارة معتدلة كانت مادة بخارية يصعد

الى الحيز

الى الحيز المولد للبرد ولا يصعد الى الحيز المحلل لاصل المادة فهكذا يتولد
المطر والثلج والبرد والطل والصقيع واما الضباب فهو من جوهر الغمام
الا انه ليس له قوام السحاب فما كان منحدرا من العلو خصوصا عقيب الامطار
فانه ينذر بالصحو وما كان منه مبتدئا من الاسفل متصعدا الى فوق ولا
يتحلل فهو ينذر بالمطر ويجب ان يعلم ان نسبة المطر الى الثلج نسبة الطل
الى الصقيع وللرياح تاثير في تكون الثلج والصقيع كما ان لها تاثيرا في
تكون المطر والثلج وان اختلف وجه التاثير فان الرياح الشمالية تفعل
في الاكثر صحو العرب فهابها منا فانها تجمع في اخر مهابها وانما تولد تجمع
الغيوم اذا هبت منا ببعيد وبالجملة هي وطيه وان انشعب والرياح الجنوبية
جامعة للغيوم عندنا وان كانت طاردة لها في مبادئ مهابها لكن الشمال
مع ذلك ثلجي والجنوب مطري والشمال صقيعي والجنوب طلي الا في
بلاد نواحي مطوس فان الشمال بها لم يبرد بعد لانها مسدبة والجنوب
قد برد بما اجتاز عليه واذ قد بينا هذه المعاني فيجب ان يعلم ان جميع الاثار
العلوية تابعة لتكون البخار والدخان وذلك لان الحرارة الشمالية اذا اثرت
في البلد الارضية اصعدت منها ابخرة وخصوصا اذا اعانتها حرارة
محتقنة في الارض فما تصعد من جوهر الرطب فهو بخار وصعوده بطيء ثقيل
وما تصعد من جوهر اليابس فهو دخان وصعوده خفيف سريع والبخار
حار رطب والدخان حار يابس وقل ما تصعد بخار ساذج او دخان ساذج
بل انما يسمى الواحد منهما باسم الغالب وفي اكثر الامر فيصعدان من
الارض مختلطين لكن البخار منتهى تصعده الى حد قريب والدخان
اذا كان قويا انفصل عنه مرتقيا مجاوزا اياه الى حد النار وقد شاهدنا

انفصال الدخان عن السحاب ونحن في قلل جبال شاهقة ورايت المنفصل
الدخاني يخلف سطح السحاب المتراكم من تحت ويسرع الى فوق وهو
اسود ليشم منه رايحة الحريق فالبخار مادة السحاب والمطر والثلج والطل و
الجليد وعليه يراى الهالة وقوس قزح والشميسات والنيازك و
الدخان مادة الريح والصواعق والشهب والرجوم وذوات الاذناب
من الكواكب والعلامات الهايلة وسيرد عليك تفصيل جميع ذلك

فصل في المقدمات التي توطا لتعليم السبب الفاعل لهالة و قوس قزح وساير ما يشبهها

فلنقدم اول شيء ولنعرف حال الخيالات
التي تكون في الجو مثل الهالة وقوس قزح والنيازك والشميسات فان
هذه كلها يشترك في انها خيالات ومعنى الخيال هو ان يجد الحس شبح
شيء مع صورة شيء اخر كما يجد صورة الانسان مع صورة المراة ثم لا يكون
لتلك الصورة انطباع حقيقي في مادة ذلك الشيء الثاني الذي يؤديها
ويرى معها كما ان صورة الانسان لا يكون منطبعة بالحقيقة ولا قايمة في
المراة والا لكان لها مقر معلوم ولما كانت تنتقل بانتقال الناظر فيه و
المرئي ساكن والمذهب المعتمد به في ادراك البصر لهذه الاشباح ثلثة
مذاهب مذهب اصحاب الشعاعات وهم يرون انه يخرج من البصر
شعاع فيمتد هو بنفسه الى الصقيل الذي هو المرات ويحيل ما اشوبه من
الشعاع الذي في العالم الى طبعه ويجعله كالالة له فيلقى الاملس ثم
ينعكس عنه مارا على الاستقامة حتى يلقى شيا يقابل ما العكس عنه فيدرك
معا الاملس الذي هو المراة وذلك الشيء فيخيل عنده انه يدرك صورة
ذلك الشيء في المراة قالوا وليس كذلك والا لما كان المرئي مستقلا عن

المراة بانتقال الراي ولكان المرئي لا يرى بعد ما بين المراة وبين
المرائي والراي يرى ذلك البعد وان نظر في المراة ومذهب الطبيعيين
المحصلين وهو انه لا يخرج من البصر شعاعات البتة بل من شان
المرئي اذا قابل البصر وبينهما مشف والمرئي يضيء بالفعل ان صورته
تنسح في العين من غير ان يكون ذلك لشيء يخرج ويلاقي المشف
المتوسط وينفذ فيه الى البصر البتة بل انما يحدث الشبح في العين
نفسها ويكون المشف المتوسط موديا بمعنى انه يمكن من تاثير ذي
الشبح بشبحه في العين والعلة التي يمكن بها القا الشبح هو وقوع الضوء
على ذي الشبح دون القابل وهذه من الافعال الطبيعية التي لا
يحتاج فيها الى مماسة بين الفاعل والمفعول بل يكفي فيها المحاذاة و
كذلك القاء الشعاع فان اتفق ان كان الجسم ذو الشبح صقيلا تادى
الى العين ايضا صورة جسم اخر يستتر من الصيقل نسبة الصقيل من
العين لا لان يقبل الصقيل في نفسه شيا ينطبع فيه البتة بل يكون
مادي صورته سببا لتادي صورة ما يكون منه ومن العين على نسبة
مخصوصة واكثر ما يتعجب من هذا انه كيف يرى ما لا يحاذي ولا يجد
صورته فيما يحاذي وهذا ليس فيه الا العجب والندرة فقط ولو كانت
العادة في التاثيرات الطبيعية جرت على ان عامتها يكون بالمحاذيات
ولا يكون بالمماسة استندر ذلك ويعجب منه وكذلك الحال في التعجب
الذي يعرض وجود جسم يوثر على مصره ووضع غير متعارف مثله في
تاثير الاجسام واما ان هذا ممتنع فلا برهان عليه بل هو موجود واجب
اذ كان من شان الصقيل ان يرى مع صورته صورة شيء اخر وهو

يؤديه من غير ان يقبله بل يكون ممكنًا لذى الصورة من ايقاع شبحه
فى العين كما المشف ممكن الا ان المشف يمكن مفارقًا محاذيًا حتى يؤثر
وهذا يمكن مفارقًا محاذى المحاذى ثم البرهان يمنع من صحة غير هذا
كما ستعلمه والصوت قد يسمع من اى محاذاة اتفقت لان له نافلا يسلمه
الى السمع وليس يتعجب من ذلك ولا بقى لم يسلمه ولم كان القرع صوتًا
لان ذلك كذلك لنفسه وطبعه كذلك ههنا فهذا هو المذهب فى تادى
الاشباح الى البصر عكس المذهب الاول ونحن سنتكلم فيه فى غير
هذا الموضع والمذهب الثالث مذهب من يقول ان شبح المرئى يتصور
كما هو فى المراة فاذا رايت المراه بالمحاذاة روى ايضًا الشبح المنطبع فيها
وهذا المذهب مضطرب لا حقيقة له وهذا الانطباع قول لا معنى له
لان الانطباع صورة شى فى شئ بوجه نوع من المحاذاة لا يتغير عن
موضع الى موضع نزول شئ ثالث لا تاثير له فيه كما ان الضوء اذا نقل
على الوجه المحاذى لون الشى مع انتقاله عكسًا مثل ما تعرض للحايطان
تحضر بسبب انعكاس الضوء عن الحضره اليه فان ذلك اللون يلزم
موضعًا واحدًا بعينه ولا يختلف على المنتقلين وانت ترى صورة الشجرة
فى الماء ينتقل مكانها من الماقع انتقالك وفرق بين اللون المستقر
فى الشى نفسه وان كان فى غيره وبين اللون الساطع اليه من غيره ما دام
محاذيًا له متوسط الضوء سطوعًا مستقرًا الى ان يزول المحاذاة مثل صبغ
الياقوت لليد فهذا المذهب لا حقيقة له بل الضوءان انما يحدثان فى
الابصار واحدهما علة بوجه ما لتادى الاخرى الى البصر فاذا روينا
معًا ظن ان احدهما فى الاخرى كيف كان فان ههنا مراى لا تشك

فى

فى وجوده وسواء خرج من البصر شئ فانعكس عن المراة الى المرئى او
كان تاثير من المرئى فى الرائى بواسطة المراة فان الاحكام التى نحن فى
اعتبارها متفقة لان الاشكال والخطوط التى يرتسم فيها بين ذلك
يكون واحدة فلهذا اما لم يشاق المعلم الاول فى هذا الموضع من كتابه بل
استعمل انعكاس البصر اذ كان ذلك اشهر واعرف ولم يكن بين القول
فى الحس والمحسوس بعد فجرى على المشهور واما تحقيق هذه الجملة ففى
الفن الذى يلى هذا الفن وقد حاول قوم من الطبيعيين تعليم اسباب
هذه الحالات السحابية محاولات متكلفة بعيدة من العقول احوجهم
اليها ما هو متشدد فيه من التعصب على اصحاب الاشعة من الرياضيين
والتصلب فى مذهب المشائين مع القصور عن الواجب من البصيرة
فصاروا الى جانب من المحال اشد من القول بالشعاع حتى قال بعضهم
ان الهالة شكل تموج يقع فى السحاب لصدمة نور للنير ولتحليله وسطاو
تركه اوساطًا متساوية البعد عن الوسط وغير ذلك من اقاويل لا يقولها
الا من يتوهم ان الهالة مستقرة فى سحاب معين فنقول لا ان الفرق
بين الصور الحقيقية المنطبعة فى موادها وبين خيالات الاشباح التى
نظن انها فى المرايا ان هذه ينتقل مع المنتقل والحقيقة يلزم مواضعها
وهذه يحصل بها يقرب مما يقرب منها مواجهًا لها فى المرايا ويبعد مما
يبعد عنها وتلك يلزم مواضعها وهذه يوجد يحصله فى ظواهر اجسام
صقيلة وتلك لا يكون كذلك واذا كان الجسم الصقيل مشفًا ورائى
مشفًا بالفعل لم يمكن ان يرى عليه هذا الخيال واذا روى عليه
الخيال لم يود ما وراه وان كان وراء الجسم الشفاف جسم ذو لون

يحدده ادى هذا الخيال وان لم يكن ما وراه ما يحدده نفذ
فيه البصر ولم ير هذا الخيال وهذه كلها مقدمات تجربيه و
نقول ايض ان المرايا اذا كانت بحيث يحدها الحس لم يمكن ان لا يودي
اللون والشكل معا فان كانت ادت اللون ولم تف باداء الشكل
لان الجسم لا يمكن ان يرى مشكلا الا وهو بحيث يقسمه الحس
فكيف يرى ما لا ينقسم في الحس شكلا وان كانت مفردة فربما عجز البصر
عن ادراك ما يؤديه من اللون ايض فان كثرت وتلاقت ادى كل
واحد منها اللون ولم يود واحد منها الشكل فاتصل من جملتها من
مادية اللون ما لو كانت متصلة متحدة لادت مع ذلك اللون
الشكل واذا كان المرئي في مشف ثان وراه وبينهما سطح بالفعل فانه
يودي مقدار الشيء اعظم مما ينبغي ان يوديه وخصوصا اذا كان
سيالا مثل ما يرى الشيء في الما الا انه يقصر في تاديته لونه فيراه
اقل سوادا وصبغا من سواده وصبغه فان ذلك الشيء خارجا من
ذلك السطح وكان ذلك السطح يوديه على انه يراه ارى ذلك
الشيء اصغر حجما واشد سوادا من سواده واقل بياضا من بياضه و
البصر يعرض له الغلط في وجوه منها في مقدار الشيء كما ذكرناه من
انه تارة يراه اعظم وتارة يراه اصغر ومنها في شكله فان البعيد لا يحس
بزواياه ولا سعه بل يرى مستديرا مسطحا ومنها في وضع اجزاءه
فان البعيد لا يحس بخشونته ومنها في لونه فانه تارة يرى الشيء اشد
صبغا وتارة اقل صبغا ومنها في وصفه من شيء اخر فان البعيد جدا
لا يحس البعد الذي بين الرائي وبينه ولا الذي بينه وبين بعيد

اخر مثله كما لا يحس البعد الذي بين القمر والثوابت في جهة
ارتفاعها والاجسام المضيئة اذا انعكس ضوءها عن المرايا القريبة
منها لم يبعد ان يحيل لونه وان بعدت وكانت مظلمة لم يبعد
ان يتركب من الضوء ومن الظلمة الوان اخرى كما ان الضوء اذا
وقع على السحابة السوداء روت حمراء فكذلك يجوز ان يكون حال
الضوء الخيالي في شيء بعيد واسود معا واذا قام قائم وحاذى بصره
اشيا كثيرة او شيئا واحدا عظيما مما من شانه ان يودي الشبح فليس
يجب ان يكون كل تلك الاشياء او الشيء بحيث يودي شبح
شيء واحد واشيا كثيرة بل ربما كانت النسبة مع بعض تلك الاجزاء
نسبة توجب اداء شبح ما ومع اجزاء اخرى نسبة توجب اداء شبح اخرى
وربما كانت الاجزاء الاخرى لا توجب تادية شبح فينعطل تلك
الاجزا ويبقى الفعل لما يوازي ذا الشبح الواحد الذي قدم ذكره
وتلك الاجزا ينعطل على وجهين فانها ينعطل اما لفقدان شيء من
شانه ان يودي شبحه فاذا كانت لا يودي لها وللاجزا المقدم ذكرها
مود اختلفا واما لان ما نسبته اليه نسبة الاداء ليس يبلغ من قوة
ارساله الشبح وتمثيله اياه مثلا في المراة قوة الشيء الاخر اما للبعد
واما لضعف اللون واقوى ما يرسل اليه شبحه هو الاقوى ضوء و
كلما اشتد الضوء اشتد التاثير حتى يمنع ايض من تاثير اشيا اخرى
من شانها ان يوثر فاذا كان يمثل الشبح مرئيا في مرايا من شانها تادية
الشبح فبالحري ان لا ينعطل بشبح ما سواه في اجزا اخرى من الاجزاء

التي يحصلها في النسبة واذا كانت المراة متشابهة الوضع وجب
ان يكون النسبة بين الراى وبين اجزا المراة وبين المرى واحدة
فيجب ان يكون الزوايا التي تحدث من خطوط متوهم خارجة من
البصر الى المراة ومن المراة الى الشى ذى الشبح فيصل عند المراة
هى زوايا متساوية من جميع الجهات فيكون يمثل الشبح مستديرا
كان الشكل المرتسم بين زوايا الناظر والمراة والمرئى قد ادير على نفسه
بان يحفظ الخط الذى بين الشى ذى الشبح والراى ثابتا في الوضع
ويدار عليه الشكل لان التجربة انما يقع فيما نحن بسبيله على المراة و
اما الرائى والمرئى وكشى لا ينقسم فيكون المرئى مكان طرف المحور و
الشبح المتخيل مكان منطقة المحور واعنى بذلك اوسع دائرة يرتسم
عليها المحيط به الشكل المرتسم من الحركة المذكورة فهذه الاشباح
يتبدل اماكنها بحسب حركاتك فان توجهت اليها تقدمت لك
وان نكصت عنها تاخرت عنك وان علوت علت وان نزلت نزلت
وان تركتها بمرة وحاذيتها بالانتقال حاذتك بالموافقة وبهذا يعلم
انها خيالية فهذه الاشيا كمقدمات وتوطات بعضها يعول فيه
على صناعة الهندسة وبعضها على علم البصر ونحن نتكلم فيه في موضعه
وبعضها على الامتحان بالحس **فصل في الهالة وقوس قزح** واما الهالة
فانها دائرة بيضا تامة او ناقصة يرى حول القمر وغيره اذا قام دونه
سحاب لطيف لا يعطيه لانه يكون دقيقا فمن احب ان يرى انه شديد
التعصب على اصحاب الشعاع قال ان سطح الغمام كرى وكذلك سطوح

الكم

الاجسام البسيطة ومما يدل على كرية السحاب انه متشاكل البعد
عن الارض وعن المركز قال واذا وقع عليه شعاع القمر حدثت
من الشعاع ومنه قطع مستدير وقال من هو اقدم من هولاء ان
الشعاع اذا سقط على السحاب كان شبيها بحجر يلقى على الما فيحدث
هناك موج مستدير مركزه المسقط قالوا ووسطه يكون كالمظلم
لانه يتحلل بالقوة الشعاع وهذان القولان من جنس الخرافة وذلك
لان الهالة لو كانت كما قالا لكان لها موضع معلوم من السحاب
وليس كذلك بل نراها الذى يختلف مقاماتهم فى مواضع مختلفة
من السحاب وعلى ان ضوء القمر ليس مما يختص قطعه بموضع من السحاب
دون موضع او يكون سقوطه وتحليله على موضع دون موضع هذا
كله من جنس الكلام الذى يجب ان يرفع عنه اهل البصيرة انما
الهالة خيال ولذلك يختلف منظره وانما يتخيل عن ضوء القمر او
عن ضوء نير غيره لا شراق السحاب به على سبيل التادية لا على سبيل
التكسف به وذلك اذا كان السحاب مائيا رقيق الاجزا لطيفا لا يغمر
القمر او الكواكب وادى نفس الكواكب مع اداء شبح الكوكب لا
على استقامة ما بين الناظر والمنظور اليه فان الشى انما يرى على الاستقامة
نفسه لا شبحه وانما يودى شبحه زائلا على عن محاذاة الاستقامة التى
بينه وبين الرائى ضرورة فاذا كان جميع اجزا السحاب او اكثره مستعدا
لهذه التادية وكانت نسبة كل مراة فى وضعها من الرائى والكوكب
يجب ان يكون نسبة واحدة من جميع جوانب الكوكب وجب ان

يكون ما يرى الهالة مستديرًا على انّك يجب ان تعلم انّ الهالة
اذا لم يكن من نيّر على سمت الراس وجب ان يكون السّحاب
تخمينًا حتى يكون الخطوط البصرية التى يكون من ورآء النيّر والرائ
تقع من السحاب على مرايا اقرب فى السّطح الباطن والخطوط البصرية
التى يكون مقابلها ارتسب فى عمق السّحاب حتى يستوى والا
فانها ان وقعت على سطح واحد كرى كانت التى فى الجانب الابعد
اطول ولان ما يخرج عن المراة وما يدخل فيها مما لا يحيل لا يكون له
اشراق ما يردا الضو وينعكس الى البصر فيخيّل ان خارجه وداخله اسود
فان كان ما نقص عن اشراقه عن الابيض ووضع فى حسّ الابيض
يرى اسود وداخل الهالة يعرض له سبب اخر وهو ان قوّة الشّعاع الذى
للكوكب يخفى حجم السحاب الّذى لا يستره فكانه ليس هناك سحاب و
لا شئ اذ كان ما فيه من السحاب ليس يستر القمر اذ كان هو سحابًا رقيقًا
ويعرض للصغير والرقيق ان لا يرى فى الضو القوى اذا كان بحيث لا
يستر الشى فيكون كانه ليس موجودًا مثل ما يرى الهبات الجويّة فى
الصحرا وان روى لم يرَ مضيًا بل اسود مثل الشعلة فى النّهار واذا لم
ترَ او روى اسود يخيل كان هناك منفذا وخلا او شئ اسود ومتى
اردت ان تتامل هذا فتامّل السّحاب الرقيقة التى يحار تحت القمر
فيرى كانها ليست او يرى ضعيفة سودا فاذا رقت محاذاته ردت
اثخن حجمًا واظهر عيبا فان تمزقت الهالة من جميع الجهات متحلله دلت
على الصحو وان انتطت حتى يمحى السحاب وبطلت الهالة دلت على [illegible]

لانّ

لانّ هذه الاجزا الرطبة المائية القليلة تكون قد صارت كثيرة
فان تمزقت من جهة دلت على ريح تاتى من تلك الجهة وانّما هى
التى مزقته لا سيّما ومبادى الريح من فوق وقلّما يكون حول الشّمس
هالة لانّ الشّمس فى الاكثر تحلل السحب الرقيقة التى يبلغ من وقتها
ان لا تستر الشّمس وربّما اخرجت عنها البخار الدّخانى فيلتحم ويتكاثف
ومع ذلك فقد يكون حول الشّمس هالة وهو الطفاوة وذلك فى
الندرة التى يكون من الهالات تحت الشّمس ادل على المطر من الحالات
الفرجية التى يكون ما لها واذا وقعت سحابة بهذه الصّفة تحت
سحابة امكن ان يتولد هالة تحت هالة والتحتانية تكون اعظم من
الفوقانية لانها اقرب فيكون نادتها المرى باحرا ابعد من الوسط و
منهم من ذكر انه راى سبع هالات معًا وهو بعيد وقد حكى بعضهم
انه راى هالة فلما قدرت بالكواكب التى حاذت اقطارها كانت قريبة
من خمس واربعين اسطرونا واكثر ما يكون الهالة فيكون مع عدم
الرّيح فلذلك يكثر مع السحب الدوانى وقد رايت حول الشّمس فيما
بين سنة تسعين وثلثمائة واحد وتسعين هالة تامة فى الوان قوس قزح
واخرى ناقصة مولية الحدبة اليها فعلى هذه الصّورة يكون الهالة
وقد رايت بعد ذلك بزمان لم قدر الهالة يطيف فيها قليل قوسه
حفه وانما سرح هالة الشّمس احيانًا اذا كثف السّحب واظلم وهالة
الشّمس يخالف قوس قزح فى ان محور هذه الدّايرة ينتهى الى البصر
والى المرى فى الجانبين جميعًا ويكون الهالة منطقة لهذا المحور و
يكون مركز دايرتها على هذا الخطّ بين الراى والمراى واما القوس ٠

فان الرائي والشمس جميعا يكونان على خط المحور لكن مركز دائرة المنطقة
لا يكون واقعا بينهما والقوس لا تزيد على نصف دائرة لكان الهالة
قد تتم دائرة وقلما يرى الهالة مكسورة بالافق لقرب النير من
الافق لا خطا البصر في مثل هذه الحال يصيب من السحاب عمقا
كثيرا في اكثر الامر والهالة الشمسية في الاكثر انما يرى اذا كانت
الشمس تقرب من الافق وقد رايت بهمدان هالة حول القمر قوسية
اللون وكان ذلك لان السحب كان اغلظ سوش في ادا الضوء فعرض
ما عرض للقوس مما نذكره واعلم ان الكلام في الهالة فهو كالمحصل
المحقق عندي واما القوس فقد حصل عندي من امره احوال و
بقيت احوال لم اتحققها بعد ولا يقتضي ما بقي فيها وقد شاهدت
مرارا ان ارتسام هذا القوس ليس على السحاب الكثيف وليس يقتضي
ما يقوله اصحابنا من المشائين فيها وانا واصف لك اولا حال القوس
في ارتسامها حيث لا سحاب كثيف على ما شاهدته ثم واصف لك
اولا حال القوس في ارتسامها السبب في كونها نصف دائرة واقل من
نصف دائرة لا غير ومعطيك السبب في ان القوس لا يحدث جميع
اوقات النهار الصيفي ويحدث في الشتا واما الالوان فلم يتحصل لي
امرها بالحقيقة ولا عرفت سببها ولا اقنعت بما يقولون فان كله كذب
وسخف واقول اما ان هذا العارض لا بد من ان يكون وراءه في اكثر
الامر سحب مائي مستوي الاجزاء فامر يوجبه المشاهدة لان هذا
الامر لا يكون في نفس السحاب البتة ولا نفس السحاب هو الذي يؤديه
لكن البصر يغلط فلا يميز بين مكان مرآته وبين السحاب الذي يكون

وراءه

وراءه فاول ما عرفت هذا هو في البلاد الجبلية فقد شاهدت
فيها مرارا كثيرة سحابا يتولد مع مثله هذا الاثر وكان ذلك السحاب
مشرقا شاهقا وجهته حيث جهة الجبل وظهر الاثر فوقع البصر اول
ما وقع على ذروته ومنتصف قوسه وتحللت انه في ذلك السحاب
فلما تاملت اسافله كان قائما فيما بيننا وبين الجبل وما ما في الجو وانه
لولا الجبل لكان تتوهم انه في السحب الكدر ورايت القوس مرة
وهي مرتسمة في الجو المصحي قدام جبل الا ان ذلك الجو رطب مائي
من غير ضباب ولا شيء وكان موضعه ما بيننا وبين الجبل لا نزيد عليه
ارتفاعه ورايت مرة اخرى قوسين عظيمين الى دروسهما واوسط
حدبتهما سحاب ويلي طرفهما جبال فيرى كل واحد منهما كانه
مرتسم على الجبل وعلى السحب وذلك لان البصر لا يفرق بين سمعه
وبين ما خلفه فيرى كانه ملتصق به وقد تواترت مني هذه التجربة
بعد ذلك مرارا فظهر لي ان السحب الكدر ليس يصلح ان يكون
مرآة البتة لحدوث هذا الخيال وانما ينعكس البصر فيه عن هواء رطب
منتشر فيه اجزاء صغار من الما مشفة صافية كالرش وليست بحيث
يكدر ويزيل الاشفاف اذا لم يكن وراءها ملون لم يكن مرآة
وذلك كالبلورة فانها اذا اسمرت من الجانب الاخر صارت مرآة
في الجهة التي تليك وان لم تستر وتركت ووراءها فضا مشف
غير محصور لم يكن مرآة فيجب ان يكون في اكثر الامر وراء هذا
الهواء الرطب شيء لا يشف اما جبل او سحب مظلم حتى يرتسم هذا
الاثر منعكسا عن الاجزاء المائية الشائعة المنتشرة الواقعة في الجو دون

البخارية الكدرة فانها اذا كانت بخارية كدرة لم يصلح لذلك و
راينا مثل هذا الخيال يتولد في ارحا الما اذا اسحق عن اجنحة الالة
المنصوبة في وجه الما رش ما صغر الاجزا طلى بوازنه الشمس فيحدث
دائرة بالوان القوس وكذلك اذا اخذ الانسان الما في فمه ونفخه في
الجو حذا الشمس او السراج ورأينا الشمعة في الحمام يتولد حوالها
من رطوبة جو الحمام هذا الخيال بل قد راينا في العدوات حول
الشمعة خيالا اهلالى الشكل قوسى اللون والسبب فيه رطوبة
المعشر عن نومه فكان اذا مسحت العين لم يظهر منه شئ وقد راينا
في بعض الحمامات هذا الخيال منطبعا تمام الانطباع في حايط الحمام
ليس على سبيل الخيال بل كان الشعاع يقع على جام الكرة فينفذ
في الرش المملو منه هواء الحمام ثم يقع على حايط الحمام وهو شعاع
مضى ثم ينعكس عنه في الهواء الرشى الى الحايط الاخر الوان قوس
مستقره ليس مما يبرح موضعه بانتقال الناظر وقد يحكى ان
هذه الالوان يظهر مما ينتشر من تجاويف السفن في البحر لمن ضعف
بصره حتى صار كانه لا ينفذ في الجو فقد يتخيل له ذلك ويتخيل له
اشباح اشيا اخرى ربما يخيل له شبح نفسه امامه فان الهوا يصير
بالقياس الى بصره محدودا منقطعا واكثر ما يعرض هذا الخيال حول
السراج وما لا يكون له لون ضعيف ولون قوي فانه يرى ارجوانيا
ذا لون واحد فالذي صح عندي ان مراه هذا الاثر ليس هو سحاب
مظلم لا يشف بل هو رطب فيه اجزا مائية رشية كثيرة مشفة ولكنه
يحتاج ان يكون خلفه مثل هذا السحاب او جبل او سره اخرى من

نفس

بين

نفسه او غيره وقد رايت بجبل اسور وبين طوس وهو مشرف جدا
كان قد اطبق تحته غمام عظيم عام وهو دون قلته بمسافة يعتد بها
لكن الهواء الذي كان فوقه كان لهذه الصفة وقد كانت
ظهرت هذه القوس على الغمام ونحن نزل عنه الى الغمام فنرى
هذا الخيال ما بيننا وبين الغمام المتراكم متشبحا على السحاب
مسلم الاستدارة يصف الجبل لا ينقص عن الدائرة الا قدر ما يكنه
الجبل وكنا كلما امعنا في النزول صغر قدره حتى صارت دائرة
صغيرة جدا لان قربها منا وبعد الشمس عنها كان يزيد وبصر المخروط
البصري اصغر قطعا فلما قربنا من السحاب وكنا نخوض فيه
اضمحل ولم يتخيل بعد فهذا هو صورة المراة التي تخيلت هذا
الخيال واما لونه فليعلم انه انما لا يكون منيرا ابيض لان مادته بعيدة عن
النير ليس كما ترى في الهالة فلذلك يختلط الضوء الخيالي بشئ
من جنس الظلمة فيتولد حمرة وارجوانية وغير ذلك واما شكله فاعلم
انه يجب ان يكون مستديرا واعلم عليه وهو ما قد دللت عليه و
لذلك فان الشمس اذا كانت على الافق وجب ضرورة ان يرى من
القوس نصف دائرة وذلك لان القوس ليس وضعها وضع الهالة
موازيا للارض حتى يكون جميع ما يحيله مسافيري الخيال وانما
وضع القوس وضع مقاطع للافق لا موازله فاذا كانت الشمس على
الافق قطعت الافق من الدايرة الموهومة له نصفها لا محالة فان ارتفعت
الشمس ارتفع محور المنطقة فانحطت المنطقة لا محالة فنقصت القوس

لا محمر حتى اذا ارتفعت الشمس ارتفاعا كثيرا لم يكن قوس واما اذا كان
ارتفاعها الى حد كان قوس فلذلك يجوز ان يحدث القوس في بعض
البلاد في الشتاء في انصاف النهار ولا تحدث في الصيف لقلة ارتفاع
الشمس في انصاف نهار الشتاء وكثرته في انصاف نهار الصيف و
كلما كانت القوس اتم واقرب من نصف دايرة كان اصغر اى دايره اصغر
وكلما كانت اصغر كانت اكثر وفي الحالة الاولى تكون اقوم على الافق
ومما يلي الشمس اشد انفراجا لان مركز دايرتها كلما ارتفعت الشمس
انخفض ومال الى الجهة الى مفارقة الشمس واما وجوب كون الالوان
ثلثة ومواقعه لون اصغر اياها وما يرى معها في الاحيان باعيانها و
ترتيبها فليس يمكنني ان اقف على السبب فيه والذي يتوقع ان السبب فيه
اختلاف وضع سحابين وامتزاج لون ثالث فيهما فشي لا اصل له ولا
هناك سحابتان بوجه من الوجوه بل يجوز ان يرتسم في جو متشابه الاحوال
قوس مع ثلثة احوال ولاما قيل ان الناحية العليا تكون اقرب الى الشمس و
انعكاس البصر يكون اقوى فيرى صفرة ناصعة وان الناحية السفلى
ابعد منها واقل لذلك اشراقا فيرى في الطوق الثاني حمرة الى السواد
وهو الارجواني وانه تتولد فيما بينهما لون كراثي كانه مركب من اشراق
حمرة الفوقاني وكدورة السفلاني فكله ليس بشيء لان الاولى
هو ان يكون الاقرب ناصع الحمرة ثم لا يزال كذلك على التدريج بضرب
الى الارجوانية والقمة ويكون طرفه الاخر اقتم ارجوانيا واما انفصال
هذه الالوان بعضها عن بعض حتى يكون عرض واحد متشابه الحمرة و

اخر متشابه الارجوانية وبينهما قطع فلا معنى له وليس في ذلك الرش
اختلاف استعداد ولولا ذلك لكان لا يتبدل للقرب والبعد مواضع
تلك الالوان فانك كلما قربت من الموضع الاول وترك كل لون على
تدريجه وكلما بعدت انتقل الى خلاف ذلك لان الانتقال الاول
متباعد عن مقامك الاول والثاني متقارب اليه وكلما علوت علا
وكلما انزلت نزل معك فيجد كل بقعة صالحة لكل لون ولو امكنك
ان تقرب الشمس اليك لقربت القوس منك وكبرت ولو امكنك
ان تبعدها بعدا محسوسا تباعدت القوس عنك وصغرت وبعض من
لا يحقق ظن انك اذا قربت من القوس قربت واذا بعدت بعدت
منك وهو خطأ وتولد هذا الكراثي ايضا بين الارجواني والاحمر
الناصع بديع فان اللون الممتزج منهما شيء هو اشد نصوعا من الارجواني
واشد ارجوانية من الناصع لا لون كراثي لا مناسبة له مع واحد منهما
ولان يتولد الكراثي بين الاصفر وبين الاسود والنيلي اولى من ان
يتولد بين احمر ناصع وبين ارجواني وبالجملة فان اصحابنا من المشائين
لم ياتوا في امر هذه الالوان وهذه الفصول لشيء فهمته وعسى ان
يكون عند غيري منه ما يفهمه وتفهمه ولعلك يجب ان لا تطلب علة
هذه الالوان كلها في المراة ولا في ذي الشبح بل في بصرك بان
تعلم ان لا حقيقة للشبح في المراة ولا اختلاف للون في المراى ولعل
الاولى ان تطلب في بصرك ثم تطلب ان في الراكد القائم الذي
لا يتبدل كيف يختلف الالوان ايضا واجهد في هذا جهدك
ستصل اليه وهذه القوس في اكثر الامر يلي الارض منها لون

لس بذلك البالغ فی کیفیته وانما یکون القمر شدید الاضاءة عندما
یبدر فی الشهر مرة فیقل ان یجتمع ندرة والاستعداد التام من الجو
فلهذا لا یتولد قوس الا فی الندرة **فصل فی الریاح** وقد حان لنا ان
نتکلم فی الریاح فنقول کما ان المطر وما یجری مجراه انما یتولد عن البخار الرطب
کذلک الریح وما یجری مجراها یتولد من البخار الیابس الذی هو الدخان و
یتولد علی وجهین احدهما اکثری والاخر اقلی اما الاکثری فاذا تصاعدت
ادخنة کثیرة الی فوق ثم عرض لها ان یعلو فهبطت لبرد اصابها او
لانها قد حبسها حرکة الهوا العالی عن النفوذ فرجعت تارة مطیعة لحرکة
ذلک الهوا فی جهة وتارة فی جهة اخری وذلک انه لیس یلزم فی المندفع
الی فوق ما ظنه بعض المتشککین انه اذا ضغط من فوق الی اسفل تحرکه
معارضه یکون لا الی اسفل بل الی جهة ان یلزم تلک الجهة فربما ازال
هیئة صعوده وهیئة لحوق المادة به ان ینکس الی خلاف جهة المتحرک
المانع کالسهم یصیب جسما متحرکا الی جهة فیعطفه تارة الی جهة فان
کان الحابس کما یقدر علی صرف المتحرک عن متوجهه یقدر ایضا علی صرفه
الی جهة حرکة نفسه وتارة الی خلاف تلک الجهة اذا کان المعاوق
یغلب علی الحبس ولا یقدر علی الصرف فلهذا السبب ما یوجد الریح
بعد صعودها مایلة فی حرکتها النازلة الی جانب وجانب وربما اضطره
ایضا الی ذلک هیئة ما یتصعد من تحت فیخصص لها ذلک جانبا ومنعها
من ان ینزل سافلا علی الاستقامة وهذا الجنس من الریاح فی اکثر
الامر یتحرک قبلها سحب یهب هی وکثیرا ما راینا الابخرة والادخنة
المتصعدة من الاتونات وما یجری مجراها یعرض لها ان من اقصی الجو

بعد

بعد ارتفاعها والجو یجیئ بعد بهبوب ریاح عاصفة وهذه الریاح
التی یصرف الادخنة من غیر قسر فهی فی اکثر الامر یکون قویة
فی ابتدا وصولها وکان اصحابنا یتاملون ذلک ویعدون ریاح قویة
فی الوقت فیصدقون ویتعجب الحاضرون فهذا هو الامر الاکثری فی
تولد الریاح ومن الریاح ایضا ما یتولد مثل اسها الادخنة الی معاوقة
الحرکة العالیة وقبل اسهابها الی حیز التبرید وذلک حین ما یکون
هذه الادخنة المتصعدة ینصرف الی الجهة ما انصرافا قویا لعلة عن
الوصول الی العلو المحض وذلک اما لان لها بعدا معرجا فی التصعد
واما لان ریاح باردة هابة فوقها یمنعها عن الاندفاع وتصرفها من حیث تلاقیها
الی اولی الجهات بوضعها واما الریاح اخری یمدها اما من مصعدها
واما من منابع اخری فیتصل بها کالعیون للاودیة فح یتصل
ریاح قویة فی تلک الجهة لاستمرار الاتصال وقوة انجذاب البعض
اثر البعض وخصوصا اذا اصابها برد یحبسها عن الصعود ویثقلها ویمیلها
الی الهبوط فیجر بعضها اثر بعض وربما هبت الریح لحرکة الهوا وحده
اذا تخلخل جهة من الهوا للسخونة فانبسط فسال له الهوا لکن الریاح بالحقیقة
ما یتولد عن الدخان الیابس ولو کان الهوا مادة الریح لکان یمتد
هبوبه زمانا طویلا لا بل مقدار ما یحرکه شیء او تخلخله وکثیرا ما یهب
الریاح ونحن نعلم ان الشمس قد خلخل فی ممره ما من شانه ان یتخلخل
وکثیرا ما یهب ریاح من جهات مقابلة للجهات التی منها یقع ما یکون
من خلخلة الشمس ومما یدل علی ان مادة الریح غیر مادة المطر الذی
هو البخار الرطب وهو انهما فی اکثر الامر یتمانعان والسنة التی یکثر

فيها المطر لكثرة البخار الرطب تقل فيها الرياح والسنة التي يكثر فيها
الرياح يكون سببه حدب وقلة مطر لكنه كثيرا ما يتفق ان يعين المطر
على حدوث الريح تارة بان يبل الارض فيعدها لان تتصعد منها
دخان فان الرطوبة تعين على تحلل اليابس وتصعده وتارة بما يبرد
البخار الدخاني ويقهره والريح ايضا كثيرا ما يعين على تولد المطر
بان يجمع السحب او بان يعصر برودة السحب الى باطن للتعاقب المذكور
او يعين على تحلل ما فيه من البخار الدخاني او يكون متولدة عن المنفصل
فيه من البخار الدخاني فيبرد بانفصاله وان كانت باردة اعانت ايضا
بالتبريد واما في اكثر الامر فان المطر يبل البخار الدخاني ويثقله
ويجمده ويمنعه ان تصعد او يتصل بعضه ببعض فاذا نزل تنقله
المستفاد عن الترطيب ضعف حركته وكذلك الريح في اكثر الامر تحلل
السحاب ويلطف مادته بحرارتها او ببرده بحركتها والريح المولدة
للسحاب يسمى رياحا سحابية واسم الرياح السحابية يقع في اكثر الامر على
هذه الرياح وقد يقع ريح سحابية لما كان من الرياح ينفصل من السحب
الى ناحية الارض ولانها متضغطة مقسورة فهي قوية العنف جاحفة
معرها والزوبعة من الرياح السحابية الثقيلة الرطبة التي يندفع الى
فوق فيصدم سحابة فيلويها ويصرفها فيستدير نازلة وهذه اردأها
وربما زادها تهيج المنافذ التفافا وتلويا كما يعرض للشعر ان يتجعد
بسبب التواء منه من المسام وربما كانت الزوبعة من مادة ريحية هبطت
الى اسفل وقرعت الارض ثم انثنت فلقيها ريح اخرى من جنسها
فلوتها وعلامة الزوبعة النازلة ان يكون لذاتها تصعد وتنزل معا

كالراقص

كالراقص وعلامة الصاعدة ان لا يرى للعاتها الا الصعود وانما
يعرض لها كل ذلك الشكل ثم يلزمها لثقل طبعها وتحوه جوهرها
لرطوبتها ولو كانت لطيفة لم يلزمها ذلك الشكل وقد تحدث الزوبعة
ايضا من تلاقي ريحين شديدتين او غير شديدتين وربما كانت
شديدة قوية ناسفة تقلع الاشجار وتخطف المراكب من البحر وربما
اشتملت على طائفة من السحب او غيره فيرى كان تنينا يطير في الجو
وبالجملة فانما مبادي هبوب الرياح كيف كانت توجب الصحو بما تبدد
ليس يمكن عندي ان تعطى الرياح المختلفة احكاما في المعونة على المطر او
الصحو كلية بحسب البلدان كلها بل يجب ان تخص بالبقاع المختلفة لها
احكام خاصة والرياح التي تبدى من السحب متصلة المادة منها ساذجة
ومنها ملتهبة ضاعفة وشرها الصاعقة الزوبعية وقد يقع رياح سحابية
على الكذب لرياح تهب فعارضها رياح سحابية فصرفها معها كالحر منها
او التي معها الرياح السحابية عن الهبوب فلما انقضت هبت فظن سحابية
والمهاب المحدودة اثنا عشر لان الافق يتحدد باثني عشر حدا ثلث مشارق
وثلث مغارب وثلث نقط شمالية وثلث نقط جنوبية فالمشارق
الثلثة مشرق الاعتدال ومشرق الصيف وهو مطلع نقطة السرطان ومشرق
الشتا وهو مطلع نقطة الجدي ومقابلها مغارب ثلثة والنقط الشمالية
والجنوبية الثلث تقاطع خط نصف النهار والافق ونقطتا دائرتين
موازيتين لدائرة نصف النهار مماستين للدائرتين الدائمتي الظهور و
الخفاء من عرض طع ولهذه الرياح اسام باليونانية وبالعربية ليس
يحضرنا الان والمشهورات عند العرب ريح الشمال وريح الجنوب والصبا

وهي المشرقية والدبور وهي المغربية والبواقي تسمى نكبا ويشبه ان
تكون هذه الاربعة هي العالية ومن الاربعة الشمال والجنوب فان
مهبيهما مستعدان لان يتولد منهما الرياح عند تاثير الشمس استعدادا
شديدا ومن الناس من يجعل الريح الغربية لبردها في عدد الشمال و
المشرقية في عدد الجنوب فتكون الامهات عنده ريحين فالرياح التي
تاتي من ناحية الشمال هي ابرد الرياح لان معنى قولنا شمالية هي انها
تكون شمالية بالقياس الى بلادنا وناحية الشمال منا باردة وفيها جبال
وثلوج كثيرة فيبرد الرياح المارة بها الينا فان جاز ان تمتد الى ناحية
الجنوب لم يبعد ان يسخن بمرورها البلاد الحارة والجنوبية هي اسخن
الرياح لانها انما يصل الى ديارنا وقد جاوزت بلادا محرقة حارة و
اسدا منها وان كانت تلك فلما تصل الينا فالجنوبية وان فرضنا ها انها
ابتدات من موضع بارد فلا محالة انها اذا وصلت الينا تكون قد سخنت
فكيف ما كان منها مهبه ومبداه من المواضع الحاره ولذلك هي كدرة و
ان كانت ابتدات من صفا وهي ايضا كدرة رطبة لم يخالطها من
بخارات عفنة من ابخرة من البحار التي في جهة الجنوب منا وهذا في
اكثر الامر وقد يمكن ان يهب رياح من نواحي جنوبية قريبة منا باردة
فيبرد وان تهب رياح شمالية وتلقى البحار والبوادي الرمضة وتحمل
ابخرتها فيسخن ولكن الحكم الذي حكمنا به انما هو حكم بحسب الاغلب
من البلدان وبحسب رياح تاتي بالحقيقة من بعد واما الرياح المشرقية
والمغربية فيجب ان تكون اقرب الى الاعتدال وان تقع لها اختلاف
كثير بسبب اختلاف البلدان الكاين بسبب البحار والجبال والرياح

المشرقية

المشرقية بالنسبة الينا ونحن لا على طرف البحر مارة على اليبس بتسخين بالشمس
واما المغربية فانها مارة على البحار والمشرق اسخن من المغرب
لانه اكثر يبسا وبرد دائما وانما البحر في جانبين منه فقط وقد
يبنا عن العمارة عن فيها وكان القدما يسمون الرياح المشرقية
الصيفية اعني التي من مشرق الصيف الى انها فعالة للسحب جذابة
لها والريح الشرقية الشتوية الى انها يجفف ابتداء ثم يرطب انتهاء
يجفف ابتدا لانها يحلل الموجود من البخارات فاذا احللت الجامد
اثارت رياحا جديدة ويجعلون الغربية الجنوبية مقارنة للشرقية
الصيفية وينسبون الشمالية الشرقية والغربية الصيفية
الى انها تثير الثلوج ووجدوا الشرقية ربيعية صيفية والغربية
خريفية شتوية وهذه احكام يتغير بحسب المعمورة ولكن يشترك
في ان كل ريح انما تشتد هبوبها ويتصل بان يكون الشمس
في جهتها وان الشمس لا يقدر على احداث ريح قوية من جنبة
جامدة الابعد مدة وفي الاول انما يحلل وان احكامها في الشمال
بالقياس الينا اعجل منها في الجنوب والصيف تقل فيه الريح
لعوز المادة والشتا تقل فيه لعوز الفاعل وربما اتفق ان يكثر
اذا اتفق من الاسباب ما يضاد المانعين وقد يتفق ايضا ان تقل
في الربيع للجمود وفي الخريف لليبس الى ان يستعد بالتشفا و
بالمطر بلة فان الجامد واليابس الصرف لا يدخنان ولا يبخران و
الرياح الباردة قد يختلف فتكون ابرد واقل بردا وهي من نوع
واحد وكذلك الحاره قد تكون احر واقل حرا وهي من نوع واحد

السبب في ذلك اختلاف يعرض لما يمر من البلاد وللمادة
التي عنها تكون وللفصل من فصول السنة وما كان من هذه الرياح
متضادة فقلما تتفق لها الهبوب معا ولا سيما ما كانت كذلك بالحقيقة
وكان من ابعد الطرفين واما من موضعين متقاربين شمالا او
جنوبا لان السبب الفاعل للرياح وهو الشمس لا يكون مايلا في
وقت واحد الى الجهتين المتضادتين فان اتفق لا بسبب الفاعل
في المنفعل حدث زوبعة وقهر احدهما واكثر ما تحدث ربيعا وخريفا
لان الشمس لا تكون قد سارت عن احدى الجهتين الى الاخرى سيرا
بعيدا واولى الوقتين به الخريف لان النظام فيه اقل وقد يتفق في بعض
البلاد ان يوجد ريح دون ضدها والرياح المتضادة قد يعرض لها
ان تتعاون على فعل واحد تعاون الريحين المتضادتين اللتين احدهما
من مغرب الشتا والثانية من مشرق الصيف فانهما تتعاونان على ترطيب
الهوا لان كل واحد منهما مرطب هذا شمالية وذاك المغربية البحرية و
اما الغير المتضادة فلا تتمانع في هبوبها ولكن يتفق لهما تارة ان تتعاونا
وتارة ان لا تتعاونا ويتفق للريح الواحدة ان تضاد مبداها منتهاها مثل
الريح الهابة من المشرق الشتوي فانها تحدث اولا يبسا قالوا لان
الشمس كما تشرق تجفف الرطوبة المجتمعة ليلا وتحلل ثم اذا طلعت و
تعست حللت الحارات ووردت رطوبة تحملها تلك الريح ثم للرياح خواص
تختص بكل واحدة منها يجب ان تعرف ذلك من الكتب الحرية ومن
شان الرياح الاثني عشر ان تهب كل واحدة منها عند ميل الشمس
الى جهتها ولكن ليس في اول ما تصل اليها وخصوصا الشماليه والجنوبية

لان

لان الشمالية والجنوبية لا تهب كما توافي الشمس ناحيتها اولا وذلك
لان الشمس تحلل الحاصل من البخار والدخان لقربها ولا يقدر
على ان تحلل الجامد من الرطوبات الى البخار بسرعة في اول وصولها
وما لم تحللها وتسيلها وتبل بها الارض لا تبعد الارض لان
يدخن عن الحرارة دخانا كثيرا فان الارضية تعين على تصعيدها
مخالطة المائية ولهذه العلة تتاخر عشرين يوما وخصوصا
الجنوبية التي لا تهب عند القطب بل تهب من دون البحر من الارض
اليابسة لان اليابس ابطا انحلالا فلذلك هذه الرياح تتاخر
قريبا من شهرين وتسمى البيضا لاحداثها الصحو وتسمى ومن
خاصيتها ان تحلل الزجاج نضا من غير فساد وكان يجب ان تقل
هذه الرياح الجنوبية صيفا ولكن السبب في انها لم تقل ان الرياح
الشمالية تنقل الى تلك الجهة رطوبات فترطب تلك الارض و
تعدها للتسخين ولولا ان تلك الارض واسعة كثيرة لما كانت رياحها
عظيمة واما في الشتا فلا يتفق ان تبلغ ما تحدث من الرياح الجنوبية
لبعد المسافة فاذا جاوزت الشمس ذلك المكان احدثت لهب و
اما عند بعد الشمس عنها جدا فالاولى ان لا تهب واما ساير الرياح
فليس الامر فيها بهذا التاكيد وهذه الرياح التي تهب مع حركة الشمس
تسمى الجولية واكثر ما تهب تهب نهارا لسبب الشمس وكل ريح فان
قوتها في البلاد التي تبتدى فيها وضعفها فيما تقابلها واكثر الرياح
هي الشمالية والجنوبية لوفور المواد عند كل واحد من القطبين المواد
المعدة بترطيبها الارض لتصعيد الادخنة عنها واستحالتها رياحا

واما سایر الرّیاح فانها انّما یهب فی الاقلّ وكما قد اتفق ان ظن قوم
ان للمیاه معدنا فیه كلّها وهو فی غور الارض كذلك قد ظنّ قوم ان
للریاح ایضا معدنا تحصرها فی غور الارض وانها یهب من هناك
بقدر ولو كان الامر كذلك لكانت الرّیاح التی تبعث من الارض
تبتدی قویة ثم یضعف كالما المنبثق فانه فی ابتدائه یقوی ثم
یضعف ولیس یوجد حال الارض التی فیها یبتدی الرّیاح فی
هبوبها هكذا بل علی عكسه وانما لا تشتد الریاح فی اعلی الجو وانها
لو كانت المهب الاصل واحدا لما هبت ریاح متضادة معًا ومع ذلك
فان الریح القلیلة التی لیست كلیة الریح فقد تحدث من حقنها
فی الارض زلزلة ورجفة فلو كانت للرّیاح كلیة محصورة فی الارض
لكانت قد خسفت البقعة المنحصرة فیها وتخلصت دفعة ومما یلیق
ان یلحق بهذا الاصل الفصل حال الرعد والبرق والصّواعق ثم الكلام
علی الشهب وذوات الاذناب والعلامات الهایلة فی الجوّ فصل
فی الرّعد والبرق والصّواعق وكواكب الرجم والشهب الدایرة و
ذوات الاذناب فنقول ان من شان البخار المتولّد منه الغمام ان یصحبه
وخصوصًا فی الفصول الحارّة بخار دخانی فمنه ما یسهل معاصاته ایاه
ومنه ما یصعب فلا یعاصیه بل یبقی فیه ویبرد لبرده وذلك لان كثافة
الغمام یحبسه فلا بد عن ان ینفذ فی الهوا البارد نفوذه السّریع لو انفرد
النفوذ الذی یحیل به عن تاثیر البرد فیه بسرعة فانه اذا كان خالصًا
اسرع ولم ینتظر فی میلها ثم لها التغیر والانفعال وهو بسرعة حركته
یحفظ الحرارة ایضا فاذا احتبس مدة ما فی البخار المائی وبرد هذا

البخار

البخار فانه اسرع تبردا من الدّخان لان طبیعة البرد فی الما اقوی
منها فی الارض ولذلك رجوعها الی طبیعتها وحركته الی فوق ابطا
من حركتها واذا كان كذلك تعاون برده وحبسه علی جمیع الدّخان
وتبریده وقسره ایاه الی الانحصار فی ذاته لتكاثف البخار حوله قسرًا
یشبه العصر ویحدا علی السّحب اعصی فی الانخراق لزیادة تكاثفه
متعاون الاسباب علی عقدة ریحًا تاخذ نحو الجهة التی تتفق لها
النزول عنها والنفوذ فیها ویستحیل ریحًا عاصفًا فی السّحب ویمتد
الی الجهة المتخلخلة من السحب فی اكثر الامر وهی الجهة التی یلی
الارض لانها اسخن من الجهة الفوقانیة المتلبدة بالبرد واسخف و
اذا كان یدافعها الاتصال المادة یلجها الی الانفصال فربما انفصلت
لا عن جهة میلها فی خروج الدخان المتدافع الی فوق بل الی اسفل
وربما كان احتباسها فی السّحب بالغا فی تبریدها فاعان میلها الی اسفل
بردها ولو كان هذا البخار یقدر یخفته علی التعصی من كثافة اعالی
السحب فلم یقاومه كثافته وبقیت فیه حرارته لما احتقن ریحًا والریح اذا
عصفت فی الهوا الرقیق اللّطیف سمع له صوت شدید فكیف فی
سحب كثیف فیجب ان یسمع له صوت الرعد ولان هذا الدّخان
لطیف متهیی للاشتعال فانه یشتعل بادنی سبب مشتعل بحجمه
بالحركة الشدیده والمحاكة القویة مع جسم كثیف والحك نفسه او لی
بالاسخان من نفس الحركة او مثلها وقد علم هذا فی موضع اخر فلا بعد
ان تحیله المحاكة والاضطراب والانضغاط الی حرارة مفرطة
فیشتعل بهذه العلل نارًا ویستحیل برقا واذا شئت ان نعلم ان

الاشيا اللطيفة يسهل اشتعالها بادنى حركة فتامل ما يحدث من
امرارك اليد على الاشيا السود فى الليل فانك ترى اضوا والتهابا
لطيفة يحدث من تلك الحركة اللطيفة فكيف اذا حرك الشى اللطيف
المختلط من مائية وارضية عمل فيها الحرارة والحركة واللخلخة المماز[جة]
علاوة من تمزاجه من الدهنية حركة شديدة وهى مستعدة [...]
دخانية وربما كانت اشتعالها من احتاق الجوهر ما من البرد وقد
يعرض ان يمطر بعض البقاع التى فى جوهرها سبخة او لزوجة دهنية
ثم يتصعد من تلك البقعة ابخرة دسمة لطيفة فيشتعل من ادنى سبب او
برى ويرى على وجه الارض شعل مضيئة غير محرقة احراقا يعتد به للطفها
ويكون حالها كحال شعلة القطن المنفوش بل كحال النار التى تشتعل فى
بخار شراب مجعول فيه الملح والنوشادر اذا وضعت مسر فى جمر بحر
وهرب من بخاره سراج فاشتعل وبقى مشتعلا مدة فقام البخار على ان
المطر به يكون الطف وارق كثيرا ولا يكون برق الا ومعه رعد لانه
لا يكون الا من ريح تضطرب فى الغمام ثم يخلص شعلة لكن البرق
يرى والرعد يسمع ولا يرى فاذا كان حدوثهما معا روى البرق فى
الان وتاخر سماع الرعد لان مدى البصر ابعد من مدى السمع فان
البرق يحس فى الان بلا زمان والرعد الذى يحدث مع البرق يحس
بعد زمان لان الابصار لا يحتاج فيه الا الى الموازاة والاشفاف و
هذا لا يتعلق وجوده بزمان واما السمع فيحتاج فيه الى تموج الهوا او
ما يقوم مقامه يتصل به الصوت الى السمع وكل حركة فى زمان
لهذا ما نرى وقع الفاس وهو اذا كان يستعمل فى موضع بعيد قبل

ان

ان يحس بالصوت بزمان محسوس القدر واما اذا قرب فلا يمكنك ان
تفرق بين ذلك الزمان القصير وبين الان فسبب الرعد والبرق
فى اكثر الامر هو الحركة الريحية التى يحدث صوتا ويشتعل اشتعالا
وربما كان البرق ايضا سبب الرعد فان الريح المشتعلة قطعا فى
السحب فيسمع لطفوه صوت بعده بزمان للمعنى المذكور والسبب
فى حدوث ذلك الصوت فان السبب الاول انه يحدث من مفاعلة
ما بين الرطوبة والنار حركة عنيفة سريعة يكون هو سبب الصوت
كما انا اذا اطفانا النار فيما بين ايدينا حدث صوت دفعة بحدوث حركة
هوائية عنيفة دفعة بقرع ذلك المتحرك سائر الهوا بحركته السريعة
الصاعدة او الما بل قرعا شديدا يحدث منه الصوت والثانى ان مع
كل برق رعد وان لم يسمع فانه لن ينفذ فى الغيم نار متحركة الا وهناك
تشنج وغليان او خفق للريحية ولا يبعد ان لا يكون مع الرعد برق
فليس كلما عصفت ريح بقوة اشتعلت والذى بقى من حدوث الرعود
بسبب تصاك الغيوم فبعيد الا ان يكون لها من الحركات ما يصير فى
احكام الرياح والرعود يختلف اصواتها بحسب الرياح الخارقة والسحب
المخروقة وبحسب اوضاع بعضها عند بعض وبحسب ان مبدها من
صفق وخفق او من طفو وجمود والشمالى المبردة وحقيقة للحر يحدث فى
السحب رعدا وبرقا كثيرا وقد قيل فى الرعد والبرق اقاويل ليس
بصحيحة كمن قال البرق شعاع الشمس يحتبس فى السحب او انه قطعة من ان ص
نار الاثير يختفى فيه وكمن قال انه عكس شعاعى وانت فلا تشتغل
بعد ما تحققته من الاصول ان لا تحقق ولا تحقق ببطلان هذه الاقاويل

ولو كان البرق شعاعًا اسنا سر في غمام فكانت السحب الناشية
ليلا لا برق واما الجرم الاثير فلالزاج له الى اسفل رخا بعيد وطبا عم
طاف ومحركه مدبر واما الصاعقة فانها ريح سحابية مشتعلة
ليست بلطيفة لطف البرق الذي لاجله لا يبقى شعاع البرق زمانا
بعتد به بل يتحلل ويطفا بل هي ريح سحابية مشتعلة تنتهي الى الارض
لا ضوءها وحده بل جرمها المشتعل لاستحصافه ولاجتماع بثقله
الارضي او لاضطراره الى ذلك الماخذ والجهة على ما سا ناه وقوامها
مع ذلك يختلف فربما كانت ريحا سحابية ساذجة فيكون صاعقة لطيفة
وربما كان لا محرقط وربما كانت سابعة اللون وربما كانت موبخة
تقوم في وجهها لكنها تنفذ في الاجسام المتخلخلة ولا تحرقها ولا يبقى
فيها اثرًا وربما كان اغلظ فينفذ في المتخلخل نفوذًا يبقى فيه اثر سواد و
يذيب ما يصادمه من الاجسام المتكاثفة ولذلك ما يذيب الضباب
المضيئة على الرسه ونحوها المتخذه من الفضة والنحاس ولا يحرق
الرسه بل ربما سودتها وكذلك فقد يذيب الذهب في الصرة ولا
يحرق الصرة الا ما يحرق عن الذوب وربما كانت شرًا من ذلك و
ربما كانت سحابية دويبه مشتعلة وربما طفيت هذه الصواعق
فيستحيل اجسامًا ارضية بحسب المزاج الذي يكون فيها وعلى ما
اقتصصنا لك من حيزها واذا ارادت صاعقة ان يصعق نفذ منها
رياح في اكثر الامر او ريح واما الاثار المحسوسة في اعلى الجو فانها متكونة
من الدخان اذا البخار لا يتصعد الى هناك لثقل حركته ولانه يبرد فيما
دون ذلك واما الدليل على انها تتكون من دخان فلان الهواء والبخار

الّا

الرطب لا يشتعل البتة والاجسام اليابسة الثقيلة لا يحصل هناك حتى
يشتعل الا ما كان منها لطيفًا دخانيًا ومن ذلك شهب الرجم ومادتها
ايض البخار الدخاني اللطيف السريع التحلل وذلك ان هذا الدخان
اذا وصل الى الجو المحرق اشتعل وسرى فيه الاشتعال كانه يقذف
ويكون كما يشتعل يتحلل فيرى كان كوكبًا يقذف وقد يتفق ان يبقى
اشتعاله طويلا لا فقطعة يسيرة من الزمان وقد يكون لرشده هذا اذا
كانت المادة اكثف وقد يتفق وجود هذا العرض بسبب البرد اذا
حصر البخار الدخاني وعرض ان يسخن لشدة اشتمال البرد عليه لما بدئ
فاشتعل او كان سبب اشتعاله انضغاطه من البرد فحركته من ذلك
الى اسفل الكاين عن البرد فيشتعل من الحركة وكثيرًا ما يسقط الرجم و
يرى له رماد ويجب ان نتكلم ههنا في علة طفو النار حتى نتوصل به
الى معرفة شيء مما نريد ان نقوله من بعد فنقول ان المفهوم عند الجمهور من
قولنا طفيت النار انه زال الضوء والاشراق الموجود في الجرم المسمى
عندهم نارًا حتى يبقى مثلا دخانًا او هواء او شيئًا اخر ان امكن ومعنى انها
لم يطفا ليس هو ان تثبت نارًا واحدة بعينها تبقى متعلقة في موضع واحد
على حسب ظن من يظن ان النار تعدى فيبقى هي واحدة يحفظها
مادة الدخان المستعده للاشتعال بل معنى لا يطفا ههنا انها لا يزال
تخلف منصرمها متجددا فان كل نار بعينها مما يعرف عند الجمهور نارًا
فانها تبطل وتتجدد اخرى على الاتصال فيكون في الحقيقة طفو وتجدد
ما لكنهم ما داموا يرون التجدد ثابتًا يقولون ان النار لم يطفا والسبب
في ان النار يثبت بالتجدد ان كل ما حصل منها امعن الى فوق بطبعه

فلحق من البرد ما يطفيه لضعفه اذا بعد عن مدادة وامعن في حيز العرضة
ولما كان الضوء كما علمت ليس شيئا يلزم ذات النار الصرفة بل يعرض للنار
اذا كانت متعلقة بمادة دخانية ويكون حال الضوء تلك المادة الدخانية
وقد ثبت هذا فيما سلف كان طفو النار اما بسبب في نفس القوة الفاعلة
للاشتعال والاشراق واما بسبب في القوة القابلة اعني جوهر الدخان
فمن المعلوم ان القوة الطبيعية الفاعلة ما دامت ملاقية للمادة القابلة
فمن المستحيل ان يبطل فعلها الا ببطلانها فاذا بطل هذا الاشراق
فالسبب لا محالة فيه اما من جهة الفاعل بان يكون تلك النار قد استحالت
ببرد غمسها او رطوبة هوا او شيء اخر وهذا هو الطفو الذي يكون
في حيز الهوا واما بسبب البرد والرطوبة واما بسبب المادة فانها اذا
استحالت استحالة تامة الى النارية حتى لم يبق فيها من طبيعة الارضية
شيء فبطلت الدخانية فلم يكن للنار شيء يتعلق به ويشرق فيه بل صار
الشيء كله نارا شافة والشاف ليس يضيء بضوء نفسه واذا كان كذلك
غابت النار عن الحس وقيل انها طفيت فهذه الشهب والكواكب
ذوات الاذناب وغير ذلك يستحيل ان يطفأ وهي في العلو بالسبب
الاول لان البرد والرطوبة لا سلطان لهما هناك بل انما يطفأ بالسبب
الثاني وهو ان مادتها يستحيل بالكمال نارا فيشف فلا يرى ضوء ويجوز
ان يبقى للشعلة المرتفعة الى ما هناك ما دامت لم يطفأ منها انها واحدة
بالعدد باسر الشعلة بعينها الى ان يستحيل لا كالموجودة ههنا فان
التي هناك لا يحتاج الى ان يتحرك الى موضع اخر ويخلفه غيره فان موضعه
الطبيعي هو ذاك ولا البرد ايضا يفسدها اذ لا برد هناك ويجوز بعض

ان يكون

ان يكون سابقا ما الانطفاء على سبيل التجدد اذا كانت المادة ذات مدد
وكانت غير حاصلة مع الاشتعال في حقيقة الموضع الطبيعي بل
في اقرب تخوم فيكون على الاتصال جزء يشتعل ويشف بالاستحالة
التامة ويلحق مقامه جزء اخر يشتعل ويشف فيكون الصورة محفوظة
فان كانت المادة لطيفة وخفيفة حتى حصل لها باللطافة ان كانت
سريعة الاستحالة الى النارية وبالخفة ان تمكنت من الحصول في
الحر الذي فيه النار قوة حد اضمحل اشتعالها دفعة وخلصت نارا
وشفت فان كانت المادة كثيفة وذات مدد وثقيلة فانها يبطئ استحالتها
نارا خالصة ولا يكون لها برد مطفئ ولا ايضا يصعد صعودا سريعا ممعنا
في حيز النار الى ان يبلغ المكان الشديد قوة النارية فيعرض لذلك
ان يبقى التهابها واشتعالها مدة طويلة اما على صورة ذوائب او ذنب و
اكثره شمالي وقد يكون جنوبيا واما على صورة كوكب من الكواكب
كالذي ظهر في سنة سبع وتسعين وثلثمائة للهجرة فبقي قريبا من
ثلثة اشهر يلطف ويلطف حتى اضمحل وكان في ابتدائه الى السواد و
الخضرة ثم جعل كل وقت يرمي بشرر ويزداد بياضا ويلطف
حتى اضمحل وقد يكون على صورة لحية او صورة حيوان له قرون و
على ساير الصور وانما يكون ذلك اذا كانت هناك مادة كثيفة واقعة
يلطف اجزاؤها يسيرا يسيرا ويتحلل عنه متصعدة كزوايد شعرية او قرنية
وكل ما ثبت منها مدة لا يطفأ لزمه ان يتبع حركة الهوا الدائر بحركة
الفلك فلزمه ان كان له شروق وغروب وهل يكون امثال هذه الاثار

لانه يقل ان يكون مادة دخانية ساقى لها ان يبلغ ذلك الموضع ولا
يبدل فى الطريق وان يكون كانها التى يبقى لها مشتعلة فلن الكثافة
تصعد بها الا قوة شديدة وقد يعرض ان يكون ادخنة تصعد
الى الجو اكثف واغلظ وارطب من ذلك فلا تشتعل بل يحمر فيرى
منها علامات فى الجو هائلة وربما كانت عكوسا عن اشراق الشمس
كما يرى فى الصبح على الغيوم الشرقية صبيحة المغربية اصلا وربما تجمعت
وتراكمت ويبست وتحلت انها هوات فى الجو واخاديد اومنافذ
مظلمة فى السما تختلف باختلاف ثخنها وعرضها فما استعرض وقل ثخنه
سمى وهذه وما ازداد ثخنه ولم يزد عرضه سمى غورا وهوة والاضيق اشد
تحلالا لذلك لان من شان الاسود ان يحكى البعد والبعد المظلم فاذا جمع
لونان اسود وابيض فى سطح واحد خيل الابيض انه اقرب والاسود انه ابعد
لان الابيض اشبه بالظاهر والظاهر اشبه بالقريب والاسود بالضد
والطبيعة الف للنور والبياض وهذه الاثار كلها يدل على الرياح وقلة
الانظار وعلى فساد الجو ويبسه وعلى استحرارة وعلى الامراض الحادة لبابسة
القاتلة **فصل فى الحوادث الكبار التى تحدث فى العالم** ومما تحق بنا ان نتكلم
فيه فى هذا الموضع امر الطوفانات فنقول ان الطوفان هو غلبة من احد
العناصر الاربعة على الربع المعمورة كله او بعضه او كون احد العناصر
غالبا بهذه الصفة على حسب ما يرى اهل اللغة استعماله عليه والامر
عند الجمهور من امر الطوفان هو ما كان من الما وكان هذا الاسم انما
وضع لهذا المعنى فنقول ان السبب فى وقوع الطوفانات اجتماعات من

الكواكب

الكواكب على هيئة من الهيات توجب تغلب بعد العناصر فى المعموره وقد عاونها
اسباب ارضية واستعدادات عنصرية فالمائية منها قد تقع من انتقالات
البحار على صقع كثير دفعة لاسباب عظيمة ريحية توجب سدة
من المد ومن امطار دائمة ولاستحالة مفرطة يقع للهوا الى المائية و
النارية يعرض من اشتعال لان الريح العاصفة وهذه اشد انتشارا و
الارضية يعرض لسيلان مفرط يقع من الرمال على مرارى عامرة او لكيفية
لسيل ارضية باردة مجمدة فيما حد سا عنه والهوائية يقع من حركات
ريحية شديدة جدا مفسدة ومما يقنع فى وجود هذه وحدوثها كثرة
الاخبار المتواترة فى طوفان الماء ومما يقنع فى اثبات ذلك ان الاشيا
القابلة للزيادة والنقصان والقلة والكثرة وان كان اكثر
عن حد الامكان وكما قد يتفق كثيرا ان ياتى السنون على بقاع بعينها
من المعمورة فلا يكون فيها مطر البتة وذلك فى جانب النقصان
فكذلك قد يمكن ان يفرط المفرط دفعة واحدة وتستحيل الى الطبيعة
ما شد فعة اذ كان ما بين هذه الاوساط مختلفا بالزيادة والنقصان
وكذلك فى ساير الطوفانات وان كان ما يحدس من اتباع البخار لجهة
من الفلك صحيحا فيجب ان ينتقل بانتقاله حتى يعرو قنا ما هذه النواحى
التى لا يجوز ان يعدها العمارة وهو ان يحصل الموضع المقابل للبحر
الاعظم بانتقاله من الفلك كاوج او حضيض او شى اخر غيره فى قرب
معدل النهار فيسيح الما على المكان الذى يجب ان يكون فيه المعمورة
وينكشف قطب او قطبان وينتقل اليها البر المقابل للبحر وهناك
مانع من العمارة فيكون الارض مقسومة الى بر وبحر ليس احدهما

يتحمل للعمارة بالحيوانات المتنفسة من الهوا وكذلك ان كان حال الميل
وما يحدث من تغيره وزواله يثبت له حقيقة وحتى يصح ان يكون لفلك
البروج انطباق او شبه انطباق مع دايرة معدل النهار فان جميع
ذلك مما يوجب فساد العمارة وان لم يكن ذلك ايضا ممكن فان قلنا
من الافراطات وما يصحح من امكان انتقال البحار من ناحية قطب الى
قطب غير خارج عن الامكان ونحن نعلم باقوى حدس ان ناحية الشمال
كانت معمورة بالما حتى تولدت الجبال والان فالبحار جنوبية فالبحار
مستقلة وليس يجب ان تكون اسبابها محدودا بل يجوز فيه وجوه كثيرة
بعضها يودي بانقطاع العمارة ويشبه ان تكون في العالم قيامات
تتوالى في سنين لا يضبط تواريخها وليس بمستنكر ان يفسد الحيوانات
والنبات او اجناس منها ثم يحدث بالتولد دون التوالد وذلك لانه لا
برهان على امتناع وجود الاشيا وحدوثها بعد انقراضها على سبيل
التوالد دون التولد فكثير من الحيوانات يحدث بتولد وتوالد وكذلك
النبات وقد يحدث حيات من الشعر وعقارب من التين والباذروج و
الفار يتولد من المطر الدر والضفادع يتولد من المطر وجميع هذه الاشيا
فلها ايضا توالد وليس اذا انقطع هذا التولد فلم نشاهد في سنين
كثيرة يوجب ان لا يكون له وجود في المدة عند تشكل نادر يقع من
الفلك لا يتكرر الى حين واستعداد من العناصر لا يتفق الا في كل
طرف زمان طويل بل نقول ان كل ما يتولد من العناصر بمزاج ما يودي
الى وجود نوع لو وقوع ذلك المزاج بسبب اجتماع العناصر على مقادير
معلومة فما دامت العناصر موجودة وانقسامها الى تلك المقادير

واجتماعها

واجتماعها ممكنا فالمزاج الحادث منها ممكن فان كان المزاج الاول
غير كاف بل انما يكون بامتزاج ثان وثالث فانه كما ان الحيوان
يتولد عن امتزاج الاخلاط بعد امتزاج العناصر فليس يستنكر ان
يحدث الاجتماع الثاني والامتزاج الثاني بعد حدوث الامتزاج الاول
من غير بزر او مني فان ظن ان ذلك ممتنع الا في مكان محدود وقوة
محدودة كالرحم والنطفة فان الكلام بعد المسامحة قائم في المزاج الذي
يقع للرحم حتى يكون فيه ما يكون والذي يقع للنطفة حتى يكون منه ما
يكون فان الكلام في ذلك كالكلام في الاصل فان جميع هذه انما
يتكون عن امتزاج ينتهي الى العناصر فان ابتدا ذلك من العناصر ثم يتخلل
والرحم مثلا ليس يفعل شيئا الا ضبطا وجمعا وتاديه واما الاصل فهو
الامتزاج والامتزاج عن الاجتماع وهذا الاجتماع كما يمكن ان يقع باسباب
اخرى وبالاتفاق فانه ليس جزءا من الارض يستحيل ان يوافي جزءا من الماء
ويلتقي به على وزن معلوم وليس يمتنع ان يقع ذلك الوزن ولا معاوق
فلا يحتاج الى صوان واما القوى الفعالة فههنا واهب القوى اذا حصل
المستعد فيفعل بعد المزاج الاول ما يجب في تكميل النوع من الامزجة
الثانية والثالثة ويمدها التدبير العالي رفدا كافيا نعم ان كانت مثلا
رحم كان ذلك اسلس وارفق وان لم يكن فليس بمستحيل في العقل ان
يقع ذلك من حركات واسباب اخرى فان كان الرحم يفيد شيئا غير
المزاج الذي يستعد به للصورة فيكون الرحم علة مفيدة للصور وليس
هذا هو مذهب اهل الحق من المشائين بل الصور والقوى الجوهرية
انما يستفاد كلها من المبادي التي هي موجودة وانما لا يتغير اذا وقع

الاستعداد والاستعداد هو المزاج فاذا كان جايزا ان يجمع الاركان
على نسبة من اجزائها يوجب اى مزاج كان ويتركب تركيبا
ثانيا على اى نسبة كانت وكانت الاستعدادات يحصل من ذلك
وكان لا يجب ان يعارض ذلك دائما ما هو مفسد مضاد وكان
الفيض الواهب للصور من عند المبادى الدائمة فبالحرى ان يجوز
تكون اى مركب شئت من العناصر لا على سبيل التوالد ولولا
هذا لكان يجوز ان يقع للانواع انقطاع وذلك لانه ليس بواجب
ان تكون عن كل انسان انسان ضرورة ولا عن واحد من
الناس وكذلك عن كل سحرة بل ذلك جايز اكثرى ولا يستحيل
ان يفرض وقت ما يتفق فيه ان ينصرم كاينات من غير ان يتكون
عن كل واحد منها خالف اذ لا يوحد ولا واحد منها واجبا بالضرورة
ان يتكون منه اخر لان الجماع الذى هو مبدأ التوالد ارادى لا ضرورى
ووقوع البرور فى المتبادر طبيعى من جملة الاكثرى ولا من جملة الضرورى
او ارادى ولا شئ من هذين تحت ضرورة وما لا يجب ضرورة فيجوز
ان يقع فى النادر بخلاف ذلك فلو لم يكن حركات ونسب عايدة
من الافلاك يوجب كون اشخاص من هذه الانواع مبتداه حتى لا
يكون لشئ من الانواع انقطاع بحيث لا يعود لكان يجوز ان يقع انقطاع
لا عود له ولكان هذا الجايز قد وقع النفس او من الهام الله وانها لا
يكون مبدؤها الا روية شخص او الهام شخص فان الكلى متوهم لا وجود
له وما سدوم جزوى حادث فهو حادث بعد ما لم يكن اصلا فكل
صناعة حادثة ويدل على حدوثها تزيدها كل وقت ويدل حدوثها

على ان الناس منشورون بعد انقراض لان كثيرا منها بحيث لا يصح قوام
شخص الانسان الذى لا يختص بخاصية الهام ومعونة الهية مخالفة
للموجود لنا دونها فيجب ان يكون للانسان الذى انشاها مستغنيا
عنها بخاصية تكون لناس ليسوا امثالنا وليس يجوز ان يبقى ان تلك
الخاصية لم يزل موجوده للناس الاولين ثم انقرضت بل انما يوجد
تلك الخاصية لناس باعيانهم فيكون اول انسان او اول ناس فى
الاتصال المبادى الينا قد خص بها واذا كان كذلك وجب ان
يكونوا قد حدثوا لا بالولادة وهذه الخاصية اما استغنا للنسئ فى
الحيلة كالبهايم ثم بشعر انبعاث ارادة لانشا الصناعة بسبب غيره
ذلك المستغنى او لشدة الاستظهار للمستغنى او الهام سماوى
يوصل عن قريب الى مفزوع عنه تكون ذخيرة الى وقت طلب
الاخر بالروية والفكر

الفن السادس من الطبيعيات كتاب النفس

قد استوفينا فى الفن الاول الكلام على الامور العامية فى الطبيعيات
ثم تلوناه بالفن الثانى فى معرفة الاجرام والصور والحركات الاولى
فى عالم الطبيعة وحققنا احوال الاجسام التى لا يفسد والتى
يفسد ثم تلوناه الكلام على الكون والفساد واستقصاءه ثم تلوناه
الكلام على افعال الكيفيات الاولى وانفعالاتها والامزجة
المتولدة منها وبقى لنا ان نتكلم على الامور الكاينة فكانت الجمادات
وما لا حس له ولا حركة ارادية اقدمها واقربها تكونا من العناصر
فتكلمنا فيها فى الفن الخامس وبقى لنا من العلم الطبيعى النظر فى
امور النبات والحيوانات ولما كانت النباتيات والحيوانات بجوهره

الذوات عن صورة هي النفس ومادة هي الجسم والاعضا وكان اولى
ما يكون علما بالشي هو ما يكون من جهة صورته راينا ان نتكلم اولا
في النفس ولم نر ان نرتب علم النفس فنتكلم اولا في النفس النباتية والنبات
ثم في النفس الحيوانية والحيوان ثم في النفس الانسانية والانسان وانا لم
لم نفعل ذلك لان هذا التدبير مما يعسر ضبط علم النفس المناسب بعضه
لبعض والثاني ان النبات مشارك الحيوان في النفس التي لها فعل النمو
والتغذية والتوليد ويجب لا محالة ان ينفصل عنه بقوى نفسانية تخص
جنسه ثم تخص انواعه والذي يمكننا ان نتكلم عليه من امر نفس النبات
هو ما يشارك فيه الحيوان ولسنا نشعر كثير شعور بالفصول المنوعة لهذا
المعنى الجنسي في النبات واذا كان الامر كذلك لم يكن نسبة هذا القسم
من النظر الى انه كلام في النبات اولى منه الى انه كلام في الحيوان اذ
كانت نسبة الحيوانات الى هذه النفس نسبة النبات اليها وكذلك ايضا
حال النفس الحيوانية بالقياس الى الانسان والحيوانات الاخر واذا كنا
انما نريد ان نتكلم في النفس النباتية والحيوانية من حيث هي مشتركة
وكان لا علم بالمخصص الا بعد العلم بالمشترك وكنا قليلي الاشتغال بفصول
الذاتية لنفس نفس ولنبات نبات ولحيوان حيوان لتعذر ذلك علينا
فكان الاولى ان نتكلم في النفس في كتاب واحد ثم ان امكننا ان نتكلم
في النبات والحيوان كلاما مخصصا فعلنا واكثر ما يمكننا من ذلك يكون
متعلقا بابدانها وبخواص من افعالها البدنية فلان تقدم تعرف امر
النفس ثم يتلوه تعرف امر البدن اهدى سبيلا في التعليم من ان
تقدم تعرف امر البدن ويتلوه تعرف امر النفس فان معونة معرفة امر

النفس

النفس في معرفة احوال البدنية اكثر من معونة البدن في [معرفة] احوال
النفسانية على ان كل واحد منهما معين على الاخر وليس لاحد الطرفين
ضروري التقديم الا انا امرنا ان نقدم الكلام في النفس لما ابديناه
من العذر فمن شا ان يغير هذا الترتيب فعل فلا مناقشة لنا معه فهذا
هو الفن السادس ثم نتلوه في الفن السابع بالنظر في احوال النبات
وفي الفن الثامن بالنظر في احوال الحيوانات وهناك نختم العلم الطبيعي
ونتلوه بالعلوم الرياضية في فنون اربعة ثم نتلو ذلك كله بالعلم الالهي
ونردفه شيئا من علم الاخلاق ونختم كتابنا هذا به المقالة الاولى فصل
في اثبات النفس وتحديدها نقول ان اول ما يجب ان نتكلم فيه اثبات
وجود الشي الذي يسمى نفسا ثم نتكلم فيما يتبع ذلك فنقول انا قد
نشاهد اجساما تحس وتتحرك بالارادة بل نشاهد اجساما تغتذي و
تنمو وتولد المثل وليس ذلك لها بجسميتها فبقي ان يكون في ذواتها مبادي
لذلك غير جسميتها والشي الذي يصدر عنه هذه الافعال وبالجملة
كل ما يكون مبدء لصدور افاعيل ليست على وتيرة واحدة عادمة
للارادة فانا نسميه نفسا وهذه اللفظة اسم لهذا الشي لا من حيث هو
جوهره ولكن من جهة اضافة ما له اي من جهة ما هو مبدء لهذه الافاعيل
ونحن نطلب جوهره والمقولة التي يقع فيها من بعد ولكنا الان انما اثبتنا
وجود شي هو مبدء لما ذكرناه واثبتنا وجود شي من جهة ما له عرض ما ونحتاج
ان نتوصل من هذا العارض الذي له ان يتحقق ذاته لنعرف ما هيته كانا
قد عرفنا ان لشي يتحرك محركا ما ولسنا نعلم من ذلك ان ذات المحرك
ما هو فنقول اذا كانت الاشيا التي نرى ان النفس موجودة لها اجساما

وانما يتم وجوده من حيث هي نبات وحيوان بوجود هذا الشيء لها
فهذا الشيء جزء من قوامها واجزاء القوام كما علمت في مواضع هي قسمان
جزء يكون به الشيء هو ما هو بالفعل وجزء يكون به الشيء هو ما هو بالقوة
اذ هو بمنزلة الموضوع فان كانت النفس من القسم الثاني ولا شك ان
البدن من ذلك القسم فالحيوان والنبات لا يتم حيوانا ولا نباتا بالبدن
ولا بالنفس فيحتاج الى كمال آخر هو المبدء بالفعل لما قلنا فذلك هو
النفس وهو الذي كلامنا فيه بل ينبغي ان يكون هو ما به النبات و
الحيوان بالفعل نباتا وحيوانا فان كان جسما ايضا فالجسم صورته ما قلنا
وان كان جسما بصورة ما فلا يكون هو من حيث هو جسم ذلك المبدء
بل يكون كونه مبدء من جهة تلك الصورة ويكون صدور تلك الاحوال
عن تلك الصورة بذاتها وان كان بتوسط هذا الجسم فيكون المبدء الاول
تلك الصورة ويكون اول فعله بوساطة هذا الجسم ويكون هذا الجسم
جزء من جسم الحيوان لكنه اول جزء يتعلق به المبدء وليس هو بما هو جسم
الا من جملة الموضوع فبين ان ذات النفس ليس بجسم بل هو جزء للحيوان
والنبات هو صورة او كالصورة او كالكمال فنقول الان ان النفس يصح
ان يقال لها بالقياس الى ما يصدر عنها من الافعال قوة وكذلك يجوز ان
يقال لها بالقياس الى ما يقبلها من الصور المحسوسة والمعقولة على معنى
آخر قوة ويصح ان يقال ايضا بالقياس الى المادة يحلها فيجتمع منهما جوهر
نباتي او حيواني صورة ان يقال لها ايضا بالقياس الى استكمال الجنس
بها نوعا محصلا في الانواع العالية او السافلة كمال لان طبيعة الجنس
يكون ناقصة غير محدودة ما لم يحصلها طبيعة الفصل البسيط او الغير

البسيط

البسيط مضافا اليها واذا انضاف كمل النوع فالفصل كمال للنوع
بما هو نوع وليس لكل نوع فصل بسيط قد علمت هذا بل انما هو للانواع
المركبة الذوات من مادة وصورة والصورة منها هو الفصل البسيط
لما هو كماله ثم كل صورة كمال وليس كل كمال صورة فان الملك
كمال المدينة والربان كمال السفينة وليسا بصورتين للمدينة و
السفينة فما كان من الكمال مفارق الذات لم يكن بالحقيقة صورة
للمادة وفي المادة فان الصورة التي هي في المادة هي الصورة المنطبعة
فيها القائمة بها اللهم الا ان يصطلح فيقال لكمال النوع صورة النوع
وبالجملة فانه قد استقر الاصطلاح على ان يكون الشيء بالقياس الى
المادة صورة وبالقياس الى الجملة غاية وكمالا وبالقياس الى التحريك
مبدء فاعليا وقوة محركة واذا كان الامر كذلك فالصورة يقتضي نسبة
الى شيء بعيد من ذات الجوهر الحاصل منها والى شيء يكون به الجوهر
الحاصل هو ما هو بالقوة والى شيء لا ينسب الافاعيل اليه وذلك
الشيء هو المادة لانها صورة باعتبار وجودها للمادة والكمال يقتضي
نسبة الى الشيء التام الذي يصدر عنه الافاعيل لانه كمال بحسب
اعتباره النوع فبين من هذا انا اذا قلنا في تعريف النفس انه كمال كان
ادل على معناها وكان ايضا متضمن جميع انواع النفس من جميع
وجوهها ولا تشذ النفس المفارقة للمادة عنه وايضا اذا قلنا ان
النفس كمال فهو اولى من ان يقول قوة وذلك لان الامور الصادرة
عن النفس منها ما هي من باب الحركة ومنها ما هي من باب الاحساس
والادراك والادراك بالحري ان يكون لها لا بما لها قوة هي مبدء

فعل بل مبدء قبول بل مبدء فعل وليس ان ينسب اليها احد الامرين
بانها قوة عليه اولى من الاخر فان قيل لها قوة وعني به الامران جميعا
كان ذلك باشتراك الاسم فان قيل واقتصر على احد الوجهين عرض
من ذلك ما قلنا وشي اخر وهو انه لا يتضمن الدلالة على ذات النفس
من حيث هي نفس مطلقا بل من جهة دون جهة وقد بينا في الكتب
المنطقية ان ذلك غير جيد ولا صواب ثم اذا قلنا كمال اشتمل على المعنيين
فان النفس من جهة القوة التي يستكمل بها ادراك الحيوان كمال ومن
جهة القوة التي يصدر عنها افاعيل الحيوان ايضا كمال والنفس التي
لا يفارق كمال لكنا اذا قلنا كمال لم نعلم من ذلك بعد انها جوهر
او ليست بجوهر فان معنى الكمال هو الشيء الذي بوجوده يصير
الحيوان بالفعل حيوانا والنبات بالفعل نباتا وهذا لا يفهم عنه
انه جوهر او ليس بجوهر ولكنا نقول انه لا شك لنا في ان هذا الشيء
ليس جوهرا بالمعنى الذي يكون به الموضوع جوهرا ولا ايضا بالمعنى
الذي يكون به المركب جوهرا فاما جوهر بمعنى الصورة فلننظر فيه فان
قال قائل اني اقول للنفس جوهر واعني به الصورة ولست اعني به
معنى اعم من الصورة بل معنى انه جوهر انه صورة وهذا مما قاله خلق
منهم فلا يكون معه موضع بحث واختلاف البتة فيكون معنى قوله ان
النفس جوهر انها صورة بل يكون قوله الصورة جوهر كقوله الصورة
صورة او هو والانسان انسان او بشر ويكون هذيانا من الكلام
فان عنى به الصورة ما ليس في موضوع البتة اي لا يوجد بوجه من
الوجوه فاما في الشيء الذي سميناه لك موضوعا البتة فلا يكون

كل كمال

كل كمال جوهرا فان كثيرا من الكمالات هي في موضوع لا محالة وان
كان ذلك الكثير بالقياس الى المركب ومن حيث كونه فيه ليس في
موضوع لا محالة فان كونه جزءا منه لا يمنعه ان يكون في موضوع وكونه فيه
لا كالشيء في الموضوع لا يجعله جوهرا كما ظن بعضهم لانه لم يكن
الجوهر ما لا يكون بالقياس الى شيء على انه في موضوع حتى يكون
الشيء من جهة ما ليس في هذا الشيء على انه في موضوع منه جوهرا
بل انما يكون جوهرا اذا لم يكن ولا في شيء من الاشياء على انه
في موضوع وهذا المعنى لا يدفع كونه في شيء ما موجودا في موضوع
فان ذلك ليس له بالقياس الى شيء حتى اذا قيس الى شيء يكون
فيه لا كما يوجد الشيء في موضوع صار جوهرا وان كان بالقياس
الى شيء اخر بحيث يكون عرضا بل هو اعتبار له في ذاته فان الشيء
اذا تاملت ذاته ونظرت اليها فلم يوجد لها موضوع البتة كانت في
نفسها جوهرا وان وجدت في الف شيء لا في موضوع بعد ان
يوجد في شيء واحد على نحو وجود الشيء في الموضوع فهي في نفسها
عرض وليس اذا لم يكن عرضا في شيء فهو جوهر فيه فيجوز ان
يكون الشيء لا عرضا في الشيء ولا جوهرا في الشيء كما ان الشيء يجوز
ان لا يكون واحدا في شيء ولا كثيرا الكثرة في نفسه واحدا
وكثيرا وليس الجوهري والجوهر واحدا ولا العرض بمعنى العرضي
الذي في ايساغوجي هو العرض الذي في قاطيغورياس وقد بينا
هذه الاشياء لك في صناعة المنطق من ان النفس لا يزيل عرضيتها
كونها في المركب كجزء بل يجب ان يكون في نفسها لا في الموضوع

البتة وقد علمت ما الموضوع فان كان كل نفس موجودة لا في
موضوع فكل نفس جوهر وان كانت نفس ما قائمة بذاتها والباقي
كل واحد منها في هيولى وليست في موضوع وكل نفس جوهر وان
كانت نفس ما قائمة في موضوع وهي مع ذلك جزء من المركب فهي
عرض وجميع هذا كمال فلم يبن لنا بعد ان النفس جوهر او ليس بجوهر
من وضعنا انها كمال وغلط من ظن ان هذا يكفيه في ان يجعلها
جوهرا كالصورة فنقول انا اذا عرفنا ان النفس كمال باي بيان و
تفصيل فصلنا الكمال لم يكن بعد عرفنا النفس وماهيتها بل عرفناها
من حيث هي نفس واسم النفس ليس يقع عليها من حيث جوهرها
بل من حيث هي مدبرة للابدان ومقيس اليها فلذلك يوحد البدن
في حدها كما يوحد مثلا البنا في حد الثاني وان كان لا يوحد
حده من حيث هو انسان ولذلك صار النظر في النفس من العلم
الطبيعي لان النظر في النفس من حيث هي نفس نظر فيها من حيث
لها علاقة بالمادة والحركة بل يجب ان نفرد لنعرفنا ذات النفس بحثا
اخر ولو كان عرفنا بهذا ذات الشيء فعرض على نفسه طبيعة امر ذاتي
له لم نشكل عليه وجوده له كما اوضحنا في المنطق لكن الكمال على وجهين
كمال اول وكمال ثان فالكمال الاول هو الذي يصير به النوع نوعا
بالفعل كالشكل للسيف والكمال الثاني هو امر من الامور التي
يتبع نوع الشيء من افعاله وانفعالاته كالقطع للسيف وكالتمييز و
الروية والحركة والاحساس للانسان فان هذه كمالات لا محالة للنوع
لكن ليست اولية فانه ليس يحتاج النوع في ان يصير هو ما هو بالفعل

الى حصول

الى حصول هذه الاشيا له بالفعل بل اذا حصل له مبدء هذه الاشيا
بالفعل حتى صار له هذه الاشيا بالقوة بعد ما لم يكن بالقوة الا
بقوة بعيدة يحتاج الى ان يحصل قبلها شيء حتى يصير بالحقيقة
بالقوة صار الحيوان حيوانا بالفعل فالنفس كمال اول ولان
الكمال كمال الشيء فالنفس كمال لشيء وهذا الشيء هو الجسم ويجب
ان يوحد الجسم بالمعنى الجنسي لا المادي كما علمت في صناعة
البرهان وليس هذا الجسم الذي للنفس كمال له كل جسم فانها ليست
كمال الجسم الصناعي كالسرير والكرسي وغيره بل كمال الجسم الطبيعي و
لا كل جسم طبيعي فليس النفس كمال نار ولا ارض بل هي في عالمنا
كل جسم طبيعي يصدر عنه كمالاته الثانية بالات يستعين بها في
افعال الحيوة التي اولها التغذي والنمو فالنفس التي نحدها كمال
اول لجسم طبيعي آلي له ان يفعل افعال الحياة لكنه قد يتشكك
في هذا الموضع اشيا من ذلك ان القائل ان يقول ان هذا الحد
لا يتناول النفس الفلكية فانها تفعل بلا الات وان تركتم ذكر
الالات واقتصرتم على ذكر الحيوة لم يعكم ذلك شيئا فان الحيوة
التي لها ليس هو التغذي والنمو ولا ايضا الحس وانتم تعنون بالحيوة
التي في حد هذا وان عنيتم بالحيوة ما للنفس الفلكية من الادراك
مثلا والتصور العقلي والتحريك لغاية اراد به اخرجتم النبات من
جملة ما تكون له نفس وايضا ان كان التغذي حيوة فلم لا يسمون
النبات حيوانا وايضا لقائل ان يقول ما الذي احوجكم الى ان تثبتوا
نفسا ولم لم تكفكم ان تقولوا ان الحيوة نفسها هي هذه الكمال فيكون

الحيوة هى المعنى الذى يصدر عنه ما تنسبون صدوره الى النفس من
ذلك فلنشرع فى جواب واحد واحد من ذلك وحله فنقول اما الاجرام
السماوية فان فيها مذهبين مذهب من يرى ان كل كوكب يجتمع منه
ومن عدة مدبرات لحركته جملة جسم لحيوان واحد فيكون حى كل واحد
من الكرات يتم بفعله بعده اجزاء ذوات حركة فيكون هى كالالات
وهذا القول لا يستمر فى كل الكرات ومذهب من يرى ان كل كرة
فلها فى نفسها حياة مفردة وخصوصا ويرى جميعا باسعا ذلك الجسم
واحد بالفعل لا كثرة فيه فهو لا يجب ان يروا ان اسم النفس اذا وقع
على النفس الفلكية وعلى النفس النباتية فانما يقع بالاشتراك فان
هذا الحد انما هو للنفس الموجودة للمركبات وانه اذا احتيل حتى تشترك
الحيوانات والفلك فى معنى اسم النفس خرج معنى النبات من تلك
الجملة على ان هذه الحيلة صعبة وذلك لان الحيوانات والفلك لا تشترك
فى معنى اسم الحياة ولا فى معنى اسم المنطق ايضا لان المنطق الذى ههنا
يقع على وجود نفس لها العقلان الهيولانيان وليس هذا ما يصح هناك على ما
ما نرى فان العقل هناك عقل بالفعل والعقل بالفعل غير مفهوم
للنفس الكاسر حد للناطق وكذلك الحس ههنا يقع على القوة التى يدرك
بها المحسوسات على سبيل قبول امثلتها والانفعال منها وليس هذا ايضا
مما يصح هناك على ما نرى ثم ان اجتهد فجعل النفس كمال اول لما هو متحرك
بالارادة ومدرك من الاجسام حتى يدخل فيه الحيوانات والنفس الفلكية
خرج النبات من تلك الجملة وهذا هو القول المحصل واما امر الحياة والنفس
فمحل الشك فى ذلك على ما يقول انه قد صح ان الاجسام يجب ان يكون

فيها

فيها مبدء للاحوال المعلومة المنسوبة الى الحياة بالفعل فان سمى مسم هذا
المبدء حياة لم يكن معه منافشة واما المفهوم عند الجمهور من لفظة الحياة
المقولة على الحيوان فهو امران احدهما كون النوع موجودا فيه مبدء يصدر
تلك الاحوال عنه او كون الجسم بحيث يصح صدور تلك الافعال
عنه فاما الاول فمعلوم انه ليس معنى النفس بوجه من الوجوه واما الثانى
فيدل على معنى ايضا غير معنى النفس وذلك لان كون الشئ بحيث يصح
ان يصدر عنه شئ او لم يوصف بصفة تكون على وجهين احدهما ان
تكون الوجود شيا غير ذلك المكون نفسه يصدر عنه ما يصدر مثل
كون السفينة بحيث يصدر عنه المنافع السفينية وذلك مما يحتاج
الى الربان حتى تكون هذا الكون والربان ليس وهذا الكون شيئا واحدا
بالموضوع والثانى ان لا يكون شئ غير الكون فى الموضوع مثل كون الجسم
بحيث يصدر عنه الاحراق عند من يجعل نفس هذا الكون الحرارة
حتى تكون وجود الحرارة فى الجسم هو وجود هذا الكون وكذلك وجود
النفس وجود هذا الكون على ظاهر الامر الا ان ذلك فى النفس لا يستقيم
فليس المفهوم من هذا الكون ومن النفس شيئا واحدا وكيف لا يكون كذلك
والمفهوم من الكون الموصوف لا يمنع ان يسبقه بالذات كمال ومبدء
ثم للجسم هذا الكون والمفهوم من الكمال الاول الذى رسمناه يمنع ان
يسبقه بالذات كمال اخر لان الكمال الاول ليس له مبدء وكمال اول
فليس اذن المفهوم من الحياة والنفس واحدا اذا اعنينا بالحياة ما يفهمه
الجمهور وان عنينا بالحيوة ان تكون لفظة مرادفة للنفس فى الدلالة على
الكمال الاول لم يناقش وتكون الحياة اسما لما كنا ورا اسامه من هذا الكمال

الاول فقد عرفنا الان معنى الاسم الذي يقع على الشي الذي سمى
نفسنا باضافته اليه فبالحرى ان نشتغل بادراك ماهية هذا الشيء
الذي صار بالاعتبار المقول نفسنا ويجب ان نشير في هذا الموضع الى
اثبات وجود النفس التي لنا اثباتا على سبيل التنبيه والتذكير اشارة
شديدة الموقع عند من له قوة على ملاحظة الحق نفسه من غير احتياج
الى تعنف وقرع عصاه وصرفه عن المغلطات فنقول يجب ان يتوهم
الواحد منا كانه خلق دفعة وخلق كاملا لكنه حجب بصره عن مشاهدة
الخارجات وخلق يهوى في هوا او خلاء هويا لا يصدمه فيه قوام الهواء
صدما يحوج الى ان يحس وفرق بين اعضائه فلم تتلاق ولم تتماس ثم يتامل
انه هل يثبت وجود ذاته فلا يشك في اثباته لذاته موجودا ولا يثبت مع
ذلك طرفا من اعضائه ولا باطنا من احشائه ولا قلبا ولا دماغا ولا شيئا
من الاشيا من خارج بل كان يثبت ذاته ولا يثبت لها طولا ولا عرضا
ولا عمقا ولو انه امكنه في تلك الحالة ان يتخيل يدا او عضوا اخر لم يتخيله
جزا من ذاته ولا شرطا في ذاته وانت تعلم ان المثبت غير الذي لم يثبت و
المقر به غير الذي لم يقر به فاذن للذات الذي اثبت وجودها خاصية على
انها هو بعينه غير جسمه واعضائه التي لم يثبت فاذن المثبت له سبيل الى
ان يتنبه على وجود النفس شيئا غير الجسم بل غير جسم وانت عارف به مستشعر له
وان كان ذاهلا عنه يحتاج ان يقرع عصاه **فصل في ذكر ما قاله القدماء في النفس
وجوهرها ونقضه** فنقول قد اختلف الاوايل في ذلك لانهم اختلفوا في المسالك
اليه فمنهم من سلك الى علم النفس من جهة الحركة ومنهم من سلك اليه من
جهة الادراك ومنهم من جمع المسلكين ومنهم من سلك طريق الحياة غير مفصلة

فمن سلك

تصدر
فمن سلك منهم جهة الحركة فقد كان يتخيل عنده ان التحريك لا
الا عن متحرك وان المحرك الاول يكون لا محالة متحركا بذاته وكانت النفس
محركة اولية اليها ترقى التحريكات من الاعضاء والعضل والاعصاب
فجعل النفس متحركة لذاتها وكذلك جعلها جوهرا غير مايت معتقدا
ان ما يتحرك لذاته لا يجوز ان يموت قال ولذلك ما كانت الاجسام
السماوية ليست تفسد والسبب فيه دوام حركتها ومنهم من منع ان
يكون النفس جسما فجعله جوهرا غير جسم محركا لذاته ومنهم من جعله ما
طلب الجسم المتحرك بذاته فمنهم من جعله ما كان من الاجرام لا يتجزى
كريا لتسهل دوام حركته وزعم ان الحيوان يستنشق ذلك بالتنفس و
ان التنفس غذا للنفس وان النفس تستبقي بالتنفس بادخال بدل ما
يخرج من ذلك الجنس من الهبا التي هي الاجرام الصغار التي هي المبادي
وانها متحركة بذاتها كما ترى من حركة الهبا دايما في الجو فلذلك صلحت
لان تحرك غيرها ومنهم من قال انها ليست هي النفس بل محركها
هو النفس وهي فيها وتدخل البدن بدخولها ومنهم من جعل النفس نارا
وراى ان النار دايم الحركة واما من سلك طريق الادراك فمنهم
من راى ان الشي انما يدرك ما سواه لانه متقدم عليه ومبدا له فوجب ان
يكون النفس مبدا فجعله من الجنس الذي كان يراه المبدا اما نارا او هواء
او ارضا او ماء ومال بعضهم الى القول بالما لشدة رطوبة النطفة التي
هي مبدا التكون وبعضهم جعلها جسما بخاريا اذ كان يرى البخار مبدا
الاشياء وعلى حسب المذاهب التي عرفتها وكل هولا كان يقول ان
النفس انما تعرف الاشيا كلها لانها من جوهر المبدا لجميعها وكذلك

من راى ان المبادى هى الاعداد فانه جعل النفس عددا ومنهم من راى
ان الشئ انما يدرك ما هو شبيهه وان المدرك بالفعل فجعل النفس
مركبا من الاشيا التى يراها عناصر وهذا هو انبادقلس فانه قد جعل
النفس مركبة من العناصر الاربعة ومن الغلبة والمحبة وقال انما
تدرك النفس كل شئ بشبيهه فيها واما الذين جمعوا الامرين فكا
الذين قالوا ان النفس عدد محركة لذاته فهى عدد لانها مدركة وهى محركة لذاتها
لانها محركة اولية واما الذين اعتبروا امر الحياة غير ملخص فمنهم من قال ان
النفس حرارة غريزية لان الحياة بها ومنهم من قال بل برودة وان النفس
مشتق من النفس والنفس هو الشئ المبرد ولهذا ما يرد الاستنشاق
لتحفظ جوهر النفس ومنهم من قال بل النفس هو الدم لانه اذا سفح الدم
بطلت الحياة ومنهم من قال بل النفس مزاج لان المزاج ما دام ثابتا لم يتغير
صحة الحياة ومنهم من قال بل النفس تاليف ونسبة بين العناصر وذلك
لانا نعلم ان ما لنفسنا ما يحتاج اليها حتى يكون من العناصر حيوان ولان النفس
تاليف فلذلك يميل الى المؤلفات من النغم والارايح والطعوم وتلتذ
بها ومن الناس من ظن ان النفس هو الاله تعالى عما تقوله الملحدون وانه يكون
فى كل شئ بحسبه فيكون فى شئ طبعا وفى شئ نفسا وفى شئ عقلا سبحانه
وتعالى عما يشركون فهذه هى المذاهب المنسوبة الى القدماء الاقدمين
فى امر النفس وكلها باطل فاما الذين تعلقوا بالحركة فاول ما يلزمهم من
المحال انهم نسوا السكون فان كانت النفس تحرك بان تتحرك وكان لا محالة تحركها
علة للتحريك فلم تحل سكنها اما ان تصدر عنها وهى محركة بحالها فتكون نسبة
تحركها بذاتها الى التسكين والتحريك واحدة فلم يمكن ان يقال انما تحرك بان تتحرك

وقد فرضوا

وقد فرضوا ذلك او تصدر عنها وقد سكنت فلا يكون متحركة بذاتها
وايضا فقد عرفت مما سلف انه لا يتحرك الا من محرك وانه ليس شئ
متحركا من ذاته فلا يكون النفس شيئا متحركا من ذاته وايضا فان هذه الحركة
لا تخلو اما ان تكون مكانية او كمية او كيفية او غير ذلك فان كانت مكانية
فلا تخلو اما ان تكون طبيعية او قسرية او نفسانية فان كانت طبيعية فتكون
الى جهة واحدة لا محالة فتكون تحريك النفس الى جهة واحدة فقط وان
كانت قسرية فلا تكون متحركا بذاتها ولا تكون ايضا تحركها بذاتها الاولى
ان تكون القاسر هو المبدء الاول وان تكون هو النفس وان كانت
نفسانية فالنفس قبل النفس وتكون لا محالة ارادة فتكون اما واحدة
لا تختلف فتكون تحريكها على تلك الجهة الواحدة او تكون مختلفة
فتكون منها كما علمت متكونات لا محالة فلا يكون محركة لذاتها واما الحركة
من جهة الكم فابعد شئ من النفس ثم لا يكون شئ متحركا من جهة الكم
بذاته بل الدخول داخل عليه او استحالة فى ذاته واما الحركة على سبيل
الاستحالة فاما ان تكون حركة فى كونها نفسا فتكون النفس اذا
حركت لا تكون نفسا واما حركة فى عرض من اعراض كونها نفسا فاول
ذلك الا تكون تحركها من نحو تحريكها بل تكون ساكنة فى المكان
حين تحرك فى المكان والثانى ان الاستحالة فى الاعراض غايتها حصول
ذلك العرض واذا حصل فقد وقف الاستحالة وايضا فقد تبين
لك ان النفس لا يصح ان يكون جسما والمتحرك الذى يتحرك فى
المكان بان يتحرك نحو ما تحرك فهو جسم لا محالة ولو كان للنفس الحركة
والانتقال لكان يجوز ان يفارق بدنا ثم يعود اليه وهو لا يجعلو

مثل النفس مثل رسوم يجعل في بعض الاجسام فاذا رسم حرك ذلك
الجسم وبدعون ان يكون الحركة حركة اختيار وايضا فقد علمت
ان القول بالهبات هذه باطل وعلمت ايضا ان القول بوجود المبدا
لا يستقصى حرف ثم من المحال ما قالوه من ان الشيء يجب ان يكون مبدا
حتى يعلم ما دواه فانا نعلم وندرك بانفسنا اشيا لسنا بمبادي لها
اما اثبات ذلك من طريق من ظن ان المبدا احد الاستقصات
فهو انا نعلم اشيا ليست الاستقصات بوجه من الوجوه مبدا لها
ولا هي مبدا للاستقصات وهو ان كل شي اما ان يكون حاصلا
في الوجود واما ان لا يكون وان الاشيا المساوية لشي واحد متساوية
فهذه الاشيا لا يجوز ان يكون النار والماء وغير ذلك مبادها فنعلمها
بها ولا بالعكس وايضا اما ان يكون معرفة النفس بما هي مبدا له انما
يتناول عن ذلك المبدا او يتناول الاشيا التي تحدث عن المبدا
وليست هي المبدا او يكون بكليهما فان كانت انما يتناول المبدا
او يتناول كليهما وكان العالم بالشي يجب ان يكون مبدا له فيكون
النفس ايضا مبدا للمبدا وايضا مبدا لذاتها لانها يعلم ذاتها وان كان
ليس يعلم المبدا ولكن يعلم الاحوال والتغيرات التي تلحقه فمن الذي
يحكم بان الماء والنار واحد هذه مبدا واما الذين جعلوا الادراك
بالعددية قالوا لان المبدا لكل شي عدد بل قالوا ماهية كل شي عدد
وحده عدد وهولاء وان كنا قد دللنا على بطلان رايهم في المبدا في
موضع اخر وسندل في صناعة الفلسفة الاولى ايضا على استحالة راهم
هذا وما اشبهه فان مذهبهم ههنا قد يفسد من حيث النظر الخاص

بالنفس

بالنفس وذلك بان ننظر ونتامل هل النفس انما يكون نفسا بانها عدد
معين فان كانت النفس انما هي ما هي بانها عدد معين فما تقولون
في الحيوان المحزز الذي اذا قطع يحرك كل جزء منه واحس واذا احس
فلا محالة هناك يحل ما ولذلك كل جزء منه في الهرب الى جهة وتلك
الحركة عن يحل ما لا محالة ومعلوم ان الجزئين تحركا عن
قوتين فيهما وان كل واحد منهما اقل من العدد الذي كان
في الجملة وانما كان النفس عندهم العدد الذي في الجملة لا غير
فيكون هذان الجزءان متحركان لا عن نفس وهذا محال بل في كل واحد
منهما نفس من نوع نفس الاخر فنفس مثل هذا الحيوان واحد
بالفعل متكثر بالقوة يكثر الى نفوس وانما يفسد في الحيوان
المحزز نفساه ولا يفسد في النبات لان النبات قد ساعت فيه الالة
الاولية لاستبقا فعل النفس ولا كذلك في الحيوان المحزز بل بعض
الحيوان المحزز لا مبدا فيه لاستبقا المزاج الملايم وفي بعضه الاخر
ذلك المبدا ولكنه يحتاج في استبقائه الى صحته من القسم الاخر
فيكون بدنه متعلق الاجزا بعضها ببعض في التعاون على حفظ
المزاج وان لم يكن النفس عددا بعينه بل كان عددا له كيفية
ما وصورة فليس ان يكون في بدن واحد نفوس كثيرة فانك تعلم
ان في كثير من الازواج ازواجا وفي كثير من الافراد افرادا وفي كثير
من المربعات مربعات وكذلك ساير الاعتبارات وايضا فان الوحدات
المجتمعة في العدد اما ان يكون لها وضع او لا يكون لها فان كان لها
وضع فهي نقط وان كانت نقطا فاما ان يكون نفسا لانها عدة

تلك النقط او لا تكون كذلك بل لانها قوة او كيفية او غير ذلك لكنهم
جعلوا الطبيعة النفسية مجرد عدد ثم فيكون العدد الموجود للنقط
طبيعة النفس فيكون كل جسم اذا فرض فيه ذلك العدد من
النقط ذا نفس فكل جسم لك ان تفرض فيه كم نقطة شئت فيكون
كل جسم من شانه ان يصير ذا نفس لعرض النقط فيه وان كان عدد لا
وضع له وانما هي احاد متفرقة فيما اذا تفرقت وليس لها مواد مختلفة
ولا قرن بها صفات وفصول اخرى وانما ينكر الاشيا المتشابهة في
المواد المختلفة فان كان لها مواد مختلفة فهي ذوات وضع ولها
ابدان شتى ثم في الحالتين جميعا كيف ارتبطت هذه الوحدات او
النقط معا لانه ان كان ارتباطها بعضها ببعض والتيامها للطبيعة
الوحدية والنقطية فيجب ان تكون الوحدات والنقطات مهرولة الى
الاجتماع من اى موضع كانت وان كان لجامع فيها جمع واحدا منها الى
الاخر وضام بعضها الى بعض حتى ارتبطت وهو يحفظها مرتبطة
فذلك الشيء اولى ان يكون نفسا واما الذين قالوا ان النفس مركبة
من المبادي حتى يصح ان يعرف المبادي وغير المبادي بما فيها منها
وانه انما يعرف كل شيء بشبهه فيه فقد يلزمهم ان تكون النفس لا
يعرف الاشيا التي يحدث عن المبادي مخالفة لطبيعتها فان
الاجتماع قد يحدث هيات في المباد وصورا لا يوجد فيها مثل
العظمية واللحمية والانسانية والفرسية وغير ذلك فيجب ان
تكون هذه الاشيا مجهولة للنفس اذ ليس فيها هذه الاشيا بل انما
فيها اجزا المبادي فقط فان جعل في تاليف النفس انسانا وفرسا

وفيلا

وفيلا كما فيه نار وارض وغلبة ومحبة فقد ارتكب العظم ثم ان كان في
النفس انسان فهي النفس نفس فيه مرة اخرى انسان وفيل ويذهب
ذلك الى غير نهاية وقد تشنع عليه من جهة انه يجب على هذا الموضع
ان يكون الله تعالى اما غير عالم بالاشيا وانه مركبا بالاشيا وكلاهما
كفر ومع ذلك يجب ان يكون غير عالم بالاشيا بالغلبة لانه لا
غلبة فيه فان الغلبة توجب التفريق والفساد فيما يكون فيه فيكون
الله تعالى غير تام العلم بالمبادي وهذا شنيع وكفر ثم يلزم من هذا
ان تكون الارض ايضا عالمة بالارض والما بالما وان تكون الارض
لا تعلم والما لا يعلم الارض وتكون الحار عالما بالحار غير عالم بالبارد
ويجب ان تكون الاعضا التي فيها ارضية كثيرة شديدة الاحساس
بالارض وليست هي كذلك بل هي غير حساسة لا بالارض ولا بغيرها و
ذلك كالظفر والعظم ولان ينفعل ويتاثر عن ضده اولى من ان
يتاثر عن شكله وانت تعلم ان الاحساس تاثر ما وانفعال ما ويجب
ان لا تكون ههنا قوة واحدة يدرك الاضداد فتكون السواد والبياض
ليس يدركان بحاسة واحدة بل يدرك البياض بجزء من البصر هو ابيض
والسواد بجزء منه هو اسود ولان الالوان لها تركيبات بلا نهاية فيجب ان
تكون قد اعد للبصر اجزا بلا نهاية مختلفة الالوان وان كان لا حقيقة
للارتباط وما هو الا مزج الضدين زيادة ونقصان من غير اختلاف
اخر فيجب ان تكون يدرك البياض يدرك البياض صرفا ويدرك
السواد يدرك السواد صرفا اذ لا يدرك غيره فيجب ان لا تشكل علينا يمكن ان م
بسايط الممتزج ولا يحصل الينا الوسايط التي لا تظهر فيها بياض و

سواد بالفعل وكذلك يجب ان يدرك المثلث بالمثلث والمدور بالمدور
والاشكال الاخرى التى لا نهاية لها والاعداد ايضا بامثالها فتكون
فى الحاسة اشكال بلا نهاية وهذا كله محال وانه يعلم ان الشئ الواحد يكفى
فى ان يكون عيارا للاضداد يعرف به كالمسطرة المستقيمة يعرف بها المستقيم
والمنحنى جميعا وانه لا يجب ان يعلم كل شئ بشئ خاص واما الذين
جعلوا النفس جسما يحرك بحركتها المستديرة التى يحركها على الاشياء
ليدرك به الاشيا فسوضح بعد فساد قولهم حين يبين ان الادراك
العقلى لا يجوز ان يكون بجسم فاما الذين جعلوا النفس مزاجا فقد علم
فيما سلف بطلان هذا القول وعلى انه ليس كل ما يفسد بفساد الحيوة
يكون نفسا فان كثيرا من الاشيا والاعضا والاخلاط وغير ذلك بهذه
الصفة وليس بمنكر ان يكون شئ لا بد منه حتى يكون للنفس علاقة بالبدن
ولا يوجب ذلك ان يكون ذلك الشئ نفسا وبهذا يعلم خطا من ظن
ان النفس دم وكيف يكون الدم محركا وحساسا والذى قال ان النفس
تاليف فقد جعل النفس نسبة معقولة بين الاشيا فكيف يكون النسبة
بين الاضداد محركا ومدركا والتاليف يحتاج الى مؤلف لا محالة فذلك
اولى ان يكون هو النفس وهو الذى اذا فارق وجب انتقاص التاليف
ثم سنتضح فى خلال ما نعرفه من امر النفس بطلان جميع هذه الاقاويل
بوجوه اخرى فيجب الان ان نكون وراء طلب طبيعة النفس وقد قيل فى
مناقضة هذه الاراء اقاويل ليست بالواجبة ولا اللازمة وانما تركناها
لذلك فصل فى ان النفس داخلة فى مقولة الجوهر فنقول نحن انك تعرف مما نقدم
لك ان النفس ليست بجسم فان ثبت لك فى بعض ما يقع له نفس وانما

غيره

غيره مثل النفس النباتية والنفس الحيوانية فان ذلك لا يثبت لك فيه
لكن المادة القريبة لوجود هذه الانفس فيها انما هى ما هى بمزاج خاص
وهيئة خاصة وانما يبقى بذلك المزاج الخاص بالفعل موجودا ما دام
فيها النفس والنفس هى التى يجعلها بذلك المزاج فان النفس هى لا محالة
علة لكون النبات والحيوان على المزاج الذى لها اذ كانت النفس هى
مبدء التوليد والتربية كما قلنا فيكون الموضوع القريب للنفس مستحيلا
ان يكون هو ما هو بالفعل الا بالنفس ويكون النفس علة لكونه كذلك
ولا يجوز ان يقال ان الموضوع القريب حصل على طباعه موجودا
بسبب غير النفس ثم لحقته النفس لحوق ما لا قسط له بعد ذلك فى
حفظه وتقويمه وترتيبه كالحال فى اعراض يتبع وجودها وجود
الموضوع لها اتباعا ضروريا ولا يكون تقومه لموضوعها بالفعل
واما النفس فانها مقومة لموضوعها القريب موجده اياه بالفعل
كما نعلم الحال فى هذا اذا تكلمنا فى الحيوان واما الموضوع البعيد
فبينها وبين النفس صور اخرى تقومها واذا فارقت النفس وجب
ضرورة ان يكون فراقها يحدث الغالب صير الموضوع بحالة
اخرى واحدث فيها صورة جمادية كالمقابلة للصورة المزاجية الموافقة
للنفس وتلك الصورة والمادة التى للنفس لا تبقى بعد النفس على
نوعها البتة بل اما ان يبطل نوعها وجوهرها الذى به كان موضوعا
للنفس او يخلف النفس فيها صورة يستبقى المادة بالفعل على
طبعها فلا يكون ذلك الجسم الطبيعى كما كان بل يكون صورة واعراض
اخرى ويكون ايضا قد يبدل بعض اجزائها وفارق مع تغير الكل

فى الجوهر فلا تكون هناك مادة محفوظة الذات بعد مفارقة النفس
هى كانت موضوعة للنفس والان هى موضوعة لغيره فاذن ليس وجود
النفس فى الجسم كوجود العرض فى الموضوع فالنفس اذن جوهر
لانها صورة لا فى الموضوع لكن لقائل ان يقول لسلم ان النفس
النباتية هى صورتها فانها علة لقوام مادتها ثم يلزمها اتباع هذه النفس
الحيوانية اياها فتكون الحيوانية متحصلة فى مادة تقومت بذاتها وهى
علة لقوام هذه التى حلتها اعنى الحيوانية اياها فلا تكون الحيوانية
الا قائمة فى موضوع فنقول فى جواب ذلك ان النفس النباتية بما هى
نفس نباتية لا يجب عنها الا جسم مبعد مطلقا ولا النفس النباتية مطلقة
لها وجود الا وجود معنى جنسى وذلك فى الوهم فقط واما الموجود
فى الاعيان فهو انواعها والذى يجب ان يتوق ان النفس النباتى سبب
لشى ابيض عام كلى غير محصل وهو الجسم المعدى النامى المطلق
الجنسى الغير المنوع واما الجسم ذو الات الحس والتمييز والحركة الارادية
فليس يصدر عن النفس النباتية بما هى نفس نباتية بل بما ينضم اليها
فصل اخر يصير به طبيعة اخرى ولا يكون ذلك الا ان يصير نفسا
حيوانية بل يجب ان يبتدى مريد هذا شرحا فنقول ان النفس النباتية
اما ان يعنى به النفس النوعية التى يخص النبات دون الحيوان او
يعنى به المعنى العام الذى يعم النفس النباتية والحيوانية من جهة
ما تعدى فتولد وتنمو فان هذا قد يسمى نفسا نباتية وهذا مجاز من القول
فان النفس النباتية لا يكون الا فى النبات ولكن المعنى الذى يعم
نفس النبات والحيوان يكون فى الحيوانات كما يكون فى النبات و

العقل يبين ولما النفس الحيوانية
فيستحيل ان تكون النباتية
تقوم مادتها

وجوده كما يوجد المعنى العام فى الاشيا واما ان يعنى به القوة من قوى
النفس الحيوانية التى يصدر عنها افعال التغذية والتربية والتوليد
فان عنى به النفس النباتية التى هى بالقياس الى النفس الفاعلة
للغذا بنوعه فذلك يكون فى النبات لا غير ليس فى الحيوان
وان عنى به المعنى العام فيجب ان ينسب اليه معنى عام لا معنى
خاص لان الصانع العالم هو الذى ينسب اليه المصنوع العام
والصانع النوعى كالنجار هو الذى ينسب اليه المصنوع النوعى و
والصانع المعين هو الذى ينسب اليه المصنوع المعين وهذا شى
قد رلك تحقيقه فالذى ينسب الى النفس النباتية العامة من امر
الجسم انه تام عام واما انه تام بحيث يصلح لقبول الحس او لا يصلح فليس
ينسب ذلك الى النفس النباتية من حيث هى عامة ولا هذا المعنى
يتبعه واما القسم الثالث فيستحيل ان يكون على ما يظن من ان القوة
النباتية وحدها ما تى فيفعل بدنا حيوانيا ولو كان المنفرد بالتدبير
تلك القوة لكانت يتمم جسمانيا وليس كذلك بل انما يتمم جسما حيوانيا
بالات الحس والحركة فتكون هى قوة لنفس تلك النفس قوى اخرى و
هذه القوة من قواها تتصرف على المثال الذى يودى الى استعداد
الالة للكمالات الثانية التى لتلك النفس التى هذه قوتها وتلك النفس
هى الحيوانية وسيتضح من بعد ان النفس واحدة وان هذه قوى يتشعب
عنها فى الاعضا ويتاخر فعل بعضها ويتقدم بحسب استعداد
الالة فالنفس التى لكل حيوان هى جامعة استقصات بدنه ومولفها
ومركبها على نحو يصلح معه ان يكون بدنا لها وهى حافظة لهذا البدن

على النظام الذي فلا يستولى عليها المغيرات الخارجة ما دامت النفس
موجودة فيها ولولا ذلك لما بقيت على صحتها ولا ستولا النفس عليها ما يعرض
من قوة القوة النامية وضعفها عند استشعار النفس فضا ما يكرهها او يحبها
كراهية ومحبة ليست ببدنية البتة وذلك عند ما يكون الوارد على النفس
تصديقا ما وليس ذلك مما يؤثر في البدن بما هو اعتقاد بل يتبع ذلك
الاعتقاد انفعال من سرور او غم وذلك ايض من المدركات النفسانية
وليس ما يعرض للبدن بما هو بدن فيؤثر ذلك في القوة النامية الغاذية
حتى يحدث فيها من العارض الذي يعرض للنفس اولا ولكن الفرح
النطقي شده ومفاد في فعلها ومن العارض المضاد لذلك ولكن
الغم النطقي لا المرىدى فيه ضعف وعجز حتى يفسد فعلها وربما انتقص
المزاج به انتقاصا وكل ذلك مما يقنعك في ان النفس جامعة لقوى الادراك
واستعمال الغذا وهي واحدة لها ليست هذه منفردة عن تلك فبين ان
النفس هي مكملة البدن الذي هي فيه وحافظة على النظام الذي الاولى
به ان يهر وسفرق اذ كل جزء من اجزا البدن مستحق مكانا اخر ويستوجب
مفارقة لقرينه وانما يحفظه على ما هو عليه شيء خارج عن طبيعته وذلك
الشيء هو النفس في الحيوان فالنفس اذن كمال لموضوع ذلك الموضوع
متقوم به وهو مكمل النوع وما نعرفه ان الاشيا المختلفة الانفس يصيرها
مختلفة الانواع ويكون تغايرها بالنوع لا بالتشخص فالنفس اذن
ليست من الاعراض التي لا تختلف بها الانواع ولا يكون لها مدخل
في تقويم الموضوع فالنفس اذن كمال كالجوهر لا كالعرض وليس يلزم
ان يكون مفارقا او غير مفارق فانه ليس كل جوهر بمفارق فلا الهيولى

بمفارقة ولا الصورة وقد علمت ان الامر كذلك فلندل الان دلالة مختصرة
على قوى النفس وافعالها ثم نتبعها بالاستقصا فصل في تبيين ان اختلاف
افاعيل النفس لاختلاف قواها نقول ان للنفس افعالا يختلف على وجوه
فيختلف بعضها بالشدة والضعف وبعضها بالسرعة والبطؤ فان
الظن اعتقاد ما يخالف اليقين بالتاكيد والشدة والحدس يخالف
اليقين بسرعة الفهم وقد يختلف ايض بالعدم والملكة مثل ان الشك
يخالف الراى فان الشك عدم اعتقاد من طرفي النقيض والراى
اعتقاد احد طرفي النقيض مثل التحريك والتسكين وقد يختلف
بالنسبة الى امور متضادة مثل الاحساس بالابيض والاحساس
بالاسود وادراك الحلو وادراك المر وقد يختلف بالجنس مثل ادراك
اللون وادراك الطعم بل مثل الادراك والتحريك وغرضنا الان
ان نعرف القوى التي يصدر عنها هذه الافاعيل انه هل يجب ان
يكون لكل نوع من الفعل قوة يخصه او لا يجب ذلك فنقول اما الافعال
المختلفة بالشدة والضعف فان مبداها قوة واحدة لكنها تارة يكون
اتم فعلا ويكون تارة انقص فعلا ولو كان النقصان يقتضى ان يكون
هناك للانقص قوة غير القوة التي للاتم لوجب ان يكون عدد القوى
بحسب عدد مراتب النقصان والزيادة التي لا تكاد يتناهى بل القوة
الواحدة يعرض لها تارة ان يفعل الفعل اشد واضعف بحسب
الاختيار وتارة بحسب مواتاة الالة وبحسب عوائق من خارج ان
يكون او لا يكون وان يقل او يكثر فاما الفعل وعدمه فقد سلف لك
في الاقاويل الكلية ان مبدء ذلك قوة واحد واما اختلاف افعالها

التي من باب الملكة بالجنس كالادراك والتحريك وكادراك وادراك
فذلك مما بالحري ان يفحص عنه فاحص فننظر مثلاً هل القوى المدركة
كلها واحدة الا ان لها ادراكات بذاتها هي العقليات وادراكات ما
مختلفة بالات بسبب اختلاف الالات فان كانت العقليات والحسيات
مثلا لقوتين فهل الحسيات كلها التي يحيل من باطن والتي يدرك
في الظاهر لقوة واحدة وان كانت التي في الباطن لقوة او قوى فهل
التي في الظاهر لقوة واحدة يفعل في الات مختلفة افعالاً مختلفة
فانه ليس يمتنع ان يكون قوة واحدة يدرك اشيا مختلفة الاجناس و
الانواع كما هي مشهور من حال العقل عند العلما ومشهور من حال الخيال
بل كما ان المحسوسات المشتركة التي ترعمون انها العظم والعدد والحركة
والسكون والسكل قد يحس بكل واحد من هذه الحواس او بعده منها و
ان كانت بوساطة محسوس اخر ثم هل قوة التحريك هي قوة الادراك و
لم لا يمكن ذلك وهل قوة الشهوة يعينها هي قوة الغضب فاذا صادفت
اللذة انفعلت على نحو وان صادفت الاذى انفعلت على نحو اخر بل
هل الغاذية والنامية والمولدة شيء من هذه القوى فان لم يكن فهل
هي قوة واحدة حتى اذا كان الشيء لم يتم قصوره حرك الغذا الى اقطاره
على هيئة وشكل فاذا استكمل حرك ذلك التحريك بعينه الا ان الشكل
قد تم ولا يحدث شكل اخر والعظم قد بلغ مبلغاً لا يفي القوة بان يورد من
الغذا فيه اكثر مما يتحلل منه فيقف وهناك يفضل من الغذا فضل يصلح
للتوليد فينفذه الى اعضاء التوليد كما ينفذ الغذا اليها لنفذ وها به
لكنه يفصل عما يحتاج اليه اعضا التوليد من الغذا فضل يصلح لباب

اخر مصرفه تلك القوة بعينها كما يفعل بفضول كثير من الاعضا ثم يعجز
هذه القوة في اخر الحياة عن ايراد بدل ما يتحلل مساوياً لما يتحلل فيكون
ذبول فلم يعرض قوة نامية ولا يعرض قوة مذبلة واختلاف الافعال ليس
يدل على اختلاف القوى فان القوة الواحدة بعينها يفعل الاضداد
بل القوة الواحدة يحرك بارادات مختلفة حركات مختلفة بل القوة الواحدة
قد يفعل في مواد مختلفة افاعيل مختلفة فهذه شكوك يجب ان يكون
حلها مهيا عندنا حتى يمكننا ان ننتقل ونلبس قوى النفس وان ثبت
ان عددها كذا وان بعضها مخالف للبعض فان الحق عندنا هذا فنقول اما
اولا فان القوة من حيث هي قوة بالذات واولا هي قوة على امر ما ويستحيل
ان يكون مبدء لشيء اخر غيره فانه من حيث هي قوة عليه مبدء له فان كانت
مبدء لشيء اخر فليس هو من حيث هو مبدء لذلك الاول في ذاته فالقوى
من حيث هي قوى انما يكون مبادي الافعال معينة بالقصد الاول
لكنه قد يجوز ان يكون القوة الواحدة مبدءً لافعال كثيرة بالقصد الثاني
بان يكون تلك كالفروع فلا يكون مبدء لها اولا مثل ان الابصار انما
هو قوة اولا على ادراك الكيفية التي بها يكون الجسم بحيث اذا توسط
بين جسم قابل للضوء وبين المضي لم يفعل المضي فيه الاضاءة وهذا
هو اللون واللون يكون بياضاً وسواداً وايض المحمله التي هي يستثبت
صور الامور المادية من حيث هي مادية مجردة عن المادة نوعاً من التجريد
غير بالغ كما نذكره لعدم يعرض ان يكون ذلك لوناً او طعماً او عظماً
او صوتاً او غير ذلك والقوة العاقلة هي التي يستثبت صور الامور
من حيث هي سرسر عن المادة وعلائقها ثم يتفق ان يكون ذلك شكلاً

ويتفق ان يكون عددًا ويجوز ان يكون القوة معدّة نحو فعل بعينه لكنها
يحتاج الى امر اخر ينضم اليها حتى يصير لها ما بالقوة حاصلًا بالفعل
فان لم يكن ذلك الامر لم يفعل فيكون مثل هذه القوة تارة
مبدء للفعل بالفعل وتارة غير مبدء له بالفعل بل بالقوة مثل
القوة المحركة فانها اذا صح الاجماع من القوة الشوقية بسبب
داع من التخيل او المعقول الى التحريك حركت لا محالة فان لم يصح
لم يحرك وليس يصدر عن قوة محركة واحدة باله واحدة الحركات
الكثيرة لكثرة الالات المحركة التي هي العضل فينا وفي كل عضلة قوة
محركة حزية لا يحرك الا حركة بعينها وقد يكون القوة الواحدة ايض
يختلف تاثيرها بحسب القوابل المختلفة والالات المختلفة وهذا
ظ فنقول الان ان اول اقسام افعال النفس ثلثة افعال يشترك فيها
الحيوان والنبات كالتغذية والتربية والتوليد وافعال يشترك فيها
الحيوانات او جلها ولا حظ فيها للنبات مثل الاحساس والتخيل والحركة
الارادية وافعال يختص بالناس مثل تعقل المعقولات واستنباط
الصنايع والروية في الكاينات والتفرقة بين الجميل والقبيح فلو كانت
القوى النفسانية واحدة وكانت الافعال النباتية يصدر عن القوة
التي يصدر عنها الحيوانية صدورًا اوليًا لكان عدم الاجسام النباتية
واعضاء الحيوان التي تغتذي ولا يحس مما هو صلب او لين للاحساس
اما ان يكون بسبب عدم القوة او بسبب ان المادة ليست ينفعل
عنها ومح ان يق ان المادة ليست ينفعل عن الحر والبرد ولا بتاثرعنهما
وعن الطعوم القوية والروايح القوية فانها ينفعل عنها معنى ان يكون

ذلك

ذلك بسبب عدم القوة الفعالة لذلك وقد وجب ان القوة الغاذية
فان القوتان مختلفتان وايض فان تحريك النفس لا يخ اما ان يكون
على سبيل نقل مطلق وكل جسم قابل للنقل مط واما ان يكون
على سبيل قبض وبسط وفي اجسامنا اعضا هي اقبل لذلك من
العضل وفيها حياة للتغذي وليس يمكن تحريكها فالسبب في ذلك
ليس من جهتها بل من جهة فقدانها القوة وكذلك بعض الاعصاب
ينفذ فيها قوة الحس فقط دون المحركة وبعضها ينفذ فيه قوة الحركة
ولا تفاضل لشي يعتد به بل قد يوجد ما تشاكل بها ينفذ فيه الحس
ويزيد عليه في الكيف وينقص قد ينفذ فيه قوة الحركة وقد يوجد
ما هو ليس كذلك وليس ينفذ فيه قوة الحس ولذلك يمكنك ان تعلم
ان العين ليست دون اللسان في ان ينفعل عن الطعوم المجاوره
ولا يحس العين بالطعم من حيث هو مذوق لست اقول من حيث
هي كيفية ولا بالصوت واما القوة الانسانية فسنبين انها مبرية
الذات عن الانطباع في المادة ونبين ان جميع الافعال المنسوبة الى
الحيوان يحتاج فيها الى الة فادن الحواس والتخيلات لقوة اخرى
مادية غير القوة المحركة وان كانت تعص عنها وقوى المحركة ايض
متعلقة من وجه كما سنبين بقوى الحس والتخيل فاذا فهمت هذا و
ما اعطيناك من الاصول سهل عليك ان تعرف فرقا بين القوى
التي نحن في ترتيبها وتعديدها وتعلم ان كل قوة لها فعل اولى فلا
يشارك قوة اخرى لها فعل اولى تخالف لفعلها الاولى **فصل في
تعديد قوى النفس على سبيل التصنيف** لنعد الان قوى النفس

عدا على سبيل الوضع ثم لنشتغل ببيان حال كل قوة فنقول
القوى النفسانية تنقسم بالقسمة الاولى اقساما ثلثة احدها النفس
النباتية وهى الكمال الاول لجسم طبيعى آلى من جهة ما يتولد وينمى ويغتذى
والغذا جسم من شانه ان يتشبه بطبيعة الجسم الذى قيل انه غذاوه فيزيد
فيه مقدار ما يتحلل او اكثر او اقل والثانى النفس الحيوانية وهى الكمال
الاول لجسم طبيعى آلى من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالارادة و
الثالث النفس الانسانية وهى كمال اول لجسم طبيعى آلى من جهة ما
ينسب اليه انه يفعل الافاعيل الكائنة بالاختيار الفكرى والاستنباط
بالراى ومن جهة ما يدرك الامور الكلية ولولا العادة لكان
الاحسن ان يجعل كل اول شرطا مذكورا فى رسم الثانى ان اردنا
ان نرسم النفس لا القوة النفسانية التى للنفس بحسب ذلك الفعل
فان الكمال ماخوذ فى حد النفس لا فى حد قوة النفس وانت ستعلم
الفرق بين النفس الحيوانية وبين قوة الادراك والتحريك وبين النفس
الناطقة وبين القوة على الامور المذكورة من التميز وغيرها فان اردت
الاستقصا فالصواب ان يجعل النباتية جنسا للحيوانية والحيوانية
جنسا للانسانية وتاخذ الاعم فى حد الاخص ولكنك اذا التفت الى
النفس من حيث القوى الخاصة لها فى حيوانيتها وانسانيتها فربما قنعت
بما ذكرناه وللنفس النباتية قوى ثلث الغاذية وهى قوة يحيل جسما
غير الجسم الذى هى فيه الى مشاكلة الجسم الذى هى فيه فيلصقه
بدل ما يتحلل عنه والقوة المنمية وهى قوة تزيد الجسم الذى هى فيه
بالجسم المتشبه به زيادة مناسبة فى اقطاره طولا وعرضا وعمقا

يبلغ

لبلغ به كمال النشو والقوة المولدة وهى قوة ياخذ من الجسم الذى فيه
جزء وهو شبيهه بالقوة فيفعل باستمداد اجسام اخرى تتشبه به
من التخليق والتمزيج ما يصيره شبيها به بالفعل وللنفس الحيوانية بالقسمة
الاولى قوتان محركة ومدركة والمحركة على قسمين اما محركة
بانها باعثة على الحركة واما محركة بانها فاعلة فالمحركة على انها
باعثه هى القوة النزوعية الشوقيه وهى القوة التى اذا ارتسمت
فى التخيل الذى سنذكره بعد صورة مطلوبة او مهروب
عنها بعثت القوة المحركة الاخرى الذى نذكرها على التحريك
ولها شعبتان شعبة يسمى قوة شهوانية وهى قوة تبعث على
تحريك تقرب به من الاشيا المتخيلة ضرورية او نافعة طلبا للذة
وشعبة يسمى غضبية وهى قوة تبعث على تحريك يدفع به الشئ
المتخيل ضارا او مفسدا طلبا للغلبة واما القوة المحركة على انها
فاعلة فهى قوة تنبعث فى الاعصاب والعضلات من شانها ان
تشنج العضلات فتجذب الاوتار والرباطات المتصلة بالاعضاء
الى نحو جهة المبدء او ترخيها او تمدها طولا فيصير الاوتار والرباطات
الى جهة خلاف المبدء واما القوة المدركة فينقسم قسمين منها قوة
يدرك من خارج ومنها قوة يدرك من داخل فالمدركة من خارج
هى الحواس الخمسة او الثمان فمنها البصر وهى قوة مرتبة فى العصبة
المجوفة يدرك صورة ما ينطبع فى الرطوبة الجليدية من اشباح
الاجسام ذوات اللون المتادية فى الاجسام الشفافة بالفعل الى
سطوح الاجسام الصقيلة ومنها السمع وهى قوة مرتبة فى العصب

المفرق في سطح الصماخ تدرك صورة ما يتادى اليه من تموج الهوا
المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحدث
منه صوت فيتادى تموجه الى الهوا المحصور الراكد في تجويف
الصماخ ويحركه بشكل حركته ويماس امواج تلك الحركة العصبية
ومنها الشم وهي قوة مرتبة في زائدتي مقدم الدماغ الشبيهتين
بحلمتي الثدي يدرك ما يؤدي اليه الهوا المستنشق من الرايحة
الموجودة في البخار المخالط له او الرايحة المنطبعة فيه بالاستحالة من
جرم ذي رايحة ومنها الذوق وهي قوة مرتبة في العصب المفروش
على جرم اللسان يدرك الطعوم المتحللة من الاجرام المماسة له المخالطة
للرطوبة العذبة التي فيه مخالطة محيلة ومنها اللمس وهي قوة مرتبة
في اعصاب جلد البدن كله ولحمه يدرك ما يماسه ويوثر فيه بالمضادة
المحيلة للمزاج او المحيلة لهيئة التركيب ويشبه ان تكون هذه القوة عند
قوم لا نوعا اخيرا بل جنسا لقوى اربع او فوقها منبثة معا في الجلد كله
واحدها حاكمة في التضاد الذي بين الحار والبارد والثانية حاكمة
في التضاد الذي بين الرطب واليابس والثالثة في التضاد الذي
بين الصلب واللين والرابعة حاكمة في التضاد الذي بين الخشن
والاملس الا ان اجتماعها في الة واحدة يوهم باتحادها في الذات
واما القوة المدركة من باطن فبعضها قوى يدرك صور المحسوسات
وبعضها يدرك معاني المحسوسات ومن المدركات ما يدرك و
يفعل معا ومنها ما يدرك ولا يفعل ومنها ما يدرك ادراكا اوليا
ومنها ما يدرك ادراكا ثانيا والفرق بين ادراك الصورة وادراك

المعنى

المعنى ان الصورة هو الشيء الذي يدركه الحس الباطن والحس الظاهر
معا لكن الحس الظاهر يدركه اولا ويؤديه الى الحس الباطن مثل
ادراك الشاة لصورة الذئب اعني لشكله وهيئته ولونه فان الحس
الباطن من الشاة تدركها لكن انما يدركها اولا حسها الظاهر واما المعنى
فهو الشيء الذي يدركه النفس من المحسوس من غير ان يدركه الحس
الظاهر اولا مثل ادراك الشاة للمعنى المضاد في الذئب او المعنى الموجب
لخوفها اياه وهربها عنه من غير ان يدرك الحس ذلك البتة فالذي
يدرك من الذئب اولا الحس الظاهر ثم الحس الباطن فانه يخص في هذا
الموضع باسم الصورة والذي يدركه القوة الباطنة دون الحس
فيخص في هذا الموضع باسم المعنى والفرق بين الادراك مع الفعل
والادراك لا مع الفعل ان من افعال بعض القوى الباطنة ان
يركب بعض الصور والمعاني المدركة مع بعض وتفصله عن بعض
فيكون ادراك وفعل ايضا فيما ادرك واما الادراك لا مع الفعل فهو
ان يكون الصورة او المعنى يرتسم في الشيء معا فقط من غير ان يكون
له ان يفعل فيها تصرفا البتة والفرق بين الادراك الاول والادراك
الثاني ان الادراك الاول هو ان يكون حصول الصورة على نحو ما من
الحصول قد وقع للشيء من نفسه والادراك الثاني هو ان يكون حصولها
من جهة شيء اخر ادى اليها فمن القوى المدركة الباطنة الحيوانية
قوة بنطاسيا والحس المشترك وهي قوة مرتبة في التجويف الاول
من الدماغ يقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة في الحواس الخمس
المتادية اليه ثم الخيال والمصورة وهي قوة مرتبة ايضا في اخر التجويف

المقدم من الدماغ يحفظ ما قبله الحس المشترك من الحواس الجزوية
الخمسة ويبقى فيه بعد غيبة تلك المحسوسات واعلم ان القبول لقوة
غير القوة التي بها الحفظ فاعتبر ذلك من الماء فان له قوة قبول النقش
والرقم وبالجملة الشكل وليس له قوة حفظ على انا نريد لك لهذا تحقيقا
من بعد واذا اردت ان تعرف الفرق بين فعل الحس العام وفعل الحس
المشترك وفعل المصورة فتامل حال القطر الذي ينزل من المطر فيرى
خطا مستقيما وحال الشي المستقيم الذي يدور فيرى طرفه دائرة ولا
يمكن ان يدرك الشي خطا او دائرة الا ويرى فيه مرارا والحس الظاهر لا
يمكن ان يراه مرتين بل يراه حيث هو لكنه اذا ارتسم في الحس المشترك و
زال قبل ان يمحى الصورة من الحس المشترك ادركه الحس الظاهر حيث هو و
ادركه الحس المشترك كانه كائن حيث كان فيه وكائن حيث صار اليه
فراى امتدادا مستديرا او مستقيما وذلك لا يمكن ان ينسب الى الحس
الظاهر البتة واما المصورة فيدرك الامرين ويتصورهما وان بطل الشي
وغاب ثم القوة التي تسمى متخيلة بالقياس الى النفس الحيوانية ومفكرة
بالقياس الى النفس الانسانية وهي قوة مرتبة في التجويف الاوسط
من الدماغ عند الدودة ومن شانها ان يركب بعض ما في الخيال مع
بعض ويفصل بعضه عن بعض بحسب الارادة ثم القوة الوهمية وهي
قوة مرتبة في نهاية التجويف الاوسط من الدماغ يدرك المعاني الغير
المحسوسة الموجودة في المحسوسات الجزوية كالقوة الموجودة في الشاة
الحاكمة بان هذا الذئب مهروب عنه وان هذا الولد هو المعطوف
عليه ويشبه ان تكون هي ايضا المتصرفة في المتخيلات تركيبا و

تفصيلا

تفصيلا ثم القوة الحافظة الذاكرة وهي قوة مرتبة في التجويف المؤخر
من الدماغ يحفظ ما يدركه القوة الوهمية من المعاني الغير المحسوسة
في المحسوسات الجزوية ونسبة القوة الحافظة الى القوة الوهمية
كنسبة القوة التي تسمى خيالا الى الحس ونسبة تلك القوة الى
المعاني كنسبة هذه القوة الى الصور المحسوسة فهذه هي قوى
النفس الحيوانية واما النفس الناطقة الانسانية فينقسم قواها الى
قوة عاملة وقوة عالمة وكل واحدة من القوتين تسمى عقلا
باشتراك الاسم او تشابهه فالعاملة قوة هي مبدء تحرك لبدن
الانسان الى الافاعيل الجزوية الخاصة بالروية على مقتضى آراء تخصها
اصطلاحية ولها اعتبار بالقياس الى القوة الحيوانية النزوعية و
اعتبار بالقياس الى القوة الحيوانية المتخيلة والمتوهمة واعتبار بالقياس
الى نفسها فاعتبارها بالقياس الى القوة الحيوانية النزوعية هي القبيل
الذي تحدث منها فيها هيات تخص الانسان تتهيا بها لسرعة فعل و
انفعال مثل الخجل والحيا والضحك والبكا وما اشبه ذلك واعتبارها
الذي بحسب القياس الى القوة الحيوانية المتخيلة او المتوهمة هو القبيل
الذي يحار اليه اذا اشتغلت باستنباط التدابير في الامور الكائنة
الفاسدة واستنباط الصناعات الانسانية واعتبارها الذي بحسب
القياس الى نفسها هو القبيل الذي يتولد فيه بين العقل العملي و
العقل النظري الآرا التي تتعلق بالاعمال وتستفيض ذايعة مشهورة
مثل ان الكذب قبيح والظلم قبيح لا على سبيل البرهن وما اشبه ذلك
من المقدمات المحدودة الانفصال عن الاوليات العقلية المحضة

في كتب المنطق وان كانت اذا برهن عليها صارت من العقلية ايضًا
على ما عرفت في كتب المنطق وهذه القوة يجب ان يتسلط على
سائر قوى البدن على حسب ما توجبه احكام القوة الاخرى التي
نذكرها حتى لا تنفعل عنها البتة بل تنفعل تلك عنها وتكون
مقموعة دونها لئلا تحدث فيها عن البدن هيئات انقيادية مستفادة
من الامور الطبيعية هي التي تسمى اخلاقًا رذيلة بل يجب ان يكون
غير منفعلة البتة وغير منقادة بل متسلطة فيكون لها اخلاق فضيلية
وقد يجوز ان ينسب الاخلاق الى القوى البدنية ايضًا ولكن ان
كانت هي الغالبة تكون لها هيئة فعلية ولهذا الفعل هيئة انفعالية
وليسم كل هيئة خلقًا فيكون شيء واحد منهما يحدث خلق في هذا و
خلق في ذلك فان كانت هي المغلوبة تكون لها هيئة انفعالية ولذلك
هيئة فعلية غير غريبة فيكون ذلك ايضًا هيئتين وخلقين او تكون الخلق واحدًا
له نسبتان وانما كانت الاخلاق التي فينا منسوبة الى هذه القوة لان
النفس الانسانية كما يظهر من بعد جوهر واحد وله نسبة وقياس الى
جنبين جنب هو تحته وجنبة هي فوقه وله بحسب كل جنبة قوة بها ينتظم
العلاقة بينه وبين تلك الجنبة فهذه القوة العملية هي القوة التي له
لاجل العلاقة الى الجنبة التي دونها وهو البدن وسياسته واما القوة
النظرية فهي القوة التي له لاجل العلاقة الى الجنبة التي فوقه لينفعل
ويستفيد منها ويقبل عنها فكان للنفس منا وجهين وجه الى البدن
ويجب ان يكون هذا الوجه غير قابل البتة اثرًا من جنس مقتضى طبيعة
البدن ووجه الى المبادي العالية ويجب ان يكون هذا الوجه غير

قابل البتة اثرًا من جنس طبيعة البدن ووجه الى المبادي العالية ويجب ان
يكون هذا الوجه دائم القبول عما هناك والتأثر منه فمن الجهة السفلية
يتولد الاخلاق ومن جهة الفوقانية تتولد العلوم فهذه هي القوة العملية
واما القوة النظرية فهي قوة من شانها ان ينطبع بالصور الكلية
المجردة عن المادة فان كانت مجردة بذاتها فاخذها لصورتها في نفسها
اسهل وان لم تكن فانها يصير مجردة بتجريدها اياها حتى لا يبقى فيها
من علائق المادة شيء وسنوضح كيفية هذا من بعد وهذه القوة النظرية
لها الى هذه الصور نسبة مختلفة وذلك لان الشيء الذي من شانه ان
يقبل شيا قد تكون بالقوة قابلًا وقد تكون بالفعل قابلًا والقوة تقال
على ثلثة معان بالتقديم والتاخير فيقال قوة للاستعداد المطلق الذي
لا يكون خرج منه بالفعل شيء ولا ايضًا حصل ما به يخرج كقوة الطفل
على الكتابة ويقال قوة لهذا الاستعداد اذا كان لم يحصل للشيء الا ما
تمكنه به ان يتوصل الى اكتساب الفعل بلا واسطة كقوة الصبي الذي
ترعرع وعرف الدواة والقلم وبسايط الحروف على الكتابة ويقال قوة
لهذا الاستعداد اذا تم بالالة وحدث مع الالة ايضًا كمال الاستعداد
بان يكون له ان يفعل متى شاء بلا حاجة الى الاكتساب بل يكفيه ان
يقصد فقط كقوة الكاتب المستكمل للصناعة اذا كان لا يكتب والقوة
الاولى تسمى مطلقة وهيولانية والقوة الثانية تسمى قوة ممكنة والقوة
الثالثة تسمى كمال القوة فالقوة اذن تارة نسبتها تكون الى النظر صح
الصورة المجردة التي ذكرناها نسبة ما بالقوة المطلقة وذلك حين
تكون هذه القوة التي للنفس لم تفعل بعد شيئًا من الكمال الذي

بحسبها وح‍ يسمى عقلاً هيولانيًا موجودة لكل شخص من النوع وانما
سميت هيولانية تشبيهًا اياها باستعداد الهيولى الاولى التي ليست
هي بذاتها ذات صورة من الصور وهي موضوعة لكل صورة وتارة
نسبة ما بالقوة الملكية وهي ان تكون القوة الهيولانية قد حصل
فيها من المعقولات المعقولات التي يقع بها التصديق لا باكتساب
ولا بان يشعر المصدق بها انه كان يجوز له ان يخلو عن التصديق بها
وما السر مثل اعتقادنا بان الكل اعظم من الجزء وان الاشياء المساوية
لشيء واحد بعينه متساوية فما دام انما حصل فيه من معنى ما بالفعل هذا
القدر بعد فانه يسمى عقلاً بالملكة ويجوز ان يسمى هذا عقلاً بالفعل
بالقياس الى الاولى لان القوة الاولى ليس لها ان تعقل شيئًا بالفعل
واما هذه فان لها ان تعقل اذا اخذت تبحث بالفعل وتارة تكون
نسبة ما بالقوة الكمال وهو ان تكون حصل فيها الصور المعقولة المكتسبة
بعد المعقولة الاولية الا انه ليس يطالعها ويرجع اليها بالفعل بل كانها
عنده مخزونة فمتى شاء طالع تلك الصور بالفعل فعقلها وعقل انه
قد عقلها وسمي عقلاً بالفعل لانه عقل يعقل متى شاء بلا تكلف
اكتساب وان كان يجوز ان يسمى عقلاً بالقوة بالقياس الى ما بعده و
تارة تكون النسبة نسبة ما بالفعل المطلق وهو ان تكون الصور المعقولة
حاضرة فيه وهو يطالعها بالفعل فيعقلها ويعقل انه يعقلها بالفعل
فيكون ما حصل له ح‍ عقلاً مستفادًا لانه سيتضح لنا ان العقل بالقوة
انما يخرج الى الفعل بسبب عقل هو دائمًا بالفعل وانه اذا اتصل العقل
بالقوة بذلك العقل الذي بالفعل نوعًا من الاتصال انطبع فيه نوع

من الصور

من الصور تكون مستفادة من خارج فهذه ايضًا مراتب القوى التي
تسمى عقلاً نظريًا وعند العقل المستفاد يتم الجنس الحيواني والنوع الانساني
منه وتكون القوة الانسانية قد تشبهت بالمبادي الاولية للوجود هناك صح
كله فاعتبر الان وانظر الى حال هذه القوى كيف يرؤس بعضها بعضًا
وكيف يخدم بعضها بعضًا فانك تجد العقل المستفاد رئيسًا ويخدمه
الكل وهو الغاية القصوى ثم العقل بالفعل يخدمه العقل بالملكة
والعقل الهيولاني بما فيه من الاستعداد يخدم العقل بالملكة ثم العقل
يخدمه العقل بالملكة والعقل الهيولاني بما فيه من الاستعداد يخدم
العقل بالملكة ثم العقل العملي يخدم جميع هذه لان العلاقة البدنية
كما سنتضح بعد لاجل تكميل العقل النظري وتزكيته وتطهيره والعقل
العملي هو مدبر تلك العلاقة ثم العقل العملي يخدمه الوهم والوهم
يخدمه قوتان قوة بعده وقوة قبله هي جميع القوى الحيوانية ثم المتخيلة
تخدمها قوتان مختلفتا المأخذ فالقوة النزوعية تخدمها بالائتمار
لانها تبعثها على التحريك نوعًا من البعث والقوة الخيالية تخدمها بعرضها
الصور المخزونة فيها المهيأة لقبول التركيب والتفصيل ثم هذان رئيسان
لطائفتين اما القوة الخيالية فيخدمها بنطاسيا وبنطاسيا يخدمها الحواس
الخمس واما القوة النزوعية فيخدمها الشهوة والغضب والغضب و
الشهوة يخدمها القوة المحركة في العضل فههنا تفنى القوى الحيوانية
ثم القوى الحيوانية يخدمها النباتية واولها ورأسها المولدة ثم النامية
يخدم المولدة ثم الغاذية يخدمها جميعًا ثم القوى الطبيعية الاربع
يخدم هذه والهاضمة منها يخدمها الماسكة من جهة والجاذبة من

جهة والدافعة يخدم جميعها ثم الكيفيات الاربع يخدم جميع ذلك لكن
الحرارة يخدمها البرودة فانها اما ان يعد للحرارة مادة او يحفظ ما هيأته
الحرارة ولا مرتبة للبرودة في القوى الداخلة في الاغراض الطبيعية
الا بعرض تابع ثم يخدمها جميعا اليبوسة والرطوبة وهناك اخر
درجات القوى

المقالة الثانية

فصل في تحقيق القوى المنسوبة الى النفس النباتية

فلنبتدئ بتعريف حال القوى المذكورة وقوة قوة و
لنعرفها من جهة افعالها واول ذلك افعال القوى النباتية واولها
حال التغذية فنقول قد علمت فيما سلف نسبة الغذاء الى المغتذي
وحد كل واحد منها وخاصيته فنقول الان ان الغذاء ليس انما يستحيل
دائما الى طبيعة المغتذي دفعة بل اولا يستحيل استحالة ما عن
كيفيته ويستعد الاستحالة الى جوهر المغتذي فيفعل فيه قوة
من خدم القوة الغاذية وهي الهاضمة وهي التي تدبر الغذاء في الحيوان
وبعد للنفوذ المستوى ثم ان القوة الغاذية تحيله في الحيوان الدموي
اول الاحالة الى الدم والاخلاط التي منها قوام البدن على ما بينا
في مواضع اخرى وكل عضو فانه يختص بقوة غاذية تكون فيه وتحيل
الغذاء الى مشابهته الخاصة فتلصقه به فالقوة الغاذية تورد البدل اي
بدل ما يتحلل وتشبه وتلصق وانه وان كان الغذاء اكثر منافعه انه يقوم
بدل ما يتحلل فانه ليست الغذاء لذلك فقط بل قد يحتاج اليه الطبيعة [الحاجة الى صح]
في اول الامر للتربية وان كان بعد ذلك انما يحتاج الى وضعه موضع
المتحلل فقط فالقوة الغاذية من قوى النفس النباتية تفعل في جميع مدة
بقاء الشخص وما دامت موجودة تفعل افاعيلها وحد النبات والحيوان

باقيين وان طلب لم يوجد النبات والحيوان باقيين وليس كذلك حال سائر
القوى النباتية والنباتية تفعل في اول كون الحيوان فعلا ليس هو
التغذية فقط وذلك لان غاية التغذية ما حددناه واما هذه القوة
فانها توزع الغذاء على خلاف مقتضى القوة الغاذية وذلك لان
الذي للقوة الغاذية لذاتها اما ان يؤتى كل عضو من الغذاء بقدر
عظمه وصغره ويلصق به من الغذاء بمقدار الذي له على السواء واما القوة
النامية فانها تسلب جانبا من البدن من الغذاء ما يحتاج اليه لزيادة
في جهة اخرى فيلصق بتلك الجهة ليزيد تلك الجهة فوق زيادة
جهة اخرى مستخدمة للغاذية في جميع ذلك ولو كان الامر الى الغاذية
لسوت بينها او لفضلت الجهة التي تعصيها النامية مثال ذلك ان
الغاذية اذا انفردت وقوي فعلها وكان ما يورد اكثر ما يتحلل فانها
تزيد في عرض الاعضاء وعمقها زيادة ظاهرة بالتسمين لا تزيد في
الطول زيادة يعتد بها واما المربية فانها تزيد في الطول اكثر كثيرا مما
تزيد في العرض والزيادة في الطول اصعب من الزيادة في العرض
وذلك لان الزيادة في الطول يحتاج فيها الى تنفيذ الغذاء في
الاعضاء الصلبة من العظام والعصب وتنفذه في اجزائها طولا
لتنميها وتبعد بين اطرافها والزيادة في العرض قد يغني فيه تربية اللحم
وتغذية العظم ايضا عرضا من غير حاجة الى تنفيذ شيء كثير فيه وتحريكه
وربما كانت اعضاء هي في اول النشو صغيرة واعضاء هي في اول
النشو كبيرة ثم يحتاج في اخر النشو ان يصير ما هو اصغر اكبر وما هو
اكبر اصغر فلو كان التدبير الى الغاذية لكان يستمر ذلك على

نسبة واحدة فالقوة الغاذية من حيث هي غاذية تاتي بالغذا و
ويقتضي الصاقه بالبدن على النحو المستوي او الاقرب من المستوي
وعلى الوجه الذي في الطبع ان يفعله عند الاسمان واما النامية
فموعز الى الغاذيه بان يقسم ذلك الغذا وينفذه الى حيث يقتضي
التربيه خلافا لمقتضى الغاذية والغاذية تخدمها في ذلك لان
الغاذية لا محالة هي الملصقة لكنها تكون متصرفة بحسب تصرف
القوة المربية والقوة المربية انما تنحو نحو تمام النشو واما المولدة
فلها فعلان احدهما تخليق البزر وتشكيله وتطعيمه والثاني افادة
اجزاء في الاستحالة التابعة صورها من القوى والمقادير والاعداد
والاشكال والخشونة والملاسة وما يتصل بذلك مسخرة تحت تدبير
المنفرد بالجبروت فتكون الغاذية تمدها بالغذا والنامية تخدمها
بالتمديدات المشاكلة فهذا الفعل يتم منها في اول تكون الشيء ثم
يبقى التدبير مفوضا الى النامية والغاذية فاذا كان فعل النامية
يسمح تبعث القوة المولدة في توليد البزور والمني لتستكفهما
القوة التي هي من جنسها مع الخادمتين وبالجملة فان القوة الغاذية
مقصودة ليحفظ بها جوهر الشخص والقوة النامية مقصودة ليستتم
بها جوهر الشخص والقوة المولدة مقصودة ليستبقى بها النوع اذ
كان حب الدوام امرا فايضا من الاله على كل شيء فما لم يصلح ان
يبقى بشخصه ويصلح ان يبقى بنوعه فانه ينبعث فيه قوة الى
استجلاب بدل بعضه ليحفظ به نوعه فالغاذية تورد بدل ما يتحلل
من النوع وقد ظن بعضهم ان الغاذية نار لان النار تغتذي و

ينمو

يغتذي

ينمو وقد اخطا من جملتين احدهما من جهة ان الغاذية ليست
بنفسها بل تغذو البدن وتنميه والنار ان كانت تغتذي فهي انما
تغتذي وتنمي نفسها ومن وجه اخر ان النار ليست تغتذي بل
تتولد شيئا بعد شيء وتطفا ما تقدم ثم لو كانت تغتذي وكان
حكمها حكم غذا الابدان لما يجب ان تكون للابدان وقوف في
النمو فان النار ما دامت تجد مادة لم تقف بل تزيد الى غير نهاية
واعجب من هذا قال صاحب هذا القول ان الاشجار تعرق من اسفل
لان الارضية تتحرك الى اسفل وتفرع الى فوق لان النار تتحرك
الى فوق فاول غلطه هو ان كثيرا من النبات اغصانه اثقل من عروقه
وثانيا انه لولا ينفصل بهذه الحركة فيفارق الثقيل الخفيف فان
ذلك لتدبير النفس فليجعل التعريق والتفريع ايضا للنفس وعلى
انه يشبه ان تكون الفرق في النبات حيث راسه وراس النبات
عروقه ومنه منشاؤه ثم ان الرهنه القوة الاولية هي الحار الغريزي
فان الحار هو المستعد لتحريك المواد ويتبعها البرد لتسكينها عند
الكمالات من الخلق محروسة عليها واما من الكيفيات المنفعلة فالسها
الاولية الرطوبة فانها هي التي تتخلق وتتشكل ويتبعها اليبوسة فانها
تحفظ الشكل وتفيد التماسك والقوة النباتية التي في الحيوان
فانها تولد جسما حيوانيا وذلك لانها نباتية تتعلق بها قوة الحيوان و
هو الفصل الذي مما يشاركها في كونها ذات قوة التغذية والنمو
فيمزج الاركان والعناصر مزاجا يصلح للحيوان اذ ليس يتولى مزاجها
القوة المشتركة بين النبات والحيوان من حيث هي مشتركة فانها

من حيث هي مشتركة لا يوجب مزاجاً خاصاً بل انما يوجب مزاجاً خاصاً
فيها لانها مع انها غاذية هي ايضا حيوانية في طباعها ان يحس ويحرك اذا
حصلت الالة وهي بعينها حافظة لذلك التأليف والمزاج حفظاً اذا
اضيف الى ذوات التأليف كان قسرياً لانه ليس من طباع العناصر
الاجسام المتضادة ان يأتلف لذواتها بل من طباعها الميل الى جهات
مختلفة وانما يؤلفها النفس الخاصة مثلاً في النخلة نفس نخيلة وفي العنب
نفس عنبية وبالجملة النفس التي تكون صورة لتلك المادة والنفس اذا
صارت نخلية كان لها مع انها نفس النمو زيادة انها نفس نخلية وفي العنب
انها نفس عنبية وليست النخلة تحتاج الى نفس نباتية ونفس اخرى
تكون بتلك النفس نخلة وان كان ليس لها افعال خارجة عن افعال
النبات بل تكون نفسها النباتية في نباتيتها انها نخلية واما النفس النباتية
التي في الحيوان فانها بعد خلقة الحيوان نحو افعال غير افعالها وحدها
من حيث هي نباتية اللهم الا ان يقال انها نفس نباتية فهي مدبرة
نفس حيوانية بل هي بالحقيقة غير نفس نباتية بالمعنى الذي ذكرنا اعني
العام بالفصل المقوم الذي تحته نفس نفس من النفوس النباتية اعني
الفصول التي لندت مادون نبت ما لتكون الا عند فعل نباتي
مخصص فقط واما النفس النباتي الحيواني ففصلها القاسم اياها المقوم
لنوع نوع تحتها هو قوة النفس الحيوانية المقارنة لها التي تعد لها البدن
وهو فصل على نحو الفصول التي للبسائط لا التي تكون للمركبات واما
النفس الانسانية فلا يتعلق بالبدن تعلقاً صورياً كما يتبين فلا يحتاج
ان يعد لها عضو نعم قد يتميز الحيوانية التي لها عن ساير الحيوانات و

كل الاعضا المعدة لحيوانيتها ايضا **فصل في تحقيق اصناف**
الادراكات التي لنا فلنتكلم الان في القوى الحساسة والدراكة و
لنتكلم فيها كلاماً كلياً فنقول يشبه ان يكون كل ادراك انما هو اخذ
صورة المدرك بنحو من الانحا فان كان الادراك ادراكاً بشيء مادي فهو
احد صورة مجردة عن المادة تجريداً ما لان اصناف التجريد مختلفة ومراتبها
متفاوتة فان الصورة المادية تعرض لها بسبب المادة احوال وامور
ليست هي لها بذاتها من جهة ما هي تلك الصورة فتارة يكون النزع
كاملاً وذلك ان تجرد المعنى عن المادة وعن اللواحق التي من جهة المادة
مثاله ان الصورة الانسانية والماهية الانسانية طبيعة لا محالة يشترك
فيها اشخاص النوع كلها بالسوية وهي بحدها شيء واحد وقد عرض لها
ان وجدت في هذا الشخص وذلك الشخص فتكثرت وليس ذلك
لها من جهة طبيعتها الانسانية ولو كانت للطبيعة الانسانية ما يجب
فيها التكثر لما كان انسان يوجد محمولاً على واحد بالعدد ولو كانت الانسانية
موجودة لزيد لاجل انها انسانية لما كانت لعمرو فاذن احدى العوارض
التي يعرض للانسانية من جهة المادة هي هذا النوع من التكثر والانقسام
ويعرض لها ايضا غير هذه من العوارض وهو انها اذا كانت في مادة حصلت
بقدر من الكم والكيف والوضع والاين وجميع هذه امور غريبة عن
طباعها وذلك لانه لو كانت الانسانية هي على هذا الحد او حد اخر من
الكم والكيف والاين والوضع لاجل انها انسانية لكان يجب ان يكون
كل انسان مشاركاً للاخر في تلك المعاني ولو كان لاجل الانسانية
على حد اخر وجهة اخرى من الكم والكيف والاين والوضع لكان كل

اثنان يجب ان يشترك فيه فاذن الصورة الانسانية بذاتها غير مستوجبة
ان يلحقها شيء من هذه اللواحق العارضة لها بل من جهة المادة لان
المادة التي يقارنها يكون قد لحقتها هذه اللواحق فالحس ياخذ الصورة
عن المادة مع هذه اللواحق ومع وقوع نسبة بينها وبين المادة اذا زالت
تلك النسبة بطل ذلك الاخذ وذلك لانه لا ينزع الصورة عن
المادة نزعا محكما بل يحتاج الى وجود المادة ايضا في ان تكون تلك
الصورة موجودة له واما الخيال والتخيل فانه يبرئ الصورة المنزوعة
عن المادة تبرئة اشد وذلك لانه ياخذها عن المادة بحيث لا يحتاج
في وجودها فيه الى وجود مادتها لان المادة وان غابت او بطلت فان
الصورة تكون ثابتة الوجود في الخيال فيكون اخذه اياها قاصما للعلاقة
بينها وبين المادة قصما تاما الا ان الخيال لا يكون جردها عن اللواحق
المادية والحس لم يجردها عن المادة تجريدا تاما ولا جردها عن لواحق
المادة واما الخيال فانه جردها عن المادة تجريدا تاما ولكن لم يجردها
عن لواحق المادة لان الصورة التي في الخيال على حسب الصورة
المحسوسة على تقدير ما وتكيف ما ووضع ما وليس يمكن في الخيال
البتة ان يتخيل صورة هي بحال يمكن ان يشترك فيها جميع اشخاص الناس
فان الانسان المتخيل يكون كواحد من الناس ويجوز ان يكون
ناس موجودين متخيلين ليسوا على نحو ما تخيل ذلك الانسان و
اما الوهم فانه قد تعدى قليلا هذه المرتبة في التجريد لانه ينال
المعاني التي ليست هي في ذاتها بمادية وان عرض لها ان يكون
في مادة وذلك لان الشكل واللون والوضع وما اشبه ذلك امور

لا يمكن

لا يمكن ان يكون الا لمواد جسمانية واما الخير والشر والموافق
والمخالف وما اشبه ذلك فهي امور في نفسها غير مادية وقد يعرض
لها ان تكون مادية والدليل على ان هذه الامور غير مادية ان
هذه الامور لو كانت بالذات مادية لما كان تعقل خير وشر و
موافق ومخالف الا عارضا لجسم وقد تعقل ذلك بل يوجد فبين
ان هذه الامور في انفسها غير مادية وقد عرض لها ان كانت مادية
والوهم انما ينال ويدرك امثال هذه الامور فاذن الوهم قد يدرك
امورا غير مادية وياخذها عن المادة كما يدرك ايضا معاني غير محسوسة
وان كانت مادية فهذا النوع اذن اشد استقصاء واقرب الى
البساطة من النوعين الاولين الا انه مع ذلك لا يجرد هذه الصور
عن لواحق المادة لانه ياخذها جزئية وبحسب مادة مادة وبالقياس
اليها ومتعلقة بصورة محسوسة مكنوفة بلواحق المادة وبمشاركة
الخيال فيها واما القوة التي تكون الصور المستثبتة فيها اما صور
موجودات ليست بمادية البتة ولا عرض لها ان تكون مادية ولكن
مبراة عن علائق المادة من كل وجه فبين انها تدرك الصور بان
تاخذها اخذا مجردا عن المادة من كل وجه اما ما هو متجرد بذاته
عن المادة فالامر فيه ظاهر واما ما هو موجود للمادة اما لانه وجوده
مادي واما عارض له ذلك فينزعه عن المادة وعن لواحق المادة
معا وياخذه اخذا مجردا حتى يكون مثل الانسان الذي يقال على
كثيرين وحتى يكون قد اخذ الكثير طبيعة واحدة ويفرزه عن كل
كم وكيف واين ووضع مادي ولو لم يجرده عن ذلك لما

صلح ان يتوقّ على الجميع فبهذا يفترق امر الحاكم الحسي وادراك الحاكم الخيالي
وادراك الحاكم الوهمي وادراك الحاكم العقلي والى هذا المعنى
كنا نسوق الكلام في هذا الفصل فنقول ان الحاس في قوته ان يصير مثل
المحسوس بالفعل اذ كان الاحساس هو قبول صورة الشيء مجردة عن
مادته فتصور بها الحاس فالمبصر هو مثل المبصر بالقوة وكذلك الملموس و
المطعوم وغير ذلك والمحسوس الاول بالحقيقة هو الذي يرتسم في
آلة الحس واياه يدرك ويشبه ان تكون اذا قيل احسست الشيء الخارجي
كان معناه غير معنى احسست في النفس فان معنى قوله احسست الشيء
الخارجي ان صورته تمثلت في حسي ومعنى احسست في النفس ان الصورة
نفسها تمثلت في حسي فلهذا تصعب اثبات وجود الكيفيات المحسوسة
في الاجسام لكنا نعلم يقينا ان جسمين واحدهما يتأثر عنه الحس شيئا و
الاخر لا يتأثر عنه ذلك الشيء انه مختص في ذاته بكيفية هي مبدأ احالته
الحاسة دون الاخر واما ديمقريطس وطايفة من الطبيعيين فلم يجعلوا
لهذه الكيفيات وجودا البتة بل جعلوا الاشكال التي يجعلونها للاجرام
التي لا تتجزأ اسبابا لاختلاف ما يتأثر في الحواس باختلاف ترتيبها و
وضعها قالوا ولهذا ما يكون الانسان الواحد قد يحس يوما واحدا على
لونين مختلفين وبحسب وقوف منه يختلف بذلك نسبه من اوضاع
المرئي الواحد كطوق الحمامة فانها يرى مرة شقرا ومرة ارجوانية ومرة
على لون الذهب وبحسب اختلاف المقامات فلهذا ما يكون شيء
واحد عند انسان صحيح حلوا وعند انسان مريض مرا فهولاء هم الذين
جعلوا الكيفيات المحسوسة لا حقايق لها في انفسها انما هي اشكال

وههنا قوم اخرون ايضا ممن لا يرون هذا المذهب لا يجعلون لهذه
الكيفيات حقيقة في الاجسام بل يرون ان هذه الكيفيات انما هي انفعالات
للحواس فقط من غير ان تكون في المحسوسات شيء منها وقد بينا فساد
هذا الراي وبينا ان في بعض الاجسام خاصية يؤثر في اللسان مثلا
الذي نسميه اذا ذقنا حلاوة ولبعضها خاصية اخرى من جنسها وهذه
الخاصية نسميها الطعم لا غير واما مذهب اصحاب الاشكال فقد نقضنا
اصله مما سلف ثم قد يظهر لنا سريعا بطلانه فانه لو كان المحسوس هو
الشكل لكان يجب اذا لمسنا الشكل وادركناه خصوصا بالحدقة
ان نكون راينا ايضا لونه فان الشيء الواحد من جهة واحدة يدرك
شيئا واحدا فان ادرك من جهة ولم يدرك من جهة فالذي لم يدرك
منه غير المدرك فيكون اللون اذن غير الشكل وكذلك ايضا
الحرارة غير الشكل اللهم الا ان يقولوا ان الشيء الواحد يؤثر في
شيئين اثرين مختلفين فيكون اثره في شيء ما ملموسا واثره
في شيء اخر مرئيا فاذا كان كذلك لم يكن الشكل نفسه محسوسا
بل اثر مختلف يحدث عنه في الحواس المختلفة غير نفسه والحاس
ايضا جسم وعنده انه لا يتأثر الا بالشكل فيكون ايضا الحاس انما
يتأثر بالشكل فيكون الشيء الواحد يؤثر في الشكل وفي الة
اخرى شكلا اخر لكن لا شيء من الاشكال عنده الا ويجوز ان
يلمس فيكون هذا المرئي ايضا يجوز ان يلمس ثم من الظاهر البين ان
اللون فيه مضاده وكذلك الطعم وكذلك اشيا اخرى ولا شيء من
الاشكال مضاد لشيء وهولاء بالحقيقة يجعلون كل محسوس ملموسا

فانهم يجعلون ايض البصر ينفذ منه شيء ويلمس ولو كان كذلك لكان
يجب ان يكون المحسوس بالوجهين جميعا هو الشكل فقط ومن العجايب
غفلتهم عن ان الاشكال لا يدرك الا ان يكون هناك الوان او طعوم
او روايح او كيفيات اخرى ولا يحس البتة بشكل مجرد فان كان لان الشكل
المجرد اذا صار محسوسا احدث في الحس اثرا من هذه الاثار غير الشكلية
فقد صح وجود هذه الاثار وان لم يكن هذه الاثار الا نفس الشكل وجب
ان يحس شكل مجرد من غير ان يحس معه شيء اخر وقال قوم من الاوايل
المحسوسات قد يجوز ان يحس بها النفس بلا وسايط البتة ولا الات اما
الوسايط فمثل الهوا مثلا للابصار وقد بعدوا عن الحق فانه لو كان
الاحساس يقع للنفس بذاتها من غير هذه الالات لكانت هذه الالات
معطلة في الخلقة لا ينتفع بها وايض فان النفس اذ كانت غير جسم عندهم
ولا ذات وضع فيستحيل ان يكون بعض الاجسام قريبا منها ومتجها
اليها وبعضها بعيدا عنها محجوبا عنها فلا يحس وبالجملة يجب ان لا يكون
اختلاف في اوضاع الاجسام منها وحجب واظهار فان هذه الاحوال
تكون للاجسام عند الاجسام فيجب ان يكون النفس اما مدركة لجميع
المحسوسات واما غير مدركة وان لا يكون غيبة المحسوس تزيله عن
الادراك لان هذه الغيبة غيبة عند شيء لا محالة هي خلاف الحضرة
منه فيكون عند ذلك الشيء لهذا الشيء غيبة مرة وحضور مرة و
ذلك مكاني وضعي فيجب ان يكون النفس جسما وليس كذلك بمذهب
هولاء وسنبين لك بعد ان الصور المدركة التي لا يتم نزعها عن المادة
وعلايق المادة يستحيل ان يثبت بغير التجسدانية ولو لم يحتج النفس

واما الالات فمثل
العين للابصار

فی ادراک

في ادراك الاشيا الى المتوسطات لوجب ان لا يحتاج الى الضوء و
الى توسط الشاف ولكان تقريب المبصر من العين لا يمنع الابصار و
سد الاذن يمنع الصوت ولكان الافات العارضة لهذه الالات
لا يمنع الاحساس ومن الناس من جعل المتوسط عايقا وقال انه لما كان
المتوسط كلما كان ارق كان ادل فلو لم يكن بل كان خلاء صرف
لتمت الدلالة ولا بصر الشيء اكبر ما بصر حتى كان يمكن ان يبصر نملة
في السما وهذا كلام باطل فليس اذا وجب رقته زيادة ان يكون عدمه يزيد
ايض في ذلك فان الرقة ليس هو طريقا الى عدم الجسم واما الخلا فهو عدم
الجسم عندهم بل لو كان الخلا موجودا لما كان بين المحسوس والحاس المتباينين
موصل البتة ولم يكن فعل وانفعال ومن الناس من ظن شيئا اخر وهو
ان الحاس المشترك او النفس يتعلق بالروح وهو جسم لطيف سنشرح
حاله بعد وانه التة الادراك وانه وحده يجوز ان يمتد الى المحسوسات
فيلاقيها او يوازيها او يصير منها بوضع ذلك الوضع يوجب الادراك
وهذا المذهب ايض فاسد فان الروح لا ينضبط جوهره الا في هذه
الوقايات التي يكتنفه وانه اذا خالطه شيء من خارج افسد جوهره مزاجا
وتركيبا ثم ليس له حركة انتقال خارجا وداخلا ولو كان له هذا لجاز
ان يفارق الانسان ويعود اليه فيكون للانسان ان يموت وان
يحيى باختياره في ساعة ولو كانت الروح بهذه الصفة لما احتيج الى
الالات البدنية فالحق ان الحواس محتاجة الى الالات الجسدانية
وبعضها الى وسايط فان الاحساس انفعال ما لانه قبول منها لصورة
المحسوس واستحالة الى مشاكلة المحسوس بالفعل فيكون الحاس بالفعل

والحاس بالقوة مثل المحسوس بالقوة والمحسوس بالحقيقة القريب هو ما يتصور
به الحاس من صورة المحسوس فيكون الحاس من جهة ما يحس ذاته لا الجسم
المحسوس لانه المتصور بالصورة التي هي المحسوسة القريبة منها واما الخارج
فهو المتصور بالصورة التي هي المحسوسة البعيدة فهي يحس ذاتها لا الثلج
ويجس ذاتها لا النار اذا اعدنا اقرب الاحساس الذي لا واسطة فيه و
انفعال الحاس من المحسوس ليس على سبيل الحركة اذ ليس هناك نعن
من ضد الى ضد بل هو استكمال اعني ان يكون الكمال الذي كان بالقوة
قد صار بالفعل من غير ان بطل فعل الى القوة واذ قد تكلمنا على الادراك
الذي هو اعم من الحس ثم تكلمنا في كيفية احساس الحس مطلقا فنقول ان كل
حاسة فانها تدرك محسوسها وتدرك عدم محسوسها اما محسوسها فبالذات
واما عدم محسوسها كالظلمة للعين والسكون للسمع وغير ذلك فلانها يكون
بالقوة لا بالفعل واما ادراك انها ادركت فليس للحاسة فان الادراك ليس
هو لونا فيبصر او صوتا فيسمع ولكن انما يدرك ذلك بالفعل العقلي والوهم
على ما نتضح من حالهما بعد **فصل في الحاسة اللمسية** واول الحواس
الذي يصير به الحيوان حيوانا هو اللمس فانه كما ان كل ذي نفس ارضية
فان له قوة غاذية ويجوز ان يعقد قوة قوة من الاخرى ولا ينعكس كذلك حال
كل ذي نفس حيوانية فله اللمس ويجوز ان يعقد قوة قوة من الاخرى ولا
ينعكس وحال الغاذية عند ساير قوى النفس الارضية حال اللمس عند
ساير قوى الحيوان وذلك لان الحيوان تركيبه الاول هو من الكيفيات
الملموسة فان مزاجه منها وفساده باختلافها والحس طليعة للنفس فيجب
ان يكون الطليعة الاولى هو ما يدل على ما يقع به الفساد ويحفظ به

الصلاح وان يكون قبل الطلايع التي يدل على امور يتعلق بعضها
منفعة خارجة عن القوام او مضرة خارجة عن الفساد والذوق
ان كان دالا على الشيء الذي به يستبقى الحياة من المطعومات
فقد يجوز ان يعدم الذوق ويبقى الحيوان حيوانا فان الحواس
الاخرى ربما اعانت على ارتياد الغذا الموافق واجتناب المضاد
واما الحواس الاخرى فلا يعين على معرفة ان الهوا المحيط بالبدن
مثلا محرق او مجمد وبالجملة فان الجوع شهوة اليابس الحار والعطش
شهوة البارد الرطب والغذا ما يتكيف بهذه الكيفيات التي
يدركها اللمس واما الطعوم فطعمات فلذلك كثيرا ما يبطل
حس الذوق لافة يعرض ويكون الحيوان باقيا واللمس هو اول الحواس
ولا بد منه لكل حيوان ارضي واما الحركة فللقائل ان يقول انها اخت
اللمس للحيوان وكما ان من الحس نوعا متقدما كذلك قد يشبه ان يكون
من قوى الحركة نوع متقدم واما المشهور فهو ان من الحيوان ما له
حس اللمس وليس له قوة الحركة مثل ضروب من الاصداف لكنا
نرى ان الحركة الارادية على ضربين حركة انتقال من مكان الى مكان
وحركة انقباض وانبساط للاعضا من الحيوان وان لم يكن به انتقال الجملة
عن موضعه فيبعد ان يكون حيوان له حس اللمس ولا قوة حركة فيه البتة
فانه كيف يعلم ان له حس اللمس الا ان يشاهد فيه نوع هرب من ملموس
وطلب لملموس واما ما يتمثلون هم به من الاصداف والاسفنجات و
غيرها فانا نجد للاصداف في غلفها حركات انقباض وانبساط والتوا
وامتداد في احرافها وان كانت لا يفارق امكنتها ولذلك يعرف انها

يحس بالملموس فيشبه ان يكون كل ما للمس في ذاته حركة ارادية اما الكلية
واما لاجزائه والامور التي يلمس فان المشهور من امرها انها الحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة والثقل والخفة واما الصلابة
واللين واللزوجة والهشاشة وغير ذلك فانها يحس تبعا لهذه المذكورة فالحرارة
والبرودة كلا منهما يحس بذاته لا لما يعرض في الالة من الانفعال بها و
اما الصلابة واللين واليبوسة والرطوبة فيظن انها لا يحس لذاتها بل يعرض
من الرطوبة ان يطيع من النفوذ ما ينفذ في جسمه ويعرض لليبوسة ان يعصى
فيجمع العضو الحاس ويعصره والخشونة ايضا يعرض لها مثل ذلك بان يحدث
الاجزاء النابتة منه عصرا ولا يحدث الغائرة شيئا والاملس يحدث ملاسة
واستواء واما الثقل فيحدث تمددا الى اسفل والخفة خلاف ذلك فنقول
لمن يقول هذا القول ليس من شرط المحسوس بالذات ان يكون الاحساس
به من غير انفعال يكون منه فان الحار ايضا ما لم يسخن لم يحس وبالحقيقة
ليس انما يحس ما في المحسوس بل ما يحدث منه في الحاس حتى انه ان لم يحدث
ذلك لم يحس به لكن المحسوس بالذات هو الذي يحدث منه كيفية في
الالة الحاسة مشابهة لما فيه فيحس وكذلك الانعصار عن اليابس والخشن و
التملس من الاملس والتمدد الى جهة معلومة من الثقيل والخفيف فان
الثقل والخفة ميلان والتمدد ايضا ميل الى نحو جهة ما فهذه الاحوال
اذا حدثت في الالة احس بها لا بتوسط حر او برد او لون او طعم او غير ذلك
من المحسوسات حتى كان يصير لاجل ذلك المتوسط غير محسوس اولى او
غير محسوس بالذات بل محسوسا ثانيا او بالعرض ولكن ههنا ضرب
اخر مما يحس مثل تفرق الاتصال الكائن بالضرب وغير ذلك وذلك

ليس

ليس بحرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا صلابة ولا شيء من المعدودات
وكذلك ايضا الاحساس بالملذات اللمسية مثل اللذة التي للجماع وغيره
ذلك فيجب ان ينظر كيف هي وكيف ينسب الى القوة اللمسية وخصوصا
فقد ظن بعض الناس ان سائر الكيفيات انما يحس بتوسط ما يحدث من
تفرق الاتصال وليس كذلك فان الحار والبارد من حيث يتغير به المزاج
يحس على استوائه ويفرق الاتصال لا يكون مستويا متشابها في جميع
الجسم لكنا نقول كما ان الحيوان يتكون بالامتزاج التي للعناصر كذلك
هو متكون ايضا بالتركيب وكذلك الصحة والمرض فان منهما ما ينسب
الى المزاج ومنهما ما ينسب الى الهيئة والتركيب وكما ان من فساد المزاج
منه ما هو مفسد كذلك من فساد التركيب منه ما هو مهلك وكما ان
اللمس حس يتقي به ما يفسد التركيب فاللمس ايضا يدرك به تفرق الاتصال
ومضاده وهو عوده الى الالتيام ونقول ان كل حال مضادة لحال البدن
فانها يحس بها عند الاستحالة وعند الانتقال اليها ولا يحس بها عند
حصولها واستقرارها وذلك لان الاحساس انفعال ما او مقارن
لانفعال والانفعال انما يكون عند زوال شيء وحصول شيء واما المستقر
فلا انفعال به وذلك في الامزجة الموافقة والردية معا فان الامزجة
الردية اذا استقرت وابطلت الامزجة الاصلية حتى صارت هذه الردية
كانها اصلية لم يحس بها ولذلك لا يحس بحرارة الدق وان كانت اقوى
من حرارة الغب واما ان كانت الاصلية موجودة بعد وهذه الطارية
مضادة لها احس بها وهذا يسمى سوء المزاج المختلف وهذا المستقر
سوء المزاج المتفق والالم والراحة من الالم ايضا من المحسوسات اللمسية

ويفارق اللمس في هذا المعنى ساير الحواس وذلك لان الحواس الاخرى
منها ما لا لذة لها في محسوسها ولا الم ومنها ما يلتذ ويألم بتوسط المحسوسات
واما التي لا لذة منها فمثل البصر لا يلتذ بالوان ولا الم بل النفس تألم من
من ذلك ويلتذ من داخل وكذلك الحال في الاذن فان تالمت الاذن
من صوت شديد والعين من لون مفرط كالضوء فليس بالم من حيث
يسمع او يبصر بل من حيث يلمس لانه يحدث فيه الم لمسي وكذلك يحدث
فيه بزوال ذلك لذة لمسية واما الشم والذوق فيألمان ويلتذان
اذا تكيفا بكيفية منافرة او ملايمة واما اللمس فانه قد يألم بالكيفية الملموسة
ويلتذ بها وقد يألم ويلتذ بغير توسط كيفية هي المحسوسة الاولى بل
بتفرق الاتصال والتيامه ومن الخواص التي للمس ان الالة الطبيعية
التي يحس بها وهي لحم عصبي او لحم وعصب يحس بالمماسة وان لم يكن
توسط البتة فانه لا محالة يستحيل عن المماسات ذوات الكيفيات و
اذا استحال احس ولا كذلك حال كل حاسة مع محسوسها وليس يجب ان
يظن ان الحاس هو العصب فقط فان العصب بالحقيقة مؤد للحس
اللمسي الى عضو غيره وهو اللحم ولو كان الحساس نفس العصب فقط
لكان الحساس في جلد الانسان ولحمه شيئا منتشرا كالليف وكان
حسه ليس لجميع اجزائه بل اجزاء ليفية فيه بل العصب الذي يحس اللمس
يرد وقابل معا والعصبة المجوفة مودية للبصر لكنها غير قابلة انما القابل
ما اليه يودي وهو الرطوبة او ما هو مستول عليه وهو الروح فبين اذن
من طباع اللحم ان يقبل الحس فان كان يحتاج ان يقبله من مكان اخر
من قوة عضو اخر توسط بينهما العصب واما ان كان المبدأ موجودا

فيه

فيه فهو حساس بنفسه وان كان اللحم وذلك كالقلب وان انتشر في
في جوهر القلب ليف عصبي فلا يبعد ان يلتقط عنه الحس ويؤديه
الى اصل واحد يتادى عنه الى الدماغ وعن الدماغ الى اعضاء اخرى
كما سنوضح بعد كالحال في الكبد من جهة انبثاث عروق ليفية فيه
لتقبل عنه وتؤدي الى غيره ويجوز ان يكون انبثاث الليف فيه ليقوى
قوامه وتشتد لحمه وسنشرح هذه الاحوال في موضع اخر لستقبله
ومن خواص اللمس ان جميع الجلد الذي يطيف بالبدن حساس باللمس
ولم يفرد له جزء منه وذلك لان هذا الحس لما كان طليعة يراعي
الواردات على البدن التي يعظم مفسدتها ان تمكنت من اي عضو
وردت عليه وجب ان يجعل جميع البدن حساسا باللمس ولان الحواس
الاخرى قد يتادى اليها الاشياء من غير مماسة ومن بعد فيكفي ان
يكون آلتها عضوا واحدا اذا ورد عليه المحسوس الذي يتصل به ضرره
عرفت النفس ذلك فاهتم وبحث بالبدن عن جهته فلو كانت الالة
اللامسة بعض الاعضاء لما شعرت النفس الا بما يماسها وحدها من المفسدات
ويشبه ان يكون قوى اللمس قوى كثيرة كل واحد منها يختص بمضادة
فيكون ما يدرك به المضادة التي بين الثقيل والخفيف غير الذي يدرك
به المضادة التي بين الحار والبارد فان هذه افعال اولية للحس يجب
ان يكون لكل جنس منها قوة خاصة الا ان هذه القوى لما انتشرت
في جميع الالات بالسوية ظن قوة واحدة كما لو كان اللمس والذوق
منتشرين في البدن كله انتشارهما في اللسان لظن مبدأهما قوة
واحدة فلما تميزا عرف اختلافهما وليس يجب ضرورة ان يكون لكل

واحدة من هذه القوى التي تختصّها بل يجوز ان تكون التي واحدة مشتركة لها ويجوز ان تكون هناك انقسام في الالات غير محسوس وقد اتفق في اللمس ان كانت الالة الطبيعية بعينها هي الواسطة ولما كان كل واسطة يجب ان تكون عادمة في ذاتها لكيفية ما يودّيه حتى اذا قبلها واداها ادى شيئًا جديدًا فيقع الانفعال عنه فيقع الاحساس به والانفعال لا يقع الا عن جديد كان كذلك ايضًا الة اللمس لكن المتوسط الذي ليس هو بحار ولا بارد يكون على وجهين احدهما على انه لا حظ له من هاتين الكيفيتين اصلا والثاني ما له حظ منهما ولكن صار منه الى الاعتدال فليس بحار ولا بارد بل معتدل متوسط ثم لم يكن ان تكون الة اللمس خالية اصلا عن هذه الكيفيات لانها مركبة منها فوجب ان تكون خلوها عن هذه الاطراف بسبب المزاج والاعتدال ليحس ما يخرج عن القدر الذي لها وما كان من امزجة اللامسات اقرب الى الاعتدال كان الطف احساسًا ولما كان الانسان اقرب الحيوانات كلها من الاعتدال كان الطفها لمسًا ولما كان اللمس اول الحواس وكان الحيوان الارضي لا يجوز ان يفارقه وكان لا يكون الا تركيب معتدل به بين الاضداد فبين من هذا انه ليس للبسايط وما يقرب منها حس البتة ولا حيوة الا النمو لبعض ما يقرب من البسايط فليكن هذا مبلغ ما يقوله في اللمس فصل في الذوق والشم واما الذوق فانه تال للمس ومنفعته ايضًا في الفعل الذي يتقوم به البدن وهو تشهية الغذا واختياره ويجانس اللمس في شيء وهو ان في الذوق يدرك في اكثر الامر بالملامسة ويفارقه في ان نفس الملامسة لا يؤدي الطعم كما ان نفس ملامسة الحار مثلا يودي الحرارة بل كانه يحتاج الى متوسط يقبل الطعم

ويكون

ويكون في نفسه لا طعم له وهو الرطوبة اللعابية المنبعثة من الالة المسماة الملعبة فان كانت هذه الرطوبة عديمة الطعوم ادت الطعوم بصحة وان خالطها طعم كما يكون للمرورين من المرارة ولمن في معدته خلط حامض من الحموضة شاب ما يوديه الطعم الذي فيها فجعله مرًا او حامضًا ومما فيه موضع نظر هل هذه الرطوبة انما تتوسط بان يخالطها اجزاء ذي الطعم مخالطة تنتشر فيها ثم ينفذ فتغوص في اللسان حتى تخالط اللسان فيحسه او تكون نفس الرطوبة تستحيل الى قبول الطعم من غير مخالطة فان هذا موضع نظر فان كان المحسوس هو المخالط فليست الرطوبة بواسطة مطلقة بل واسطة تسهل وصول الجوهر المحسوس الحامل للكيفية نفسها الى الحاس واما الحس نفسه فانما هو بملامسة الحاس للمحسوس بلا واسطة وان كانت الرطوبة تقبل الطعم وتتكيف به فيكون المحسوس بالحقيقة ايضًا هو الرطوبة ويكون ايضًا بلا واسطة ويكون الطعم اذا لاقى الة الذوق احسته فيكون لو كان للمحسوس الوارد من خارج سبيل الى المماسة الغايصة من غير هذه الواسطة لكان ذوق لا كالمبصر الذي لا يمكن ان يلاقي الة الابصار بلا واسطة واذا ماسته لا لة المبصر لم يدركه لكنه بالحري ان تكون هذه الرطوبة للتسهيل وانها تتكيف وتختلط معًا ولو كان سبيل الى الملامسة المستقصاة من غير هذه الرطوبة لكان يكون ذوق فان قيل ما بال العفوصة يذاق وهو يورث السدد ويمنع النفوذ فنقول انها اولا يخالط بوساطة هذه الرطوبة ثم يؤثر اثرها من التكثيف وقد خالطت والطعوم التي يدركها الذوق هي الحلاوة والمرارة والحموضة والقبض والعفوصة والحرافة

والدسومة والبشاعة والتفه يشبه ان يكون كانه عدم الطعم وهو كما يذاق
من الماء ومن بياض البيض واما هذه الاخرى فقد يكثر بسبب
انها متوسطات وانها ايضا مع ما يحدث ذوقا يحدث بعضها لمسا فيتركب
من الكيفية الطعمية ومن التاثير اللمسي شيء واحد لا يتميز في الحس
مصير ذلك الواحد كطعم محض متميز ويشبه ان يكون طعم من الطعوم
المتوسطة بين الاطراف يصحبه تفريق واسخان يسمى جملة ذلك حرافة
واخر يصحبه طعم وتفريق من غير اسخان وهو الحموضة واخر يصحبه
مع الطعم تجفيف وتكثيف وهو العفوصة وعلى هذا القياس ما قد
شرح في كتب الطبية واما الشم فانه وان كان الانسان ابلغ حيلة
في التشميم من ساير الحيوانات فانه سيء والروايح الكامنة بالدلك
وهذا ليس لغيره ويقصي في تحسسها بالاستنشاق وهذا يشاركه
فيه غيره فانه لا يقبل الروايح قبولا قويا حتى يحدث في خياله منها
مثل ما يحصل كما يحصل للموسات والمطعومات بل يكاد ان يكون رسوم
الروايح في نفسها رسوما ضعيفة ولذلك لا يكون للروايح عنده اسما
الا من جهتين احدهما من جهة الموافقة والمخالفة بان يقال طيبة و
منتنة كما لو قيل للطعم انه طيب وغير طيب من غير تصور فصل او سمة
والجهة الاخرى ان يشتق لها من مشاكلها للطعم اسم فيقال رايحة حلوة
ورايحة حامضة كان الروايح التي اعتيد مقارنتها الطعوم ما ينسب
اليها ويعرف بها ويشبه ان يكون حال ادراك الروايح من الناس
كحال ادراك اشباح الاشيا والوانها من الحيوانات التي الصلبة العين
فانها تكاد ان تكون انما تدركها كالتخيل الغير المحقق وكما يدرك ضعيف

البصر

البصر شبحا من بعيد واما كثير من الحيوانات الصلبة العين فانها قوية
جدا في ادراك الروايح مثل النمل ويشبه ان لا يحتاج امثالها الى التشمم
والتنشق بل يتادى اليها الروايح في الهوا وواسطة الشم ايضا جسم
لا رايحة له كالهوا والما يحمل رايحة المشمومات وقد اختلف الناس
في الرايحة فمنهم من زعم انها تتادى باستحالة من المتوسط من غير ان
يخالطه شيء من جرم ذي الرايحة متحلل عنه ومنهم من قال انها يتادى
من غير مخالطة شيء اخر من جرمه ومن غير استحالة من المتوسط ومعنى
هذا ان الجسم ذا الرايحة يفعل في الجسم عديم الرايحة وبينهما جسم
لا رايحة له من غير ان يفعل في المتوسط ممكنا من فعل ذلك في
هذا على ما يقال في تادي الاصوات والالوان فحري بنا ان نحقق
هذا ونتامله ولكن لكل واحد من المدعين لشيء من هذه المذاهب
حجة فالقايل بالبخار والدخان يحتج ويقول انه لو لم يكن الرايحة تسطع
بسبب شيء ما كانت الحرارة وما يهيج الحرارة من الدلك والتبخير وما
يجري مجرى ذلك مما يذكي الروايح ولا كان البرد يحققها فبين ان
الرايحة انما يصل الى المشم ببخار يتبخر من ذي الرايحة يخالط الهوا وينفذ
فيه ولهذا اذا استقصت لشم التفاح ذبلت لكثرة ما يتحلل منها
والقايلون بالاستحالة احتجوا وقالوا انه لو كانت الروايح التي تملا
المحافل انما تكون بتحلل شيء لوجب ان يكون الشيء ذو الرايحة ينقص
وزنه ويقل حجمه مع تحلل ما يتحلل منه وقال اصحاب التادية وخصوصا
انه لا يمكننا ان نقول ان البخار يتحلل من ذي الرايحة فيسافر مائة فرسخ
فما فوقه ولا ايضا يمكننا ان نحكم ان ذا الرايحة اشد احالة للاجسام

من النار في تسخينها والنار القويه انما يسخن ما حولها الى حدٍ واذا بلغ
ذلك غلوه فهو امر عظيم وقد يحدس من وصول الروايح الى بلاد بعيدة
ما يزيل الشك في ان وصولها لم يكن بسبب بخار انتشر واستحاله
فشت فقد علم ان بلاد اليونانيين والمغاربه لا يرى فيها رخم البتة ولا
ياوى اليها وبينها وبين البلاد المرخمه مسافة كثيرة يقارب ما ذكرناه
وقد اتفق في بعض السنين ان وقعت ملحمه بتلك البلاد فسافرت
الرخم الى الجيف ولا دليل لها الا الرايحة فتكون الرايحة قد دلت من
مسافة بعدها بعد لا يجوز معه ان يقوا الاستحالات من الهوا وصلت
اليه فتقول نحن انه يجوز ان يكون المشموم هو البخار ويجوز ان يكون الهوا
نفسه ليستحيل عن ذى الرايحة فيصير لها رايحة فيكون حكمه ايضا حكم
البخار فيكون كل شيء لطيف الاجزا من شانه ان ينفذ اذا بلغ الة الشم
ولا ما ها كان بخارا او هوا مستحيل الرايحة احس به وقد علمت ان كل
متوسط يوصل اليه بالاستحالة فان المحسوس ايضا لو يمكن من ملاقات
الحاس لاحس به بلا واسطة ومما يدل على ان الاستحالة لها مدخل في
هذا الباب اما مسلا الكافور تبخيرا يابى على جوهره كله فيكون منه رايحة
منتشرة انتشارا الى حد قد يمكن ان ينتشر فيه تلك الرايحة في اضعاف
ذلك الموضع بالفعل والو وضع جزا جزا من ذلك المكان كله حتى يتشمم منه
في بقعة بقعة صغيرة من تلك الاضعاف مثل تلك الرايحة فاذا كان
في كل واحد من تلك البقاع الصغيرة يتبخر منه شيء فيكون مجموع الابخرة
التى يتحلل منه في جميع تلك البقاع التى تزيد على البقعة المذكورة
اضعافا مضاعفة للبخار كله الذى يكون بالتبخير او مناسبا له فيجب

ان

ان يكون النقصان الوارد عليه في ذلك قريبا من ذلك او مناسبا له
ولا يكون فيبين ههنا للاستحالة مدخلا واما حديث البادية المذكورة
فامر بعيد وذلك لان التادى لا يكون الا بنسبة ما ونصيبه الى
المودى اليه واما الجسم ذو الرايحة فليس يحتاج الى شيء من ذلك
فانه لو توهمت الكافور قد يصل الى حيث لا يتادى اليك رايحته
بل عدم رد نعم لم يمنع ان يكون رايحته بعده باقيه في الهوا فذلك
لا محالة لاستحالة او مخالطة واما حديث الرخم فانه قد يجوز ان يكون
رياح قويه يصل الروايح والابخرة المتحلله عن الجيف الى المسافة المذكورة
في اعلى الجو فيحس بها ما هو اقوى حسا من الناس واعلى مكانا مثل
الرخم وغيره وانت تعلم ان الروايح وان كانت قد يصل الى كثير من
الحيوانات فوق ما يصل الى الناس بكثير فقد يتادى اليه المبصرات
من مسافات بعيده وهو يحلق في الجو حتى يبلغ ابصارها في البعد
مبلغا بعدا جدا حتى يكون ارتفاعها اضعاف ارتفاع قلل الجبال
الشاهقة فقد راينا قلل جبال شاهقة جدا وقد جاوزها السود
محلقة حتى يكاد ان يكون ارتفاعها ارتفاع تلك الجبال وقلل تلك
الجبال قد يرى من ست سبع مراحل وليس نسبة الارتفاع الى
الارتفاع كنسبة بعد المرائے الى الرائي فانك ستعلم في الهندسة
ان النسب في الابعاد التى منها يرى اعظم واكبر فلا يبعد ان يكون
الرخم قد علت في الجو بحسب ينكشف لها بعد هذه المسافة فرات
الجيف فان كان يستنكر تادى اشباح هذه الجيف اليها فيادى بحها روا
التى هى اضعف تاديا اولى بالاستنكار وكما انه ليس يحتاج كل حيوان

الى تحريك الجفن والمقله الى ان يبصر كذلك ليس يحتاج كل حيوان الى
استنشاق حتى يشم فان كثيرا منها نا سر الشم من غير تشمم **فصل في
السمع** واذ قد تكلمنا فى امر اللمس والذوق فبالحري ان نتكلم في امر السمع
فنقول ان الكلام في امر السمع يقتضى الكلام في امر الصوت وماهيته وقد
يليق بذلك الكلام في الصدا فنقول ان الصوت ليس امرا قايم الذات موجودا
ثابت الوجود يجوز فيه ما يجوز في البياض والسواد والشكل من احكام
الثبات على ان يصح فرضه ممتد الوجود وانه مثلا لم يكن له مبدء وجود
زماني كما يصح هذا الفرض في غيره بل الصوت بين واضح من امره انه امر
يحدث وانه ليس يحدث الا عن قلع او قرع اما القرع فمثل ما يقرع
صخرة او خشبة فيحدث صوت واما القلع فمثل ما يقلع احد شقي
مشقوق من الاخر كخشبة ينحى عليها بان يبين احد شقيها عن الاخر طولا
ولا نجد ايض مع كل قرع صوتا فان قرعت جسما كالصوف بقرع لين
جدا لم يحس صوتا بل يجب ان يكون للجسم الذي يقرعه مقاومة ما وان
يكون للحركة التي للمقروع به الى المقروع عنف صادم فهناك يحس وكذلك
اذا شقق شيئا يسيرا يسيرا وكان الشيء لا صلابة له لم يكن للقلع
صوت البتة والقرع بما هو قرع لم يختلف والقلع ايض بما هو قلع لا
يختلف لان احدهما امساس والاخر تفريق لكن الامساس يخالف
الامساس بالقوة والسرعة والتفريق ايض يخالف التفريق بمثل
ذلك ولان صائرا الى مماسة شيء فيجب ان يقرع لنفسه مكان جسم اخر
كان مماسا له لينتقل اليه وكل مقلوع عن شيء فقد يقرع مكانه حتى
يصار اليه وهذا الشيء الذي فيه هذه الحركات شيء رطب سيال

لا محالة

لا محالة اما ماء واما هواء فيكون مع كل قرع وقلع حركة للهوا او
ما يجري مجراه واما قليلا قليلا او برفق او دفعة على سبيل تموج او
انجذاب بقوة فقد وجب هيهنا شيء لا بد ان يكون موجودا عند
حدوث الصوت وهو حركة قوية من الهوا او ما يجري مجراه فيجب
ان يتعرف هل الصوت هو نفس القرع او القلع او حركة موجبة
يعرض للهوا من ذلك او شيء ثالث يتولد من ذلك او يقارنه اما القلع
والقرع فانهما يحسان بالبصر بتوسط اللون فليس القلع والقرع بصوت
بل ان كان ولا بد فسببا الصوت واما الحركة فقد يتشكل من
امرها فيظن ان الصوت نفس تموج الهوا وليس كذلك ايض فان جنس
الحركة يحس ايض بساير الحواس وان كان بتوسط محسوسات اخر و
التموج الفاعل للصوت قد يحس حتى يولم فان صوت الرعد يعرض
منه ان يدك الجبال وربما ضرب حيوانا فافسده وكثيرا ما يستظهر
على هدم الحصون العالية باصوات البوقات بل حس اللمس كما اشرنا
اليه قبل ايض قد ينفعل من تلك الحركة من حيث هي حركة ولا يحس
الصوت ولا ايض من فهم ان شيئا حركة فهم انه صوت ولو كانت
حقيقة الصوت الحركة لا انه امر يتبعها ويلزم عنها لكان من عرف
ان صوتا عرف ان حركة وهذا ليس بموجود لان الشيء الواحد النوعي
لا يعرف ويجهل معا الا من جهتين وحالين فجهة كونه صوتا في
ماهيته ونوعيته ليس جهة كونه حركة في ماهيته ونوعيته فالصوت
اذن عارض يعرض من هذه الحركة الموصوفة يتبعها ويكون معها فاذا
انتهى التموج من الهوا والما الى الصماخ وهناك تجويف فيه هواء راكد

يتموج بتموّج ما ينتهى اليه وو راه كالجدار مفروش عليه العصب الحاس
للصّوت احس بالصّوت ومما يشكل من ان الصّوت هل هو شيء
موجود من خارج تابع لوجود الحركة او مقارن او انما يحدث هو
صوت اذا تاثر السّمع به فان المعتقد ان يعتقد ان الصّوت لا وجود له
من خارج وانه يحدث فى الحس من ملامسة الهوا المتموج بل كل الاشيا
التى يلامس ذلك الموضع باللمس ايضا يحدث فيه صوتا فهل ذلك الصوت
حادث بتموج الهوا الذى فى الصماخ او لنفس المماسة وهذا امر يصعب
الحكم فيه وذلك لانا فى وجود الصوت من خارج لا يلزمه ما يلزم فى
باقى الكيفيات الاخر المحسوسة لان هذا الراى ثبت للمحسوس الصوتى
خاصية معلومة هى بفعل الصّوت وتلك الخاصية هى التموّج فيكون
نسبة التموّج من الصّوت نسبة الكيفية التى فى العسل الى ما يتاثر
منه فى الحس لكنه يختلف الامر ههنا لان الاثر الذى يحصل من
العسل فى الحاسة هى من جنس ما فهمنا ولذلك فان الذى يحس
الحرارة قد يسخن ايضا غيره اذا ثبت فيه الاثر وليس الصّوت والتموّج
حالهما هكذا فان التموّج شيء والصّوت شيء والتموّج يحس بالة اخرى و
تلك الكيفية لا يحس بالة اخرى ولا يجب ان يكون كل ما يؤثر اثرا ففى نفسه
مثل ذلك الاثر فيجب ان يعرف حقيقة الحال فى هذا فنقول مما يعين
على معرفة ان العارض المسموع له وجود من خارج ايضا انه لو كان انما يحدث
فى الصماخ نفسه لم يخل اما ان يكون التموّج الهوائى يحس بالسّمع لست
اقول يحس بلمس آلة السمع حسا من حيث هو تموج فاما ان يحس به اولا او
بتوسط الصّوت فلو كان يحس به اولا والمحسوس الاول بالسّمع هو الصوت

وهذا اما لاشك

هذا
وهذا اما لاشك فيه كان التموج من حيث هو تموّج صوتا وقد ابطلنا
ولو كان يحس به بتوسّط الصّوت لكان كل من سمع الصوت علم
ان تموّجا كما ان كل من احس لون المربّع والمربع بوسط علم ان
هناك مربعا وليس كذلك وان كان انما يحس باللمس عرض ايضا منه ما
قلنا فاذن ليس بواجب ان يحس التموّج عند سماع الصّوت فلسطر ما
يلزم بعد هذا فنقول ان الصّوت كما يسمع يسمع له جهة فلا يخلو اما ان يكون
الجهة يسمع لان الصّوت مبدء تولده ووجوده فى تلك الجهة ومن هناك
ينتهى واما لان المسلك المتادى الى الاذن الذى الصّوت فيه بعد
ان يفعل الصّوت اذا اتّصل بالاذن ينتقل من تلك الجهة ويصدم
من تلك الجهة فيخيل ان الصّوت ورد من تلك الجهة واما للامرين
جميعا فان كان لاجل المنتقل وحده فمعنى هذا هو ان المنتقل نفسه
محسوس فانه اذا لم يشعر به كيف يشعر بجهة مبدءه فيلزم ان يحس
بالسّمع عند ادراك جهة الصّوت تموج الهوا وقد قلنا ان ذلك ليس
بواجب وان كان لاجلهما جميعا عرض من ذلك هذا المحال ايضا وصح ان
الصوت كان يصحب التموّج فبقى ان يكون ذلك لان الصّوت نفسه
تولد هناك ومن هناك انتهى ولو كان الصّوت انما يحدث فى الاذن
فقط لكان سوا اتى سببه من اليمين او اليسار وخصوصا وسببه لا
يحس به وههنا مؤثر مثل نفسه فلا يدرك جهته لانه انما يدرك عند
وصوله فكيف ما لا حدوث له الا عند وصول سببه فقد بان ان
للصّوت وجودا ما من خارج لا من حيث هو مسموع بالفعل بل من
حيث هو مسموع بالقوة وامر ظهر ما من الهيئات للتموّج غير نفس التموج

ويجب ان نحقق الكلام فى القارع والمقروع فنقول انه لا بد فى القرع من
حركة قبل والحركة قبل القرع فقد يكون من احد الجسمين وهو الصاير الى
الثانى وقد يكون من كليهما ولا بد من قيام كل واحد منهما او احدهما
فى وجه الاخر قياما محسوسا فانه ان اندفع احدهما كما يمس بل فى زمان لا
يحس لم يكن صوت والقارع والمقروع كلاهما فاعلان فى الصوت
لكن اولاهما به ما كان اصلبهما واشدهما مقاومة فان حظه فى ذلك اشد
واما الحركة الثانية فانقلاب الهوا وانضغاطه بينهما بعنف والصلابة
يعين على شدة ضغط الهوا والملاسة ايضا لئلا ينتشر الهوا فى فرج الخشونة
والتكاثف اولى بذلك لئلا ينفذ الهوا فى فرج التخلخل وربما كان الجسم
المقروع فى غاية الرطوبة واللين لكنه اذا حمل عليه بالقوة وكلف
الهوا المتوسط ان ينفذ فيه ويشقه فى زمان قصير بل قاوم ذلك فلم
يندفع من وجهه ذلك الهوا المتوسط وقاوم ايضا القارع لان القارع
كان يسومه انخراقا كثيرا فى زمان قصير جدا وليس ذلك فى قوة قابل
ولا فى قوة القارع فامتنع من الانخراق فقام فى وجه القارع وضغط بها
المتوسط فكانت المقاومة فيه مكان الصلابة وانت تعلم هذا اذا اعتبرت
امرارك السوط فى الما برفق فانه يمكنك ان تشقه شقا من حيث لا يلزمك
فيه مؤنة فان استعجلت استعصى عليك وقاومك الهوا ايضا كذلك قد
يجوز ان يكون الهوا نفسه يصير جزء منه مقاوما وجزء بينه وبين المزاحم
القارع منضغطا بل يجوز ان يصير الهوا ثلثة اجزاء جزء منه قارع
كالريح وجزء مقاوم وجزء مضغط فيما بينهما على هيئة من التموج و
ليست الصلابة والتكاثف علة اولية لاحداث هذا التموج بل ذلك

لها

لهما من حيث يعينان على المقاومة والعلة الاولية هى المقاومة فالصوت
يحدث من تموج الجسم الرطب السيال منضغطا بين جسمين متصاكين
متقاومين من حيث هو كذلك فكما ان الما والهوا والفلك يشترك
فى طبيعة اداء الالوان ويكون تلك الطبيعة لها اسم وهو الشفيف
كذلك الما والهوا لهما معنى يشتركان فيه من حيث يحدث فيهما الصوت
ولكن اسمه قبول التموج وليس ذلك الما والهوا لهما ايضا من حيث
يؤديان الرايحة او الطعم معنى كذلك لا اسم فلكن الرطوبة المودية للطعم
العديمة واما ما يشترك فيه نقل الرايحة فلا اسم واما الصدا فانه
يحدث من تموج يوجبه هذا التموج فان هذا التموج اذا قاومه شيء
من الاشيا كجبل او جدار حتى وقف لزم ان ينضغط ايضا بين هذا
التموج المتوجه الى قرع الحايط او الجبل وبين ما يقرعه هوا اخر يرد
ذلك وينصرف الى خلف بانضغاطه ويكون شكله الشكل الاول
على هيئته كما يلزم الكرة المرمى بها الى الحايط ان يضطر الهوا الى
التموج فيما بينهما وان يرجع القهقرى وقد بينا فيما سلف ما العلة
فى رجوع تلك الكرة قهقرى فليكن هى العلة فى رجوع الهوا وقد
بقى علينا ان ننظر هل الصدا صوت يحدث بتموج الهوا الذى هو
التموج الثانى او هو لازم لتموج الهوا الاول المنعطف الثانى سوا
فيشبه ان يكون هو تموج الهوا المنعطف الثانى ولذلك يكون على
هيئته وصفته وان لا يكون القرع الكاين من هذا الهوا يولد صوتا
من تموج هوا بان يعتد به فان قرع مثل هذا الهوا قرع ليس بالشديد
ولو كان شديدا بحيث يحدث صوتا لاضربا بسمع ويشبه ان يكون

لكل صوت صدا ولكن لا يسمع كما ان لكل ضوء عكسا ويشبه ان
يكون السبب في ان لا يسمع الصدا في البيوت والمنازل في اكثر الامر
ان المسافة اذا كانت قريبة بين الصوت وعاكس الصوت لم يسمعا في
زمانين متباينين بل يسمعان معا كما يسمع صوت القرع الذي يعرق
ان كان بعده بالحقيقة واما ان كان العاكس بعيدا افرق الزمان
بين الصوتين تفريقا محسوسا وان كان صدا املس فهو لتواتر الانعكاس
منه يسبب قوة الموسيقى زمانا كثيرا كما في الحمامات ويشبه ان يكون
هذا هو السبب في ان يكون صوت المغني في الصحرا اضعف وصوت
المغني تحت السقوف اقوى لتضاعفه بالصدا المحسوس معه في زمان
كالواحد ويجب ان يعلم ان التموج ليس هو حركة انتقال من هوا واحد
بعينه بل كالحال في تموج الما يحدث بالتداول بصدم بعد صدم
مع سكون قبل سكون وهذا التموج الفاعل للصوت مربع لكنه
ليس بقوى الصك ولمتشكك ان يشك فيقول انه كما تشككتم في اللمس
فجعلتموه قوى كثيرة لانه يدرك متضادات كثيرة فكذلك السمع ايضا يدرك
المضادة التي بين الصوت الثقيل والحاد ويدرك المضادة التي بين
الصوت الخافت والجهير والصلب والاملس والمتخلخل وغير ذلك فلم لا
تجعلونه قوى فالجواب عن ذلك لان محسوسه الاول هو الصوت و
هذه اعراض يعرض لمحسوسه الاول بعد ان يكون صوتا واما هناك فكل
واحد من المتضادات يحس لذاتها لا بسبب الاخر فليكن هذا المبلغ في
تعريف الصوت والاحساس به كافيا المقالة الثالثة في الابصار
فيه ثمانية فصول فصل في الضوء والشفيف والالوان وحري بنا ان

نتكلم

نتكلم في الابصار والكلام فيه تقتضي الكلام في الضوء والمشف واللون
وفي كيفية الاتصال الواقع بين الحاس والمحسوس البصري فلنتكلم
اولا على الضوء فنقول انه يقال ضوء ويقال نور ويقال شعاع ويشبه ان
لا يكون بينها في وضع اللغة كثير تفاوت لكنا نحتاج في استعمالنا
اياها ان نفرق بينها لان ههنا معان ثلثة متقاربة احدها الكيفية
التي يدركها البصر في الشمس والنار من غير ان يقال انه سواد او بياض
او حمرة او شيء من هذه الالوان والثاني الامر الذي يسطع من
هذا الشيء فيتخيل انه يقع على الاجسام فيظهر بياض وسواد وخضرة
والاخر الذي يتخيل على الاجسام كانه بريق وكانه يستر لونها و
كانه شي يفيض منها فان كان في جسم قد استفاد ذلك من جسم اخر
سمي بريقا كما يحس في المرآة وغيرها وان كان في الجسم الذي له بذاته
سمي شعاعا ولسنا نحتاج الان الى الشعاع والبريق بل نحتاج الى
القسمين الاولين فليكن احدهما وهو الذي للشيء من ذاته ضوء وامكن
المستفاد نورا وهذا الذي يسميه ضوء مثل الذي للشمس والنار فهو
المعنى الذي يرى لذاته فان الجرم الحامل لهذه الكيفية اذا وجد بين
البصر وبينه شيء كالهوا والما روي ضرورة من غير حاجة الى وجود ما
يحتاج اليه الجدار الذي لا يكفي في ان يرى على ما هو عليه وجود الهوا
والماء وما يشبههما بينه وبين البصر بل يحتاج ان يكون الشيء الذي
سميناه نورا قد عشيه حتى يرى ح ويكون ذلك النور تاثيرا من جسم
ذي ضوء اذا قابله وكان بينهما جسم ليس من شانه ان يحجب تاثير المضيء
في قابل النور كالهوا والماء فانه يعين ولا يمنع فالاجسام بالقسمة الاولى

على قسمين جسم ليس من شانه هذا الحجب المذكور ولسم الشاف وجسم
من شانه هذا الحجب فمنه ما شانه ان يرى غير حاجة الى حضور شيء
اخر بعد وجود المتوسط الشاف وهذا هو المضى كالشمس والنار فانه غير
شفاف بل هو حاجب عن ادراك ما وراه فتامل اطلال المصباح فان
احدهما يمنع ان يفعل الثانى فيما هو بينهما ولذلك يحجب البصر عن روية
ما وراه ومنه ما يحتاج الى حضور شيء اخر يجعله بصفة وهذا هو الملون
فالمضى كيفية القسم الاول من حيث هو كك فان الجدار لا يمكن
المضى ان ينير شيئا خلفه ولا هو بنفسه منير فهو الجسم الملون بالقوة واللون
بالفعل انما يحدث بسبب النور فان النور اذا وقع على جرم ما حدث فيه
بياض بالفعل او سواد او خضرة او غير ذلك فان لم يكن كان اسود فقط
مظلما لكنه بالقوة ملون ان عنينا باللون بالفعل هذا الشيء الذي هو
بياض وسواد وحمرة وصفرة وما اشبه ذلك ولا يكون البياض بياضا
والحمرة حمرة الا ان يكون على الجهة التى يراها ولا يكون على هذه الا ان
يكون منيرة ولا يظن ان البياض على الجهة التى يراها والحمرة وغير ذلك
يكون موجودا بالفعل في الاجسام لكن الهوا المظلم يعوق عن ابصاره فان
الهوا نفسه لا يكون مظلما انما المظلم هو الذي هو المستنير والهوا نفسه و
ان كان ليس فيه شيء مضئ فانه لا يمنع ادراك المستنير ولا يستر اللون
اذا كان موجودا في الشيء تامل كونك في غار وفيه هوا كله على الصفة
التى تظنها انت مظلما فاذا وقع النور في جسم خارج موضوع في الهوا الذي
تحسبه نيرا فانك تراه ولا يضرك الهوا المظلم الواقف بينك وبينه بل الهوا
عندك في الحالين كانه ليس بشيء واما المظلمة فهو حال ان لا نرى شيئا و

واللون بعينه القسم الثانى من حيث هو كاك صح

وهو ان لا يكون الكيفيات التى اذا كانت موجودة في الاجرام
التى لا تشف صارت مستنيرة فهي مظلمة وبالقوة فلا نراها ولا
نرى الهوا فيتخيل لك ما يتخيل لك اذا غمضت عينيك و
سترتهما يستحيل لك ظلمة مشوشة تراها كما يكون من حالك و
انت محدق في هوا مظلم وليس كك ولا انت ترى وانت مغمض هوا
مظلما وترى ما ترى من الظلمة شيئا في حفرتك انما ذلك انك لا
ترى وبالجملة فان الظلمة عدم الضو فيما من شانه ان يستنير وهو
الشيء الذي قد يرى لان النور يرى وما يكون فيه النور يرى والشاف
لا يرى البتة فالظلمة هي محل الاستنارة وكلاهما اعنى المحلين جسم
لا يشف فالجسم الذي من شانه ان يرى لونه اذا كان غير مستنير
كان مظلما ولم يكن فيه بالحقيقة لون بالفعل ولم يكن ما يظن ان هناك
الوانا ولكنها مستورة بشيء فان الهوا لا يستر وان كان على الصفة الذي
ترى مظلما اذا كانت الالوان بالفعل لكنه ان سمى انسان الاستعداد
المختلفة التى تكون في الاجسام التى اذا استنارت صار واحد منها الشيء
الذي تراه بياضا والاخر حمرة الوانا فله ذلك الا انه تكون باشتراك
الاسم فان البياض بالحقيقة هو هذا الذي تكون على الصفة التى ترى و
هذا لا تكون موجودا وبينك وبينه شفاف لا يشف ولان الاشفاف
قد تكون شفافا بالفعل وقد يكون شفافا بالقوة وليس يحتاج في ان
تكون بالفعل الى استحالة في نفسه بل الى استحالة في غيره او الى حركة
في غيره وهذا مثل المسلك والمنفذ فانه لا يحتاج في ان يكون بالفعل
الى امر في نفسه بل الى وجود المسالك والنافذ بالفعل واما الاستحالة

التي يحتاج اليها الشاف بالقوة الى ان يصير شافًا بالفعل فهي استحالة الجسم
الملون الى الاستنارة وحصول لونه بالفعل واما الحركة فان يتحرك الجسم
المضيء اليه من غير استحالة فيه فقد عرفت كنه هذا فيما سلف فاذا حصل
احد هذين تادى المرئي وصار هذا شفافًا بالفعل لوجود غيره فحري
بنا ان نحقق امر هذا التادي الان الواجب علينا ان نؤخر الامر فيه
الى ان نذكر شكوكًا يعرض فيما قلناه نسهل من حلها تصحيح ما قلناه فصل
في مذاهب وشكوك في امر النور والشعاع من الناس من ظن ان
النور الذي يشرق من المضيء على الاجسام ليس كيفية تحدث فيها بل اجسام
صغار تكون منفصلة من المضيء في الجهات ملازمة لابعاد مفروضة عنه
تنتقل بانتقاله فيقع على الاجسام فيستضيء بها ومن الناس من ظن ان
هذا النور لا معنى له البتة وانما هو ظهور من الملون بل من الناس من ظن ان
الضوء في الشمس ليس الا شدة ظهور لونها لكنه يغلب البصر فيجب علينا
اولًا ان نتامل الحال في هذه المذاهب فنقول انه لا يجوز ان يكون هذا
النور والشعاع الواقع على الاجسام من الشمس والنار اجسامًا حاملة لهذه
الكيفية المحسوسة لانها اما ان تكون شفافة فلا يخلو اما ان يزول شفيفها
بتراكمها كما يكون الاجزاء الصغار من البلور شفافة ويكون المتراكم بينها غير
شفاف واما ان لا يزول شفيفها فان كانت شفافة لا يزول شفيفها لم
يكن مضيئة اذ قد فرغنا من الفرق بين الشفاف وبين المضيء وان كانت
يعود بالارتكام غير شفافة كان ارتكامها يستر ما تحتها وكلما ازدادت
ارتكامًا ازدادت سترًا والضوء كلما ازداد ارتكامًا لو كان له ارتكام
ازداد اظهار اللون وكذلك اذا كانت هذه المضيئات في الاصل مضيئات

كالنار وما اشبهها فبين ان الشعاع المظهر للالوان ليس بجسم ثم لا يجوز
ان يكون جسمًا ويتحرك بالطبع الى جهات مختلفة ثم ان كانت هي
اجسامًا ينفصل من المضيء ويلقى المستنير فاذا عمت الكوة لم يخل اما ان
تتفق لها ان يعدم او يستحيل او يسبق العام والقول بسبق العام
اعتساف فان ذلك امر يكون دفعة والعدم ايضًا بالسبق من ذلك
الجنس فانه كيف يحكم ان جسمًا اذا تخلل بين جسمين عدم احدهما
واما الاستحالة فيوجب ما قلناه وهي انما يستنير بمقابلة النير فاذا عم
استحالت فما الحاجة ان كان الامر على هذا الى مسافرة اجسام من
جهة المنير ولم لا يكون هذه الاجسام يستحيل بنفسها بالمقابلة
تلك الاستحالة واما الحجج التي يتعلق بها اصحاب الشعاع فمن ذلك
قولهم ان الشعاع لا محالة ينحدر من عند الشمس ويتجه من عند النار وهذه
حركة ولا حركة الا للجسم وايضًا فان الشعاع ينتقل بانتقال
المضيء والانتقال للجسم وايضًا فان الشعاع يلقى شيئًا فينعكس عنه
الى غيره والانعكاس حركة جسمانية لا محالة وهذه القياسات كلها
فاسدة ومقدماتها غير صحيحة فان قولنا الشعاع ينحدر او يخرج او
يدخل الفاظ مجازية ليس من ذلك شيء بل الشعاع يحدث في المقابل
دفعة ولما كانت يحدث عن شيء عال توهم كانه ينزل وان يكون على
سبيل الحدوث في ظاهر الحال اولى من النزول اذ لا نرى البتة في
الطريق ولا يحتاج الى زمان محسوس فلا يخلو اما ان يكون البرهان
دل على انحداره واتى لهم بذلك واما ان يكون الحس هو الدال عليه
وعليه معولهم وكيف يدل الحس على حركة متحرك لا يحس زمانه ولا

بحس في وسط المسافة واما حديث انتقال الشعاع فليس هو باكثر من انتقال
الظل فيجب ان يكون الظل ايض جسما ينتقل وليس واحد منهما بانتقال
بل بطلان وتجدد فاذا تجددت الموازاة تجدد ذلك وان ارتكب مرتكب
ان الظل ايض ينتقل فليس يخ اما ان ينتقل على النور واما ان يكون
النور ينتقل امامه وخلفه فان كان ينتقل على النور ويغطي النور فليفرض
النور المغشي لجميع الارض لا انتقال له وانما يعطيه الظل فيكون دعوى
انتقال النور قد فسد وان كان النور ينتقل امام الظلمة حتى ينتقل الظلمة
ولنفرض المضي واقفا ومعلوم انه اذا كان واقفا وقف معه النور و
هذا يدعوا الى ان يكون حركة ذي الظل سببا لطرد النور ويمكن عده
منهم ان يطردوا النور ايض من الجهات المختلفة والمضي واقف فيظلم
الموضع ح او يكون للنور اذا هرب من الظل طفره من خلف فعاد الى
حيث فارقه الظل وهذه كلها خرافات بل لا الظل يفسخ النور ولا هو و
لا النور بجسم وان كان لهما انتقال فذلك بالتجدد لا ان شيئا واحدا
نفسه ينتقل وانعكاس الشعاع ايض لفظ مجازي فان من شان الجسم
اذا استنار وكان صقيلا ان يستنير عنه ايض جسم يحاذيه من غير
انتقال البتة واما المذهب الاخر وهو المذهب الذي لا يرى لهذا
النور معنى بل يجعله اللون نفسه اذا ظهر ظهورا بينا فان لاصحابه ان
يقولوا ان الذي يعرض في هذا الباب ما يتخيل مع اللون من بريق يلزم
الملونات وليس ذلك البريق شيئا في المرائي نفسه بل امر يعرض للبصر
بالمقايسة بين ما هو اقل ضوء وما هو اشد ضوء وشدة ظهور اللون
لشدة تاثير الشيء المضي فان الانارة التي من السراج اقل قليلا من

الانارة التي من القمر التي هي اقل قليلا من الانارة التي في البيوت
المستورة نهارا عن الشمس بل عن التي في المواضع ذوات الظل التي
ليس فيها شعاع الشمس وذلك لان الفحت يبطل في ظل البيوت اذا
طلعت الشمس فيتلاشى ويكون ما يبصر منها اقوى مما يبصر في الفحت و
الناس لا يرون لما كان في الظل وان كان منيرا براقه شعاعية البتة ويرون
ان نور السراج يفعل في الاجسام بريقا ونور القمر يفعل ذلك وذلك
بالقياس الى الظلمة الليلية فان الظلمة الليلية يخيل ذلك القدر انه شعاع
براق وليس ذلك الا ظهورا ما من اللون والذي للشمس اقوى واشد
تاثيرا فلربما رءى من مشمس شيء سوى اللون ان على الحائط الابيض شيئا
غير البياض وغير ظهوره يسمى ذلك الشيء شعاعا فان قايس مقايس
ذلك بالظل على الحائط فذلك الظل بسبب ظلمه ما يخفى لها من البياض
ما كان يجب ان يظهر وكانه خلطه من الظلمة التي لا معنى لها الا اخفا او زيادة
خفا كما ان النور لا معنى له الا ظهورا او زيادة ظهور ومن هولاء قوم يرون
ان الشمس ليس ضوها الا اشد ظهور لونها ويرون اللون اذا بهر البصر
لشدة ظهوره روي بريق وشعاع يخفى اللون بهر البصر لا لخفاءه في
نفسه وكانه بهته البصر عن ادراك الجلي فاذا انكسر ذلك روي لون
قالوا والحيوانات التي يلمع في الليل اذا المعت لم يحس لونها البتة واذا كان
نهارا كان لها لون ظاهر ولم يكن منها لمعان فذلك اللمعان هو بسبب
شدة ظهور الوانها لا غير حتى يرى في الظلمة ويكون في غاية القوة
حين يظهر في الظلمة فيبهر البصر اذ كانت الظلمة اضعفته فاذا اشرقت
الشمس غلب ظهورها ظهور ذلك فعاد لونها والبصر لم يتحير له لان

البصر قد اعتاد لقا الظاهرات وامتد بطلوع الشمس ومنهم من قال
ليس الامر على هذه الصفة بل الضو شيء واللون شيء لكنه من شان
الضو اذا غلب على البصر ان يستر لون ما فيه والشمس ايضا لها لون ومع
اللون ضو فيستر الضو اللون باللمعان كما للقمر وكما للمسح السوداء الصقيلة
اذا لمعت دون مضيئة ولم ير سوادها قالوا وهذا غير النور فان
النور هو ظهور اللون لا غير والضو ليس هو ظهور اللون بل شيء اخر
قد يخفي اللون وان هذه اللوامع في الليل يظهر نورها في الظلمة
فيخفى لونها واذا ظهرت الشمس غلب نورها وخفي وظهر لونها فالحرى
ان نتامل هذه المذاهب مع فروعها المذكورة **فصل في تمام مناقضة
المذاهب المبطلة لان يكون النور شيئا غير اللون الظاهر وكلام
في الشفاف واللامع** فنقول ان ظهور اللون يفهم منه في هذا
الموضع معنيان احدهما صيرورة اللون بالفعل والاخر ظهور لون
موجود بنفسه بالفعل للعين والمعنى الاول يدل على حدوث اللون
او وجوده لونا والمعنى الثاني يدل على نسبة اللون او وجوده تلك
النسبة وهذا الوجه الثاني ظاهر الفساد فان ظن ان النور نفس
نسبة اللون الى البصر فيجب ان يكون النور نسبة او حدوث نسبة و
لا وجود قوام له في نفسه وان عنى به مصير اللون بحيث لو كان
بصر لراه او كونه كذلك فاما ان يكون هذا نفس اللون او معنى يحدث
اذا زال معنى من خارج كزوال ستر او غيره فان كان نفس اللون كان
هذا هو الوجه الاول وان كان حالا لا يعرض له بها ظهور فيكون الضو غير
اللون واما المعنى الاول فلا يخ ايضا اما ان نعنى به الظهور خروج من

القوة

القوة الى الفعل فلا يكون الشيء مستنيرا بعد ذلك الان الواحد
اما ان يعنى به نفس اللون فيكون قوله الظهور لا معنى له ايضا بل يجب ان
يق ان الاستنارة هو اللون او يعنى به حال يفارق اللون اما دائما
واما وقتا ما حتى يكون اللون شيئا يعرض له النور تارة ويعرض له الظلمة
اخرى واللون في الحالين موجود بالفعل فان كان نفس نسبة الى
ما يظهر له عاد الى المذهب الاخر وان كان شيئا اخر عاد الى ذلك ايضا
فان قررنا الامر على ان الضو وان كان نفس اللون فيكون كان
الضو هو اللون نفسه اذا كان بالفعل فلا يخ اما ان يكون الضو مقولا
على كل لون بالفعل او يكون البياض وحده لونا فيكون السواد
ظلمة فيستحيل ان يكون الجسم الاسود مشرقا بالضو لكن ليس هذا بمستحيل
فان الاسود يشرق وينور غيره فليس الضوء هو البياض وحده وان لم يكن
الضو هو البياض وحده بل كل لون كان بعض ما هو ضو يضاد
بعض ما هو ضوء ولكن الضو لا يقابله الا الظلمة فقط وايضا فان المعنى
الذي به الاسود مضيء غير سواده لا محالة ولذلك هو غير البياض واللون
اعني طبيعة جنسه الذي في السواد هو نفس السواد واللون الذي
في البياض هو نفس البياض لا عارضا له فليس اللون المطلق الجنسي هو
الضو وايضا فان الضو قد يستنير به الشفاف كالما والبلور اذا كان
في ظلمة فوقع عليه الضو وحده ودل عليه واشف فهذا ضو وليس بلون
وايضا فان الشيء يكون مضيئا وملونا فتارة تشرق منه على شيء اخر
الضو وحده كما اشرق على ما او حايط وتارة تشرق منه اذا كان قويا الضو
مع اللون جميعا حتى يحمر الما او الحايط الذي تشرق عليه او يصفره فلو كان

الضو ظهور اللون وكانت الظلمة خفا اللون لكان تاثير اللون الاحمر فيما يقابله
حمرة لا يبقا ساذجا وان كان هذا ظهور لون اخر فلم اذا اشتد فعل
فيما يقابله اخفى لونه بان يبدل لون هذا القوى اللون اليه وعلى ان
يذهب هذا الانسان يوجب ان الخضرة او الحمرة وغير ذلك مخالطة
من ظهورات وخفاات سواده فيلزمه من ذلك انه اذا كان جسم
ظاهر اللون لشعاع وقع عليه العكس على المعنى الذي يفهمه ضوء جسم
اخر ذي لون ان لا يقع لونه عليه لانه لا يخلو اما ان يكون هذا المستنير
المنير لغيره الاجزا الظاهرة اللون وحدها او مع غيرها فان كانت
وحدها فهى انما يوجب ظهور اللون فى تلك بان يبصر لا خفاء اللون
بان يحمر او يخضر وان كانت مع غيرها حتى كانت الظاهرة اللون والخفية
اللون يفعلان جميعا هذا خفا وذلك اظهارا فيكون لخفاء اللون
تاثير فى المقابل لكن خفا اللون ليس له هذا التاثير الا ترى انه اذا كان
خفا لون مجرد لم يؤثر فيما يقابله كما يؤثر ظهور اللون الذي يقوله
به لو كان مفردا فان قالوا ان اللون ظهور الحمرة ايضا والخضرة وغير ذلك
من حيث هو حمرة وخضرة وان الخضرة اذا اشتد ظهورها فعلت مثل
نفسها ففعلت خضرة وحمرة فبقى ما باله اذا كان قليل الظهور اظهر اللون
فيما يقابله على ما هو عليه على المعنى الذي هو ضوء مجرد فقط وفعل مثل
ما يفعله مضى لو لم يكن له لون فاذا اشتد ظهوره ابطله او اخفاه بلون
نفسه وكان يجب اول الامر ان يكون انما يفعل فيه لونا من لونه قليلا ثم
اذا اشتد فعل فيه كثيرا فكان كل فعل يفعله انما هو اخفا لون ذلك
يمزجه بلونه وليس كذلك بل يظهر اول شيء لونه اظهارا شديدا وانما يظهر

فيه اللون

فيه اللون الذي فى استعداده ما لو حضر مضى لا لاخضر ولا احمر فى
فعله ثم يعود بعد ذلك اذا صار اقوى ظهورا احدا فى ابطال لونه
واخفائه والباسه لونا اخر ليس فى جبلته ولا طبيعته فيكون اذن
احد الفعلين عن شيء غير الاخر فيكون مصدر احد الفعلين عن
الضو الذي لو كان الجسم لا لون له وله ضوء لكان يفعل ذلك مثل
بلوره مضيئة والفعل الاخر يلون من لونه اذا اشتد ظهوره وبسبب
هذا الضو حتى صار متعديا فانا وان كنا نرى ان الضو ليس هو ظهور
اللون فلا يمنع ان يكون الضو سببا لظهور اللون وسببا لفعله ونرى
ان الضو جزء من جملة هذا المركب الذي يسمى لونا وهو شيء اذا خالط
اللون بالقوة حدث منهما الشيء الذي هو اللون بالفعل بالامتزاج
فان لم يكن ذلك الاستعداد كانت انارة وبريقا مجردا فالضوء
كجزء من الشيء الذي هو اللون ومزاج منه كما ان البياض والسواد لهما
اختلاط ما يحدث عنه تلك الالوان المتوسطة واما قول القائل
ان الضو واللمعان ليس الا ظهور اللون ثم قوله فى الاشيا اللامعة
فى الليل ما قاله فيبطل بان السراج والقمر كثيرا ما يبطلان لمعان
تلك ويظهر ان الوانها فيجب ان يكون نور السراج اشد ظهور لون
فيجب ان يكون ابيض ما يصير بالسراج ظاهر اللون لا يرى فى الظلمة
له لون والامر ليس كذلك فان اللامعات يرى ابيض بالليل كما
يرى بريقها فليس ما قاله لوم بحق واما القائل ان للشمس والكواكب
الوانا وان الضو مخفى لونها فيشبه ان يكون الحق ان بعض الاشيا
يكون له فى ذاته لون فاذا اضا اشتدت اضاءته حتى يبهر البصر

فلم يميز اللون ومنه ما يكون لمكان اللون الضوء وهي الشيء الذي
يكون الضوء له طبعيًا لازمًا غير مستفاد وبعض الاشيا مختلط
الجوهر من ذلك الامر اما اختلاط تركيب اجزا مضيئة واجزا ذوات
الوان كالنار واما اختلاط امتزاج الكيفيات كما للمريخ ولزحل وليس
يمكنني ان احكم في امر الشمس الان بشيء فقد عرفنا حال الضوء
حال النور وحال اللون وحال الاشفاف فالضوء هو كيفية هي كمال
بذاتها للشفاف من حيث هو شفاف وهو ايضا كيفية ما للمبصر بذاته
لا بعلة غيره ولا شك ان المبصر بذاته يحجب عن ابصار ما وراءه والنور
كيفية يستفيدها الجسم الغير الشفاف من المضيء فيكمل بها الشفاف
شفافًا بالفعل واللون كيفية يكمل بالضوء من شانها ان يصير الجسم
مانعًا لفعل المضيء فيما توسط ذلك الجسم بينه وبين المضيء فالاجسام
مضيئة وملونة وشفافة ومن الناس من قال ان من الاجسام ما يرى
بكيفية في ذاتها ومنها ما يرى بكيفية في غيرها وجعل القسم الاخير هو
الشفاف واما القسم الاول فقد جعله اولا قسمين احدهما ما يرى
في الشفاف لذاته وبحضوره وهو المضيء وثانيهما ما ليس كذلك ثم قسم هذا
بقسمين احدهما ما يشترط في روية الضوء مع شرط الشف وهو اللون
والثاني ما يشترط في روية الظلمة مع شرط المشف كالحيوانات التي تلمع
في الليل من حيث تلمع كاليراعة وبعض الحسب المتعفن بعض الدود و
قد رايت انا بيضة الدجاجة بهذه الصفة وحواده ميتة بهذه الصفة
وليست هذه القسمة بمرضية ولا صحيحة فان المضيء يرى لذاته في الظلمة
وفي الضوء جميعًا فان اتفق ان لم يكن فيه راى ايضا كالنار يراها الانسان

في الضو سواء كان ضوءها او ضوء غيرها ويراها في الظلمة واما الشمس
فانما ليس يمكننا ان نراها في الظلمة بسبب انها حيث تكون مقابلة
لبصر الراي قد ملات العالم ضوءا ولم يترك مكانا مظلما واما الكواكب
فانها انما ترى في الظلمة لان ضوءها يقصر عن ضوء الشمس فلا يضيء
الاشيا ولا ينورها بل لا يمنع ان يوجد وقد يمكن ان يكون ومعها ظلمة
فيرى في الظلمة لا لان الظلمة سبب لان يرى هي بالذات بل يجب ان
يعلم ان بعض الانوار يغلب بعضا حتى لا يرى كما ان ضوء الشمس يغلب
ضوء النار الضعيفة وضوء الكواكب فلا يرى بمضيئة عند ضوء الشمس
فلا يرى لا لاجل الحاجة في رويتها الى الظلمة بل للحاجة الى ان يكون في
انفسها مضيئة غير مظلمة بالقياس الى ابصارنا فاذا كانت الشمس غايبة
ظهرت وروئيت ولانها صارت مضيئة بالقياس الى ابصارنا وبحال
في ابصارنا وربما كان حكم النار والقمر عند ضوء ما هو اضعف منهما
هذا الحكم بعينه ويجب في ذلك الضوان لا يكون موجودا بالقياس
الينا عند ظهور نار او قمر فيلزم ان يكون ظلمة حتى يظهر او يلزم ان لا
يكون موجودا باهرا حتى يرى ويتمكن البصر من ادراكه وانت تعلم
ان الهبا الذي في الحواس من جنس ما لا يرى المستنير منه الا في
الظلمة لكن اذا كان الانسان في الظلمة وقد وقع على هذه الهبات
شعاع الشمس امكن ان يرى تلك الهبات وان كان الانسان
في الشعاع لم يمكن وذلك الامر في بصر الانسان لا لامر في الضو
الهبات فان بصر الانسان اذا كان مغلوبا بضوء كثير لم يرها و
ان لم يكن مغلوبا راها وكذلك هذه اللوامع في الليل ليست

جنسًا آخر بل هو المضيئات ويخالفها لا في جملة الطبع بل في الضعف
ولو كانت هذه مخالفة للمضيئات في جملة الطبع فالكواكب كان مبهور
بعض ومعنى ذلك البهر ليس تأثيرًا منها فيها بل في ابصارنا كما ان بعض
الصلابات اصلب وبعضها اضعف فلا يجب اذن ان نرى ان اللواتي
يلمع في الليل نوع او جنس مفرد خارج عن الملونات والمضيئات بل
هي من جملة المضيئات التي يبهرها ما فوقها في الاضاءة فلا يرى
معها لعجز ابصارنا بل انما يقوى عليها ابصارنا عند فقدان سلطان
الباهرة لابصارنا من المضيئات فان ذهبوا الى هذا فالقسمة جيدة
الا انهم ليس يذهبون الى هذا بل يوهمون ان المضيئات طبقة
والملونات طبقة وهذه طبقة والله اعلم فصل في تأمل مذاهب قيلت
في الالوان وحدوثها ومما يجب ان يفرغ عنه لم يكن سبيل الى
ان يدل على صحة ما ذهبنا اليه بطريق القسمة فنقول ان من المذاهب في
الالوان مذهب من يرى ان اللون الابيض انما تكونه من الهواء والضوء
وان الاسود تكونه من ضد ذلك وان حدوث اللون الابيض
هو من الشفاف اذا انقسم الى اجزاء صغار ثم ارتكم فانه يعرض هناك
ان تقبل سطوحها النور فيضيء ولانها شفافة يؤدي بعضها اضاءة
بعض ولانها صغار يكون ذلك فيها كالمتصل ولان المشف لا يرى
الا بكون غيره فان شفيفها لا يرى لكن العكوس عن السطوح المتراكمة
منها يرى متصلة ويرى الجميع ابيض قالوا ولهذا ما كان زبد الماء ابيض
لمخالطة الهواء والثلج ابيض لانه اجزاء صغار جامدة شفافة خالطها الهواء
ونفذ فيها الضوء والبلور المسحوق والزجاج المسحوق لا يشف واي

هذه الصلبة سطوحها ايضا لا يبطل بانفراد كل شخص منها
بنفسه عادت شفافة والشفاف الكثير الحجم اذا عرض فيه شق روي
ذلك الموضع منه الى البياض قالوا فاما السواد فيتخيل لعدم غور
الجسم وعمقه الضوء والاشفاف معًا ومنهم من جعل الماء سببًا للسواد
قال ولذلك اذا بلت الاشياء مالت الى السواد قال وذلك لان
الماء يخرج الهواء ولا يشف اشفافه ولا ينفذ فيه الضوء الى السطوح فيبقى
مظلمة ومنهم من جعل السواد لونًا بالحقيقة ومن اصل الالوان قال
ولذلك لا ينسلخ واما البياض فعارض للمشف بتراكمه ولذلك يمكن
ان يصبغ ولا يبعد ان يكون المذهب الاول في السواد يؤدي
الى هذا المذهب ايضا اذ جعل السواد حقيقة ما لا يشف من جهة
ما لا يشف وهو حقيقة اللون المنعكس عنه وقال قوم ان الاسطقسات
كلها مشفة وانها اذا تركبت حدث منها البياض على الصفة المذكورة
وبان يكون ما يلي البصر سطوحًا مسطحة من المشف فينفذ فيها البصر و
ان السواد يعرض اذا كان ما يلي البصر من الجسم دوائر تمنع الاشفاف
للاطراف التي يقع فيها فهي وان اضاءت فما لا ينفذ فيها الضوء نفوذًا
جيدًا مظلم والذي يصعب من هذه الجملة فصل القول فيه بولد البياض
من الضوء وكون السواد لونًا حقيقيًا فانا نعرف ان المشفات تبيض
عند السحق والخلط بالهواء وكذلك اللخالخ والنواطف تبيض لاجتماع
احتقان الهواء فيه مع الاشفاف الذي في طبعه ونعلم ان السواد لا
يقبل لونًا البتة كما ان البياض يقبل فكان البياض لا شفافية
موضع معرى مستعد والمعرى عن الكيفيات قابل لها من غير حاجة

الى ان لم شيء والمشغول بواحدة لا يقبل غيرها الا بزوالها فهؤلاء قوم
اخرون لا يقولون بالاشفاف البتة ويرون الاجسام كلها ملونة
ولا يجوز ان يؤخذ جسم الا وله لون ولكن الثقب والمنافذ الحالية اذا
كثرت في الاجسام نفذ فيها الشعاع الخارج من المضي الى الجهة الاخرى
ونفذ ايضا شعاع البصر فروى ما وراها فاما المذهب الاول فانى
لعمري انه قد ظهر من دون المشف وخلطه بالهوا لون ابيض ولكن
انما يكون ذلك لا في جسم متصل ومجتمع بل انما يظهر ذلك اللون
في الركام منه وانه اذا جمع وبل زال عنه البياض عند الاجتماع و
الجفوف وليس الجص على ما اظنه ويوجبه غالب ظني انما يبيض
بياضه لذلك فقط بل لان الطبخ يجعله اذا بل ثم جف ابيض بياضا
شديدا بمزاج يحدث فيه والدليل على ذلك انه لو كان فعل النار في
الجص ليس الا تسهيل التفريق فان تسهيل التفريق قد يوصل الى الطريقة
التي ذكر انها سبب لكون البياض لكان السحق الكثير المودي الى
غاية تصغير الاجزا يفعل ذلك الفعل في الجص وفي النورة وفي
غيره ولكان المهي بالسحق والتصويل اذا اجمع في الما فعل فعل الجص من
البياض وليس كذلك ثم لنفرض ان الجص تكون فيه ذلك على الصورة
المذكورة فليس كل بياض يحدث على هذه الصفة فان
البيض اذا سلق يصير بياضه الشفاف ابيض وليس يمكن ان يقال ان
النار زادته تخلخلا وتفرقا فانه قد زادته تكاثفا على حال ولا انه قد حدث
فيه هوائية وخالطته فاول ذلك ان بياض البيض يصير عند الطبخ اثقل
وذلك لما يفارقه من الهوائية وثانيا انه كانت هوائية داخلت رطوبته

فيبيضه لكانت خثورة لا انعقادا وقد علمت هذا قبل وايضا فان
الدوا الذي يتخذه اهل الحيلة ويسمونه لبن العذرا يكون من
خل طبخ فيه المرداسنج حتى انحل فيه ثم صفي حتى بقي الخل في غاية
الاشفاف والبياض وخلط بما طبخ فيه القلي وصفي غاية التصفية
حتى صار كانه دمعة فانه ان قصر في هذا لم يلتئم منها المزاج الذي
يطلبونه فكما يخلط هذان الما ان ينعقد فيه المحل الشفاف من
المرتك ابيض في غاية البياض كاللبن الرائب ثم يجف فليس
ذلك لان هناك شفافا عرض له التفريق فان ذلك كان
متفرقا منحلا في الخل ولا اجزا مشفة صغارا جدا تدانت وتقاربت
بل ان كان ولا بد فقد ازدادت في ماء القلي مفرقا ولا ايضا خالطها
هوا من خارج بوجه من الوجوه بل ذلك على سبيل الاستحالة
فليس كل تولد بياض فيما احسب على الصفة المذكورة ولو لم
يكن البياض الاضوء والسواد الا ما قيل لم يكن تركيب البياض
والسواد الا اخذا مسلكا واحدا بيان هذا ان البياض يتجه الى السواد
قليلا قليلا من طرق ثلثة احدها طريق الغبرة وهو الطريق الساذج
فانه اذا كان السلوك ساذجا يتوجه منها الى الغبرة ثم منها الى
العودية ثم كذلك حتى يسود فيكون سالكا طريقا لا يزال يشتد
فيه السواد وحده يسيرا يسيرا حتى يمحض والثاني الطريق الاخذ
الى الحمرة ثم الى القتمة ثم الى السواد والثالث الطريق الاخذ الى
الخضرة ثم الى النيلية ثم الى السواد وهذه الطرق انما يجوز اختلافها
بجواز اختلاف ما يتركب عنه الالوان المتوسطة فان لم يكن الا

بياض وسواد ولم يكن اصل البياض الا الضوء وقد استحال ببعض هذه
الوجوه لم يمكن في طريق البياض والسواد الا الاخذ في طريق واحد
لا يقع الاختلاف الا فيه وقوعا بحسب النقص والاستبداد فيه فقط
ولم يكن طريق مختلفة فان كانت طرق مختلفة فيجب ان يكون
شوف من غير البياض والسواد مع ان يكون شوبا من مرئي وليس في الاشيا
شيء يظن انه مرئي وليس سوادا ولا بياضا ولا مركبا منهما الا الضوء عند
من يجعل الضوء شيئا غيرهما فان بطل مذهبه امتنع استحالة الالوان
في طرف شيء وان امكنت هذه الاستحالة وجب ان يكون مرئي ثالث
خارج عن احكام البياض والسواد ولا وجه ان يكون هذا المرئي الثالث
موجودا الا ان يجعل الضوء غير اللون فمن ههنا يمكن ان يركب الالوان
فيكون البياض والسواد اذا اختلطا وحدهما كانت الطريقة في طريقة
الاغبر اولا غبر فان خالط السواد ضوء فكان مثل الغمامة التي يشرق عليها
الشمس ومثل الدخان الاسود يخالطه النار كان حمرة ان كان السواد غالبا
او صفرة ان كان السواد مغلوبا وكان هناك عليه بياض مشرق ثم ان
كان هناك صفرة خلطت بسواد ليس في اجزائه اشراق حدثت الخضرة
وبالجملة اذا كان الاسود ابطن والمضيء اظهر والحمرة بالعكس ثم ان كان
السواد غالبا في الاول كانت قتمة وان كان السواد غالبا في الثاني كان
كراسة تلك الشديدة التي لا اسم لها وان خلط ذلك ببياض كانت
كهو به زنجاريه وان خلط بالكراثية سواد وقليل حمرة كانت نيلية و
ان خلط بالحمرة نيلية كانت ارجوانية فبهذا يمكن تاليف الالوان سواء
كان بامتزاج الاجرام او بامتزاج الكيفيات ولو كانت هذه لا يكون الا

باختلاط

باختلاط الاجسام وقد علم ان الاسود لا يصبغ منه الضوء بالعكس حسا
البتة اسودا لكان يجب ان يكون الالوان الخضر والحمر انما ينعكس
منها البياض ولا ينعكس من الاجزاء السود شيء وخصوصا وهي
ضعيفة منكسرة فان قيل فقد نراها ينعكس عن المخلوط فالجواب
ان ذلك لان الخلط يجب منه الفعل والانفعال ويجب بسبب
ذلك امتزاج الكيفية وسوا فعليه الصناعة او الطبيعة على ان الطبيعة
يقدر على المزاج الذي على سبيل الاستحالة والصناعة لا يقدر
عليه بل يقدر على الجمع فربما اوجبت الطبيعة بعد ذلك استحالة
والطبيعة يقدر على تلطيف المزاج الذي على سبيل الخلط وتصغير
الاجزا والصناعة يعجز عن ذلك الاستقصا والطبيعة لا يتناهى
مذاهبها في القسمة والنسبة قوة وفعلا والصناعة لا يمكن ان
يخرج جميع ما في الضمير منها الى الفعل فقد بان من هذا ان البياض
بالحقيقة في الاشيا ليس بضوء لسنا نمنع ان يكون للهواء تاثير في
امر التبييض ولكن ليس على الوجه الذي يقولون بل احداث المزاج
التبييض ولذلك ليس لنا ان نوافق ان بياض الناطف كله من الجهة
التي يقولون بل من المزاج فان الهوا يوجب لونا ابيض لا بحسب
المخالطة فقط بل بحسب الاحالة ايضا ولو كان مذهبهم صحيحا لكان
يمكن ان يبلغ بالشيء الابيض والملون لشدة الترقيق حتى يذهب
تراكمه الى ان يشف او الى قريب منه وهذا مما لا يكون واما قولهم ان
الاسود غير قابل للون اخر فاما ان يعنوه على سبيل الاستحالة فقد
كذبوا ومما يكذبهم الشاب والسبب وان عنوا على سبيل

لا
الصبغ فذلك حال مجاوره لا حال كيفية فلا يبعد ان تكون الشيء المسود لا
تكون مسودًا الا وفيه قوة نافذة متعلقة فباضه فيخالط وينفذ ويلزمه و
ان يكون ما هو موجود فى الاشيا البيض بخلاف ذلك فى طبعه ولا
يمكنه ان تغشى الاسود ويداخله ويلزمه على ان ذلك ايض ليس مما لا
يمكن فانه اذا احيل بمثل الاسفيداج وغيره حله ما حتى يغوص ويتحلل
السواد صبغة ابيض واما المذهب الثانى فان ذلك لا يستقيم القول به
الا اذا فرض الخلا موجودًا وذلك لان المسام التى يذكرونها لا تخ اما
ان يكون مملوة من جسم او تكون خالية فان كانت مملوة من جسم فاما ان
تكون ذلك الجسم يشف من غير مسام او تكون له ايض مسام وينتهى لا محة
اما الى مشف لا مسام له وهذا خلاف قولهم واما الى خلا فيكون مذهبهم
يقتضى وجود الخلا والخلا غير موجود ثم بعد ذلك فانهم يقولون انه ليس
كل مسام يصلح لتحصيل الاشفاف بل يجب ان تكون المسام مستقيمة
الاوضاع من غير تعريج حتى ينفذ فيها الشعاعات على الاستقامة
فليخرط كرة من جمد بل من بلور بل من ياقوت ابيض شفاف فهذه المسا
التى يكون فيها شفافة مستقيمة ههنا تكون كك طولًا فهل يكون كك
عرضًا وهل يكون كك قطرًا ومن اى جهة اتت فكيف تكون مستقيمات
يداخل مستقيمات فتكون من اى جهة تاملتها لا يعرج فمن الضرورة ان
يعرض من بعض الجهات خلاف الاستقامة ووقوف الاجزا التى لا مسام
لها فى سمت الخطوط التى يتوهم خارجة على الاستقامة من العين او
تكون الجسم خلا كله وهذا مح فيجب ان تكون الكرة اذا اختلف منك
المقامات فى استشفافها اختلف شفيفها ضرورة ثم كيف تكون حال

جسم

جسم فيه من المسام والمنافذ ما يخفى لونه حتى يراه كانه لا لون له ولا
فى نفسه لون ولا يستر لونه شيا ملصقًا بما وراءه بل يودى ما وراءه
بالحقيقة فان احدث سترًا فانما يحدث شيئًا كانه ليس فيكون لا محة
الثقب التى فيه اكثر كثيرًا من الملاء الذى فيه فكيف يجوز ان
تكون لها استمساك الياقوت وهو كله فرج ولو ان انسانًا
احدث فى الياقوت منافذ ثلثة او اربعة ثم حمل عليه باضعف قوة
لانرض وانكسر فهذا المذهب ايض مح فالالوان اذن موجودات
وليس وجودها انها اضوا ولا الاضوا ظهورات لها ومع ذلك فليس
هى ما هى بالفعل بغير الاضوا والمشف ايض موجود وهذا ما اردنا
بيانه الى هذه الغاية وقد بقى علينا ان نحرر عن حال الابصار انه
كيف تكون ويتعلق بذلك تحقيق كيفية الاضواء فى المشف

فصل فى اختلاف المذاهب فى الرؤية وابطال المذاهب الفاسدة بحسب الامور انفسها

فنقول ان المذاهب المشهورة فى هذا الباب
مذاهب ثلثة وان كان كل مذهب منها يتفرع احدها مذهب من يرى
ان شعاعات خطيه تخرج من البصر على هيئة مخروط يلى راسه العين و
قاعدته المبصر وان اصحها ادراكًا هو السهم منها وان بصر الشيء هو
نقل السهم فيه ومنها مذهب من يرى ان الشعاع قد يخرج من البصر
على هيئة الا انه لا يبلغ كثرته ان تلاقى نصف كرة السما الا بانتشار
يوجب انتشار الرؤية ولكنه اذا خرج واتصل بالهوا المضى صار ذلك
الة له وادرك بها ومنها مذهب من يرى انه كما ان ساير المحسوسات ليس
تكون ادراكها بان يرد عليها شيء من الحواس نازلًا اليها متصلًا بها او مرسلًا

دسوگا اليها كك الابصار ليس يكون بان يخرج شعاع البتة فيلقى المبصر بل
بان ينتهى صورة المبصر الى البصر بتادية الشفاف اياه وقد استدل
الفريقان الاولان وقالوا انما جاز في ساير الحيوان ان ياتيها المحسوسات
لانها يصح ادراكها بالملامسة كاللمس وكالذوق وكالشم الذى تستقرت
الروايح بالتنشق للملامسة وينفعل به وكالصوت الذى ينتهى به التموج
الى السمع ثم ان البصر ليس يمكن فيه ذلك لان المرئي ينفصل ولذلك
لا يرى المقرب فيه ولا ايضا من الجايز ان ينتقل اليه عرض موجود في جسم
مرئي اعني لونه وشكله فان الاعراض لا ينتقل فاذا كانت الصورة على
هذا فبالحري ان يكون القوة الحاسة يرحل الى موضع المحسوس للملامسة
ومح ان ينتقل القوة الا بتوسط جسم يحملها ولا يكون هذا الجسم الا
لطيفا من جنس الشعاع والروح فلذلك سميناه شعاعا ولوجود جسم
مثل هذا في العين ما يرى الانسان في حال الظلمة ان نورا قد انفصل
من عينيه واشرق على انفه او على شيء قريب مقابله وايضا فان الانسان
اذا اصبح ودعاه دهش الاستاه الى حك عينيه فانه يرى له شعاعات
قدام عينيه وايضا فان الثقبة العنبية يمتلى من احدى العينين اذا غمضت
الاخرى وفي التحديق المفرط ايضا فلا محالة ان جسما بهذه الصفة ياتي
اليها ثم ان الفرقة الثانية استنكرت ان يكون جسم مثل العين يسع من
الشعاع ما يتصل خطا واحدا بين البصر والكواكب الماسة فضلا عن
خطوط ينتهى الى ما يرى من العالم وخصوصا ولا يرى ما يرى
منها الا متصلا مستوى الاتصال فيجب ان يكون ما يرى به منفصلا
واستنكرت ايضا ان يتحرك هذا الشعاع الخارج في زمان غير محسوس

حركة من العين الى الثوابت وقالوا يجب ان يكون نسبة زمان
حركتك نحو شيء بينك وبينه ذراعان الى زمان الحركة الى الكواكب
الماسة نسبة المسافتين فيجب ان يظهر بين الزمانين اختلاف وربما
احتج بهذا اصحاب المذهب الثالث ايضا على اصحب الشعاع الخطى
ولم يعلموا ان هذا فاسد وذلك لانه يمكن ان يفرض زمان غير محسوس
قصرا فيجعل فيه الحركة التى للشعاع الى الثوابت ثم يمكن ان ينقسم
هذا الزمان الى غير نهاية فيمكن ان يوجد فيه جزء او بعض نسبته اليه
نسبة المسافة المستقصرة الى المسافة المستبعدة فيكون الزمانان
اللذان بينهما البعد كلاهما غير محسوسين قصرا لكن لاصحاب الشعاعات
حجة في حلها ادنى صعوبة وهو قولهم ان المرئي يشهد بوجود هذه
الشعاعات وانعكاسها وذلك انه لا يخ اما ان يكون البصر يتادى
اليه صورة المراة وقد تادى اليها صورة المرئي فتمثله متشبحة فيها واما
ان يكون ما يقوله من ان الشعاع يخرج فتلقى المراة ثم يصير منها الى
ان يلقى ما ينعكس عليه على زاوية مخصوصة واذا بطل القول الاول بقى
القول الثاني ومما يصح به بطلان القول الاول انه لو كانت هذه الصورة
متشبحة في المراة لكانت لا محالة يتشبح في شيء بعينه من سطحها واذا انعكس
الضوء واللون معا فيتاديا في المشف الى غير الحامل لهما الاول فانما يتمثل
المتادي من ذلك في بقعة واحدة بعينها يرى على فيها على اختلاف مقاما
الناظر وليس الشبح الذي في المراة بهذه الصفة بل ينتقل فيها بانتقال
الناظر ولو كان انما ينتقل بانتقال المرئي فقط لم يكن في ذلك اشكال
واما انتقاله بانتقال الناظر فدليل على انه ليس هناك بالحقيقة موضع

يتشبح فيه الصورة ولكن الناظر اذا انتقل انتقل مسقط الخط اذا انعكس
الى المرآى فعل الزوايا المخصوصة فراى بذلك الخط بعينه المرئي وراى
جزا من المراة اخر فيتخيل انه في ذلك الجزء الاخر من المراة ولذلك لا يزال
ينتقل ثالوا ومما يدل على صحة هذا ان الناظر الذي للانسان قد ينطبع
فيه شبح مرئي ينعكس عنه الى بصر ناظر حتى يراه هذا الناظر الثاني ولا
يراه صاحب الحدقة التى تمثل فيها الشبح بحسب التخيل ولو كان لذلك
حقيقة انطباع في ناظرة لوجب على مذهب اصحاب الاشباح ان
يتساوى كل منهما في ادراكه فان عندهم ان حقيقة الادراك تمثل
شبح في الناظر فيكون كل من تمثل في ناظرة شبح راه قالوا فمن هذا يحكم
ويقول ان الناظر في المرآة يتمثل له في المرآة انه يرى صورته وليس كذلك
بل الشعاع اذا لاقى المرآة فادركها كر منعكسا فلاقى صورة الناظر فادركها
فاذا راى المراة ونفسه في سمت واحد من مخرج الخط الشعاعي يتخيل ان
احدهما في الاخر قال والدليل على ان ذلك ليس منطبعا في المرآة انه
يرى المرئي في المرآة بحيث لا يشك انه ليس في سطح المرآة وانما هو كالغائص
فيه والبعد عنه وهذا البعد لا يخ اما ان يكون بعدا في غور المرآة وليس
للمرآة ذلك الغور ولا ايض ان كان لها ذلك الغور كانت المرآة مما
يرى ما يتشبح في باطنها فبقي ان يكون ذلك البعد بعدا في خلاف جهة
غوره فيكون بالحقيقة انما ادرك الشيء بذلك البعد من المرآة فلا يكون
قد انطبع شبحه في المرآة فيلزمنا اول شيء ان نبطل المذهبين الاولين
فيثبت صحة مذهبنا وهو الثالث ثم نتكلم على هذه الشبه فنحلها
فنقول ان الشيء الخارج من البصر لا يخ اما ان يكون شيئا قائم الذات

ذا وضع

ذا وضع ويكون جوهرا جسمانيا واما ان يكون شيئا لا قوام له بذاته و
انما تقوم بالشيء المشف الذي بين البصر والمبصر ومثل هذا الشيء
فلا يجوز ان يقال له بالحقيقة انه خارج من البصر ولكن يجب ان يقال
انه انفعال للهوا من البصر ويكون الهوا لذلك الانفعال معينا في
في الابصار وذلك على وجهين اما على سبيل اعانة الواسطة واما
على سبيل اعانة الالة وقبل الشروع في التفصيل فاني احكم حكما
كليا ان الابصار ليس يكون باستحالة من الهوا الى حالة يعين البصر البتة
وذلك لان تلك الحالة لا محالة تكون هيئة في الهوا ليست معنى اضافيا
بحسب ناظر دون ناظر فانا لا نمنع وجود هذا القسم بل نقول لا بد منه و
لا بد من اضافة تحدث للهوا مع الناظر عند نظره بتلك الاضافة يكون
الابصار وانما نمنع وجود حالة وهيئة قارة في نفس الهوا وذاته يصير بها
الهوا ذا كيفية او ضعفه في نفسه وان كانت لا يدوم له ولا يوجد عند
مفارقة الفاعل او يوجد لان مثل هذه الهيئة لا تكون له بالقياس الى
بصر دون بصر بل تكون موجودة له عند كل شيء كما ان الابيض ليس
ابيض بالقياس الى شيء دون شيء بل هو ابيض بذاته وابيض عند كل شيء
وان كان لا يبقى ابيض مع زوال السبب المبيض ثم لا يخ اما ان تكون
تلك الهيئة تقبل الشدة والضعف فتكون اضعف واقوى او تكون
على قدر واحد فان كان على قدر واحد فلا يخ اما ان تكون العلة الموجبة
تقبل الاشد والانقص او لا تقبل فان كانت طبيعة العلة تقبل الاشد
والانقص وتلك الطبيعة لذاتها تكون علة فيجب ان يتبعها المعلول
في قبول الاشد والانقص فانه من المح ان يفعل الضعيف الفعل الذي

يفعل القوى نفسه اذا كانت قوية وضعفه امرا فى طبيعة الشى بما هى
علة فيجب من ذلك ان القوى المبصرة الفاعلة فى الهوا اذا كثرت و
ازدحمت كان حدوث هذه الالة والهيئة فى الهوا اقوى وان تكون
قوى البصر اشد فى احالة الهوا الى هذه الهيئة من ضعف البصر و
خصوصا فليس هذا من باب ما لا يقبل الاشد والاضعف لانه من
باب القوى والحالات فى القوة ولا يكون قوتها كما ذكرنا بقياس
بصر دون بصر بل نفسها كما قلنا فيجب ان تكون ضعفا الابصار
اذا اجتمعوا راوا اقوى واذا تفرقوا راوا اضعف وان ضعف البصر
اذا بعد تحت قوى البصر رأى اشد وذلك لان الهوا يستحيل الى
تلك الهيئة كيف كانت اجتماع العلل الكثيرة والقوية استحالة اشد
فيكون اداؤه للصورة ومعونته فى الابصار اقوى وان كان ضعف
نفس البصر يزيد خللا فى ذلك فاجتماع الضعيفين معا ليس كحصول
ضعف واحد كما ان ضعيف البصر لا يستوى حال ابصاره فى الهوا
الكدر والهوا الصافى لان الضعيف اذا وجد معونة من خارج كان
لا محالة اقوى فعلا ثم نحن نشاهد ضعيف البصر لا يزيده اقتران اقويا
البصر او اجتماع كثرة ضعفا البصر معه شيئا فى ابصاره فبين
المقدم باطل ولنعد الى التفصيل الذى فارقناه فنقول لا يخلو الهوا
اما ان يكون الة واما ان يكون واسطة فان كانت الة فاما ان يكون
حساسة واما ان يكون مودية ومحال ان يقول قائل ان الهوا قد استحال
حساسا حتى ان يحس الكوكب ويؤدى ما احسه الى البصر ثم ليس
كل ما يصيره يلامسه الهوا فانا قد نرى الكواكب الثابتة والهوا لا يلاقيها

وما اقبح بنا ان نقول ان الافلاك التى فى الوسط ايضا ينفعل عن بصرنا
ويصير الة كما يصير الهوا الة له فان هذا مما لا يقبله عاقل محصل
او نقول ان الضوء جسم مبثوث فى الهوا والفلك يتحد بابصارنا
ويصير الة لها فان ساعدنا على هذا القبيح فيجب ان لا نرى كليه
جسم الكواكب بعد تسليمنا باطلا اخر وهو ان فى الفلك مسامّ
وذلك لانه لا يبلغ مسامها ان يكون اكثر من جرمها فيجب ان
يكون الكوكب المنظور اليه انما نرى منه اجزاء ولا نرى اجزاء
ثم ما اشد قوة ابصارنا حتى يحيل الهوا كله والضيا المبثوث
فى اجسام الافلاك بزعمهم الى قوة حساسة او الى نوع شبيه
ثم الهوا والضوء ليسا متصلين ببصر دون بصر فلم يؤديان ما يحسان
الى بصر دون بصر فان كان من شرط البصر الذى يرى ان
يقع فى مسامتة المرئى حتى يؤدى روح الهوا اليه ما احس فليس
احساس الهوا بعلة لوصول المحسوسات الى النفس ولكن وقوع
البصر من المبصر على نسبة وتوسط الهوا بينهما فان كان الهوا
يحس بنفسه ويؤدى ايضا فما علينا من احساسه فى نفسه بل انما
المنتفع به فى ان نحس نحن بادراكه المرئى الينا ولا بنا الى انه يحس فى
نفسه ولا يحس فى نفسه اللهم الا ان يجعل احساسه لا احساسنا
فيكون الفلك والهوا كله يحس لاجلنا واما اذا لم يجعل ذلك الة
بل وسطه ينفعل اولا من البصر ثم يسم كونها واسطة فبالحرى
ان نتأمل انه اى انفعال ينفعل اولا من البصر قوة حياة وهو مستقر
بسيط هذا لا يمكن او يصير بالبصر شافا بالفعل فالشمس اقوى

من البصر فى تصييره شافا واكفى فليت شعرى ما يفعل البصر بهذا الهوا
وان كان البصر يسخنه فيجب اذا برد الهوا ان يمنع الابصار او
يبرده فيجب اذا سخن ان يمنع الابصار وكذلك الحال فى باقى الاضداد
التى يستحيل بها الهوا اسباب غير البصر ان اتفقت كفت الحاجة
الى حالة البصر وان اتفق اضدادها لم يغن احالة البصر او عساه
لا يحدث اشفافا ولا كيفية ذات ضد من المعلومات بل خاصية
غير مطرق بها فكيف عرفها اصحب هذا المذهب ومن اين توصلوا
اليها اما نحن فقد قدمنا مقدمة كلية يمنع هذه الاستحالات
كلها سواء كانت منسوبة الى خاصية او طبعة منطرق بها او
غير منطرق بها وبعد ذلك فانا نظن ان الهوا اذا كان شفافا بالفعل
وكانت الالوان الوانا بالفعل كان البصر سليما لم يحتج الى وجود
شئ اخر فى حصول الابصار ولنضع الان ان الخارج جوهر
جسمانى شعاعى كما يميل اليه الاكثر منهم فنقول ان احواله لا تخ
من اربعة اقسام اما ان يكون متصلا بكل المبصر وغير منفصل
عن المبصر واما ان يكون متصلا بكل المبصر ومنفصلا عن المبصر و
اما ان يكون متصلا ببعض المبصر دون بعض كيف كان حاله مع
المبصر واما ان يكون خارجا عن المبصر وغير متصل بالمبصر واما
القسم الاول فانه محال جدا اعنى ان يخرج من البصر شئ متصل يملا
نصف العالم فيلاقى الاجسام السماوية ثم كما يطبق الجفن يعود
اليه ثم يفتح مخرج اخر مثله وكما يطبق يعود الجملة اليه ثم كما
يفتح مرة اخرى يخرج عنها كالها واوهم على سر المعمص ثم كيف

اى كما [illegible]

لايرى الشئ وعظم وان كانت الروية بوصوله اليه
وملامسة اياه فان العظم اولى بان يدرك الملامسة تماما من اللون
لان الشعاع ربما يفرق ويتخلل وراى اللون كما يرى الخلط من
من المقدار الجسمانى فان كان متخللا كانه مركب من مقدار
جسمانى ومن لا شئ او لا جسم لا يحس من عظم كلية ولا ينفعهم الزاوية
التى عند البصر انما ينفع ذلك اصحب الاشباح اذ يقولون ان الشبح
يقع على القطع الواقع فى المخروط الموهوم عند سطح الجليدية التى
راسه فى داخل فان كانت الزاوية اكبر لان الشئ اقرب كان القطع
اعظم والشبح الذى فيه اعظم وان كانت الزاوية اصغر لان الشئ
ابعد كان القطع اصغر والشبح الذى فيه اصغر واما على مذهب من
يجعل المبصر ملموسا بالة البصر فما معنى هذه الزاوية واما القسم الثانى
فهو اظهر بعدا واستحالة وهو ان يكون ذلك الخارج يفارق المبصر و
يمضى الى الفرقدين ويلمسها ولا وصلة بينه وبين المبصر فيحس المبصر بما
احس هو ويكون كمن يقول ان لامسا يقدر ان يلمس بيد مقطوعة
وان الجسم يتادى الى يده لمسها بما لمسته يدها المقطوع المفصول عنها
وقد بقى فيه الحس الا ان يقول انه احال المتوسط وجعله وسائله الى البصر
فيكون الهوا مؤديا مستحيلا معا وقد قلنا على هذا ما فيه كفاية
وان كان متصلا ببعض المبصر وجب ان لا يراه كله بل ما يلاقيه
منه فقط فان حيل مستحيلا الى طبيعته وصار معه كشئ واحد فما الذى
يقع فى الفلك اذا ابصرناه ايرى الفلك يستحيل ايضا الى طبيعة
ذلك الشعاع الخارج ويصير حساسا معه كشئ واحد حتى يلاقى كوكب

زحل بكليته فيراه والمشتري وسائر الكواكب العظام وهذا
ظاهر الفساد بعد جدًا ثم قلنا في فساد هذه الاستحالة ما قلناه و
ان قلنا ان الهوا المشف ليس يتحد به كشيء واحد ولكن يستحيل الى
طبيعة مودية فما بالا تير الشعاع يدركه الشعاع وما لا يلاقيه
يودي اليه الهوا صورته باستحالة عرضت له فاول جواب ذلك
ان الهوا لم لا يستحيل عن الحدقة وحدها ويودي اليها ان كان من
شانه الادا فلا يحتاج الى جسم خارج واما ثانيًا فقد فرغنا عن بيان
هذه الاستحالات واما ثالثًا فان الهوا المتوسط من خطين خارجين
يجب ان يودي الى كل خط منها ما يودي الى الاخر فيكون اخر الامر
قد تادى الى جملة الشعاع من جملة الهوا المتخلل للخطوط صورة المحسوس
مرتين او مرارًا فيجب ان يرى المحسوس مرتين او مرارًا خصوصًا ان
كان على ما في بعض مذاهب القوم من ان الخطوط لا يدرك بنفسها
بل ما يودي اليها الهوا ثم ان كان الادا الى الحدقة من الجميع اعني الخطوط
والهوا معًا فالهوا مود للاشباح على ميل ما قال المعلم الاول ومن عرف ان
الاخلا وان اجرام الافلاك مصمتة لا فرج فيها ولا فطور عرف ان ذلك
مستحيل لا يمكن وانه لا يمكن ان ينفذ فيها هذا الخارج بل كيف ينفذ
هذا الشعاع في الما ان لم يكن فيه خلا حتى يلاقي جميع الارض تحته ويراه
وهو متصل والما لا يتواجه لما خالطه منه وان كان هناك خلا فكم يكون مقدار
تلك الفرج الخلاسية التي تكون في الماء تقبل الما ونزوله في الفرج وملئه
اياها فيرى ان الما فرج كلها او اكثرها او مناصفها حتى يمكن الخارج ان
ينفذ الى جميع ما في قعر الما ويلاقيه ويماسه وهو غير منقطع من البصر ولن

انقطع فذلك اعجب وان قال قائل انا نرى الشي القليل ينفذ في الما
الكثير حتى يستولي على كليته مثل الزعفران يصبغ قليله كثيرًا من الما
فنقول ان انصباغ الما الكثير بالزعفران القليل لا يخلو من وجهين اما ان
يكون الصبغ الحادث في الما غير موجود الا في الاجزا الزعفرانية واجزا الما
تخالطها واما ان يكون اجزا الما استحالت ايضًا في نفسها الى الصبغ كما يستحيل
الى الحر والبرد والرايحة لا ان جوهره داخلها اما استحالة الى صبغ حقيقي
واما استحالة الى صبغ خيالي اعني الخيال كما يرى على سطح الما شبح ملقى
فيه غير محاذ للبصر وكما يتخيل من الما انه على لون انائه وذلك مما اذا
كثر وعم اوى جميع وجه الما بذلك الصبغ وهو فيه قليل فان كان
هذا الانصباغ على مقتضى القسم الاخر فلا منفعة لهذا الاعتراض في
الغرض لان الما يكون قد استحال ولسح لا ان الصبغ القليل نفذ كله و
قد يستحيل كثير المقدار من كثير القوة قليل المقدار وبالجملة ان كان حال
الهوا في استحالته عن الاشعة هذه الحال عرض ما سلف منا من وجوب
ان يكون الاشعة اذا كثرت جدًا ازداد الهوا استحالة نافعة في الابصار
وان كان على سبيل التادية دون الاستحالة فطبيعة الهوا مودية للاشباح
الى القوابل فلمود ايضًا الى الابصار وان لم يكن على مقتضى القسم الثاني
بل على سبيل القسم الاول فانا لا يمكننا ان نشك في ان الما محصور بين
اجزا الزعفران والزعفران منحصر بين اجزا الما وان اجزا الما لا محالة اعظم
حجمًا من اجزا الزعفران وان بين كل جزئين من اجزا الزعفران متوالين
ما صرف وان هذه المياه الصرفة في اكثر المواضع التي بين جزئي الزعفران
اعظم كثيرًا من اجزا الزعفران حتى يكون نسبة الاجزا الى الاجزا اذا احد

واحدًا الى الاخر كنسبة الكل الى الكل فاذا كان كذلك كانت مقادير اجزا
الزعفران صغارًا ولم يجز ان يستولي على الما كله فما كان ينبغي ان
يصبغ الما بالكلية بل هذا الوجه باطل والما يرى الما مصبوغًا كله لاحد
الامرين اما لان كل واحد من اجزا الما واجزا الزعفران من الصغر
بحيث لا يدركه الحس متميزًا وذلك لا يمنع ان يكون احدهما اكبر كبيرًا
جدًا من الاخر لان الجسم ينقسم الى غير النهاية فيمكن ان يكون جز من الماء هو الف
ضعف جز من الزعفران وهو مع ذلك في الصغر بحيث لا يحس مفردًا فاذا كان
كذلك لم يكد البصر يفرق بين اجزا الزعفران وبين اجزا الما فيرى منهما واحدًا
شائعًا بين الاحمر والشاف فهذا وجه واما ان يكون الاجزا المحسوسة من الزعفران
ليس على اوضاع مسامته متوازية بل اذا حصل بين جزئين من ترتيب بحال جزء
من الما محسوس القدر فان اجزا اخرى من تحت تقع مواقع لو رفعت لعطت
سطحًا مع الاول فيكون بعضها يرى لانه في السطح الاعلى وبعضها يرسل
شبحها الى السطح الاعلى فيتوافى الاشباح لصبغ واحد اذا الما يودي لون
كل واحد منها لاشفافه فيرى الجميع متصلًا في سطح واحد ويتخيل مستوليًا
على الما ولا يكون ويصحح هذا القول قلة ما يرى من الصبغ في الرقيق الذي
لا ثخن له وكثرة ما يرى في الكثيف العميق وان كانت النسبة متشابهة
فكان نسبة الزعفران الذي في الرقيق الى الرقيق كنسبة الزعفران الذي
في العميق الى العميق فعلى هذين الوجهين لكن ان يستولي القليل على
الكثير واما في الحقيقة فان القليل لا يستولي على الكبير بالكمية بل عسى
بالكيفية المحيلة هذا واما ان جعلوا الخارج ينفذ قليل نفوذ في الهواء
لا يتصل بالمبصر فاما ان يودي الهوا لاشفافه فقط من غير استحالة فلم لا

يودي

يودي الى الحدقة فيكفي ذلك مؤونة خروج الروح الى الهوا ويعرضه
للافات وان كان بالاستحالة فقد قيل في ذلك ما قيل ثم لم لا يستحيل
من الحدقة من غير حاجة الى الروح **فصل في ابطال مذاهبهم من
الاشيا المقولة في مذاهبهم** ولنقبل على عد بعض المحالات التي
يلزمهم بحسب اوضاعهم فمن ذلك وضعهم ان اجزا الخارج عن البصر
ينعكس عن الاجسام الى اجسام اخرى فاذا رءت جسمًا انعكست عنه
الى جسم اخر فراته وراة ذلك الجسم الاخر المنعكس اليه مثلًا لما وصلت
الى المراة رات المراة ولما انعكست عن المراة الى جسم اخر راته ايضًا معًا
فيكون شيء واحد يرى شيئين معًا فيتخيل ان احد الشيئين يراه في
الاخر ويلزم وضعهم هذا مباحث عليهم من ذلك ان انعكاس هذا
الشعاع هو عن الصلب او عن الاملس او عن مجتمعهما لكن هذا العكس
مما قد يرونه يقع عن املس غير صلب مثل الما فليس الصلابة هو الشرط
فينبغي ان يكون السبب فيه الملاسة فاذا كان السبب فيه هو الملاسة
فلا يخ اما ان يكفي لذلك اي سطح املس اتفق او يحتاج الى سطح متصل
الاجزا املس فان كان الشرط هو القسم الثاني لم يجز ان ينعكس عن الماء
لانه لا اتصال لسطحه عندهم لكثرة المسام التي يضعونها فيه التي بسببها
يمكن ان يرى ما وراه بالتمام وان كان ليس من شرطه الاتصال فيجب ان
يوجد هذا العكس عن جميع الاجرام وان كانت خشنة لان سبب الخشونة
الزوايا او ما يشبه الزاوية مما يقعر عن الحدبة ولا بد في كل ذي زاوية
من سطح ليست فيه زاوية فيكون املس والا لذهب الزوايا الى غير النهاية
او انتهت قسمة من السطح الى اجزا ليست بسطوح وكلاهما مح فاذن كل

جرم فمؤلف السطح من سطوح ملس فيجب ان يكون عن كل سطح منها
عكس او بقي امران احدهما ان السطوح الصغار لا ينعكس عنها الشعاع والثاني
ان السطوح المختلفة الوضع ينعكس عنها الشعاع الى جهات شتى
فيشتت المنعكس ولا ينال شيئا لعدم الاجتماع فاما القسم الاول فبطل
فان من المعلوم انه ان كان يخرج من البصر جسم حتى ينتشر في نصف
كرة العالم لم يبعد انه يكون عند الخروج في غاية تصغر الاجزا وتشتتها
وانه اذا انعكس فانما يلاقي كل جزء صغير منه وكل طرف خط دقيق منه
لا محالة جزءا مساويا له وينعكس عنه ولا ينفع ولا يضر في ذلك ما وراءه
عسى ان اتفق ان كان السطح الاملس الذي يلاقيه اصغر منه لم ينعكس
منه لكنا اذا تاملنا لم نجد هذا المعنى هو السبب والشرط في منع الانعكاس
في الاشيا الموجودة عندنا لانه قد يتفق ان يكون شي خشن نعلم يقينا
ان الاجزاء التي لها سطوح ملس مقدار ما لا نشك في انه اعظم من
مقدار اطراف الشعاعات الخارجية ومع ذلك لا ينعكس عنها وهذا
مثل الزجاج المدقوق والملح الجريش والبلور الجريش الذي يعلم ان
سطوح اجزائه ملس وليس بغاية الصغر حتى يكون اصغر من اجزا الشعاع
الخارج واذا جمعت لم ينعكس عنها الشعاع بل ولا من اشيا اكبر من ذلك
ايضا ثم من البعيد ان يقبل الاجرام الكثيفة الارضية تجزيا الى اجزا
اصغر من الاجزا التي يقبل اليها الجسم الشعاعي البصري حتى يوجد جزء
للكثيف اصغر مما ينقسم اللطيف الى مثله ثم ان كان علة العكس عن
الاملس عدم المنفذ وهناك حفر من ورائه فذلك موجود للخشن و
ان كان لا حافر من ورا ولا عدم منفذ فليس يجب ان ينعكس عن شي

فان

فان الجسم لا يكون له بالطبع حركات مختلفة بل بالقسر وانت تعلم انه ان
كان المضي قد اما له بالطبع فلا ينعطف الا بالقسر ثم الملاسة ليست
من الهيات الفاعلة في الاجسام سعة طبيعة ما يلاقيها ولا هي من
القوى الدافعة عن اجسامها شيئا حتى يصير الاجسام الى التبعيد عنها
ولو كانت الملاسة علة لتبعيد الجسم عن الجسم لكانت تبعد ما بينهما
وان ماست على اي وضع كان ولكان يجب ان ينعكس البصر عن
المرآة التي يلامسها الشعاع الخارج مخطوطا عليها الا اذا لاقاها
بالطرف فقط وان كان السبب في الانعكاس هو الحفر من خلف
او السوك كما يعرض للكرة وجب ان ينعكس عن كل صلب لا منفذ فيه
وان لم يكن املس واما على مذهب الاشباح فلذلك وجه وهو
انهم يجعلون الملاسة علة لتادية الشبح فكل ملاسة عظمت او صغرت
فهي علة لتادية شبح ما لكن الاشباح التي يؤديها السطوح الصغار
يكون اصغر من ان يميزها البصر فلا يحس فان الجرم الخشن يختلط
فيه الظلمة بالنور فيظلم كل غور ويكون كل نتو اصغر من ان
يؤدي شبحا يميزه الحس ولو كان متصلا لم يعرض ذلك واما اصحاب
العكس فهذا الصغر ليس بعذر لهم في عدم العكس عنه واما ان لم يجعلوا
العلة الصغر بل التشذب فان هذا التشذب موجود ايضا عن المرايا
المشكلة اشكالا لا ينعكس عنها الشعاع الى نصف كرة العالم بالتمام
مما يعلم في علم المرايا وعسى ان لا يكون العكس عن الحس يبلغ في تشذبه
للشعاع ما يبلغه تلك المرايا ربما تزاحمت خطوط منه على نقطة واحدة
وهذا احد المباحث والبحث الثاني انه ينعكس عن الماء وقتا وينفذ تحته

وقتا وكك عن اللو فيجب اذن ان يدخل احد الامرين نقصان عن
الاخر اما ان يكون المبصر تحت الما لا يرى صحيحا بل يرى منه نقط عند
الحس مصورة لا صورة كاملة وان راى احدهما ام راى الامر تحته
انقص وليس الامر كك والبحث الثالث هو ان المنعكس عن الشيء
الذي فارقه وواصل غيره ثم يرى به صورتهما معا لا تخ اما ان
يكون مفارقة الشعاع المنعكس لا يوجب انسلاخ صورة المحسوس
عن الشعاع او يوجب فان كان لا يوجب فكيف لا يرى ما اعرضنا
عنه وفارقه الشعاع فانا لا نعرف هناك علة الا ان الشعاع استبدل
به موقعا غيره وان كانت المفارقة يوجب انسلاخ تلك الصورة
عنه ففي الوقت الواحد كيف يرى المرآة والصورة معا فان كان القائم
على المرآة من الشعاع يرى صورة المرآة والزائل الى شيء اخر يرى صورة
ذلك الشيء فقد اختص بكل واحد من المبصرين جزء من الشعاع
فيجب ان لا نرا معا كما ان الشعاع الواقع على زيد والشعاع الواقع
على عمرو في فتح واحد من العين معا لا يوجب ان يتخيل المرى من
زيد مخالطا للمرئي من عمرو فان قيل ان السبب فيه ان ذلك الشعاع
يؤدى الصورة من طريق ذلك الخط الى النفس فيكون خطوا احد
يؤديهما معا وما يتأدى من خط واحد راى واحدا في الموضع
مثل اما اولا فقد ابطلت مذهبك ومنعت ان يكون الخط الخارج
مبصرا من خارج بل يودنا واما ثانيا فانه ليس يمنع ان يخرج خط ثانيا
تلاقى الخط المنعكس ويتصل به فان كان انما يودى بما يتصل به
من الخطوط ثم يحس القوة التي في العين لا الخارجة فح كان يجب ان

يرى الشيء من الخطين معا فيرى الصورة مع صورة المرآة مع غير تلك
الصورة وكان يجب ان يتفق مرارا ان يرى الشيء متضاعفا لا بسبب
في البصر لكن لاتصال خطوط شتى بصر به بخط واحد وهذا مما
يكون ولا يتفق فانا انما يمكننا ان نرى الشيء في المرآة ونراه وحده اذا
كان مقابلا للبصر واما اذا لم يكن مقابلا فانا نراه في المرآة فقط
عكس على اصلهم ا نقطة البصر و ب موضع
المرآة ولكن خط الف ب خرج من البصر ثم
انعكس الى الجسم عند ج ولنخرج خطا اخر وهو
آ د ويقع خط ب ج على ه ومتصل به هناك
فاقول يجب على اصولهم ان يكون شبح د يرى
مع شبح ج و ب ويرى شبح ج من طرفي ه و
ب وخطي ه ا ب ج وذلك لان اخر هذه الخطوط
الخارجة من الابصار اما ان يكون متصلة واما ان يكون مماسة فان
كانت متصلة وكان من شان بعضها كما فرضناه ان يقبل الاثر من بعض
اذا اتصلت حتى يودنا الى الحدقة وكان الاثر في كلية الجرم نفسه
لا في سطح منه يختص بجهة وليس ذلك التادية اختياريا ولا اصطناعيا
بل طبيعيا فاذا حصل المنفعل ملاقيا للفاعل الذي تفعل بالملاقاة
وجب ان ينفعل عنه فان الحكم في خروج الهيولات الطبيعية التي
في جواهر الاشيا الى الفعل هو ان يكون طبيعة التهيؤ موجودة في
ذات المنفعل وان لم يكن بسبب شيء من طبيعة الفاعل والامر
الذي فيه الفعل موجودا في ذات الفاعل وان لم يوجد مثلا في

المنفعل واذا حصل ذلك لم يتوقف الخروج الى الفعل الا على وصول
احدهما الى الاخر فاذا وصل الفاعل الى المنفعل وارتفعت الوسايط
وهذا فيه قوة الفعل وذلك فيه قوة الانفعال وجب الفعل و
الانفعال الكاين بينهما بالطبع على اي نحو كان الاتصال ولم يكن
للزاوية الكاينة بحال معنى ولا لفقدان المنفذ وما المشف عند
المرآة اثرا فانه يتواضى المنفذ واتصل به خطوطا او كان غيره فان وان
اتصل به خطوط فان الفاعل يجب ان يفعل والمنفعل يجب ان ينفعل
فان كان الشبح والاثر مثلا ليس في الجرم الشعاعي الممتد نفسه ولكن
في سطح منه او نقطة هي ضاوه ونهايته وليست في جهة ذلك الخط
بحيث يتصل به ذلك الخط من تلك الجهة فينفعل عنه بل على غير
امتداد ذلك الخط فيجب ان لا ينفعل ما بين اول الخط واخره بل
يقع الشبح من السطح الملامس الى السطح الثاني دفعة من غير انفعال
الاجزاء في الوسط وذلك لان المتصل لا ينقطع له بالفعل او وجب ان
تكون الاداء على الخط المستقيم ولا يودي على زاوية البتة لان النقطة
الزاوية اعراضا عن الاستقامة وهذا مما لا يتوقف فبين من هذا ان انفعا
خط ه ا من خط ح ه كانفعال خط ب ا من ب ه بل هو اولى واقرب
فيجب ان يتادى شبح ح من كلي خطي ه ا ب فيجب ان يرى ح ح لا شيا
واحدا بل شيين وايض يجب ان يتادى شبح د مع شبح ح ويصعون
ان شبح ب متادم مع شبح ح فيجب ان يرى الاشباح الثلثة معا وجميع
هذا غير كاين وعلى هذا القياس ان كانت يتماسه فانها ان كانت
كل جزء منها يقبل الاثر بجميع جرمه وجب لمماسة الفعل والتاثير في الذي

يلزم ان

بلمسه وان كان لا الا في السطوح التي تقابل المبصر لم يجز في شيء من
الزوايا التي تقع جامدة عن ذلك السطح ان يتادى منها المبصر الى
البصر فان سلكنا نحن ايكم ما بالكم توجبون ان تقع تادية هذا الشبح
على الاستقامة او على سمت ما وقوعا الى بعض الابصار المماسة له
دون بعض فنحن اما نحن الحقيقة فلا نحن ان الهوا مودع على انه قابل شيء
البتة من الرسوم والاشباح من شيء ليحمله الى شيء بل نحن ان من شان
النير ان يتادى شبحه الى المقابل له ان لم يكن بينهما عايق هو الملون
بل ان كانت الواسطة بينهما مشفة ولو كانت الواسطة قابلة او لا ثم
مودية لادت الى الابصار كلها كيف كان وضعها كما يودي الحرارة
الى الملامس كلها كيف كان وضعها ثم من الامور التي يجب ان
نبحث عنها في هذا الموضع هو انا كثيرا ما نرى الشبح وذا الشبح دفعة
واحدة ونراهما متميزين اعني انا نرى في المرآة شبح شيء ونراه ايضا بنفسه
من جانب وذلك معا وعسى ان ذلك انما يقع بسبب خطي شعاع
احدهما نصل اليه بالاستقامة والاخر على زاوية عكس ولان الواقعين
على الشيء اثنان فمن جهة ذلك نراه اثنين فيحصل الان هذا هل هو
ممكن او ليس بممكن فنحن ان وقوع خطين على المبصر لا يوجب ان يرى
الشيء الواحد اثنين فان الشعاع عندهم كلما اجتمعت اجزاؤه على
المبصر وتراكمت كان ادراكها اياه اشد تحقيقا وابعد عن الغلط في
العدد والخصوم معترفون بهذا ولا يوجبون ان شعاعا واحدا اذا راى
الشيء وحده كان واحدا فان وقع عليه شعاع اخر واتصل به صار في
الروية بسببه غلط على انه لا يمكن ان يلمس شيئا واحدا شعاعان معا الا

شعاعًا اصل وعكس والشعاع جسم على ما مر وبرلان الجسم لا ينفذ في الجسم
بل يجوز ان يقع شعاع على شعاع فان سلكنا هذه السبيل لم يكن
الابصار بكليهما على سبيل اللمس بل يكون احدهما يلمس والاخر يقبل
منه وسوا كان الشعاعان طرفي خطين خرجا على الاستقامة او احدهما
والاخر من جانب العكس فاذن ان كان ههنا سبب فليس وقوع
شعاعين على واحد مطلقا بل بالشرط وذلك ان احد الشعاعين وقع
عليه وحده والشعاع الثاني وقع معه على غيره وهذا القسم يبطل
بمراتين موضوعتين متقابلتين فان الاشعة لا يفترقان فيهما من هذه
الجهة بل كل شعوب شعاع فهو واقع على الاثنين جميعًا ومع ذلك
فان البصر يرى كل مراة وشبحها دفعة والشعاعان ههنا لا يفترقان
فلا يجوز ان يودي شعاع شبحًا والاخر غير ذلك الشبح فان كل واحد
منهما ادرك ما ادرك الاخر والمدرك واحد فلا يجب ان يكون
الادراك والاذا اثنين بل يجب ان ياتي البصر صورة كل مراة من
غير مكررة وان تكررت بسبب العكس وكان لذلك وجه وعذر
متكلف لتسامح في تسليمه فلا يجب ان يقع تكرار بعد تكرار فما بال
كل واحد من المراتين يتادى عنها اشباح كثيرة حتى يرى المراة
الواحدة مرارًا كثيرةً مرةً واحدة يرى نفسها كما هي ومرارًا كثيرة جدًا
شبحها فان قلنا ان الشعاع لما انعكس من هذه المراة الى الاخرى
راى الاخرى في هذه المراة ثم لما انعكس مرة اخرى الى الاولى راى
الاولى في هذه الاخرى فاذا انعكس مرة اخرى فلم لا يرى كما راه
مرة اولى الا ان يقولوا ان الاول راه بجزء والاخر راه بجزء اخر فان كانت

الاجزا

الاجزا موديه لا راسه واحدًا بعينه لا يوجب اختلافًا في الرؤية فقد
بينا ذلك ايضًا فان عندهم ان اجزا المنعكس تختار على المبصر المنعكس
عنه اجسادا فيجب ان يتبدل صورته في تلك الاجزا ومع ذلك فليس
يجب من سدلها عليه ان يزيد في عدد ما يدرك اولًا وثانيًا اذ كان
ما يودي من الصورة واحدًا وان كانت الاجزا نفسها راسه وجب ما
ما قلنا في امتناع رؤية الشبح المنعكس عنه ثم لم يجب ان يرى الاشباح
عن قليل وقد صغرت فعسى ان يقولوا ان الشعاع اذا ترددت طالت
مسافته فراى كل مرة اصغر مفارق الاول الثاني بالصغر فيجب
ان يكون اولًا الخطوط الشعاعية اذا تراكمت لا يكون كخط واحد اغلظ
واقوى من الاول بل سعى خطوطًا معطوفة موضوعة بعضها بحيث
بعض محفوظة القوام لا يتحد وهذا الحكم عجيب وبعد ذلك
فانهم لا يجدون للتصغر بالبعد المعرج عن تحدد الزاوية ما يوجد
للبعد المستقيم ثم ما يقولون في ذلك الراي بعينه فانه اذا بوعد
اضعاف ما يقتضيه المساحة من الانعكاسات لم يزد لك الصغر
مثلًا انه اذا انعكس البصر من مراة آ الى مراة ب فراى صوره ب في
مراة آ ثم انعكس البصر من مراة ب الى مراة آ فراى صورة آ في مراة ب
ثم انعكس البصر من مراة آ الى مراة ب فراى صورة آ ثم كذلك راى
صورة ب في مراة آ والبعد بينهما شبران فيجب ان يكون ما قطعه
الشعاع من مسافة المتعرجة ما بين العين واحدى المراتين ثمانية
اشبار ولو انا بعدنا مراة ب عن مركزها عشرة اشبار فما فوقها لم
يكن راه بذلك الصغر على ان العجب فيما ذكرناه هو من افتراق الصورة

المأخوذة عن الشئ بذاته والماخوذة عنه بالعكس او الماخوذة بعكسين
فان جميع ذلك مفترق عند البصر والصورتان الماخوذتان هما عن
مادة واحدة في قابل واحد فبماذا يفترقان لان افتراق الصور اما بالحدود
والمعاني واما في القوابل والصورتان معنياهما واحد وحاملهما الاول
واحد وقابلهما الثاني واحد فيجب ان لا يكونا اثنين اما على مذهبنا
فهذه الشناعة غير لازمة لان الصورتين عندنا ماخوذتان عن قابلين
احدهما حاملها الاول والثاني الجسم الصقيل القابل لشبحها نوعا من
القبول او لفاعل صورتها في العين نوعا من الفعل ثم العجب من امر الشعاع
بعد الشعاع فانه ان كان الامر على ما قلنا من ان الشعاع الثاني لا
يجب ان ينفذ في الاول بل تماسه من خارج فكيف يلامس الشعاع
المنعكس المرائي فيراه وانما يلامس ما عطاه من لامسه السابق فان كان
يرى ما راه ذلك بحسب الانفعال منه وقبول ما قبله بسبب الاتصال
به بطلت شريطة الانفعال على الزاوية المعينة وكان ايضا انما ادرك
ما ادرك الاول لا شيا غيره بالعدد بوجه من الوجوه وان كان كل
ملامس شيا من اجزا الشئ غير ما يلامسه الاخر ولا واحد منهما بمستقصي
الادراك ولا ادراكهما لشئ واحد **فصل في حل الشبه التي اوردوها
في اتمام القول في المبصرات التي لها اوضاع مختلفة من مشفات
ومن صقيلة** فلنحل الان الشبه المذكورة فاما ما تعلقوا به من ان القرب
يمنع الابصار وان انتقال الالوان والاشكال عن موادها مستحيل
فهذا انما كان يصح لهم لو قيل ان الابصار او شيا من الاحساسات انما
هو بنزع الصورة من المادة ونقلها الى القوة الحاسة وهذا شئ لم يقل به

احد بل قالوا ان ذلك على سبيل الانفعال والانفعال ليس ان
المنفعل قوة الفاعل او كيفيته بل ان يقبل منه مثلها او جنسا
غيرها ونحن نوقن ان البصر يقبل في نفسه من المبصر مشاكله للصورة
التي فيه لا عين صورته وهذا الذي يحس بالتقريب كالمشموم و
الملموس فليس يسلب الحاس بذلك صورته بل انما يوجد فيه مثل
صورته لكن من الاشيا ما الى الانفعال منه سبيل بالملاقاة ومنه
ما اذا الفي انقطع عنه شئ يحتاج اليه حتى يؤثر اثره وهو في هذا الموضع
الشعاع المحتاج الى اتصاله بالصورة المرئية في ان يلقى ذوا الصورة
شبحا عن صورته في غيره مناسبا لما نراه من الغاية شبحه الموكد اذا اشتد
عليه الضوء حتى انه يصنع ما يقابله بصنعه فاذاه متحققا اذا كان ما ثم
قابلا لذلك ولو بتوسط مراة ايضا ومع الاحتياج الى استضاءة المرئي
فانه يحتاج ايضا الى متوسط كالالة تعسر عليه وهو الاشفاف و
ان تكون للمقدار منه حد محدود لا يقع الاصغر منه فيه ومن الدليل
على ان المدرك ياخذ شبحا من المدرك ما يبقى في الخيال من صورة
المرئي حتى يتخيله متى شا امرى ان ذلك المتخيل هو صورة الشئ في
نفسه وقد انتقل الى الخيال وتجرد بتجرد الشئ عن صورته كلا بل هو شئ
غيره مناسب له وايضا فان بقا صورة الشمس في العين مدة طويلة اذا
نظرت اليها ثم اعرضت عنها يدلك على قبول العين للشبح وكذلك يخيل
القطرة النازلة خطا والنقطة المتحركة على الاستدارة بالعجلة دائرة ولا
يمكنك ان تتخيل ذلك وتراه الا ان ترى امتدادا ما ولا يمكن ان يرى
امتدادا من نقطة متحركة في غير زمان ولا من غير ايجاب الشئ في

مكانين فيجب ان يكون لكون القطرة فوق ثم تحت وامتدادها فيما بين ذلك
وكون النقطة على طرف المسافة التي يستدير فيها وعلى طرف اخر وامتدادها
فيما بين ذلك متصور الشبح عندك وليس ذلك بحسب ان واحد فيجب
اذن ان يكون شبح ما تقدم مستحفظا بعده باقيا عقيبه ثم يلحقه
الاحساس لما تاخر ويجتمعان امتدادا كانه محسوس وذلك لان صورته
راسخة وان كانت القطرة او النقطة قد زالت عما عن اى حد فرضت و
لم تبق فيه زمانا واما ما ذكروه من امر النور الذي يخيل بين يدي
العين فالسبب في غلطهم به ان ذلك عندهم ليس يكون الا على وجه
واحد حتى ظنوا انه لا يجوز ان تكون العين شيئا له في جوهره ضوء
كالاشيا اللوامع التي ذكرناها فيما سلف فاذا كانت ظلمة لمع واضاها
قدامه بكيفية يوثرها لا بشئ ينفصل عنه وكانه لا يجوز ايضا ان
يكون الحك والمس قد يحدث شعاعات نارية لطيفة في الظلمة كما يعرض
من مس ظهور السنور وامرار اليد على المحده واللحية في الظلمة و
قد يظهر لك انه لا يبعد ان يكون الحدقة نفسها مما يلمع ليلا ويضئ
ويلقى شعاعها على ما يقابلها فان عور كثير من الحيوان بهذه الصفة
كعين الاسد والحية فاذا كان كذلك جاز ان ينير المظلم ولهذا ما كان
كثير من الحيوانات يرى في الظلمة لا نار بها الشئ بنور يفيض من
عينها ولقوة عينها واما حديث امتلا الحدقة عند تغميض الاخرى
فمن الذي ينكر ان يكون في العصبة المجوفة جسم لطيف هو مركب القوة
الباصرة وهي التي يسمى الروح الباصرة وانه يتحرك تارة مستبطنا
هاربا وتارة مستظهرا محدقا فاذا غمضت احدى العينين هرب من

التعطل

التعطل ومن الظلمة طبعا مال الى العين الاخرى لان المنفذ فيهما
مشترك على ما تعرفه اصحاب التشريح وليس اذا امتلا شئ من شئ
يجب من ذلك ان يكون في طبع المالي بروز وخروج وذهاب في
الارض ومسافره الى اقطار العالم واما حديث المراة فيلزم سوالهم جميع من
عنده ان المراة ينطبع فيها صورة المحسوس لكن الاجوبة التي يمكن ان يجاب
بها عن ذلك ثلثة جواب كانه مبني على مذهب مشهور وهو ان الصورة
لا ينطبع في المراة على الهيئة التي ينطبع الصورة المادية في موادها بحيث
لا يجتمع الاضداد بل هذه الصورة ينطبع كلها في كلية المراة ولا باس ان
يجتمع فيها شبح بياض وسواد معا لا انطباعها فيها لا على سبيل التكييف بها بل
كما يكون في المعقول والمعقول يعقل السواد والبياض من غير تعاند ولا
انقسام ثم انما يتادى الى البصر ما يكون على نسبة ما بين الثلث اعني
البصر والمراة والمبصر ولا يتفق نسبة الجميع من كل جز من المراة بل يكون
جز منه يؤدي الى البياض بعينه وجز اخر يودي الى السواد بعينه وقد
يتحدد بينهما حد في الروية فيكون جملة الادا والحد محصلة لصورة مثل
المبصر في البصر وهذا الجواب مما لا اقول به ولا اعرفه ولا افهم كيف
يكون الصورة ينطبع في جسم مادي من غير ان يكون موجودة فيه وقد يخ
الجسم عنها وهي منطبعة فيه وكيف يكون غير حال عنها وهو لا يرى فيه بل
يرى صورته التي لم يعلم ان من شان ذلك ايضا ان يرى او كيف يكون
حالنا بالقياس الى واقف دون واقف وهذا اشتطاط وتكلف بعيد
ومما فيه من التكلف انهم لا يجعلون للشكل انطباعا فيه وان جعلوا
الشكل غير محدود وما فيه من التكلف ان يجعلوا صورة السواد في جسم

من غير ان تكون ذلك سواد للجسم وان يجوزوا ايضا اجتماع البياض فيه
في وقت واحد ويجعلوا صورة السواد غير السواد وصورة البياض غير
البياض واما حديث العقل والمعقول فقد عبر الى وقته واما الجوابان
الاخران اللذان يمكن ان يجيب بهما مجيب احدهما متشدد فيه والاخر
مقارب منه واما المتشدد فيه فان يقول اما اولا فليس يجب اذا كان
شيء يحتاج اليه ان يفعل شيء في شيء ان يكون المحتاج اليه مثل المراة و
المشف ههنا ينفعل من المبدء مثل الانفعال الذي ينفعل به الثالث
فيرى ان المشف اذا اولم به الم والهد به اذا اسر بها سرب واما ثانيا فليس
بينا بنفسه ولا ظاهر لا شك فيه ان كل جسم فاعل يجب ان يكون ملاقيا
للملموس فان هذا وان كان موجودا بالاستقراء في اكثر الاجسام فليس
واجبا ضرورة ان يكون كل فعل وانفعال باللقاء والتماس بل يجوز ان
يكون افعال اشيا في اشيا من غير ملاقاة فكما يجوز ان يفعل ما ليس بجسم
في الجسم من غير ملاقاة كالباري والعقل والنفس فليس ببدع ان يكون
جسم يفعل في جسم بغير الملاقاة فيكون اجسام يفعل بالملاقاة واجسام
يفعل لا بالملاقاة وليس يمكن احدا ان يقيم برهانا على استحالة هذا وعلى
انه لا يمكن ان يكون بين الجسمين نسبة ووضع يجوز ان يؤثر احدهما في
الاخر من غير ملاقاة انما يسمى ههنا ضرب من التعجب كما لو كان اتفق ان
كانت الاجسام كلها انما يفعل بعضها في بعض بمثل تلك النسبة المماسة
فكان اذا اتفق ان شوهد فاعل يفعل بالملاقاة يعجب منه كما يتعجب الان
من موثر بغير ملاقاة فاذا كان هذا غير مستحيل في اول العقل وكان صحة
مذهبنا المبرهن عليه بوجه وكان لا برهان البتة ينقضه فيتفق ان من

شان الجسم المضيء بذاته او المستنير اللون ان يفعل في الجسم الذي
يقابله اذا كان قابلا للشبح قبول البصر وبينهما جسم لا لون له تاثيرا
هو صورة مثل صورته من غير ان يفعل في المتوسط شيئا اذ هو غير قابل
لانه شفاف فاذا كان غير بين بنفسه ولا قام عليه برهان الا ان
يكون جسم يفعل في مقابل له متوسط شفاف البتة وكان هذا مجوزا في اول
العقل ومتضحا بما برهنا عليه من كيفية الادراك وكان ذلك غير محال فكذلك
غير محال ايضا ان يكون بدل المتوسط الواحد متوسطان المتوسط ومتوسطا
اخر وبدل النسبة والوضع نسبتان ووضعان النسبة والوضع المذكوران
مع وضع ونسبة اخرى فيكون بدل هذا المتوسط الشفاف وحده متوسط
ملون صقيل مع الشفاف وبدل نسبة المقابلة مع هذا المضيء و
المستنير النسبة والمقابلة مع ذلك الصقيل الذي له النسبة والوضع
المذكوران مع المضيء المستنير المرئي فيكون من شان هذا الجسم ان
يفعل في كل ما قابل مقابلا له صقيلا لا يكون مقابلا في سخيف ولو
صقيل بعد صقيل الى غير النهاية بعد ان يكونا على وضع محدود فعلا
هو مثل صورته من غير ان يفعل في الصقيل البتة فيكون المشف و
الصقيل شيئين يحتاج اليهما حتى يفعل شيء في شيء اخر ولا يكون
ذلك الفعل بعسر فيهما فاذا كان كذلك واتفق ان وافى خيال الصقيل
الى البصر وخيال الشيء الاخر معا وروا معا في جزء من الناظر واحد ظن
ان الخيال يرى في الصقيل بعكس ما قالوا في الشعاعات واما الطريق
المتساهل فيه فهو انه ليس يجب ان يؤثر كل شيء في كل شيء مثل
نفسه كما يجوز ان يؤثر ايضا مثل نفسه فالمضيء المستنير يجوز ان يؤثر

فی الهوا اثرا ما ذلك الاثر لیس ان یتشبح بشبح مثل صورة المضی والمستنیر
بل یؤثر فیه اثرا لا یدرك بالحس البصری او غیره من الحواس وکذلك یجوز
ان یؤثر فی الصقیل اثرا ما اما بواسطة المشف او بغیر واسطة ثم المشف
او الصقیل یفعل فی آلة البصر اثرا ذلك الاثر هو مثل صورة ما اثر
فی کل واحد منهما او لا فیکون کل واحد من المؤثرین یؤثر اثرا من جنس
ما فیه اعنی بالمؤثر المرئی الذی یؤثر فی المشف او الصقیل والمشف
او الصقیل الذی یؤثر فی البصر ومثل هذا کثیر اعنی ان یکون شیء
یؤثر فی شیء اثرا خلاف طبیعته ثم یؤثر هو فی شیء مثل طبیعته الاول
مثل الحرکة فانها تحدث فی جرم سخونة فیسخن الشیء ثم تلك السخونة
تحدث حرکة غیر الحرکة الاولی بالعدد ومثلها بالنوع وقد یمکن ان
یشاهد هذا بمرآة ینعکس عنها ضوء ولون الی حائط بحیث یستقر
فی الحائط ولا ینتقل بحسب مقامات الناظر ولا یکون مستقرا البتة
فی المرآة وهذا المستقر یعلم انه وارد من طریق المرآة الی الحائط وهو
ان کان یری فی المرآة فلا یری مستقرا فیها فیکون المرآة اثرت اثرا مثل
کیفیة ما اثرت فیها واثرا لیس مثل کیفیته فی الاستقرار وعلی ذلك
حال البصر واما حدیث الانعطاف عن المافقد قال اصحاب الشعاع
ان الشعاع اذا وقع علیه انبسط وانکسر او لا واحد مکانا اکبر ثم بعد
فراه مع اکبر مما یحاذیه واما اصحاب الاشباح فقد قال بعضهم ان السبب
فیه ان بعض ما یحاذی یودی علی انه منفذ فی المحاذات وبعضه علی انه
مرآة ولا یبعد ان یظن ان الجمیع یؤدی علی انه مرآة والمرآة من داخل خلاف
المرآة من خارج وقال فاضل قدماء المفسرین ان البصر یعرض له لما

یعرم من استقصا تامل الشیء ان یراه ابعد ویتفرق البصر لتامله
فیعظم شبحه ویمکن ان یوکد هذا القول بان الشیء الذی اعتید
ان یری من بعد ما علی قدر ما فاذا یحمل ابعد من حیث هو ولم
یر قدره القدر الذی یحیله ذلك التعدیل اعظم منه لانه بالحقیقة
قریب روی له مقدارا اعظم من المقدار الذی یستحقه ببعده
فیتخیل اعظم من المعهود ثم فی هذا فصل نظر یحتاج ان یفطن له
المتحقق للاصول ویکون بحیث لا یخفی علیه کیف ینبغی ان یکون
الحق فی ذلك ثم هذه الشبهة لیست مما یخص بلزومها احدی
الفرقتین دون الاخری فان الانکسار الذی یقوله اصحاب الاثر
ان کان للصك فلم یبق علی حاله ولم لا یرجع کرة اخری فیستوی
اذ طبیعة الشعاع ان ینفذ علی الاستقامة فان کان هذا مستحیلا
فی الشعاع النافذ الیه اذا لاقاه ثم ازداد الشیء غورا فلم یعرض له
ان یزداد لغوره انکسارا ولم لا یزداد بامتداده انتظاما فان القیاس یوجب
ان یحدث له بالامتداد اتصال لا ینبسط وبالجملة نعم ما قال المعلم
الاول حین قال لان یمتد البصر من سعة الی ضیق فیجتمع فیه یکون
ذلك فیه اعون علی تحقیق صورته من ان یخرج الرای من العین
منتشرا فی السعة ومما یتصل بهذا الموضع حال ما یقوله فی اوضاع
المرئی والرائی والضوء والمرآة فقد یعرض ان یکون المرئی والمضیء
والرائی فی شفاف واحد وقد یعرض ان یکون المضیء والمرئی
فی شفافات بینها سطوح فان کان وضع السطح فی المحاذاة التی بین
الرائی والمضیء الفاعل للاستناره لم یزد لك السطح بسطح الفلك

والهوا وان كان السطح خارجا عن ذلك السطح الا ونحن في الهوا المضى
ليس في هذه المحاذاة فان ذلك السطح ينعكس عنه الضوا لاتي من
المضي الى البصر فيرى متميزا وقد علمت ما نعني بالعكس وان كان في
داخل السطح المنعكس عنه مرى اراه ما هو فيه على انه مشف واراه
على انه مراة وكانت المراة التي هناك مطابقة لما يحاذي المرئي وان
كان مكشوفا للرائي وان كان مستورا كانت المراة يلتقي الخط الخارج
من البصر والعمود الخارج من المرئي الذي في الما فان شبحه يتادى
عنه على استقامة فانك ان القيت خاتما في الطشت بحيث لا
لا تراه ثم ملاته ماء رايته وان كان المرئي خارجا عن شفاف متوسط
غير الشفاف الذي فيه الرائي والمعنى فان المشف المتوسط بينه
وان كان ليس كذلك بل هو من جهة الرائي فان سطح ذلك المشف
لا يريه الا ان يجعل له رسب بشي يوضع من ذلك الجانب حتى
يرى كرة البلور واحد جانبيها

فصل في سبب روية الشي الواحد شيئين

لنقل في سبب روية الشي الواحد كشيئين
فانه موضع نظر وذلك لانه احد ما يتعلق به اصحب الشعاعات
ايض ويقولون انه اذا كان الابصار بشي خارج من البصر يلقى
المبصر ثم يتفق ان ينكسر وضعه عند البصر وجب ان يرى الشي
الواحد لا محالة كشيئين متباينين فيرى اثنين وليسوا يعلمون
ان هذا يلزمهم الشناعة بالحقيقة وذلك لان الابصار ان كانت
مماسة اطراف الشعاعات وقد اجتمعت عليه فيجب ان يرى على
كل حال واحد ولا يضر في ذلك انكسار طرف الشعاعات

المنكرة

العضو
المنكسرة بل الحق هو ان شبح المبصر يتادى بتوسط الشفاف الى
القابل الاملس النير من غير ان يقبله جوهر الشفاف اصلا من
حيث هو تلك الصورة بل يقع بحسب المقابلة لا في زمان و
ان شبح المبصر اول ما ينطبع انما ينطبع في الرطوبة الجليدية وان
الابصار بالحقيقة لا يكون عندها والا لكان الشي الواحد يرى
شيئين لان له في الجليديتين شبحين كما اذا لمس باليدين كان
لمسين ولكن هذا الشبح يتادى في العصبتين المجوفتين الى
ملتقاهما على هيئة الصليب وهما عصبتان بين لك حالهما
حين نتكلم في التشريح وكان ان الصورة الخارجة تمتد منها في الوهم
مخروط يستدق الى ان يوقع زاويته وراء سطح الجليدية كذلك
الشبح الذي في الجليدية يتادى بوساطة الروح المودية التي
في العصبتين الى ملتقاهما على هيئة مخروط فيلتقي المخروطان و
يتقاطعان هناك فيتحد منهما صورة شبحية واحدة عند الحر من الروح
الحامل للقوة الباصرة ثم ان ما وراء ذلك روحا مودية للبصر لا مدركة
مرة اخرى والا لافترق الادراك مرة اخرى لافتراق العصبتين
وهذه المودية هي من جوهر المبصرة وينفذ الى الروح المصبوب في
الفضا المقدم من الدماغ فينطبع الصورة المبصرة مرة اخرى في
تلك الروح الحاملة لقوة الحس المشترك فيقبل الحس المشترك تلك
الصورة وهو كمال الابصار والقوة المبصرة غير الحس المشترك و
ان كانت فايضة منه مدبرا لها لان القوة الباصرة يبصر ولا يسمع و
لا يشم ولا يلمس ولا يذوق والقوة التي هي الحاسة المشتركة تبصر و

يسمع ويشم ويلمس ويذوق على ما ستعلم ثم ان القوة التي هي الحاسة
المشترك يودي الصورة الى جزء من الروح يتصل بجزء من الروح الحامل
لها فينطبع فيها تلك الصور ويخزنها هناك عند القوة المصورة وهي
الخيالية كما ستعلمها تقبل تلك الصورة فيحفظها فان الحس المشترك
قابل للصورة لا حافظ والقوة الخيالية حافظة لما قبلت تلك الصورة
والسبب في ذلك ان الروح التي فيها الحس المشترك انما تثبت فيها الصورة
الماخوذة من خارج منطبعة ما دامت النسبة المذكورة بينها وبين المبصر
محفوظة او قريبة العهد فاذا غاب المبصر انمحت الصورة عنها ولم يثبت
زمانا يعتد به واما الروح التي فيها الخيال فان الصور يثبت فيها ولو
بعد حين على ما سنوضح لك عن قريب والصورة اذا كانت في الحس
المشترك كانت محسوسة بالحقيقة فيها حتى اذا انطبع فيها صورة كاذبة
في الوجود احستها كما يعرض للمرودين واذا كانت في الخيال كانت
متخيلة لا محسوسة ثم ان تلك الصورة التي في الخيال ينفذ الى التجويف
الموخر اذا شاءت القوة الوهمية فيجب الدودة بتبعد ما بين العضو
المسمى بالدودة فاتصلت بالروح الحاملة للقوة الوهمية بتوسط
الروح الحامله للقوة المتخيلة التي يسمى في الناس مفكرة فانطبعت
الصورة التي في الخيال في روح القوة الوهمية والقوة المتخيلة خادمة
للوهمية مودية ما في الخيال اليها الا ان ذلك لا يثبت بالفعل في
القوة المتوهمة بل ما دام الطريق مفتوحا والروحان متلاقيين و
القوتان متقابلتين فاذا اعرضت القوة المتوهمة عنها بطلت عنها
تلك الصورة والدليل على صحة بان حصول هذه الصورة في الوهم

غير حصولها في الخيال ان الخيال كالخازن وليست الصورة التي
فيه متخيلة للنفس بالفعل دائما والا لكان يجب ان يتخيل معا صور
كثيرة اي صور كانت في الخيال ولا هذه الصور ايضا في
الخيال على سبيل ما بالقوة والا لكان يحتاج ان يسترجع بالحس
الخارج مرة اخرى بل هي محروسة فيه والوهم يتوسط المفكرة والمتخيلة
يعرضها على النفس وعنده يقف مبادي الصورة المحسوسة واما الذكر
فهو لشيء اخر كما نذكره بعد فهذه اصول يجب ان يكون عنده
عندك ولنرجع الى غرضنا فنقول ان السبب في روية الشيء الواحد
اثنين اربعة اسباب احدها انقلاب الالة المودية للشبح الذي
في الجليدية الى ملتقى العصبتين فلا يتادى الشبحان الى موضع
واحد على الاستقامة بل ينتهي عند كل جزء من الروح الباصر
المرتب هناك على حده لان خطي الشبحين لم ينفذا نفوذا من
شانه ان يتقاطعا عند مجاورة ملتقى العصبتين فيجب لذلك ان
ينطبع من كل شبح ينفذ عن الجليدية خيال على حده وفي جزء
من الروح الباصرة على حده فيكون كانهما خيالان عن شيئين
مفترقين من خارج اذ لم يتحد الخطان الخارجان منهما الى مركز الجليديتين
نافذين في العصبتين فلهذا السبب يرى الاشيا كثيرة متفرقة
والسبب الثاني حركة الروح الباصرة وتموجه يمنة ويسرة حتى
يتقدم الجزء المدرك مركزه المرسوم له في الطبع احدا الى جهة الجليديتين
احدا موجا مضطربا فيرتسم فيه الشبح والخيال قبل تقاطع المخروطين
فيرى شبحين وهذا مثال الشبح المرتسم من الشمس في الماء الراكد

الساكن مرة واحدة والمرتسم منها فى التموج ارتساما متكررا وذلك
ان الزاوية الحاصلة بين خط البصر الى الما وخط الشمس الى الما الذى
عندها يكون ابصار الشبح على طريق التادى من المراة لا سمى واحدة
بل تلقاها الموج فى مواضع فيكثر هذه الزاوية فينطبع اشباح فوق
واحده والسبب الثالث من اضطراب حركة الروح الباطن الذى
ورا التقاطع الى قدام وخلف حتى يكون لها حركتان الى جهتين
متضادتين حركة الى الحس المشترك وحركة الى ملتقى العصبتين
فيتادى اليها صورة المحسوس مرة اخرى قبل ان ينمحى ما يوديه الى الحس
المشترك كانها كما ادت الصورة الى الحس المشترك رجع منها حس يقبل ما
يوديه القوة الباصرة وذلك لسرعة الحركة فيكون مثلا قدارتسم فى
الروح المودية صورة فعلها الى الحس المشترك ولكل مرتسم زمان ثبات
الى ان ينمحى فلما زال المقابل الاول من الروح عن مركزه لاضطراب
حركته حلفه حراخر فقبله قوله قبل ان انمحى عن الاول مجراه الروح
للاضطراب الى حر متقدم كان فى سمت المرئى فادركه ثم زال ولم
يزل عنه الصورة دفعة بل هى فيه والى حر اخر قابل للصورة ايضا يحصل له
فى السمت الذى فى مثله يدرك الصورة عاما للجزء الاول والسبب
الاضطراب واذا كان كذلك حصل فى كل واحد منهما صورة مرسلة لان
الاولى لم ينمح بعد عن الحر القابل الاول المودى الى الحس المشترك
اوعن المودى اليه حتى انطبع فى الثانى والفرق بين هذا القسم والقسم
الذى قبله ان هذه الحركة المضطربة الى قدام وخلف وكانت تلك
الى يمنه ويسره ولمثل هذا السبب ما يرى الشى السريع الحركة الى

الجانبين كشيئين لانه قبل ان انمحى عن الحس المشترك صورته و
هو فى جانب يراه البصر وهو فى جانب اخر فوافى ادراكه فى
الجانبين معا ولذلك اذا اديرت نقطة ذات لون على شئ مستدير
رايت خطا مستديرا واذا امتدت بسرعة على الاستقامة رايت
خطا مستقيما ويظهر هذه الحركة الدوار فانه اذا عرض سبب
من الاسباب المكتوبة فى كتب الطب فحرك الروح التى
فى التجويف المقدم من الدماغ على الدور وكانت القوة الباصرة
تودى الى ما هناك صورة محسوسة والحر من الروح القابل لها
لا يثبت مكانه بل ينتقل ويخلفه حر اخر يقبل تلك الصورة ثم
قبوله وقبل انمحائه عنه وكذلك على الدور فيتخيل ان المرئيات
يدور ويتبدل على الرائى وانما الرائى هو الذى يدور ويتبدل
على المرئى واذا كان القابل ثابتا ويحرك الشئ المبصر بسرعة انتقل
لا محالة شبحه الباطن من حر من القابل الى حر اخر فانه لو كان الشبح
يثبت فى ذلك الحر بعينه لكان نسبة القابل مع المقبول ثابتة
واحده فاذن اذا عرض لحامل الشبح ان ينتقل عن مكانه انتقل
الشبح لا محالة مضطرب نسبته الى الجسم الذى من خارج فيعرض
ما يعرض لو كان الشئ الذى من خارج ينتقل وايضا فان الناظر
فى ماء شديد الجرى يحمل له هو ذى يميل عن جهته ويسقط اليها
والسبب فى ذلك انه يحمل الاشيا كلها يميل الى خلاف جهة
ميل الما فان شدة الحركة الموجبة لسرعة المفارقة توهم ان المفارقة
من الجانبين معا والسبب انتقال الشبح فى القابل مع شانه فى

كل جزء بعد صبر زمانا ما ويجب ان يعلم ان مع هذه الاسباب سببا اخر معينا لها مادى وذلك ان جوهر الروح جوهر في غاية اللطافة وفي غاية سرعة الاجابة الى قبول الحركة حتى انه اذا حدث فيه موجب لانتقال الشبح من جزء الى جزء يلزم ان يتحرك جوهر الروح حركة ما وان قلت الى سمت ذلك الجزء والسبب في ذلك ان لكل قوة من القوى المدركة انبعاث بالطبع الى مدركها حتى انها يكاد يلتذ به واما اذا انبعث نحوها سال حاملها اليها او سال بحاملها اليها ولهذا ما كان الروح الباصرة يندفع حمله الى الضوء ويقبض عن الظلمة بالطبع فاذا مال الشبح الى جزء من الروح دون جزء كانت القوة المندفعة الى جهة ميل الشبح بالتها فان الالة محسة لها الى نحو الجهة التي يطلبها القوة فيحدث في الروح تموج الى تلك الجهة للطافتها وسرعتها الى قبول الاثر كانها يتبع حركة الشبح ولهذا السبب اذا طال الانسان النظر الى شيء يدور يخيل له ان يتاثر الاشيا يدور لانه يحدث في الروح حركة مستديرة لاساعها لانتقال الشبح وكذلك اذا طال الى شيء سريع الحركة في الاستقامة يحدث في الروح حركة مستقيمة الى ضد تلك الجهة لان جهة حركة الشيء مضاده لجهة حركة الشبح فح يرى الاشيا كلها ينتقل الى ضد الجهة لان اشباح الاشيا لا يثبت والسبب الرابع اضطراب حركة يعرض للثقبة العنبية فان الطبقة العنبية سهلة الحركة الى هيئة يتسع لها الثقبة ويضيق تارة الى خارج وتارة الى داخل على الاستقامة او الى جهة فمع اندفاعها الى خارج انضغاط يعرض لها واتساع

من الثقبة

من الثقبة ويتبع اندفاعها الى داخل اجتماع يعرض لها ويضيق من الثقبة فاذا اتفق ان ضاقت الثقبة يرى الشيء اكبر او اتسعت يرى اصغر او اتفق مالت الى جهة يرى في مكان اخر فيكون كان المرئي او لا غير المرئي ثانيا وخصوصا اذا كان قد يمثل قبل انمحا الصورة الاولى صورة اخرى ولقائل ان يقول فلم لا يثبت الصورة واحدة مع انتقال القابل فيكون القابل اذا زال عن المحاذاة بطلت الصورة عنه وحدث فيما يقوم مقامه فلم يكن صورتان فلم يكن رويتان ولا اتصال خط عن نقطة ولا رويت الاشيا تستدير فنقول لا يبعد ان يكون من شان الروح التي للحس المشترك ان لا يكون انما يضبط الصورة بالمحاذاة فقط وان كان لا يضبطها بعد المحاذاة مدة طويلة فيكون لا كضبط المستنير بالضوء للضوء الذي يبطل دفعة ولا كضبط الحجر للنفس الذي يبقى مدة طويلة بل بين بين ويكون يخلسه عن الصورة بسبب يقوى ويعان بعد المحاذاة بزمان بالاسباب يحدها مذكورة فيما يعرض كثيرا وفيما يعود الى طبيعته حيث يتكلم في مثله ومن هذا يعلم ان قبول الروح الناظر للخيالات المبصرة ليست كقبول الشبح السانح الذي يزول مع زوال المحاذاة وبالحري ان يكون الحواس هي هذه المشهوره وان الطبيعة لا ينتقل من درجة الحيوانية الى درجة فوقها او توفي جميع ما يكون في تلك الدرجة فيجب من ذلك ان يكون جميع الحواس محصلة عندنا ومن رام ان يبين هذا بقياس واجب فقد تكلف شططا وجميع ما قيل في هذا فهو غير مبرهن

اولست افهم فهم المبرهن عليه ويفهم غيري فلنعرف من غير
كلامنا فالحواس المفرده والمحسوسات المفردة ما ذكرناه وههنا
حواس مشتركة فلنتكلم اولا في المحسوسات المشتركة فنقول ان
الحواس منا قد يحس مع ما يحس اشيا اخرى لو انفردت وحدها لم
يحس وهذه الاشيا هي المقادير والاوضاع والاعداد والحركات
والسكونات والاشكال والقرب والبعد والمماسة وما هو غير ذلك
مما يدخل فيه وليس انما يحس هذه بعرض وذلك لان المحسوس
بالعرض هو الذي ليس محسوسا بالحقيقة لكنه مقارن لما يحس
بالحقيقة مثل ابصارنا اباعمرو وابا خالد فان المحسوس هو الشكل و
اللون ولكن عرض ان ذلك مقارن لشيء مضاف فنقول انا احسسنا
بالمضاف ولم نحسه البتة ولا في انفسنا خيال ولا رسم لابي خالد
من حيث هو ابو خالد بل يكون ذلك الرسم والخيال مستفادا من
الحس بوجه من الوجوه واما الشكل والعدد وغير ذلك فانه وان
كان لا يحس بانفراده فان رسمه وخياله يلزم خيال ما يحس وما يدرك
بانه لون او حرارة او برودة مثلا حتى يمتنع ارتسام امثال هذه في
الخيال دونها ايضا وليس اذا كان الشيء ممثلا ومدركا الشيء
في شيء بتوسط شيء فهو غير ممثل فيه بالحقيقة فان كثيرا من الامور
التي هي بالحقيقة وليست بالعرض فانها تكون بمتوسطات وهذه
المحسوسات المشتركة لما كان ادراكها بهذه الحواس ممكنا لم
يحتج الى حاسة اخرى بل لما كان ادراكها بلا توسط غير ممكن استحال
ان يفرد لها حاسة فالبصر يدرك العظم والشكل والعدد والوضع

والحركة

والحركة بتوسط اللون ويشبه ان يكون ادراك الحركة والسكون
مشوبا بقوة غير الحس واللمس يدرك جميع هذا بتوسط صلابة او لين
في اكثر الامر وقد يكون بتوسط الحر والبرد والذوق يدرك الطعم
بان يذوق طعما كثيرا منتشرا ويدرك العدد بان يجد طعوما كثيرة
في الاجسام واما الحركة والسكون والشكل فيكاد ان يدركه
ايضا ولكن ضعيفا تستعين في ذلك باللمس واما الشم فيكاد لا يدرك
به العظم والشكل والحركة والسكون ادراكا ممثلا في الشام
بل يدركه به العدد بان يمثل في الشام ولكن النفس تدرك
ذلك بضرب من القياس او الوهم بان نعلم ان الذي انقطعت
رائحته دفعة قد زال والذي يبقى رائحته هو ثابت واما السمع فان
العظم لا تدركه ولكن السمع قد يدل عليه النفس دلالة غير مستمرة
على الدوام وذلك من جهة ان الاصوات العظيمة قد ينسبها الى
اجسام عظيمة وكثيرا ما يكون من اشيا صغيرة وبالعكس و
لكن قد يدرك العدد ويدرك الحركة والسكون بما يعرض للصوت
الممتد من ثبات او اضمحلال لا يكون مصيره الى ذلك لاختلاف
في عدد مثل ذلك البعد ولكن هذا الادراك من جملة ما يدركه
النفس للعادة التي عرضها وقد يمكن ان يسمع الصوت عن الساكن
على هيئة الصوت الذي يسمع عن المتحرك وعن المتحرك على هيئة
التي يسمع عن الساكن فلا يكون هذه الدلالة لازمة كونها الهاما ولا يجب
وجوبا بل يكون في اكثر الامر واما الشكل فلا يدركه السمع لا
شكل الصوت لا شكل الجسم واما الذي يسمع عن المجوف فيتوقف

على نحو نفر فهو شئ يعرض للنفس وتعرفه النفس على سبيل الاستدلال
وتامل يذهب العادة فيه ويشبه ان يكون حال البصر في كثير مما يدركه
هذه الحال ايضا الا ان ادراك البصر لما يدركه من ذلك اظهر فهذه
هي المحسوسات التي تسمى مشتركة اذ قد يشترك فيها عدة من الحواس
والعدد كانه اولى ما يسمى مشتركا فان جميع الحواس يشترك فيه وقد
ظن بعض الناس ان لهذه المحسوسات المشتركة حاسة موجودة في
الحيوان يشترك فيها وبها يدرك وليس كذلك فانت تعلم ان من ذلك
ما يدرك باللون لولا اللون لما ادرك وان منه ما يدرك باللمس لولا
اللمس لما ادرك فلو كان يمكن ان يدرك شئ من ذلك بغير التوسط
من كيفية هي يدرك اول لشئ من هذه الحواس لكان ذلك ممكنا و
اما ان يستحيل فينا ادراكه الا بتوسط مدرك لحاسة معلومة و
استدلال من غير توسط الحاسة فليس لها حاسة مشتركة بوجه من
الوجوه المقالة الرابعة فصل فيه قول كلي على الحواس
الباطنة التي للحيوان واما الحس المشترك فهو بالحقيقة غير ما ذهب
اليه من ظن ان للمحسوسات حسا مشتركا بل الحس المشترك هو القوة
التي يتأدى اليها المحسوسات كلها فانه لو لم يكن قوة واحدة
يدرك الملون والملموس لما كان لنا ان نميز بينهما قائلين انه ليس هذا
ذاك وهب ان هذا التميز هو للعقل فيجب لا محالة ان يكون العقل
يجدهما معا حتى يميز بينهما وذلك لانها من حيث هي محسوسة
وعلى النحو المتادي من المحسوس لا يدركها العقل كما سيوضح بعد
وقد نميز نحن بينهما فيجب ان يكون لها اجتماع عند مميز اما في ذاته

واما في غيره وتحقيق ذلك في العقل على ما ستعلم فيجب ان يكون في
قوة اخرى ولو لم يكن قد اجتمع عند الخيال من البهايم التي لا عقل
لها المايلة بشهوتها الى الحلاوة مثلا ان شيئا صورته كذا هو حلو
لما كانت اذا راته همت باكله كما انه لولا ان عندنا ان هذا
الابيض هو هذا المغني لما كنا اذا سمعنا غناءه الشخصي ابصرنا الشخص
وبالعكس ولو لم يكن في الحيوان ما يجتمع فيه صور المحسوسات
لتعذرت عليها الحياة ولو لم يكن الشم دالا لها على الطعم ولم يكن
الصوت دالا اياها على الطعم ولم يكن صورة الخشبة يذكرها صورة
الالم حتى يهرب منها فيجب لا محالة ان يكون لهذه الصور مجمع واحد من
باطن وقد يدل لنا على وجود هذه القوة اعتبارات امور يدل على ان
لها التزعير الحواس الظاهرة مما نراه من محصل المدور وان كل شئ
يدور فذلك اما عارض عرض في المرئيات او عارض عرض في الالة
التي بها يتم الرؤية واذا لم يكن في المرئيات كان لا محالة في شئ اخر وليس
الدوار الا بسبب حركة البخار في الدماغ وفي الروح الذي فيه
فيعرض لذلك الروح ان يدور فيكون اذن القوة المرئية هناك هي
التي يعرض لها امر قد فرغنا منه ولذلك يعرض للانسان دوار من
تامل ما يدور كثيرا على ما اشار اليه وليس يكون ذلك بسبب امر في
حس العين ولا في روح مصبوب فيه ولذلك يحصل استعجال المحرك
النقطي مستقيما او مستديرا على ما سلف من قبل ولان يمثل الاشباح
الكاذبة وسماع الاصوات الكاذبة قد يعرض لمن يفسد لهم الات
الحس او كان مثلا مغمضا لعينه ولا يكون السبب في ذلك الا

لمثالها فی هذا المبدء والمحالات التی یقع فی النوم اما ان یکون لارتسام
الصور فی خزانة حافظة للصور فلو کان کذلک لوجب ان یکون کل ما
اختزن فیها متمثلاً فی النفس لیس بعضها دون بعض حتی یکون ذلک
البعض کانه مرئی او مسموع وحده او ان یکون یعرض لها التمثل فی
قوة اخری وذلک اما حس ظاهر واما حس باطن لکن الحس الظاهر معطل
فی النوم ومما کان الذی یتخیل لو انا ما مسمول العین فبقی ان
یکون حس باطن ولیس یمکن ان یکون الا المبدء للحواس الظاهرة والذی کان
اذا استولت القوة الوهمیة وجعلت تستعرض ما فی الخزانة تستعرضه
بها ولو فی النقظة فاذا استحکم شأنها فیها کانت کالمشاهدة فهذه القوة
هی التی یسمی الحس المشترک وهی مرکز الحواس ومنها تتشعب الشعب و
الیها تؤدی الحواس وهی بالحقیقة هی التی تحس لکن امساک ما یدرکه
هذه هو للقوة التی یسمی خیالا او یسمی مصورة ویسمی متخیلة وربما فرق
بین الخیال والمتخیلة بحسب الاصطلاح ونحن ممن نفصل ذلک والحس
المشترک والخیال کانهما قوة واحدة وکانهما لا یختلفان فی الموضوع بل
فی الصورة وذلک لانه لیس ان یقبل هو ان یحفظ فصورة المحسوس
یحفظها القوة التی یسمی المصورة والخیال ولیس الیها حکم البتة بل حفظ
واما الحس المشترک والحواس الظاهرة فانها یحکم بجهة ما او یحکم ما فوق ان
هذا المتحرک اسود وان هذا الاحمر حامض وهذا الحافظ لا یحکم به علی
شیء من الموجود الا علی ما فی ذاته بان فیه صورة کذا ثم قد نعلم یقیناً
انه فی طبیعتنا ان یرکب المحسوسات بعضها الی بعض وان نفصل
بعضها من بعض لا علی الصور التی وجدناها علیها من خارج ولا مع

تصدیق

تصدیق بوجود شیء منها او لا وجوده فیجب ان یکون فینا قوة یفعل ذلک
بها وهذه هی التی یسمی اذا استعملها العقل مفکرة واذا استعملتها
قوة حیوانیة متخیلة ثم انا قد نحکم فی المحسوسات بمعان لا نحسها اما ان
لا یکون فی طبایعها محسوسة البتة واما ان یکون محسوسة لکننا لا نحسها
وقت الحکم اما التی لا یکون محسوسة فی طبایعها فمثل العداوة والرداءة
والمنافرة التی یدرکها الشاة فی صورة الذئب وبالجملة المعنی الذی
ینفرها عنه والموافقة التی یدرکها من صاحبها وبالجملة المعنی الذی
یونسها به وهذه امور یدرکها النفس الحیوانیة والحس لا یدلها علی شیء
منها فاذن القوة التی بها یدرک قوة اخری ولتسم الوهم واما التی یکون
محسوسة فانا نری مثلاً شیئاً اصفر فنحکم انه عسل وحلو فان هذا لیس
یودیه الحاس الیه فی هذا الوقت وهو من جنس المحسوس علی ان الحکم
نفسه لیس بمحسوس البتة وان کانت اجزاؤه من جنس المحسوس و
لیس یدرکه فی الحال انما هو حکم یحکم به وربما غلط فیه وهو ایضاً
لتلک القوة وفی الانسان للوهم احکام خاصة من جملتها حملها
النفس علی ان یمنع وجود اشیاء لا یتخیل ولا یرتسم بها ویابی التصدیق
بها فهذه القوة لا محالة موجودة فینا وهی الرئیسة الحاکمة فی الحیوان
حکما لیس فصلاً کالحکم العقلی ولکن حکما کلیاً مقروناً بالجزویة و
بالصورة الحسیة وعنه یصدر اکثر الافعال الحیوانیة وقد جرت
العادة بان یسمی مدرک الحس صورة ومدرک الوهم معنی ولکل واحد
منهما خزانة فخزانة مدرک الحس هو القوة الخیالیة وموضعها مقدم
الدماغ فلذلک اذا حدثت هناک آفة فسد هذا الباب من التصور

امابان يتخيل صورًا لبست او يصعب استثبات الموجود فيها وخزانة
مدرك المعنى هو القوة التي تسمّى الحافظة ومعدنها مؤخر الدماغ و
لذلك اذا وقع هناك آفة وقع الفساد فيما يختص بحفظ هذه المعاني و
هذه القوة تسمّى ايضًا متذكرة فتكون حافظة لصيانتها ما فيها و
متذكرة لسرعة استعدادها لاستثباتها والتصور بها مستعيدة
اياها اذا فقدت وذلك اذا اقبل الوهم بقوته المتخيلة فجعل تعرض
واحدًا واحدًا من الصور الموجودة في الخيال ليكون كانه تشاهد الامور
التي هذه صورها فاذا عرض له الصورة التي ادرك معها المعنى الذي
بطل لاح له المعنى ح كما لاح من خارج واستثبته القوه الحافظة في
نفسها كما كانت ح لست فكان ذكر وربما كان المصير من المعنى
الى الصورة فيكون التذكر المط ليس بسببه الى ما في خزانة الحفظ بل
نسبه الى ما في خزانة الخيال فكان اعادته اما في وجه العود الى
هذه المعاني التي في الحفظ حتى يصير المعنى الى لوح الصورة فيعود
النسبة الى ما في الخيال ثانيًا واما بالرجوع الى الحس مثال الاوّل
انك اذا نسيت نسبه الى صورة وكنت عرفت تلك النسبه تاملت
الفعل الذي كان يقصد منها فلما عرفت الفعل ووجدته وعرفت
انه اي طعم وشكل ولون يصلح له فاستثبت النسبة به فالغيت ذلك
وحصلته نسبة الى صورة في الخيال واعدت النسبة في الذكر فان
خزانة الفعل هو الحفظ لانه من المعنى فان اشكل ذلك عليك من
هذه الجهة ايضًا ولم يتضح فاورد عليك الحس صورة شيء عادت
مستقره في الخيال وعادت النسبة اليه مستقرة في التي يحفظ

وهذه القوه المركبة بين الصوره والصوره وبين الصورة و
المعنى وبين المعنى هي كانها القوة الوهمية بالموضوع لا من حيث
يحكم بل من حيث تعمل لتصل الى الحكم وقد جعل مكانها وسط الدماغ
ليكون لها اتصال بخزانتي المعنى والصورة ويشبه ان تكون
القوة الوهميه هي بعينها المفكرة والمتخيله والمتذكرة هي بعينها
الحاكمة فتكون بذاتها حاكمة وبحركاتها وافعالها متخيلة ومتذكرة
فتكون متخيلة بما يعمل في الصور والمعاني ومتذكرة بما ينتهي اليه
عملها واما الحافظه فهي قوة خزانتها ويشبه ان تكون التذكر الواقع
بالقصد معنى للانسان وحده

فصل في افعال القوة المصورة والمفكرة من هذه الحواس الباطنة وفيه القول على النوم واليقظة والرؤيا الصادقة والكاذبة وضرب من خواص النبوة

فلنحصل القول في القوة المصورة اولا فنقول ان القوة المصورة
التي هي الخيال هي اخر ما تستقر فيه صور المحسوسات وان
وجهها الى المحسوسات هو الحس المشترك يودي الى القوة المصورة
على سبيل سحران ما يوديه اليه الحواس محره وقد يخزن القوة
المصورة ايضًا اشياء ليست من الماخوذات عن الحس فان القوة المفكرة
قد يتصرف على الصور التي في القوة المصورة بالتركيب والتحليل
لانها موضوعات له فاذا ركبت صورة منها او فصلتها امكن ان
تستحفظها فيها لانها ليست خزانة لهذه الصورة من جهة ما هذه صورة
منسوبة الى شيء وارده من داخل او خارج بل انما هي خزانة لها لانها
هذه الصورة بهذا النحو من التجريد ولو كانت هذه الصورة على نحو

ما فيها من التركيب والتفصيل يرد من خارج لكان هذه القوة بسببها فكذلك اذا الاحت لهذه القوة من سبب اخر واذا عرض لسبب من الاسباب اما من التخيل والفكر واما لشيء من التشكلات السماوية ان يتمثل صورة في المصورة وكان الذهن غايبا او ساكنا عن اعتبارها امكن ان يرتسم ذلك في الحس المشترك نفسه على هيئة مسموع ويرى الوانا واصواتا ليس لها وجود من خارج ولا اسبابها من خارج واكثر ما يعرض هذا عند سكون القوى العقلية وعقول الوهم وعند اشتغال النفس الناطقة عن مراعاة الخيال والوهم فهنالك تقوى المصورة والمتخيلة على افعالها الخاصة حتى يتمثل ما يورده من الصور محسوسة ولنزد هذا بيانا فنقول انه يحسن لنا بعد ان هذه القوى كلها لنفس واحدة وانها خوادم للنفس فلنسلم ذلك وضعا ولنعلم ان اشتغال النفس ببعض هذه يصرفها عن اعانة القوى الاخرى على فعلها او عن ضبطها عن ردعها او عن حملها على الصواب فان من شان النفس اذا اشتغلت بالامور الباطنة ان تغفل عن استثبات الامور الخارجة فلا تستثبت المحسوسات حقها من الاستثبات واذا اشتغلت بالامور الخارجة ان تغفل عن استعمال القوى الباطنة فانها اذا كانت تامة الاصغا الى المحسوسات الخارجة ففي وقت ما يكون متصرفة الى ذلك يضعف تخيلها وتذكرها واذا انصب الى افعال القوى الغضبية انكسرت منها افعال الشهوانية وبالعكس وبالجملة اذا انصبت الى استعمال الافعال الحركية ضعفت الافعال الادراكية وبالعكس فاذا لم يكن

النفس

النفس مشتغلة بافعال قوى عن افعال قوة ما بل كانت وادعة كانها معقولة عرض لا قوى القوى واعملها ان تغلب واذا اشتغلت بقوة ما وعارض عن ما شغف قوة انما يضبطها عن حركاتها المفرطة مراعاة النفس والوهم اياها استولت تلك القوة وبعدت في افعالها التي بالطبع مدخلا لها الجو وهذا الذي يعرض للنفس من ان لا يكون مشتغلا بفعل قوة اخرى او قوى فقد يكون لانه اولضعف شاغله عن الاستعمال كما في الامراض وكما في الخوف واما ان يكون لاستراحة ما كما في النوم واما ان يكون لكثرة انصراف الهمة الى استعمال القوة المتصرف اليها عن غيرها ثم ان القوة المتخيلة قوة قد يصرفها النفس عن خاص فعلها بوجهين مثل ما يكون عند اشتغال النفس بالحواس الظاهرة وصرف القوة المتصرفة الى الحواس الظاهرة وتحريكها بما يورد عليها منها حتى لا تسلم للتخيلة المفكرة فيكون المتخيلة مشغولة عن فعلها الخاص ويكون المصورة ايضا مشغولة عن الانفراد بالمتخيلة ويكون ما يحتاجان اليه من الحس المشترك مباينا في شغل الحواس الظاهرة وهذا الوجه هو وجه وتارة عند استعمال النفس اياها في افعالها التي يتصل بها من التمييز والفكرة وهذا على وجهين ايضا احد الوجهين ان يستولى على المتخيلة فيستخدمها والحس المشترك معا في تركيب صور باعيانها وتحليلها على جهة يقع النفس فيها عرض صحيح ولا يتمكن المتخيلة لذلك من التصرف على ما لها ان يصرف عليه بطباعها بل يكون مجرة مع تصرف النفس النطقية اياها انجرارا والثاني ان تصرفها عن التخيلات التي لا تطابق الموجودات من خارج فيكفها

عن ذلك اسقاطا لا لها فلا يتمكن من شدة تشبيحها او تمثيلها فان شغلت
المتخيلة من الجهتين جميعا ضعف فعلها وان زال عنها الشغل من
الجهتين كليهما كما يكون في حال النوم او من جهة واحدة كما يكون
في حال النوم عند الامراض التي يضعف البدن وتشتغل النفس
عن العقل والتمييز وكما عند الخوف حين يضعف النفس ويكاد يجوز
ما لا يكون ويكون منصرفة عن العقل حمله لضعفها وتخوفها وتوقع
امور حذاسر فكانها يترك العقل وتدبيره امكن التخيل ان تقوى
على المصورة وتستعملها ويتقوى اجتماعهما معا فيصير المصورة اظهر فعلا
فتلوح الصور التي في المصورة في الحاس المشترك فيرى كانها موجودة
خارجا لان الاثر المدرك من الوارد من خارج ومن الوارد من داخل
هو ما يمثل فيها وانما يختلف بالنسبة واذا كان المحسوس بالحقيقة
هو ما يتمثل فاذا تمثل كان حاله كحال ما يرد من خارج ولهذا ما يرى
الانسان المجنون والخايف والضعيف والنايم اشباحا قائمة كما يراها
في حال السلامة بالحقيقة ويسمع اصواتا فاذا تدارك التمييز او العقل شيئا
من ذلك وجذب القوة المتخيلة الى نفسه بالتنبيه اضمحلت تلك الصور
والخيالات وقد يتفق في بعض الناس ان يخلق فيه القوة المتخيلة
شديدة جدا غالبة حتى انها لا يستولي عليها الحواس ولا يعصيها المصورة
ويكون النفس قوية لا يبطل التفاتها الى العقل وما قبل العقل ايضا
لها الى الحواس فهولاء يكون لهم في اليقظة ما يكون لغيرهم في المنام من
الحالة التي سنحكي عنها بعد وهي حالة ادراك النايم معينات يتحققها
بحالها او ما مثله يكون لها فان هولاء قد يعرض لهم مثلها في اليقظة وكثيرا ما

يكون لهم

يكون لهم في توسط ذلك ان يعسوا اخر الامر عن المحسوسات و
يصيبهم كالاغماء وكثيرا ما لا يكون وكثيرا ما يرون الشيء
بحاله وكثيرا ما يتخيل لهم مثاله للسبب الذي يتخيل للنائم مثال
ما يراه مما يوضحه بعد وكثيرا ما يتمثل لهم شبح ويتخيلون ان ما
يدركونه خطاب من ذلك الشبح بالفاظ مسموعة يحفظ ويتلى
وهذه هي النبوة الخاصة بالقوة المتخيلة وههنا نبوات اخرى
سنوضح امرها وليس احد من الناس لا يصيب له من امر الدنيا
ومن حال الادراكات التي يكون في الفطر فان الخواطر التي تقع
دفعة في النفس انما يكون سببها اتصالات ما لا نشعر بها ولا بما
يتصل بها لا قبلها ولا بعدها فينتقل النفس منها الى شيء اخر
غير ما كان عليها مجراها وقد يكون ذلك من كل جنس فيكون من
المعقولات ويكون من الانذارات ويكون شعرا ويكون غير ذلك
بحسب الاستعداد والعادة والخلق وهذه الخواطر يكون لاسباب
تعن للنفس مسارعة في اكثر الامر ويكون كالتلويحات المستلبة
التي لا تستقر فتذكر الا ان يبادر لها النفس بالضبط القاصد
ويكون اكثر ما يفعله ان يشغل التخيل بجنس غير مناسب لما
كان فيه ومن شان هذه القوة المتخيلة ان يكون دائمة الاكباب على
حراسة المصورة والذاكرة ودائمة العرض للصور مبتدية من صور محسوسة
او مذكورة منتقلة منها الى ضد او ند او شيء هو منه بسبب وهذه
طبيعتها واما اختصاص انتقالها من الشيء الى ضده دون نده او نده
دون ضده فيكون لذلك اسباب جزوية لا تحصى وبالجملة يجب

ان يكون اصل السبب فى ذلك ان النفس من مراعاة المعنى والصورة
انتقلت من المعنى الى الصورة التى هى اقرب اليها اما مطلقا واما لا
يفارق قرب عهد مشاهد به لنا لفهما فى حس او فى وهم والعكس
كذلك من الصور الى المعنى ويكون السبب الاول الذى يخصص
صورة دون صورة ومعنى دون معنى امرا قد ورد عليه من الحس
خصصه او من العقل والوهم يخصصه او لامر يساوى فلما يخصص
بذلك صار استمراره واستاله مخصصا لتخصص المبداين و
لاجل احوال تقارن من العادة ولقرب العهد وبعض الصور والمعانى
وقد يكون ذلك لاحوال ايضا سماوية وقد يكون الطوالع من العقل
والحس بعد التخصيص الاول مضافة اليه واعلم ان الفكر النطقى
مموهذه القوة وهو من جوهره هذه القوة فى شغل شاغل فانه
اذا استعملها فى صورة ما استعمالا لاموجها نحو عرض ما انتقلت
بسرعة الى شئ اخر لايناسبه ومنه الى ثالث والسبب النفس اول
ما اسدات عنه حتى يحوج النفس الى التذكر فارجع الى التحليل بالعكس
حتى يعود الى المبدء فاذا اتفق فى حال اليقظة ان ادرك النفس شيئا
او فى حال النوم ان اتصلت بالملكوت اتصالا على ما يصفه بعد وصفا
فان هذه القوة ان مكنته لسكونها او لما يقارها من جنس الاستثبات
لما يلوح لها من محصلا انها تمكنت تلك الصورة من الذكر تمكنا جيدا
على وجهه وصورته فلم يحتج ان كان يقظة الى التذكر وان كان نوما
الى التعبير وان كان وحيا الى التاويل فان التعبير والتاويل هيهنا
بذهب مذهب التذكر فان لم يستثبت النفس ما دائه من ذلك

فى قوة

فى قوة الذكر على ما ينبغى بل كانت القوة المتخيلة توارى كل مفرد
من المرئى فى النوم بخيال مفرد او مركب او توادى مركبا من المرئى
فى النوم بخيال مفرد او مركب فلا يزال يحاذى ما يرى هناك
بمحاكات مولفة من صور ومعان كان استثبات النفس فى ذاتها لما
رآه اضعف من استثبات المصورة والتذكرة لما يورده المتخيل فلم يثبت
فى الذكر ما راى من الملكوت وثبت ما حوكى به ويتفق كثيرا ان
يكون ما يرى من الملكوت شيئا كالراس وكالاسد فيستولى التخيل
على النفس استيلاء يصرفها عن استثبات ما تراه وينقل بعده انتقالا
بعد انتقال لا يحاكى بتلك الانتقالات شيئا مما يرى من الملكوت
اذ ذلك قد انقطع فيكون هذا من الرويا انما موضع العبارة عنه
سى طيف وما فيه اضغاث احلام فما كان من الرؤيا من الجنس الذى
السلطان فيه للتخيل فانه يحتاج الى عبارة ضرورة وربما راى الانسان
بعينه رؤياه فى رؤياه فيكون ذلك بالحقيقة تذكرا فان القوة المفكرة
كما انها قد اشتغلت اولا من الاصل الى الحكاية لمناسبة بينهما كذلك لا
يبعد ان ينتقل عن الحكاية الى الاصل فكثيرا ما يعرض لها ان يتخيل
فعلها ذلك مرة اخرى فيرى كان مخاطبا يخاطبها بذلك وكثيرا ما
لم يكن كذلك بل كان كانها تعاين الشى معاينة صحيحة من غير ان
يكون النفس اتصلت بالملكوت بل يكون محاكاة من التخيل للمحاكاة
فيرجع الى الاصل وهذا الضرب من الرؤيا الصحيح قد يقع عن التخيل
من غير معونة قوة اخرى وان كان الاصل فيه ذلك فيرجع وربما حاكت
هذه المحاكات بمحاكات اخرى فيحتاج الى تعبير المعبر مرة اخرى و

هذه اشيا واحوال لا يضبط ومن الناس من يكون اصح احلاما
وذلك اذا كانت نفسه قد اعتادت الصدق وقهرت التخيل
الكاذب واكثر من يتفق له ان يعبر رؤياه في رؤياه هو من كانت همته
مشغولة بما راى فاذا نام بقي الشغل بحاله فاخذت القوة المتخيلة
تحاكيه بعكس ما حاكت اولا وقد حكي ان هرقل الملك راى رؤيا
شغلت قلبه ولم يجد عند المعبرين ما يشفيه فلما نام بعد ذلك
عبر له في منامه تلك الرؤيا فكانت مشتملة على اخبار عن امور تكون
في العالم وفي خاص مدينته ومملكته فلما وردت تلك الانذارات
خرجت على نحو ما عبر له في منامه وقد جرت هذا في غيره والذين
يرون هذه الامور في اليقظة منهم من يرى ذلك لشرف نفسه
وقوة متخيلة ومتذكرة فلا يشغلها المحسوسات عن افعالها الخاصة
ومنهم من يرى ذلك لزوال تميزه ولان النفس التي لم تصرف عن
التميز ولذلك فان تخيله قوي فهو قادر على تلقي الامور الغيبية
في حال اليقظة فان النفس محتاجة في تلقي فيض الغيب الى القوى
الباطنة من وجهين احدهما ليتصور فيها المعنى الجزئي تصورا محفوظا
والثاني ليكون معينة لها منصرفة في جهة ارادتها لا شاغلة اياها
جاذبة لها الى جهتها فيحتاج الى نسبة بين الغيب وبين النفس و
القوة الباطنة المتخيلة ونسبة بين النفس والقوة الباطنة المتخيلة
فان كان الحس يستعملها او العقل يستعملها على النحو العقلي الذي
ذكرناه لم يفرغ لامور اخرى مثل المراة اذا شغلت عن جهة
وحركت نحو جهة فان كثيرا من الامور التي من شانها ان يرتسم في

تلك

تلك المراة مغافصة ومباعدة لنسبة ما بينهما لا يرتسم وسواء كان
هذا الشغل من الحس او من ضبط العقل فاذا فات احدهما او شك
ان يتفق النسبة المحتاج اليها بين الغيب وبين النفس والقوة المتخيلة
فيلوح فيه اللائح على نحو ما يلوح ولاما قد اسهل بنا الكلام في
التخيل الى امر الرؤيا فلا باس ان يدل يسيرا على المبدء الذي يقع
عنه الانذارات في المنام بامور بعينها وضعا وانما يبين لنا في الصناعة
التي هي الفلسفة الاولى فنقول ان معاني جميع هذه الامور الكائنة
في العالم مما سلف ومما حضر ومما يريد ان يكون موجود في علم الباري
تع والملائكة العقلية من جهة وموجودة في انفس الملائكة
السماوية من جهة وسيتضح لك الجهتان في موضع اخر وان
الانفس البشرية اشد مناسبة لتلك الجواهر الملكية منها للاجسام
المحسوسة وليس هناك احتجاب ولا بخل انما الحجاب للقوابل اما لانغمارها
في الاجسام واما لتدنسها بالامور الجاذبة الى الجسم السافل واذا
وقع لها ادنى فراغ من هذه الافعال حصل لها مطالعة لما ثم فيكون
اولى ما يسبقه ما يتصل بذلك الانسان او بذويه او ببلده او
باقليمه فلذلك اكثر الاحلام الذي يختص بالانسان الذي حلم
بها ومن يليه ومن كانت همته المعقولات لاحت له ومن كانت
همته مصالح الناس راها واهتدى اليها وكذلك على هذا القياس و
ليست الاحلام كلها صادقة وبحيث يجب ان يشتغل بها فان
القوة المتخيلة ليس كلها محاكاتها انما يكون لما يفيض على النفس من الملكوت
بل اكثر ما يكون منها ذلك انما يكون اذا كانت هذه القوة قد سكنت

عن محاكاة امور هي اقرب اليها منها طبيعية ومنها ارادية فالطبيعية
هي التي يكون بمازجة الاخلاط للروح التي بمنطها القوة المصورة
والمتخيلة فانها اول شيء انما يحكيها وتشتغل بها وقد يحكي ايض الا
ما يكون في البدن واعراضه مثل ما يكون عند ما يتحرك القوة
الدافعة للمني الى الدفع فان المتخيلة ح تحاكي صورا من شان النفس
ان تميل الى مجامعتها ومن كان به جوع حكي له ماكولات ومن
كان به حاجة الى دفع فضل حكي له موضع ذلك ومن عرض لعضو منه
ان يسخن او برد بسبب حر او برد حكي له ذلك العضو منه موضوع في
نار او ماء بارد ومن العجايب انه كما يعرض من حركة الطبيعة لدفع المني
تحمل ما ذلك ربما عرض تخيل بالصورة مشتهاه بسبب من الاسباب
فتبعث الطبيعة الى جمع المني وارسال الريح الناشرة لالة الجماع وربما
تدفع المني وقد يكون هذا في النوم واليقظة جميعا وان لم يكن هناك
ايض هيجان وشبق واما الارادية فان يكون في همة النفس ووقت
اليقظة شي تصرف النفس الى تامله وتدبره فاذا نام احدث المتخيلة
تحكي ذلك الشي وما هو من جنس ذلك الشيء وهذا هو من بقايا
الفكر التي يكون في اليقظة وهذه كلها اضغاث احلام وقد يكون
ايض من تاثيرات الاجرام السماوية فانها قد توقع بحسب مناسباتها
ومناسبات نفوسها صورا في التخيل بحسب الاستعداد ليست عن
تمثل شيء من عالم الغيب ولا الانذار واما الذي يحتاج ان يعبر و
ان تناول فهو ما لم ينتسب الى شي من هذه الجملة فيعلم انه قد وقع
من سبب خارج وان لم يدل لم ما فلذلك لا يصح في الاكثر رؤيا الشاعر

والكذاب

والكذاب والشرير والسكران والمريض والمغموم ومن غلب عليه
سوء مزاج او فكر ولذلك ايض انما يصح من الرويا في اكثر الامر ما كان
في وقت السحر لان الخواطر كلها تكون في هذا الوقت ساكنة و
حركات الاشباح تكون قد هدات واذا كانت القوة المتخيلة في
حال النوم في هذا الوقت غير مشغولة بالبدن ولا مقطوعة عن الحافظة
والمتصورة بل متمكنة منهما فبالحرى ان يحسن خدمتها للنفس في
ذلك لانها تحتاج لا محالة فيما يرد عليها من ذلك ان يرتسم صورته في
هذه القوة ارتساما صالحا اما هي انفسها ومحاكياتها ويجب ان يعلم ان
اصح الناس احلاما اعدلهم امزجة فان اليابس المزاج وان كان يحفظ
جيدا فلا يقبل جيدا والرطب المزاج وان كان يقبل سريعا فانه يترك
سريعا فيكون كانه لم يقبل ولا يحفظ جيدا والحار المزاج متشوش
الحركات والبارد المزاج بليد واصحهم من اعتاد الصدق فان عادة
الكذب والافكار الفاسدة يجعل الخيال ردي الحركات غير مطاوع
لتسديد النطق بل يكون حاله حال خيال من فسد مزاجه الى التشويش
واذا كان هذا مما يتعلق بالنوم واليقظة فيجب ان يدل ههنا باختصار
على امر النوم واليقظة فنقول ان اليقظة حالة يكون النفس فيها مستعملة
للحواس وللقوى المحركة من ظ بالارادة التي لا ضرورة اليها فيكون
النوم عدم هذه الحالة ويكون النفس فيه قد اعرضت عن الجهة
الخارجة الى الجهة الداخلة واعراضها لا يخ من احد وجوه اما ان يكون
لكلال عرض لها من هذه الجهة واما ان يكون لهم عرض لها في تلك
الجهة واما ان يكون لعصيان الالات اياها والذي يكون من الكلال

هو ان يكون الشيء الذي يسمى روحا ويعرف في موضعه قد تحلل و[ضعف]
فلا يقدر على الانبساط فيغور ويتبعها القوى النفسانية وهذا الكلال
قد يعرض من الحركات البدنية وقد يعرض من الافكار وقد يعرض
من الخوف فان الخوف قد يعرض منه النوم بل الموت وربما كانت
الافكار منومة لا من هذه الجهة بل بان يسخن الدماغ فيجذب الرطوبات
اليه ويمتلي الدماغ فينوم بالترطيب والذي لهم في الباطن هو ان
يكون الغذا والرطوبات قد اجتمعت من داخل فيحتاج الى ان يقصدها
الروح بجمع الحار الغريزي لمعنى هضمها التام فيعطل الخارج والذي
يكون من جهة الالات فان يكون الاعصاب قد امتلأت وانسدت
من ابخرة واغذية ينفذ فيها الى ان ينهضم او الروح ثقلت عن الحركة لشدة
الترطيب ويكون اليقظة لاسباب مقابلة لهذه من ذلك اسباب يجفف
مثل الحرارة واليبوسة ومن ذلك حمام وراحة حصلت ومن ذلك فراغ
عن الهضم فيعود الروح منتشرة وكثيرة ومن ذلك حالة ردية تشغل [النفس]
عن الغوور بل تستدعيها الى خارج لغضب او خوف لامر قريب او مقاسا
لمادة مولمة وهذا قد دخل فيما نحن فيه لتسهيل الغرض وان كان من حق
النوم واليقظة ان يتكلم في عوارض ذي الحس

فصل في افعال القوى المتذكرة والوهمية وفي ان افعال هذه القوى كلها بالات جسمانية

كانا قد استقصينا القول في حال المتخيلة والمتصورة
فيجب ان نتكلم في حال المتذكرة وما بينهما وبين المفكرة وفي حال الوهم
فنقول ان الوهم هو الحاكم الاكبر في الحيوان ويحكم على سبيل انبعاث
تخيلي من غير ان يكون ذلك محققا وهذا مثل ما يعرض للانسان من

استقذار العسل لمشابهته المرار فان الوهم يحكم بانه في حكم ذلك و
تتبع النفس ذلك الوهم وان كان العقل يكذبه والحيوانات و
اشباهها من الناس انما يتبعون في افعالهم هذا الحكم من الوهم الذي لا
تفصيل منطقيا له بل هو على سبيل انبعاث ما فقط وان كان الانسان
قد يعرض لحواسه وقواه بسبب مجاورة النطق ما يكاد ان يصير قواه الباطنة
نطقية مخالفة للبهايم فلذلك يصيب من فوايد الاصوات المولفة
والالوان المؤلفة والروايح والطعوم المؤلفة ومن الرجا والتمني امورا
لا تصيبها الحيوانات الاخرى لان نور النطق كانه فايض سايح على
هذه القوى وهذا التخيل ايضا للانسان قد صار موضوعا للنطق
بعد ما انه موضوع للوهم في الحيوانات حتى انه ينتفع به في العلوم
وصار ذكره ايضا نافعا في العلوم كالتجارب التي يحصلها الذكر
والارصاد الجزوية وغير ذلك ونرجع الى حديث الوهم فنقول ان
من الواجب ان يبحث الباحث ويتامل ان الوهم الذي لم يصحبه
العقل حال توهمه كيف ينال المعاني التي هي في المحسوسات
عند ما ينال الحس صورها من غير ان يكون شيء من تلك المعاني
يحس ومن غير ان يكون كثير منها مما ينفع ويضر في تلك الحال فنقول
ان ذلك الوهم من وجوه من ذلك الالهامات الفايضة على الكل
من الرحمة الالهية مثل حال الطفل ساعة يولد في تعلقه بالثدي
ومثل حال الطفل اذا اقل واقم وكان يسقط من مبادرته الى ان يتعلق
ويستمسك لغريزة في النفس جعلها فيها الالهام الالهي واذا تعرض
بالقذى ناظره بادر فاطبق جفنه قبل فهم ما يعرض له وما ينبغي ان يفعل

بحسبه كانه غريزة لنفسه لا احساس معه وكذلك للحيوان الهامات غريزية
والسبب في ذلك مناسبات موجودة بين هذه الانفس ومباديها
هي دائمة لا تنقطع غير المناسبات التي يتفق ان تكون مرة وان لا تكون
كاستكمال العقل وكخاطر الصواب فان الامور كلها من هناك و
هذه الالهامات تقف بها الوهم على المعاني المخالطة للمحسوسات
فيما يضر وينفع فيكون الذئب يحذره كل شاة وان لم تره قط ولا
اصابتها منه نكبة ويحذر الاسد حيوانات كثيرة وجوارح الطير يحذرها
سائر الطير وتشنع عليها الطير الضعاف من غير تجربة فهذا قسم وقسم
اخر يكون لشيء كالتجربة وذلك ان الحيوان اذا اصابه الم او لذة او
وصل اليه نافع حسي او ضار حسي مقارنا لصورة حسية فارتسم في
المصورة صورة الشيء وصورة ما يقارنه وارتسم في الذكر معنى النسبة
بينهما والحكم فيهما فان الذكر لذاته وبجبلته تنال ذلك فاذا لاحت
للمتخيلة تلك الصورة من خارج تحركت في الصورة وتحرك معها ما
قارنها من المعاني النافعة او الضارة وبالجملة المعنى الذي في الذكر
على سبيل الانتقال والاستعراض الذي في طبيعة القوة المتخيلة
فاحس الوهم بجميع ذلك معا فرأى المعنى مع تلك الصورة وهذا هو على
سبيل تقارب التجربة ولهذا تخاف الكلاب المدر والخشب وغيرها
وقد يقع الوهم احكام اخرى بسبيل التشبيه بان يكون للشيء صورة
تقارن معنى وهميا في بعض المحسوسات وليس تقارن ذلك دائما
في جميعها فيلتفت مع وجود تلك الصورة الى معناها وقد يختلف
فالوهم حاكم في الحيوان يحتاج في افعاله الى طاعة هذه القوى واكثر

ما يحتاج اليه

ما يحتاج اليه هو الذكر والحس واما المصورة فيحتاج اليها بسبب الذكر
والتذكر والذكرة توجد على ما اظن الا في الانسان وذلك ان
الاستدلال على ان شيئا كان فغاب انما يكون للقوة النطقية وان
كان لغير النطقية فعسى ان يكون للوهم المزين بالنطق فسائر
الحيوان ذكرت ذكرت وان لم تذكر لم تشتق الى التذكر ولم يخطر
لها ذلك بالبال بل هو الشوق والطلب هو للانسان والتذكر
هو مضاف الى امر كان موجودا في النفس في الزمان الماضي ويشاكل
التعلم من جهة ويخالفه من جهة اما مشاكلته للتعلم فلان التذكر
انتقال من امور يدركه ظاهرا او باطنا الى امور غيرها وكذلك التعلم
فانه ايضا انتقال من معلوم الى مجهول ليعلم لكن التذكر هو طلب
ان يحصل في المستقبل مثل ما كان حاصلا في الماضي والتعلم ليس
الا ان يحصل في المستقبل شيء اخر وايضا فان التذكر ليس يصار
الى الغرض فيه من اشياء توجب ضرورة حصول الغرض بل على سبيل
علامات اذا حصل اقربها من الغرض انتقل النفس الى الغرض في
مثل تلك الحال ولو كانت الحال غير ذلك لم يجب وان اخطر صورة
الاقرب او معناه ان ينتقل كمن يخطر بباله كتاب بعينه فتذكر منه
معلمه الذي قرء عليه ذلك الكتاب وليس يجب ان اخطار صورة
ذلك الكتاب بالبال واخطار معناه ان يخطره ذلك المعلم بالبال لكل
انسان واما التعلم فان السبيل الموصلة الى الغرض ومنه النقل اليه
وهو القياس والحد ومن الناس من يكون التعلم اسهل عليه من التذكر
لانه يكون مطبوعا على ضروريات النقل ومن الناس من يكون بالعكس

ومن الناس من يكون شديد الذكر ضعيف التذكر وذلك لانه يكون
يابس المزاج يحفظ ما ياخذه ولا يكون حركة النفس يطاوع المادة لانفعال
التخيل واستعراضاته ومن الناس من يكون بالعكس واسرع الناس
تذكرا اوطنهم للاشارات فان الاشارات يفعل نقلا عن المحسوسات
الى معان غيرها فمن كان وطنا في الاشارات كان سريع التذكر ومن
الناس من يكون قوي الفهم ولكن يكون قوي (ضعيف) الذكر ويكاد ان يكون
الامر في الفهم والذكر بالتضاد فان الفهم يحتاج الى عنصر للصور
الباطنة شديد الانطباع وانما يعين عليه الرطوبة واما الذكر فيحتاج
الى مادة يعسر انفساخ ما تصور فيها وتمثل وذلك يحتاج الى مادة يابسة
فلذلك يصعب الامرين واكثر من يكون حافظا هو الذي لا يكثر حركاته
ولا يعوق همه ومن كان كثير الهم كثير الحركات لم يذكر جيدا فيحتاج
الذكر مع المادة المناسبة الى ان يكون النفس مقبلة على الصورة وعلى
المعنى المتمثلين الا الحرص غير ماخوذة عنهما باشتغال اخر ولذلك
كان الصبيان مع رطوبتهم يحفظون جدا لان نفوسهم مشغولة بما
يشتغل به نفوس البالغين فلا تذهل عما هي مقبلة عليه بغيره واما
الشبان فلحرارتهم واضطراب حركاتهم مع يبس مزاجهم لا يكون
ذكرهم كذكر الصبيان في المرعين والمشايخ ايضا يعرض لهم
من الرطوبة الغالبة الا يذكروا ما يشاهدون وقد يعرض مع الذكر
من الغم والغضب والحزن فيما مضى الانطباع هذه الصورة في باطن
الحواس فاذا عادت فعلت ذلك او قريبا منه والاماني والرجا ايضا
يفعل ذلك والرجا غير الامنية فان الرجا يحمل امر ما مع حكم او ظن

اجتماع صح

ونحو ذلك مما لا طائل
لعل الفرق وذلك الامر
بسبب الغم والغضب و
الحزن صح

بانه في الاكثر

بانه في الاكثر كائن واما الامنية فهو تخيل امر وشهوته والحكم بالتذاذ
يكون ان كان والخوف يقابل الرجا على سبيل التضاد واليأس عدمه
وهذه كلها احكام للوهم فلنقتصر الان على ما قلناه من امر القوى
المدركة الحيوانية ولنبين انها كلها يفعل فعلها بالات فنقول اما
المدركة من القوى للصور الجزوية الظاهرة على هيئة غير تامة التجريد
والتفريد عن المادة ولا مجردة اصلا عن علايق المادة كما يدركه الحواس
الظاهرة فالامر في احتياج ادراكه الى الات جسمانية واضح سهل
وذلك لان هذه الصور انما يدرك ما دامت المواد حاضرة موجودة
والجسم الحاضر الموجود انما يكون حاضرا موجودا عند جسم وليس
يكون حاضرا مرة وغايبا اخرى عند ما ليس بجسم فانه لا نسبة
الى قوة مفردة من جهة الحضور والغيبة فان الشي الذي
ليس في مكان لا يكون للشي المكاني اليه نسبة في الحضور
عنده والغيبة عنه بل الحضور لا يقع الا على وضع او بعد للحاضر
عند المحضور جسما او في جسم واما المدرك للصور الجزية على
تجريد تام من المادة وعدم تجريد البتة من العلايق المادية
كالخيال فيحتاج ايضا الى آلة جسمانية فان الخيال لا يمكنه
ان يتخيل الا ان يرتسم الصورة الخيالية ارتساما مشتركا بينه
وبين الجسم فان الصورة المرتسمة في الخيال من صورة محض على
شكله وتخطيطه ووضع اعضايه بعضها عند بعض التي
يتميز في الخيال من صورة محض كالمنظور اليها لا يمكن ان يتخيل
على ما هي عليه الا ان يكون تلك الاجزا والجهات من اعضايه

يجب ان يرتسم في جسم وتختلف جهات تلك الصورة في جهات ذلك
الجسم واجزائه في اجزاءه ولنفرض صورة زيد الى صورة مربع آ ب ج د
المحدود والمقدار والجهة والكيفية واختلاف
الزوايا بالعدد ولكن متصلاً بزاويتي آ ب
منه مربعاً كل واحد منهما مثل الآخر ولكل
واحد جهة معينة ولكنهما متشابها الصورة
ويرتسم من الجملة صورة شكل مجنح حروى واحد
بالعدد مقرر في الخيال فيقع ان مربع آ ه ز و
وقع يسرًا بالعدد ومربع ب ح ط ى ووقع في
الخيال منه كائنا اليمن متميزًا عنه بالوضع المتخيل المشار اليه في الخيال
فلا يخلو اما ان يكون لصورة المربعية او لعارض خاص له في المربعية غير
صورة المربعية او يكون للمادة التي هي ينطبع فيها فلا يجوز ان يكون
مغايرته له من جهة صورة المربعية وذلك انا اذا فرضناهما متشا كليتين
متشابهين متساويين ولا يجوز ان يكون ذلك لعارض مخصص اما اولاً
فانا لا نحتاج في تخيله يمنا الى ايقاع عارض فيه ليس في ذلك
غير جهات المادة واما ثانيا فان ذلك العارض اما ان يكون شيئا فيه
نفسه لذاته او يكون شيئا له بالقياس الى ما هو شكله في الموجودات
حتى يكون كانه شكل منزوع عن موجود هو لهذا الخيال او يكون
شيئا له بالقياس الى المادة الحاصلة ولا يجوز ان يكون شيئا له في نفسه
من العوارض التي يخصه لانه اما ان يكون لازما او زائلا ولا يجوز
ان يكون لازما له بالذات الا وهو لازم لمشاركه في النوع فان المربعين

وضعا

وضعا متساويين في النوع فلا يكون لهذا عارض لازم ليس لذلك
وايضا فانه لا يجوز ان كان هو في قوة غير منقسمة مجرى القوى
الجسمانية ان يعرض له شيء دون الآخر الذي هو مثله ومحلهما
واحد غير منقسم وهو القوة القابلة ولا يجوز ان يكون زائلا لانه يجب
اذا زال ذلك الامر ان يتغير صورته في الخيال فيكون الخيال انما
يحيله هكذا لا بسبب شيء يعرض له بل يتخيله كذلك كيف كان و
لا الى الخيال ان يلحق بالآخر هذا العارض فيجعله كالاول بل
ما دام موجودا فيه يكون كذلك ويغيره الخيال كذلك من غير التفات
الى امر آخر يعرض له ولهذا لا يجوز ان يقع فرض الفارض جعله
بهذه الحال كما يجوز ان يقع في مثله في المعقولات وذلك لان
الكلام معنى بحاله في ما الذي فعله الفارض حتى خصصه
بهذه الحال متميزًا عن الثاني واما في الكلي فهناك امر يعرض له
العقل وهو حد التيامن او حد التياسر فاذا قرن بمربع حد التيامن
صار بعد ذلك متيامنا والحد انما يكون لامر معقول كلي و
في مثله يصح لانه امر فرضي يتبع الفرض في التصور واما هذا
الجزئي ليس يكون بالفرض انما يتصور في الخيال صورة غير محسوس
من غير اختلاف مست منظورًا اليها متخيلة بعينها فليس يمكن ان
يوجد له هذا الحد دون صاحبها الا لامر به يستحق بالمرة هذا الحد
دون صاحبها ولا الخيال يفرضها كذلك بشرط يعرض لها بل يتخيلها
كذلك دفعة على انها في نفسها كذلك لا يعرضها فيتخيل هذا المربع يمينًا
وهذا يسارًا لا بسبب شرط يعرض بذلك وبهذا ويعد لحوقه بفرض

ذلك يمنًا وهذا يسارًا واما في صقع العقل فانّ حد التيامن وحدّ التياسر يلحق المربع وهو مربع لم يعرض له شئ آخر يلحق الكلّي بالكلي فانه يجوز ان يثبت في العقل كلي من غير الحاق شئ به ويكون معدًا لان يلحق به ما يلحق واما الخيال فما لم يتخصص المعنى فيه بما تتشخص به لم يتمثّل للخيال فلذلك يجوز ان يكون في سلطان العقل ان يقرن معنى بمعنى على سبيل الفرض واما في الخيال فلم يقع للمتمثّل فيه اولا وضع محدود وحدي لم يرتسم في الخيال ولا كان شيئا يجري عليه فرض فقد بطل ان يكون هذا التميز بسبب عارض في ذاته لازم او غير لازم في ذاته او مفروض نوق ولا يجوز ان يكون ذلك بالقياس الى الشئ الموجود الذي هو خياله وذلك لانه كثيرًا ما يتخيل ما ليس وايضا فان وقع لاحد المربعين نسبة الى جسم وللمربع الاخر نسبة اخرى فليس يجوز ان يقع ومحلهما غير منقسم فانه ليس احد المربعين الخياليين اولى بان ينسب الى احد المربعين الخارجين من الاخر الا ان يكون قد وقع هذا في نسبة من الجسم الموضوع له الحامل اياه الى احد الخارجين لا يقع الاخر فيها فيكون اذن محل هذا غير محل هذا ويكون القوة منقسمة ولا ينقسم بذاتها بل بانقسام ما فيها فيكون جسمانية ويكون الصورة مرتسمة في جسم فليس يصح ان يفترق المربعان في الخيال الافتراق المربعين الموجودين وبالقياس اليهما فبقي ان يكون ذلك اما بسبب افتراق الجزين في القوة القابلة او الجزين من الالة التي بها يفعل القوة وكيف كان فان الحاصل

من هذا القبيل ان الادراك انما يتم بقوة متعلقة بمادة جسمانية فقد اتضح ان الادراك الخيالي هو ايضا انما يتم بقوة متعلقة بمادة جسمانية بجسم ومما يبين ذلك اما نتخيل الصور الخيالية كصور الناس مثلا اصغر واكبر كانا ننظر اليهما ولا محالة انها ترتسم وهي اكبر وترتسم وهي اصغر في شئ لا في مثل ذلك الشئ بعينه لا لها ان ارتسمت في مثل ذلك الشئ فالتفاوت في الصغر والكبر اما ان يكون بالقياس الى الماخوذ عنه الصورة واما بالقياس الى الاحد واما لنفس الصورتين ولا يجوز ان يكون بالقياس الى الماخوذ عنه الصورة فكثير من الصور الخيالية غير ماخوذ عن شئ البتة وربما كان الصغير والكبير صورة شخص واحد ولا يجوز ان يكون بسبب الصورتين في انفسهما لانهما لما اتفقتا في الحد والماهية واختلفتا في الصغر والكبر فليس ذلك لنفسهما فاذن ذلك بالقياس الى الشئ القابل ولان الصورة ترتسم في جزء منه اكبر وتارة في جزء منه اصغر وايضا فانه ليس يمكننا ان نتخيل البياض والسواد في شبح خيال واحد سارين فيه ويمكننا ذلك في جزين منه يلحظهما الخيال متفرقين ولو كان الجزان لا يتميزان في الوضع بل كان كلا الخيالين يرتسمان في شئ غير منقسم لكان لا يفترق الامر بين المتعذر منهما والممكن فاذن الجزان متميزان في الوضع والخيال يتخيلهما متميزين في جزين فان قال قائل كذلك العقل يحسه ونتوق ان العقل يعقل السواد والبياض معًا في زمان واحد من حيث التصور واما

تارة صح

من حيث التصديق فيمتنع ان يكون موضوعهما واحدا واما الخيال
فلا يتخيلهما معا لا على قياس التصور ولا على قياس التصديق على
ان فعل الخيال انما هو على قياس التصور لا غير ولا فعل له
في غيره ولما علمت هذا في الخيال فقد علمت في الوهم الذي ما يدرك
انما يدركه متعلقا بصورة جزئية خيالية على ما اوضحنا

فصل في احوال القوى المحركة وضرب من النبوة المتعلقة بها

واذ قلنا
في القوى المدركة من قوى النفس الحيوانية فخليق بنا ان نتكلم في
القوى المحركة منها فنقول ان الحيوان ما لم يشتق اشتياقا الى شئ شعر
باشتياقه او تخيله او لم يشعر به لم ينبعث الى طلبه بالحركة وليس ذلك
الشوق هو بشئ من القوى المدركة فليس لتلك القوى الا الحكم والادراك
وليس يجب اذا حكم او ادرك بحس او وهم ان يشتاق الى ذلك الشئ
فان الناس يتفقون في ادراك ما يحسون ويتخيلون من حيث يحسون
ويتخيلون ولكن يختلفون فيما يشتاقون اليه مما يحسون ويتخيلون و
الانسان الواحد قد يختلف في ذلك حاله فانه يتخيل الطعام والشراب
فيشتاق اليه في وقت الجوع ولا يشتاقه وقت الشبع وايضا فان الحسن
الاخلاق اذا تخيل اللذات المستكرهة لم يشتهها والاخر يشتاقها و
ليس هذان الحالان للانسان وحده بل وللحيوانات كلها والشوق
قد يختلف فمنه ما يكون ضعيفا بعد ومنه ما يشتد حتى يوجب الاجماع
والاجماع ليس هو الشوق فقد يشتد الشوق الى الشئ ولا يجمع على الحركة
اليه كما ان التخيل يقوى فلا يشتاق الى ما يتخيل فاذا صح الاجماع اطاعت
القوى المحركة التي ليس لها الا تشنج العضل وارسالها وليس هذا

من
نفس الشوق ولا الاجماع فان الممنوع من الحركة لا يكون ممنوعا
شدة الشوق ومن الاجماع لكنه لا يجد طاعة من القوى الاخرى
التي لها ان يحرك فقط وهي التي في العضل وهذه القوة الشوقية
من شعبها القوة الغضبية والقوة الشهوانية فالتي ينبعث مشتاقة
الى اللذيذ والتخيل نافعا للحاصل هي الشهوانية والتي ينبعث مشتاقة
الى الغلبة والى دفع المتخيل منافيا لفساد فعلها فهي الغضبية
وقد نجد في الحيوانات انبعاثات لا الى شهواتها بل مثل نزاع
التي ولدت الى ولدها والذي الف الى الفه وكذلك اشتياقها
الى الانفلات من الاقفاص والقيود فهذا وان لم يكن شهوة
للقوة الشهوانية فانه اشتياق ما الى شهوة للقوة الخيالية فان
القوة المدركة يخصها فيما يدرك ومما تتقلب فيه من الامور التي
تجد بالمشاهدة او من الصور مثلا لذة تخصها فاذا ما ملت
بفقدانها اشتاقت اليها طبعا فاجمعت القوى الاجماعية على
ان تحرك اليها الالات كما يجمع لاجل الشهوة والغضب ولاجل
الجميل من المعقولات ايضا فيكون للشهوة اشتداد الشوق الى
اللذيذ وللقوة النزوعية الاجماع وللغضب اشتداد الشوق
الى الغلبة وللقوة النزوعية الاجماع وكذلك للتخيل ايضا ما يخصه
والخوف والغم والحزن من عوارض القوة الغضبية بمشاركة
من القوى الدراكة فانها اذا تحركت اتباعا لتصور عقلي او خيالي
كان خوف واذا لم يخف فرهب ويعرض لها الغم من الذي يوجب
الغضب اذا كان غير مقدور على دفعه او كان مخوفا وقوعه

الفرح الذى من باب الغلبة فانه غاية لهذه القوة ايضا والحرص والنهم و
ما اشبه ذلك فهى القوة البهيمية الشهوانية والاستيناس والسرور
من عوارض القوى الدراكة واما القوى الانسانية فيعرض
لها احوال تخصها سنتكلم فيما بعد والقوة الاجماعية تبع للقوة
المذكورة فانها اذا اشتد نزاعها اجمعت وهى كلها ايضا تتبع
القوة الوهمية وذلك انه لا يكون شوق البتة الا بعد توهم المشتاق
اليه وقد يكون وهم ولا شوق البتة لكنه قد يتفق احيانا ان الآلام
البدنية تحرك الطبيعة الى دفعها ان توجب تلك الحركة انبعاث
التوهم فتكون تلك القوى سابقة للتوهم الى مقتضاها كما ان
اكثر التوهم فى اكثر الامر تسوق فالوهم له السلطان فى حيز القوى
المدركة فى الحيوانات والشهوة والغضب لهما السلطان فى حيز
القوى المحركة وتبعهما القوى الاجماعية ثم القوى المحركة التى
فى العضل فتحقق الان ان هذه الافعال والاعراض هى من العوارض
التى تعرض للنفس وهى فى البدن ولا تعرض بغير مشاركة البدن
ولذلك فانها تستحيل معها امزجة الابدان وتحدث هى ايضا مع
حدوث امزجة الابدان فان بعض الامزجة تتبعه الاستعداد
للغضب وبعض الامزجة تتبعه الاستعداد للشهوة وبعض الامزجة
تتبعه الجبن والخوف ومن الناس من يكون بحسب سحنته المغضب فيكون
سريع الغضب ومن الناس من يكون كانه مذعور مرعوب فيكون
يكون جبانا مسرعا اليه الرعب فهذه الاحوال لا تكون الا بمشاركة
البدن والاحوال التى للنفس بمشاركة البدن على اقسام منها ما

يكون

يكون للبدن اولا ولكن يكون لاجل انه ذو نفس ومنها ما يكون للنفس
اولا ولكن يكون لاجل انه فى بدن ومنها ما يكون بينهما بالسوية
فالنوم واليقظة والصحة والمرض هى للبدن ومباديها منه فهى له
اولا ولكن انما هى للبدن بسبب ان له نفسا واما التخيل والشهوة
والغضب وما يجرى مجراه فانه للنفس من جهة ما هى ذات بدن
وللبدن من جهة انها لنفس البدن اولا وان كان من جهة ما النفس
ذو بدن ليست آفة من قبل البدن وكذلك الغم والهم والحزن والذكر
وما اشبه ذلك فان هذه ليس فيها ما هو عارض للبدن من
حيث هو بدن ولكن هذه احوال شىء مقارن للبدن لا يكون
الا عند مقارنة البدن فهى للبدن من قبل النفس اذ هى للنفس
اولا وان كان للنفس من قبل ما هو ذو بدن ليست آفة من قبل
البدن واما الالام من الضرب ومن تغير المزاج فان العارض فيه
موجود فى البدن لان تفرق الاتصال والمزاج من احوال البدن
من جهة ما هو بدن وايضا موجود للحس الذى يحس من جهة
ما يحس ولكنه بسبب البدن ويشبه ان يكون الجوع والشهوة من
هذا القبيل واما التخيل والخوف والغم والغضب فان الانفعال
الذى يعرض منه يعرض اولا للنفس وليس الغضب والغم من
حيث هو غضب وغم انفعالا من الانفعالات المولمة للبدن وان
كان يتبعه انفعال بدنى مولم للبدن مثل اشتعال حرارة او
خمودها او غير ذلك فان ذلك ليس نفس الغضب والغم ونحن
لا نمنع ان يكون امر لاحق به ان يكون للنفس من حيث هو فى

فى بدن ثم تتغير فى البدن انفعالات خاصة بالبدن فانّ التخيّل ا [ويض]
من حيث ادراك ليس هو من الانفعالات التى تكون للبدن بالقصد
الاول ثم قد يعرض من التخيّل ان يسخن بعض الاعضاء وليس ذلك
بسبب طبيعى اوجب ان مزاجا قد استحال وحرارة قويت وبخارا
تكون ونفذ فى العضو حتى نشره بل لما حصلت صورة فى وهم
اوجبت الاستحالة فى مزاج وحرارة ورطوبة وريحا ولولا تلك الصورة
لم يكن فى الطبيعة ما يحرّكها ونحن نثق بالجملة ان من شان النفس ان
يحدث منه فى العنصر البدنى استحالة مزاج يحصل من غير فعل و
انفعال جسمانى فيحدث حرارة لا عن حار وبرودة لا عن بارد بل اذا
تخيّلت النفس خيالا وقوى فى النفس لم يلبث ان يقبل العنصر البدنى
صورة مناسبة لذلك او كيفيّة وذلك لان النفس من جوهر
بعض المبادى التى هى يلبس المواد ما فيها من الصور المقوّمة لها اذ
هى اقرب مناسبة لذلك الجوهر من غيره وذلك اذا اسم استعداد ها
واكثر استعداداتها انّما تكون بسبب استحالات فى الكيف كما قلنا
فيما سلف وانّما تستحيل فى الاكثر عن اضداد تحيّلها فاذا كانت هذه
المبادى قد تكسوا العنصر صورة مقومة لنوع طبيعى لنسبة ما تعلق
بينهما فلا يبعد ان تكسوها ايض الكيفيات من غير حاجة الى ان
تكون هناك مماسة وفعل وانفعال جسمانى يصدر عن مضادّه بل
الصورة التى فى النفس هى مبدء لما يحدث فى العنصر كما ان الصورة
الصحية التى فى نفس الطّبيب مبدء لما يحدث من البرء وكذلك صورة
السرير فى نفس النجّار لكنه من المبادى التى لا تساق الى اضدادها بما

هو موجب له الا بالالات ووسايط بعجز وضعف وتامّل حال المريض
الذى توهم انه صح والصّحيح الذى توهم انه مرض فانه كثيرا ما يعرض
من ذلك ان تكون اذا تاكدت الصورة فى نفسه وفى وهمه
انفعل منها عنصره فكانت الصحّة او المرض ويكون ذلك ابلغ مما يفعله
الطبيب بالالات ووسايط ولهذا السبب ما تمكن الانسان مثلا
ان يعدو على جذع ملقى فى القارعة من الطريق وان كان موضوعا
كالجسر وتحته هاوية لم يجسر ان يمشى عليه دبيبا الا الهوينا لانه
يتخيّل فى نفسه صورة السّقوط تخيّلا قويا جدّا فيجيب الى ذلك طبيعته
وقوة اعضائه ولا تجيب الى ضدّه من الثبات والاستمرار فالصورة اذا
استحكم وجودها فى النفس واعتقادها انها يجب ان توجد فقد يعرض
كثيرا ان ينفعل عنها المادّة التى من شانها ان ينفعل عنها وتكون فان
كان ذلك فى النفس الكلية التى للسما والعالم جاز ان تكون مؤثّرا فى
طبيعة الكل وان كان فى نفس جزئية جاز ان تؤثّر فى الطبيعة
الجزئية وكثيرا ما تؤثر النفس فى بدن آخر كما تؤثّر فى بدن نفسه تاثير
العين العائنة والوهم العامل بل فى النفس اذا كانت قوية شريفة
شبيهة بالمبادى اطاعها العنصر الذى فى العالم وانفعل عنها ووجد
فى العنصر ما يتصوّر فيها وذلك لان النفس الانسانية ستبيّن
انها غير منطبعة فى المادة التى لها لكنها منصرفة الهمة اليها فان كان
هذا الضرب من التعلّق يجعل لها ان تحيل العنصر البدنى عن
مقتضى طبيعته فلا يبعد ان تكون النفس الشّريفة القوية جدّا تجاوز
بتاثيرها ما يختص بها من الابدان اذا لم يكن انغماسها فى الميل الى

ذلك البدن شديدا قويا وكان مع ذلك عالما في طبيعته قويا في
ملكته جدا فيكون هذه النفس يبرئ المرضى ويمرض الاشرار و
يسعها ان يهدم طبايع ويؤكد طبايع وان لها العناصر فيصير
غير النار نارا وغير الارض ارضا ويحدث بارادتها ايضا امطار و
خصب كما يحدث خسف ووباء كل بحسب الواجب العقلي
وبالجملة فانه يجوز ان يتبع ارادته وجود ما يتعلق باستحالة العنصر
في الاضداد فان العنصر بطبعه يطيعه ويكون منه ما يتمثل في
ارادته اذ العنصر بالجملة طوع للنفس وطاعته لها اكثر من طاعته
للاضداد المؤثرة فيها وهذه ايضا من خواص القوى النبوية وقد كنا
ذكرنا خاصة قبل هذه يتعلق بقواها المتخيلة وتلك خاصة يتعلق
بالقوى الحيوانية المدركة وهذه خاصة يتعلق بالقوى الحيوانية
المحركة الاجماعية من نفس النبي العظيم القوة فنقول انه لما تبين ان
جميع القوى الحيوانية لا فعل لها الا بالبدن ووجود القوى ان
تكون بحيث يفعل فالقوى الحيوانية اذن انما تكون بحيث يفعل
وهي بدنية فوجودها ان تكون بدنية فلا بقاء لها بعد البدن
وقد تكلمنا في كتبنا الطبية في سبب استعدادات الاشخاص
المختلفة بحللها وبحسب اختلاف احوالها للفرح والغم والغضب
والحلم والحقد والسلامة وغير ذلك كلاما لا يوجد للمتقدمين
ما يجري مجراه في تفصيله وتحصيله فليقرأ من هناك المقالة الخا

فصل في خواص الافعال والانفعالات التي للانسان وبيان قوى النظر والعمل للنفس الانسانية

قد فرغنا عن

القول

القول في القوى الحيوانية ايضا فحري بنا ان نتكلم الان في القوى
الانسانية فنقول ان الانسان له خواص افعال يصدر عن نفسه
ليست موجودة لساير الحيوان واول ذلك انه لما كان الانسان
في وجوده المقصود فيه يجب ان يكون غير مستغن في بقائه
عن المشاركة ولم يكن كساير الحيوانات الذي يقتصر كل
واحد منها في نظام معيشته على نفسه وعلى الموجودات في الطبيعة
له واما الانسان الواحد فلو لم يكن الوجود الا هو وحده و
لا الامور الموجودة في الطبيعة لهلك او لساءت معيشته اشد
سوء وذلك لفضيلته ونقص ساير الحيوان على ما ستعلمه في
مواضع اخرى بل الانسان يحتاج الى امور زايد مما في الطبيعة
مثل الغذاء المعمول واللباس المعمول والموجود في الطبيعة من
الاغذية ما لم يدبر بالصناعات فانها لا تلايمه ولا يحسن معها
معيشته والموجود في الطبيعة من الاشيا التي يمكن ان يلبس ايضا
قد يحتاج ان يجعل بهيئة وصفة حتى يمكنه ان يلبسها واما الحيوانات
الاخرى فان لباس كل واحد معه في الطباع فلذلك يحتاج
الانسان اول شيء الى الفلاحة وكذلك الى صناعات اخرى لا
يتمكن الانسان الواحد من تحصيل كل ما يحتاج اليه من ذلك
بنفسه بل بالمشاركة حتى يكون هذا يخبز لذاك وذاك ينسج لهذا
وهذا ينقل شيئا من بلاد غريبة الى ذلك يعطيه بازاء ذلك شيئا
من قريب فلهذه الاسباب واسباب اخرى اخفى واكد من
هذه ما احتاج الانسان ان يكون له في طبعه قدرة على ان يعلم

الآخر الذي هو شريكه ما في نفسه بعلامة وضعية وكان أخلق
ما يصلح لذلك هو الصوت لأنه ينشعب إلى حروف يتركب منها
تراكيب كثيرة من غير مؤونة تلحق البدن ويكون شيئاً لا يثبت
ولا يبقى فيؤمن وقوف من لا يحتاج إلى شعوره عليه وبعد الصوت
الإشارة فإنها كذلك إلا أن الصوت أدل من الإشارة لأن الإشارة
إنما تهدي من حيث يقع عليها البصر وذلك يكون من جهة
مخصوصة ويحتاج إلى تكلف المراد إعلامه أن يحرك حدقته إلى
جهة مخصوصة حركات كثيرة يراعي بها الإشارة وأما الصوت
فقد يغني الاستعانة به عن أن يكون من جهة مخصوصة ويغني
أيضاً عن أن يراعي بحركات ومع ذلك فليس يحتاج في أن يدرك
إلى متوسط كما لا يحتاج اللون إليه لا كحاجة الإشارة فجعلت
الطبيعة للنفس أن تؤلف من الأصوات ما يتوصل به إلى إعلام الغير
وفي الحيوانات الأخرى أيضاً أصوات يقف بها غيرها على حال
في نفسها لكن تلك الأصوات إنما تدل بالطبع وعلى جملة من الموافقة
والمنافرة غير محصلة ولا مفصلة والذي للإنسان فهو بالوضع
وذلك أن الأغراض الإنسانية تكاد أن لا تتناهى فما كان يمكن
أن يطبع هي على أصوات بلا نهاية فمما يختص بالإنسان هذه الضرورة
الداعية إلى الإعلام والاستعلام لضرورة داعية إلى الأخذ و
الإعطاء بقدر عدل ولضرورات أخرى ثم إيجاد الجامع واستنباط
الصنائع وللحيوانات الأخرى وخصوصاً الطير صناعات أيضاً
فإنها تصنع بيوتاً ومساكن لا سيما النحل لكن ذلك ليس مما يصدر

عن استنباط وقياس بل عن إلهام وتسخير ولذلك ليس مما يختلف
ويتنوع وأكثرها لصلاح أحوالها وللضرورة النوعية ليست للضرورة
الشخصية والذي للإنسان فكثير منه الشخصية وكثير لصلاح حال
الشخص بعينه ومن خواص الإنسان أنه يتبع إدراكاته للأشياء النادرة
انفعال يسمى التعجب ويتبعه الضحك ويتبع إدراكه للأشياء المؤذية
انفعال يسمى الضجر ويتبعه البكاء ويختص في المشاركة أن المصلحة
تدعو إلى أن يكون في جملة الأفعال التي من شأنه أن يفعلها أفعال
لا ينبغي أن يفعلها فيعلم ذلك صغيراً وينشأ عليه ويكون قد يعود
منذ صباه سماع أن تلك الأفعال ينبغي أن لا يفعلها حتى صار هذا
الاعتقاد له كالغريزي وأفعال أخرى بخلاف ذلك وتسمى الأولى
قبيحة والأخرى جميلة وليس يكون للحيوانات الأخرى ذلك فإن
كانت الحيوانات الأخرى تترك أفعالاً لها أن تفعلها مثل أن
الأسد المعلم لا يأكل صاحبه ولا يأكل ولده فليس سبب ذلك
اعتقاد في النفس ورأي ولكن هيئة أخرى نفسانية وهي أن
كل حيوان يؤثر بالطبع وجود ما يلذه وبقاءه وأن الشخص الذي
يمونه ويطعمه قد صار لذيذاً له لأن كل نافع لذيذ بالطبع عند المنتفع
فيكون المانع عن فرسه ليس اعتقاداً بل هيئة وعارض نفساني آخر
وربما وقع هذا العارض في الجبلة ومن الإلهام الإلهي كحب كل
حيوان ولده من غير اعتقاد البتة بل على نوع تخيل بعض الإنسان
لشيء نافع أو لذيذ أو نفرته عنه إذا كان في صورته ما ينفر عنه والإنسان
قد يتبع شعوره بشعور غيره أنه فعل شيئاً من الأشياء التي

قد اجمع على انه لا ينبغي ان يفعلها انفعال نفساني يسمى الخجل وهذا
ايضا من خواص الناس وقد يعرض للانسان انفعال نفساني
بسبب ظنه ان امرا في المستقبل يكون مما يضره ويسمى ذلك
الخوف والحيوانات الاخرى انما يكون لها ذلك بحسب الان
في غالب الامر او متصلة بالان وللانسان بازاء الخوف الرجا
ولا يكون للحيوانات الاخرى الا المتصلة بالان ولا يكون فيما
الان من ذلك والذي يفعله من الاستظهار فليس ذلك لانها
يشعر بالزمان وما يكون فيه بل ذلك ايضا ضرب من الالهام
الذي يفعله النمل في نقل المرة بالسرعة الى جحرها منذرة بمطر
يكون فلانها يتخيل ذلك هو ذي يكون في هذا الوقت كما ان الحيوان
يهرب عن الضد لما يتخيل انه هو ذي يريد ان يضربه في الوقت و
يتصل بهذا الجنس ما للانسان ان يروي فيه في امور مستقبلة
انه هل ينبغي له ان يفعلها او لا ينبغي فيفعل ما يصح ان يوجب روية
ان لا يفعله وقتا اخر او في هذا الوقت بدل ما روى ولا يفعل
ما يصح ان يوجب رويته ان يفعل وقتا اخر او لا في هذا الوقت
بدل ما روى وساير الحيوانات انما يكون لها من الاعدادات للمستقبل
ضرب واحد مطبوع فيها وافق عاقبتها او لم يوافق واخص الخواص
بالانسان تصور المعاني الكلية العقلية المجردة عن المادة كل
التجريد على ما حكيناه وبيناه والتوصل الى معرفة المجهولات
تصديقا وتصورا من المعلومات الحقيقية فهذه الافعال والاحوال
المذكورة وهي مما يوجد للانسان وجلها يختص به الانسان وان

كان

كان بعضها بدنيا ولكنه موجود لبدن الانسان بسبب النفس
التي للانسان تصرفا في امور جزئية وتصرفا في امور كلية والامور
الكلية انما يكون فيه اعتقاد فقط ولو كان ايضا في عمل فان من
اعتقد اعتقادا كليا ان البيت كيف ينبغي ان يبنى فانه لا يصدر
عن هذا الاعتقاد وحده فعل بيت مخصوص صدورا اوليا
فان الافعال تتناول امورا جزئية وتصدر عن اراء جزئية وذلك
لان الكلي من حيث هو كلي ليس يختص بهذا دون ذلك و
لنؤخر شرح هذا معولين على ما ياتيك في الصناعة الحكمية في
اخر الفنون فيكون للانسان اذن قوة تختص بالاراء الكلية و
قوة اخرى تختص بالروية في الامور الجزئية مما ينبغي ان يفعل
ويترك مما ينفع ويضر ومما هو جميل وقبيح وخير وشر ويكون
ذلك بضرب من القياس والتامل صحيح او سقيم غايته انه يوقع
رايا في امر جزئي مستقبل من الامور الممكنة لان الواجبات
والممتنعات لا يروى فيها ليوجد او يعدم وما مضى ايضا لا
يروى في ايجاده على انه ماض واذا حكمت هذه القوة تبع حكمها
حركة القوة الاجماعية الى تحريك البدن كما كانت تتبع احكام
قوى اخرى في الحيوانات ويكون هذه القوة استمدادها من
القوة التي على الكليات فمن هناك ياخذ المقدمات الكبرى
فيما يروي وينتج في الجزئيات فالقوة الاولى للنفس الانسانية
قوة تنسب الى النظر فيقال عقل نظري وهذه الثانية قوة تنسب
الى العمل فيقال عقل عملي وذلك للصدق والكذب وهذا للخير

والشر وذلك للواجب والممكن والممتنع وهذا للقبيح والجميل والمباح
ومبادي تلك من المقدمات الأولية ومبادي هذه من المشهورات
والمقبولات والمظنونات والتجربيات الواهية التي تكون من المظنونات
غير التجربيات الوثيقة ولكل واحدة من هاتين القوتين رأي وظن
فالرأي هو الاعتقاد المجزوم به والظن هو الاعتقاد المميل إليه
مع تجويز الطرف الثاني وليس كل من ظن فقد اعتقد كما ليس
كل من احس فقد عقل او من تخيل فقد ظن او اعتقد او رأى
فيكون الانسان حاكم حسي وحاكم من باب التخيل وهمي وحاكم
نظري وحاكم عملي ويكون المبادي الباعثة لقوته الاجماعية على
تحريك الاعضا وهمي خيالي وعقل عملي وشهوة وغضب و
يكون للحيوانات الاخرى ثلثة من هذه والعقل العملي يحتاج في
افعاله كلها الى البدن والى القوى البدنية واما العقل النظري
فان له حاجة ما الى البدن والى قواه لكن لا دائما ومن كل وجه
بل قد يستغني بذاته ولا واحد منهما هو النفس الانسانية بل النفس
هو الشيء الذي له هذه القوى وهو كما يبين جوهر مفرد وله استعداد
نحو افعال لا يتم الا بالالات وبالاقبال عليها بالكلية وبعضها يحتاج
فيه الى الالات حاجة ما وبعضها لا يحتاج اليها البتة وهذا كله
سنشرحه بعد فجوهر النفس الانسان مستعد لان يستكمل نوعا من
الاستكمال بذاته ومما هو فوقه لا يحتاج فيه الى ما هو دونه وهذا
الاستعداد له هو بالشيء الذي يسمى العقل النظري ومستعد لان
يتحرز عن آفات يعرض له من المشاركة كما سنشرحه في موضعه وان

تصرف في

تصرف في المشاركة تصرفا على الوجه الذي يليق به وهذا الاستعداد
له بقوة يسمى العقل العملي وهي رئيسة القوى التي لها الى جهة البدن
واما ما دون ذلك فهي قوى تنبعث عنه لاستعداد البدن لقبولها
وللمنفعة والاخلاق تكون للنفس من جهة هذه القوة كما اشرنا اليه
فيما سلف ولكل واحد من القوتين استعداد وكمال والاستعداد
الصرف من كل واحد منهما يسمى عقلا هيولانيا سواء احد نظريا
او عمليا ثم بعد ذلك انما يعرض لكل واحد منهما ان يحصل له المبادي
التي بها يكمل افعالها اما للعقل الهيولاني فالمقدمات الاولية
وما يجري معها واما للعملي فالمقدمات المشهورة وهيئات اخرى
فح يكون كل واحد منهما عقلا بالملكة ثم يحصل لكل واحد منهما
الكمال المكتسب وقد شرحنا هذا قبل فيجب ان نبين ان هذه النفس
المستعدة لقبول المعقولات بالعقل الهيولاني ليس بجسم ولا قائم
صورة في جسم **فصل في اثبات قوام النفس الناطقة غير منطبع
في مادة جسمانية** ان مما لا شك فيه ان الانسان فيه شيء وجوهر
يتلقى المعقولات بالقبول فنقول ان الجوهر الذي هو محل المعقولات
ليس بجسم ولا هو قائم في جسم على انه قوة فيه او صورة له بوجه فانه
ان كان محل المعقولات جسما او مقدارا من المقادير فاما ان يكون
الصورة المعقولة تحل منه شيئا واحدا غير منقسم او يكون انما يحل
منه شيئا منقسما والشيء الذي لا ينقسم من الجسم هو طرف نقطي لا محالة
ولنمتحن اولا انه هل يمكن ان يكون محله طرفا غير منقسم فنقول ان هذا
مح وذلك لان النقطة هي نهاية ما لا يميز لها عن الخط في الوضع او

عن المقدار الذي هو منتهى النهاية ان يكون له النقطة شيئا يستقر فيه
شيئ من غير ان يكون في شيئ من ذلك المقدار بل كما ان النقطة
لا تنفرد بذاتها وانما هي طرف ذاتي لما هو بالذات مقدار كذلك
انما يجوز ان يتوهم بوجه ما انه محل فيها طرف شيئ حال في المقدار الذي
هو طرف فهو متقدر بذلك المقدار بالعرض فكما انه يتقدر به
بالعرض كذلك يتناهى بالعرض مع النقطة فيكون له نهاية بالعرض
مع نهاية بالذات كما يكون امتداد بالذات ولو كانت النقطة منفردة
يقبل شيئا من الاشياء لكان يتميز لها ذات فكانت النقطة اذن
ذات وجهين جهة منها تلي الخط الذي تهرب عنه وجهة منها
مخالفة له مقابلة فيكون ح منفصلة عن الخط بقوامها والخط المنفصل
عنها نهاية لا محالة غيرها تلاقيها فيكون تلك النقطة نهاية الخط لا
هذه والكلام فيها وفي هذه النقطة واحد ويودي هذا الى ان
يكون النقطة متشافعة في الخط اما متناهية واما غير متناهية و
هذا امر قد بان لنا في مواضع اخرى استحالته فقد بان ان النقط لا
يتركب بتشافعها جسم وبان ايضا ان النقطة لا يتميز لها وضع خاص و
لا باس بان نشير الى طرف منها فنقول ان النقطتين اللتين تلتان نقطة
واحدة من حسنيها ح اما ان يكون النقطة المتوسطة تحجز بينهما فلا تتماسان
فيلزم ح ان ينقسم الواسطة على الاصول التي قد علمت وهذا مح و
اما ان يكون الوسطى لا تحجز المكتنفين عن التماس فح يكون الصور المعقولة
حالة في جميع النقط وجميع النقط كنقطة واحدة وقد وضعنا هذه النقطة
الواحدة منفصلة عن الخط فللخط من جهة ما ينفصل عنها طرف غيرها

بر منفصل

بر ينفصل عنها فيكون تلك النقطة مباينة لهذه في الوضع وقد وضع
النقط كلها مشتركة في الوضع وهذا مح فقد بطل اذن ان يكون
محل المعقولات من الجسم شيئا غير منقسم فبقي ان يكون محلها من
الجسم شيئا منقسما فلنفرض صورة معقولة في شيئ منقسم فاذا فرضنا
في الشيئ المنقسم اقساما عرض للصورة ان ينقسم فح لا يخلو اما ان
يكون الجزءان متشابهين او غير متشابهين فان كانا متشابهين فكيف
يجتمع منهما ما ليس هما اذ الكل من حيث هو كل ليس هو الجزء
الا ان يكون ذلك الكل شيئ يحصل منهما من جهة الزيادة في
المقدار او الزيادة في العدد لا من جهة الصورة فح يكون الصورة
المعقولة شكلا ما او عددا وليس كل صورة معقولة بشكل او عدد
ويصير ح الصورة خيالية لا معقولة وانت تعلم انه ليس يمكن ان
تقول ان كل واحد من الجزءين هو بعينه الكل وكيف والثاني داخل
في معنى الكل وخارج عن معنى الجزء الاخر فمن البين الواضح ان الواحد
منهما وحده ليس يدل على نفس معنى التمام وان كانا غير متشابهين فلينظر
كيف يمكن ان يكون الاجزاء الغير المتشابهة اجزاء الحد التي هي الاجناس
والفصول ويلزم من هذا محالات منها ان كل جزء من الجسم يقبل
القسمة ايضا في القوة قبولا غير متناه فيجب ان يكون الاجناس والفصول
في القوة غير متناهية وهذا مح فقد صح ان الاجناس والفصول
الذاتية للشيئ الواحد ليست في القوة غير متناهية ولانه ليس
يمكن ان يكون توهم القسمة يفرز الجنس والفصل بل مما لا شك
فيه انه اذا كان هناك جنس وفصل يستحقان تميزا في المحل ان

ذلك التميز لا يتوقف الى توهّم القسمة فيجب ان تكون الاجناس والفصول
بالفعل ايض غير متناهية وقد صحّ انّ الاجناس والفصول واجزا الحدّ
للشيء الواحد متناهية من كل وجه ولو كانت الاجناس والفصول
يجوز لها ان تكون غير متناهية بالفعل لما كان يجوز ان يجتمع في الجسم
اجتماعا بهذه الصفة فان ذلك يوجب ان تكون الجسم الواحد انفصل
باجزا غير متناهية بالفعل وايض لتكن القسمة مما قد وقع من جهة ما يور
من جانب جنسا ومن جانب فصلا فلو غير بالقسمة لم يخ اما ان يقع منها
في جانب نصف جنس ونصف فصل او يوجب انتقال الجنس والفصل
الى القسمين فيمثل الجنس والفصل كل الى قسم من القسمة فيكون فرضنا
الوهمي او قسمنا العرضية يدور بمكان الجنس والفصل وكان يجيء
كل واحد منهما الى جهة ما بحسب ارادة من يد من خارج فيه
على انّ ذلك لا يعني فانا تمكننا ان نوقع قسما في قسم وايض ليس كل
معقول يمكن ان ينقسم الى معقولات ابسط منه فانّ ههنا معقولات
هي ابسط المعقولات وهي مبادٍ للتركيب في ساير المعقولات وليس
لها اجناس ولا فصول ولا هي منقسمة في الكمّ ولا هي منقسمة في المعنى
فاذن ليس يمكن ان يكون الاجزا المفروضة متشابهة كل واحد
منها هو معنى الكل وانّما يحصل الكلّ بالاجتماع فقط ولا ايض يمكن
ان تكون غير متشابهة فليس يمكن ان ينقسم الصورة المعقولة ولا ان
يحل طرفا من المقادير غير منقسم ولا بد لها من قابل فينا فلا بد من
ان يحكم ان محل المعقولات جوهر ليس بجسم ولا ايض تلقاها منّا
قوة في جسم فانها يلحقها ما يلحق الجسم من الانقسام ثم يتبعه ساير

المحالات بل تلقى الصورة المعقولة منّا جوهر غير جسماني ولنا ان نبرهن
على هذا برهانا آخر فنقول انّ القوّة العقلية هو ذي تجرّد المعقولات
عن الكم المحدود والاين والوضع وساير ما قيل فيجب ان ننظر في
ذات هذه الصورة المجردة عن الوضع كيف هي مجرّدة عنه ابالقياس
الى الشيء الماخوذ منه او بالقياس الى الشيء الآخر اعني ان وجود هذه
الحقيقة المعقولة المجردة عن الوضع هل هو في الوجود الخارجي او
في الوجود المتصور في الجوهر العاقل ومح ان نقول انها كذلك في الوجود
الخارجي معنى ان نقول انها انما هي مفارقة للوضع والاين عند وجودها
في العقل فاذا وجدت في العقل لم تكن ذات وضع وبحيث يقع
اليها اشارة او تجزّ وانقسام او شيء مما اشبه هذا المعنى فلا يمكن ان
تكون في جسم وايض اذا انطبعت الصورة الاحدية الغير المنقسمة
التي لاشيا غير منقسمة في المعنى في مادة منقسمة ذات جهات
فلا يخ اما ان لا يكون ولا لشيء من اجزائها التي نفرض فيها بحسب
جهاتها نسبة الى الشيء المعقول الواحد الذات الغير المنقسم المجرد عن
المادة او يكون لكل واحد من اجزائها التي نفرض او يكون لبعض دون
بعض فان لم يكن ولا لشيء منها فلا لكلها فان ما يجمع عن مباينات
مباين وان كان لبعضها دون بعض فالبعض الذي لا نسبة له ليس
هو من معناه في شيء وان كان لكل جز يفرض فيه نسبة ما فاما ان
يكون لكل جز يفرض فيه نسبة الى الذات كما هو او الى جز من الذات
فان كان لكل جز يفرض نسبة الى الذات كما هو فليست الاجزا
اجزا المعنى المعقول بل كل واحد منها معقول في نفسه منفردا

ان كان كل جزء له نسبة غير نسبة الجزء الآخر الى الذات فمعلوم ان
الذات منقسمة في المعقول وقد وضعناها غير منقسمة هف وان كان
نسبة كل واحد الى شيء من الذات غير ما اليه نسبة الآخر فانقسام
الذات اظهر ومن هذا يبين ان الصور المنطبعة في المادة الجسمانية
لا تكون الا اشباحا لامور جزئية منقسمة ولكل جزء منها نسبة بالفعل
او بالقوة الى جزء منه وايض فان الشيء المتكثر في اجزاء الحد له من جهة
التمام وحده ما لا ينقسم فليت شعري ان ذلك الوجود الوحداني من حيث
هو واحد كيف يرتسم في المنقسم ويكون الكلام فيها وفيما لا ينقسم بالحد
واحدا وايض فانه قد صح لنا ان المعقولات المفروضة التي من شأن
القوة الناطقة ان يعقل بالفعل واحدا واحدا منها غير متناهية بالقوة
وقد صح لنا ان الشيء الذي يقوى على امور غير متناهية بالقوة لا يجوز
ان يكون جسما ولا قوة في جسم قد برهن على هذا في الفنون الماضية
فلا يجوز اذن ان يكون الذات المتصورة للمعقولات قائمة في جسم البتة
ولا فعلها كائنا في جسم ولا بجسم وليس لقائل ان يقول كذلك المتخيلات
فذلك خطأ فانه ليس للقوة الحيوانية ان يتخيل اي شيء اتفق مما لا نهاية
له في اي وقت كان ما لم يقترن بها تصريف القوة الناطقة ولا لقائل
ان يقول ان هذه القوة اي العقلية قابلة لا فاعلة وانتم انما تمنعتم تناهي
القوة الفاعلة والناس لا يشكون في جواز وجود قوة قابلة غير متناهية
كما للهيولى فنقول انك تعلم ان قبول النفس الناطقة في كثير من اشياء
لا نهاية لها قبول بعد تصرف فعلي فلنستشهد ايض على ما بيناه
في الكلام الناظر في جوهر النفس الناطقة وفي اخص فعل له بدلائل

من احوال

من احوال افعال اخرى لها مناسبة لما ذكرناه فنقول ان القوة العقلية
لو كانت تعقل بالآلة الجسدانية لكان يجب ان لا تعقل ذاتها
وان لا تعقل الآلة وان لا تعقل انها عقلت فانه ليس بينها وبين
ذاتها آلة وليس لها بينها وبين آلتها آلة وليس لها بينها وبين انها عقلت
آلة لكنها تعقل ذاتها وآلتها التي تدعى لها وانها عقلت فاذن
تعقل بذاتها لا بالآلة بل قد نحقق فنقول لا يخ اما ان يكون تعقلها
آلتها لوجود صورة آلتها تلك الوجود صورة اخرى مخالفة لها بالعدد
وهي ايض فيها وفي آلتها او لوجود صورة اخرى غير صورة آلتها تلك
بالنوع وهي فيها وفي آلتها فان كانت لوجود صورة آلتها فصورة آلتها في
آلتها وفيها بالشركة دائما فيجب ان يعقل آلتها دائما اذ كانت انما تعقلها
لوصول الصورة اليها وان كان لوجود صورة لآلتها غير تلك الصورة
بالعدد فذلك باطل اما اولا فلان المغايرة بين اشياء يدخل في حد
واحد اما لاختلاف المواد والاحوال والاعراض واما لاختلاف
ما بين الكلي والجزئي والمجرد عن المادة والموجود في المادة وليس هاهنا
اختلاف مواد واعراض فان المادة واحدة والاعراض الموجودة واحدة
وليس هاهنا اختلاف التجريد والوجود في المادة فان كليهما في المادة
وليس هاهنا اختلاف الخصوص والعموم لان احدهما ان استفادت
جزئية فانما تستفيد الجزئية بسبب المادة الجزئية واللواحق التي تلحقها من
جهة المادة التي فيها وهذا المعنى لا يختص باحدهما دون الآخر ولا يلزم
هذا على ادراك النفس ذاتها فانها تدرك دائما ذاتها وان كان قد يدركها
في الاغلب مقارنة للاجسام التي هي معها على ما بيناه وانت تعلم انه لا

لا يجوز ان تكون لوجود صورة اخرى غير صورة الته فان هذا اشد استحالة لان الصورة المعقولة اذا حلت الجوهر العاقل جعلته عاقلا لما تلك الصورة صورته او لما تلك الصورة مضافة اليه فتكون صورة المضاف داخلة في هذه الصورة وهذه الصورة المعقولة ليست صورة هذه الالة ولا صورة شئ مضاف اليها بالذات لان ذات هذه الالة جوهر ونحن انما نجد ونعقل صورة ذاته والجوهر في ذاته غير مضاف البتة فهذا برهان واضح على انه لا يجوز ان يدرك المدرك بالالة التي في الادراك ولهذا فان الحس انما يحس شيئا خارجا ولا يحس ذاته ولا التي ولا احساسه وكذلك الخيال لا يتخيل ذاته ولا فعله البتة بل ان يخيل الته يخيلها لا على نحو يخصه وانه لا محالة له دون غيره الا ان يكون الحس يورد عليه صورة الته لو امكن فح يكون انما يحكي خيالا ماخوذا من الحس غير مضاف عنده الى شئ حتى لم يكن هو الته لم يخيله وايضا مما يشهد لنا بهذا ويقنع فيه ان القوى الدراكة بالالات يعرض لها من ادامة العمل ان تكل لاجل ان الالات تكلها ادامة الحركة وتفسد مزاجها الذي هو جوهرها وطبيعتها والامور القوية الشاقة الادراك توهنها وربما افسدتها ولا تدرك عقيبها الاضعف منها لانغماسها في الانفعال عنها كالحال في الحس فان المحسوسات الشاقة المتكررة تضعفه وربما افسدته كالضوء للبصر والرعد الشديد للسمع ولا يقوى الحس عند ادراك القوى على ادراك الضعيف فان المبصر ضوءا عظيما لا يبصر معه ولا عقيبه نورا ضعيفا والسامع صوتا عظيما لا يسمع معه وعقيبه صوتا ضعيفا ومن ذاق الحلاوة الشديدة لا يحس بعدها بالضعيفة والامر في القوة العقلية بالعكس

فانّ

فان ادامتها للفعل وتصورها للامور التي هي اقوى يكسبها قوة وسهولة قبول لما بعدها مما هو اضعف منها فان عرض لها في بعض الاوقات كلال فذلك لاستعانة العقل بالخيال المستعمل للالة التي تكل فلا تخدم العقل ولو كان لغير هذا لكان يقع دائما وفي اكثر الامر والامر بالضد وايضا فان اجزاء البدن كلها تاخذ في الضعف من قواها بعد منتهى النشو والوقوف وذلك دون الاربعين او عند الاربعين وهذه القوة المدركة للمعقولات انما تقوى بعد ذلك في اكثر الامر ولو كانت من القوى البدنية لكان يجب دائما في كل حال ان تضعف ح لكن ليس يجب ذلك الا في احوال وموافاة عوائق دون جميع الاحوال فليست هي اذن من القوى البدنية ومن هذه الاشياء يبين ان كل قوة تدرك بالة ولا تدرك ذاتها ولا التها ولا ادراكها ويضعفها تضاعف الفعل ولا تدرك الضعيف اثر القوي والقوي يوهنها ويضعف فعلها عند ضعف الالات والقوة العقلية بخلاف ذلك كله واما الذي يتوهم ان النفس اذا كانت تنسى معقولاتها ولا تفعل فعلها مع مرض البدن وعند الشيخوخة فذلك لها بسبب ان فعلها لا يتم الا بالبدن وظن غير ضروري ولا حق وذلك انه قد يمكن ان يجتمع الامران جميعا فيكون النفس لها فعل بذاتها اذا لم يعق عائق ولم يصرف عنه صارف وانها ايضا قد تترك فعلها الخاص مع حال تعرض للبدن فلا تفعل ح فعلها وتصرف عنه ويستمر القولان من غير تناقض واذا كان كذلك لم يكن الى هذا الاعتراض التفات ولكنا نقول ان جوهر النفس له فعلان فعل له بالقياس الى البدن وهو السياسة وفعل بالقياس الى ذاته ومباديه وهو الادراك

بالعقل وهما متعاندان متمانعان فانه اذا اشتغل باحدهما انصرف
عن الآخر ويصعب عليه الجمع من الامرين وشواغله من جهة البدن
الاحساس والتخيل والشهوات والغضب والخوف والغم والوجع و
انت تعلم هذا بانك اذا اخذت تفكر في معقول تعطل عليك كل
شئ من هذه الا ان تغلب هي النفس وتصرفها ارادة اياها الى جهتها
وانت تعلم ان الحس تمنع النفس عن التعقل فان النفس اذا كبت على
المحسوس شغلت عن المعقول من غير ان يكون اصاب آلة العقل او
ذاتها آفة بوجه وتعلم ان السبب في ذلك هو اشتغال النفس بفعل
دون فعل فلذلك الحال والسبب اذا عرض ان تعطلت افعال
العقل عند المرض ولو كانت الملكة العقلية المكتسبة قد بطلت و
فسدت لاجل الآلة لكان رجوع الآلة الى حالها يحوج الى اكتساب من
الراس وليس الامر كذلك فانه قد تعود النفس الى ملكتها وهيئتها عاقلة
بجميع ما عقلته بحالها اذا عاد البدن الى سلامته فقد كان اذا ما عقلته
موجودا معها نوع ما الا انها كانت مشغولة عنه وليس اختلاف جهتي
فعل النفس فقط يوجب في افعالها التمانع بل تكثر افعال جهة واحدة قد
يوجب ذلك بعينه فان الخوف يغفل عن الوجع والشهوة تصد عن
الغضب والغضب يصرف عن الخوف والسبب في جميع ذلك واحد
وهو انصراف النفس بالكلية الى امر واحد فبين من هذا انه ليس يجب
اذا لم يفعل شئ فعله عند اشتغاله بشئ ان لا يكون فاعلا فعله الا
عند وجود ذلك الشئ المشتغل به ولنا ان نتوسع في بيان هذا الباب
الا ان الامعان في المطلوب بعد وجود الكفاية منسوب الى التكلف لما

لايحتج

يحتاج اليه فقد ظهر من اصولنا التي قررناها ان النفس ليست منطبعة
في البدن ولا قائمة به فيجب ان يكون اختصاصها به على سبيل مقتضى
هيئة فيها جزئية جاذبة الى الاشتغال بسياسة البدن الجزئي لعناية ذاتية
مختصة به صارت النفس عليها كما وحدت مع وجود بدنها الخاص بهيئته
ومزاجه **فصل يشتمل على مسئلتين احديهما كيفية انتفاع النفس
الانسانية بالحواس والثانية اثبات حدوثها** ان القوى الحيوانية
تعين النفس الناطقة في اشياء منها ان يورد الحس من جملتها عليها الجزئيات
فيحصل لها من الجزئيات امور اربعة احدها انتزاع الذهن الكليات
المفردة عن الجزئيات على سبيل تجريد لمعانيها عن المادة وعلائق المادة
ولواحقها ومراعاة المشترك فيه والمباين به والذاتي وجوده والعرضي
وجوده فيحدث للنفس من ذلك مبادي التصور وذلك بمعاونة
استعمال الخيال والوهم والثاني ايقاع النفس مناسبات بين هذه
الكليات المفردة على مثل سلب وايجاب فما كان التأليف فيها بسلب او
ايجاب اوليا بينا بنفسه اخذه وما كان ليس كذلك تركه الى مصادفة الواسطة
والثالث تحصيل المقدمات التجربية وهو ان يجد بالحس محمولا لازم
الحكم لموضوع ما كان حكمه ايجابا او سلبا او تاليا موجب الاتصال
او مسلوبه او موجب العناد او مسلوبه وليس ذلك في بعض الاحايين
دون بعض ولا على سبيل المساواة بل دائما وجودا تسكن النفس الى
ان من طبيعة هذا الموضوع وهذا المحمول هذه النسبة وان طبيعة
هذا التالي يلزم هذا المقدم او ينافيه لذاته لا بالاتفاق فيكون ذلك
اعتقادا حاصلا من حس وقياس كما هو مبين في الفنون المنطقية و

الشرايع الاخبار التي يقع بها التصديق لشدة التواتر فالنفس الانسانية
تستعين بالبدن لتحصيل هذه المبادي للتصور والتصديق ثم
اذا حصلتها رجعت الى ذاتها فان تعرض لها شيء من القوى التي دونها
شاغلة اياها بما يلحقها من الاحوال شغلتها عن فعلها او اضرت بفعلها و
ان لم تشغلها فلا تحتاج اليها بعد ذلك في خاص افعالها الا في امور
تحتاج فيها خاصة الى ان تعاد القوى الخيالية مرة اخرى وذلك لاقتناص
مبدأ غير الذي حصل او معاونة بتمثيل الغرض في الخيال فيستحكم بمثله
معونة في العقل وهذا مما يقع في الابتدا ولا يقع بعده الا قليلا فاما اذا
استكملت النفس وقويت فانها تنفرد بافاعيلها على الاطلاق وتكون
القوى الحسية والخيالية وساير القوى البدنية صارفة اياها عن فعلها
مثل ان الانسان قد يحتاج الى دابة والات ليتوصل بها الى مقصد ما
فاذا وصل اليه ثم عرض من الاسباب ما يعوقه عن مفارقتها صار السبب
الموصل بعينه عائقا ونقول ان الانفس الانسانية لم تكن قائمة مفارقة
للابدان ثم حصلت في الابدان لان الانفس الانسانية متفقة في
النوع والمعنى فاذا فرض ان لها وجودا ليس حادثا مع حدوث الابدان
بل هو وجود مفرد لم يجز ان تكون النفس في ذلك الوجود متكثرة و
ذلك لان تكثر الاشيا اما ان يكون من جهة الماهية والصورة واما
ان يكون من جهة النسبة الى العنصر والمادة المتكثرة بما تتكثر به من
الامكنة التي تشتمل على كل مادة في جهة والازمنة التي تختص بكل
واحد منها في حدوثه والعلل القاسمة اياها وليست متغايرة بالماهية و
الصورة لان صورتها واحدة فاذن انما تتغاير من جهة قابل الماهية و

المنسوب اليه

المنسوب اليه الماهية بالاختصاص وهذا هو البدن واما اذا امكن ان
تكون النفس موجودة ولا بدن فليس يمكن ان تغاير نفس نفسا بالعدد
وهذا مطلق في كل شيء فان الاشيا التي ذواتها معان فقط وقد
تكثرت نوعياتها باشخاصها فانما تكثرها بالحوامل والقوابل والمنفعلات
عنها او بنسبة ما اليها او الى ازمنتها فقط واذا كانت مجردة اصلا لم تفترق
بما قلنا فمحال ان تكون بينها مغايرة وتكثر فقد بطل ان تكون الانفس قبل
دخولها الابدان متكثرة الذات بالعدد واقول ولا يجوز ان تكون واحدة
الذات بالعدد لانه اذا حصل بدنان حصل في البدنين نفسان فاما
ان تكونا قسمي تلك النفس الواحدة فيكون الشيء الواحد الذي ليس
له عظم وحجم منقسما بالقوة وهذا ظاهر البطلان بالاصول المتقررة في
الطبيعيات وغيرها واما ان تكون النفس الواحدة بالعدد في بدنين
وهذا لا يحتاج ايضا الى كثير تكلف في ابطاله ونقول بعبارة اخرى
ان هذه النفس انما تتشخص نفسا واحدة من جملة نوعها باحوال تلحقها
ليست لازمة لها بما هي نفس والا لاشتركت فيها جميعها والاعراض
اللاحقة تلحق عن ابتدا لا محالة زمانيا ولانها تتبع سببا عرض لبعضها دون
بعض فيكون تشخص الانفس ايضا امرا حادثا فلا تكون قديمة لم تزل
ويكون حدوثها مع بدن فقد صح اذن ان الانفس تحدث كما تحدث
مادة بدنية صالحة لاستعمالها اياها ويكون البدن الحادث مملكتها و
آلتها ويكون في جوهر النفس الحادثة مع بدن ما ذلك البدن استحق
حدوثها من المبادي الاول هيئة نزاع طبيعي الى الاشتغال به واستعماله
والاهتمام باحواله والانجذاب اليه تخصه وتصرفه عن كل الاجسام غيره

فلا بد لها اذا وحدت متشخصة فان مبدء تشخيصها يلحق بها من الهيآت ما تعين به شخصًا وتلك الهيات تكون مقتضية لاختصاصها بذلك البدن ومناسبة لصلوح احدهما للاخر وان خفى علينا تلك الحالة وتلك المناسبة ويكون مبادى الاستكمال موقعها لها بوساطته ويكون هو بدنها ولكن لقائل ان يقول ان هذه الشبهة يلزمكم فى النفوس اذا فارقت الابدان فانها اما ان تفسد ولا تقولون به واما ان يتحد وهو عين ما تشنعتم به واما ان تبقى متكثرة وهى عندكم مفارقة للمواد فكيف تكون متكثرة فنقول اما بعد مفارقة الانفس للابدان فان الانفس قد وجد كل واحد منها ذاتا منفردة باختلاف موادها التى كانت وباختلاف ازمنة حدوثها واختلاف هياتها التى بحسب ابدانها المختلفة لا محالة فانا نعلم يقينا ان وجد المعنى الكلى شخصًا مشارًا اليه لا يمكنه ان يوجده شخصًا او يزيد له معنى نوعيته به يصير شخصًا من المعانى التى يلحقه عند حدوثه ويلزمه علمناها او لم نعلم ونحن نعلم ان النفس ليست واحدة فى الابدان كلها ولو كانت واحدة وكثيرة بالاضافة لكانت عالمة فيها كلها او جاهلة ولما خفى على زيد ما فى نفس عمرو ولان الواحد المضاف الى كثيرين يجوز ان يختلف بحسب الاضافة واما الامور الموجودة له فى ذاته فلا يختلف فيها حتى اذا كان ابا لاولاد كثيرين وهو شاب لم يكن شابًا الا بحسب الكل اذ الشاب له فى نفسه فيدخل فى كل اضافة فاذ ليست فيدخل فى كل اضافة فاذ ليست النفس واحدة وهى كثيرة بالعدد ونوعها واحد وهى حادثة كما بيناه فلا شك انها بامر ما تشخصت وان

ذلك الامر

ذلك الامر فى النفس الانسانية ليس هو الانطباع فى المادة فقد علم بطلان القول بذلك بل ذلك الامر هيئة من الهيات وقوة من القوى وعرض من الاعراض الروحانية او جملة منها تشخصها باجتماعهم وان جهلناها وبعد ان تشخصت مفردة فلا يكون هى والنفس الاخرى بالعدد ذاتا واحدة فقد اكثرنا القول فى امتناع هذا فى عدة مواضع لكنا نعين انه يجوز ان تكون النفس اذا حدثت مع حدوث مزاج ما ان يحدث لها هيئة هذه فى الافعال النطقية و الانفعال النطقية تكون على جملة مميزة عن الهيئة المناظرة لها فى اخرى تميز المزاجين فى البدنين وان تكون الهيئة المكتسبة التى تسمى عقلا بالفعل ايضا على حد ما يميز به عن نفس اخرى وانها تقع لها شعور بذاتها الجزئية وذلك الشعور هيئة ما فيها ايضا خاصة ليس بغيرها و يجوز ان يحدث فيها من جهة القوى البدنية هيئة خاصة ايضا وتلك الهيئة يتعلق بالهيئات الخلقية او يكون هى او يكون ايضا خصوصيات اخرى يخفى علينا تلزم النفوس مع حدوثها وبعده كما يلزم من امثالها اشخاص الانواع الجسمانية فتمايزها ما بقيت ويكون الانفس كذلك يتميز بمخصصاتها فيها كانت الابدان او لم يكن ابدان عرفنا تلك الاحوال او لم نعرف او عرفنا بعضها فصل فى ان الانفس الانسانية لا يفسد ولا تتناسخ اما ان النفس لا يموت بموت البدن فلان كل شئ يفسد بفساد شئ اخر فهو يتعلق به نوعا من التعلق فاما ان يكون تعلقه به تعلق المتاخر عنه فى الوجود او تعلق المتقدم له فى الوجود الذى هو قبله بالذات لا فى الزمان او

تعلق المكان في الوجود فان كان تعلق النفس بالبدن تعلق المكان
في الوجود وذلك امر ذاتي لا عارض فكل واحد منهما مضاف الذات لم صح
الى صاحبه وليس لا النفس ولا البدن بجوهر لكنهما جوهران وان
كان ذلك امرا عرضيا لا ذاتيا فان فسد احدهما بطل العارض الآخر
من الاضافة ولم يفسد الذات بفساده من حيث هذا التعلق
وان كان تعلقه به تعلق المتاخر عنه في الوجود فالبدن علة النفس
في الوجود والعلل اربع فاما ان يكون البدن علة فاعلية للنفس
معطية لها الوجود واما ان يكون علة قابلية لها على سبيل التركيب
كالعناصر للابدان او بسبيل البساطة كالنحاس للصنم واما ان
يكون علة صورية واما ان يكون علة كمالية ومحال ان يكون علة فاعلية
فان الجسم بما هو جسم لا يفعل شيئا وانما يفعل بقوة ولو كان يفعل
بذاته لا بقوة لكان كل جسم يفعل ذلك الفعل ثم القوى
الجسمانية كلها اما اعراض واما صور مادية ومحال ان يفيد الاعراض
والصور القائمة بالمواد وجود ذات قائمة بنفسها لا في مادة ووجود
جوهر مطلق ومحال ايضا ان يكون علة قابلية فقد برهنا وبينا ان
النفس ليست منطبعة في البدن بوجه من الوجوه فلا يكون
البدن اذن متصورا بصورة النفس لا بحسب البساطة ولا بحسب
التركيب بان يكون اجزاء من اجزاء البدن يتركب ويمتزج تركيبا او
مزاجا فينطبع فيها النفس ومحال ان يكون الجسم علة صورية للنفس او
كمالية فان الاولى ان يكون بالعكس فاذن ليس تعلق النفس بالبدن
تعلق معلول بعلة ذاتية وان كان المزاج والبدن علة بالعرض

للنفس

للنفس فانه اذا حدثت مادة بدن تصلح ان يكون آلة للنفس ومملكة
لها احدثت العلل المفارقة النفس الجزئية او حدث عنها ذلك فان
احداثها بلا سبب مخصص احداث واحد دون واحد محال ومع ذلك
فانه يمتنع وقوع الكثرة فيها بالعدد لما قد بيناه ولانه لا بد لكل
كائن بعد ما لم يكن من ان يتقدمه مادة يكون فيها تهيؤ قبوله
او تهيؤ نسبة اليه كما بين في العلوم الاخرى فانه لو كان يجوز ان
ان يكون نفس جزئية تحدث ولم تحدث لها آلة بها تستكمل وتفعل لكانت
معطلة الوجود ولا شيء معطل في الطبيعة واذا كان ذلك ممتنعا
فلا قدرة عليه ولكن اذا حدث التهيؤ للنسبة والاستعداد للآلة
يلزم ح ان يحدث من العلل المفارقة شيء هو النفس وليس ذلك
في النفس فقط بل كل ما يحدث بعد ما لم يكن من الصور فانما يرجح
وجوده على لا وجوده استعداد المادة له وصيرورتها احق به و
ليس اذا وجب حدوث شيء عند حدوث شيء وجب ان يبطل
مع بطلانه انما يكون ذلك اذا كان ذات الشيء قائما بذلك الشيء
وفيه وقد يحدث امور عن امور ويبطل تلك الامور ويبقى تلك
الامور اذا كانت ذاتها غير قائمة فيها وخصوصا اذا كان مفيد الوجود
لها شيئا آخر غير الذي انما تهيا افاده وجوده مع وجوده ومفيد وجود
النفس شيء غير جسم ولا هو قوة في جسم بل هو لا محالة ذات قائمة بريئة
عن المواد والمقادير فاذا كان وجوده من ذلك الشيء ومن البدن
يحصل وقت استحقاقه للوجود فقط فليس له تعلق في نفس الوجود
بالبدن ولا البدن علة له الا بالعرض ولا يجوز اذن ان يقال ان التعلق

بينهما على نحو يوجب ان يكون الجسم متقدما تقدم العلة على النفس و
اما القسم الثالث مما ذكرنا في الابتدا وهو ان يكون تعلق النفس
بالجسم تعلق المتقدم في الوجود فاما ان يكون التقدم مع ذلك
زمانيا فيستحيل ان يتعلق وجودها به وقد تقدمته في الزمان
واما ان يكون التقدم بالذات لا بالزمان وهذا النحو من التقدم
هو ان يكون الذات المتقدمة كما توجد يلزم ان يستفاد عنها ذات
المتاخر في الوجود وح لا يوجد ايض هذا المتقدم في الوجود
اذا فرض المتاخر قد عدم لا ان فرض عدم المتاخر اوجب عدم
المتقدم ولكن لان المتاخر لا يجوز ان يكون عدم الا وقد عرض اولا
للمتقدم في طبعه ما اعدمه فح عدم فليس فرض عدم المتاخر يوجب
عدم المتقدم ولكن فرض عدم المتقدم نفسه لانه انما افترض
المتاخر معدوما بعد ان عرض للمتقدم ان عدم في نفسه واذا كان
كذلك فيجب ان يكون السبب المعدم يعرض في جوهر النفس فيفسد
معه البدن وان لا يكون البدن البتة يفسد بسبب يخصه لكن
فساد البدن بسبب يخصه من تغير المزاج او التركيب فح ان
يكون النفس يتعلق بالبدن تعلق المتقدم بالذات ثم يفسد
البدن البتة بسبب في نفسه فليس اذن بينهما هذا التعلق و
اذا كان الامر على هذا فقد بطل انحا التعلق كلها وبقي ان لا تعلق
للنفس في الوجود بالبدن بل تعلقه في الوجود بالمبادي الاخر
التي لا يستحيل ولا يبطل واقول ايض ان سببا اخر لا يعدم النفس
البتة وذلك ان كل شيء من شانه ان يفسد بسبب ما ففيه قوة

ان يفسد وقبل الفساد فيه فعل ان يبقى وتهيؤه للفساد ليس
لفعل ان يبقى فان معنى القوة مغايرة لمعنى الفعل واضافة هذه
القوة مغايرة لاضافة هذا الفعل لان اضافة ذلك الى الفساد
واضافة هذا الى البقا فاذن لامرين مختلفين ما يوجد في الشيء
هذان المعنيان فنقول ان الاشيا المركبة او الاشيا البسيطة التي
هي قائمة في المركب يجوز ان يجتمع هذان الامران واقول بوجه
مطلق انه لا يجوز ان يجتمع في شيء احدي الذات هذان المعنيان
وذلك لان كل شيء يبقى وله قوة ان يفسد فله قوة ايض ان
يبقى لان بقاه ليس بواجب ضروري واذا لم يكن واجبا كان
ممكنا والامكان الذي يتناول الطرفين هو طبيعة القوة فاذن
يكون له في جوهره قوة ان يبقى وفعل ان يبقى منه لا محالة ليس هو
قوة ان يبقى منه وهذا بين فيكون فعل ان يبقى منه امرا يعرض
للشيء الذي له قوة ان يبقى فتلك القوة لا يكون لذات ما
بالفعل بل للشيء الذي يعرض لذاته ان يبقى بالفعل لا انه حقيقة
ذاته فيلزم من هذا ان يكون ذاته مركبة من شيء اذا كان به
ذاته موجودا بالفعل وهو الصورة في كل شيء وعن شيء حصل له
هذا الفعل وفي طباعه قوته وهو مادته فان كان النفس بسيطة
مطلقة لم ينقسم الى مادة وصورة وان كانت مركبة فلنترك المركب
ولننظر في الجوهر الذي هو مادته ولنصرف القول الى نفس مادته
ولنتكلم فيها ونقول ان المادة اما ان ينقسم هكذا دائما ويثبت الكلام
دائما وهذا مح واما ان لا يبطل الشيء الذي هو الجوهر والسنخ

في هذا الشيء الذي هو السنخ والاصل وهو الذي يسمى النفس و
ليس كلامنا في شيء مجتمع منه ومن شيء اخر فبين ان كل شيء هو بسيط
غير مركب او هو اصل مركب وسنخه فهو غير مجتمع فيه فعل ان يبقى
وقوة ان يعدم بالقياس الى ذاته فان كانت فيه قوة ان يعدم
فمح ان يكون فيه فعل ان يبقى واذا كان فيه فعل ان يبقى وان يوجد
فليس فيه قوة ان يعدم فبين اذن ان جوهر النفس ليس فيه قوة ان
يفسد واما الكاينات التي يفسد فان الفاسد منها ما هو المركب
المجتمع وقوة ان يفسد او يبقى ليس في المعنى الذي به المركب واحد
بل في المادة التي هي بالقوة قابله كلا الضدين فليس اذن في الفاسد
المركب لا قوة ان يبقى ولا قوة ان يفسد فلم يجتمعا فيه واما المادة فاما
ان يكون باقية لا بقوة يستعد بها للبقا كما يظن قوم واما ان يكون
بقوة بها يبقى وليس لها قوة ان يفسد بل قوة ان يفسد شيء اخر
يحدث فيها والبسايط التي في المادة فان قوة فسادها في جوهر
المادة لا في جوهرها والبرهان الذي يوجب ان كل كاين فاسد
من جهة تناهي قوى البقا والبطلان انما يوجب فيما هو كاين من
مادة وصورة ويكون في مادته قوة ان يبقى فيه تلك الصورة و
قوة ان يفسد هي منه معا كما قد علمت فقد بان اذن ان النفس الانسانية
لا يفسد البتة والى هذا سقنا كلامنا والله الموفق فقد اوضحنا
ان النفس انما حدث وتكثرت مع تهيؤ من الابدان على ان تهيؤ
الابدان موجب ان يفيض وجود النفس لها من العلل المفارقة
وظهر من ذلك ان هذا لا يكون على سبيل الاتفاق والبخت حتى

يكون

حتى يكون وجود النفس الحادثة ليس لاستحقاق هذا المزاج نفسا
حادثة مدبرة ولكن قد كان وحدث النفس واتفق ان وجد معها
بدن فتعلقت به فان مثل هذا لا يكون علة ذاتية البتة للتكثر بل
عسى ان يكون عرضية وقد عرفنا ان العلل الذاتية هي التي يجب
ان يكون اولا ثم ربما تليها العرضية فاذا كان كذلك فكل بدن
يستحق مع حدوث مزاج مادته حدوث نفس له وليس بدن
يستحقه وبدن لا يستحقه اذ اشخاص الانواع لا يختلف في
الامور التي بها يتقوم وليس يجوز ان يكون بدن انساني يستحق
نفسا مكمل بها وبدن اخر هو في حكم مزاجه بالنوع ولا يستحق
ذلك بل ان اتفق كان وان لم يتفق لم يكن فان هذا لا يكون من
نوعه فاذا فرضنا ان نفسا تناسخها ابدان وكل بدن فانه بذاته يستحق
نفسا يحدث له وتعلق به فيكون البدن الواحد فيه نفسان معا
ثم العلاقة بين النفس والبدن ليس هو على سبيل الانطباع فيه
كما بيناه مرارا بل العلاقة التي بين النفس والبدن هي علاقة الاشتغال
من النفس بالبدن حتى يشعر النفس بذلك البدن وينفعل البدن
عن تلك النفس وكل حيوان يستشعر نفسه نفسا واحدة هي المصرفة
والمدبرة للبدن الذي له فان كان هناك نفس اخرى لا يشعر الحيوان
بها ولا هو بنفسه ولا يشتغل بالبدن فليس لها علاقة بالبدن لان
العلاقة لم يكن الا بهذا النحو فلا يكون تناسخ بوجه من الوجوه وبهذا
المقدار لمن اراد الاختصار كفاية **فصل في العقل الفعال في
انفسنا والعقل المنفعل عن انفسنا** نقول ان النفس الانسانية

قد يكون عاقلة بالقوة ثم يصير عاقلة بالفعل وكل ما خرج من
القوة الى الفعل فانما يخرج بسبب بالفعل يخرجه فههنا سبب هو
الذى يخرج نفوسنا فى المعقولات من القوة الى الفعل واذ هو السبب
فى اعطاء الصور العقلية فليس الا عقلا بالفعل عنده مبادى الصور
العقلية مجردة ونسبته الى نفوسنا نسبة الشمس الى ابصارنا فكما
ان الشمس يبصر بذاتها بالفعل ويبصر بنورها بالفعل ما ليس مبصرا
بالفعل كذلك حال هذا العقل عند نفوسنا فان القوة العقلية اذا
اطلعت على الجزئيات التى فى الخيال واشرق عليها نور العقل الفعال
فينا الذى ذكرناه استحالت مجردة عن المادة وعلايقها وانطبعت
فى النفس الناطقة لا على انها انفسها ينتقل من المحل الى العقل منا
ولا على ان المعنى المغمور فى العلايق وهو فى نفسه واعتباره فى
ذاته مجرد يعقل مثل نفسه بل على معنى ان مطالعتها تعد النفس لان
يفيض عليها المجرد من العقل الفعال فان الافكار والتاملات
حركات معدة للنفس نحو قبول الفيض كما ان الحدود الوسطى
معدة بنحو اشد تاكيدا لقبول النتيجة وان كان الاول على سبيل
والثانى على سبيل اخر كما ستقف عليه فيكون النفس الناطقة اذا
وقعت لها نسبة ما الى هذه الصورة بتوسط اشراق العقل
الفعال حدث منها شئ فيه من جنسها من وجه كما انه اذا وقع الضوء
على الملونات فعل فى البصر منها اثرا ليس على جملتها من كل وجه
فالخيالات التى هى معقولات بالقوة يصير معقولات بالفعل لا
انفسها بل ما يلتقط عنها كما ان الاثر المادى بواسطة الضوء من الصور

المحسوسة

المحسوسة ليس هى نفس تلك الصور بل شئ اخر مناسب لها يتولد
بتوسط الضوء فى القابل المقابل كذلك النفس الناطقة اذا طالعت
تلك الصور الخيالية واتصل بها نور العقل الفعال ضربا من
الاتصال استعدت لان يحدث فيها من ضوء العقل الفعال مجرد
ان تلك الصور عن الشوايب فاول ما يتميز عند العقل الانسانى
امر الذاتى منها والعرضى وما به يتشابه تلك الخيالات وما به تختلف
فيصير المعانى التى لا يختلف تلك بها معنى واحدا فى ذات العقل
بالقياس الى التشابه لكنه فيه بالقياس الى ما تختلف به يصير
معانى كثيرة فيكون للعقل قدرة على تكثير الواحد من المعانى وعلى
توحيد الكثير اما توحيد الكثير فمن وجهين احدهما بان يصير المعانى
الكثيرة المختلفة فى المتخيلات بالعدد اذا كانت لا تختلف فى
الحد معنى واحدا والوجه الثانى بان يركب من معانى الاجناس
والفصول معنى واحدا بالحد ويكون وجه التكثير بالعكس من هذين
الوجهين فهذه من خواص العقل الانسانى وليس ذلك لغيره من
القوى فانها تدرك الكثير كثيرا كما هو والواحد واحدا كما هو ولا
يمكنها ان يدرك الواحد البسيط بل الواحد من حيث هو جملة مركبة
من امور واعراضها ولا يمكنها ان يفصل العرضيات وينزعها من
الذاتيات فاذا عرض الحس على الخيال والخيال على العقل صورة ما
فاخذ العقل منها معنى فان عرض عليه صورة اخرى من ذلك النوع
وانما هى اخرى بالعدد لم ياخذ العقل منها البتة صورة ما غير ما
اخذ الا من جهة العرض الذى يخص هذا من حيث هو ذلك

العرض ولذلك نقول ان زيدا وعمرا لهما معنى واحد فى الانسانية ليس
على ان الانسانية المقارنة لخواص عمرو هى بعينها الانسانية التى تقارن
خواص زيد وكان ذاتا واحدة هى لزيد وعمرو كما يكون بالصداقة و
بالملك او بغير ذلك بل الانسانية فى الوجود متكثرة فلا وجود لانسانية
واحدة مشتركة فيها الوجود الخارج حتى تكون هى بعينها انسانية
زيد وعمرو وهذا سنبين فى الصناعة الحكمية ولكن معنى ذلك ان
السابق من هذه اذا افادت النفس صورة الانسانية فان الثانى لا
يفيد البتة شيا بل يكون المعنى المنطبع منهما فى النفس واحدا هو عن
الخيال الاول ولا تاثير للخيال الثانى فان كل واحد منهما كان يجوز
ان يسبق فيفعل هذا الاثر بعينه فى النفس ليس كشخصى انسان
وفرس هذا ومن شان العقل اذا ادرك اشيا فيها تقدم وتاخر ان
يعقل معها الزمان ضرورة وذلك لا فى زمان بل فى ان والعقل
يعقل الزمان فى ان واما تركيبه القياس والحد فهو يكون لا محالة فى
زمان الا ان تصوره النتيجة والمحدود يكون دفعة والعقل ليس عجزه
عن تصور الاشيا التى هى فى غاية المعقولية والتجريد عن المادة لامر
فى ذات تلك الاشيا ولا لامر فى غريزة العقل بل لاجل ان النفس
مشغولة فى البدن بالبدن فيحتاج فى كثير من الامور الى البدن
فيبعدها البدن عن افضل كمالاتها وليست العين انما لا يطيق ان
ينظر الى الشمس لاجل امر فى الشمس وانها غير جلية بل لامر فى جبلة
بدنها فاذا زال عن النفس منا هذا الغمور وهذا العوق كان تعقل
النفس لهذه افضل التعقلات للنفس واوضحها والذها ولان

كلامنا

كلامنا فى هذا الموضع انما هو فى امر النفس من حيث هو نفس وذلك
من حيث هو مقارن لهذه المادة فليس ينبغى لنا ان نتكلم فى امر معاد
النفس ونحن متكلمون فى الطبيعة الى ان ننتقل الى الصناعة الحكمية
وننظر فيها فى الامور المفارقة واما النظر فى الصناعة الطبيعية
فيختص بما يكون لائقا بالامور الطبيعية وهى الامور التى لها نسبة
الى المادة والحركة بل نقول ان تصور العقل يختلف بحسب وجود
الاشيا فالاشيا القوية الوجود جدا قد تقصر العقل عن
ادراكها لغلبتها والاشيا الضعيفة الوجود جدا كالحركة والزمان
والهيولى قد يصعب تصورها لانها ضعيفة الوجود والاعدام
لا يتصورها العقل وهو بالفعل مطلقا لان العدم يدرك
من حيث لا يدرك الملكة فيكون يدرك العدم من حيث هو
عدم والشر من حيث هو شر شى هو بالقوة وعدم كمال فان ادركه
عقل فانما يدركه لانه بالاضافة اليه بالقوة والعقول التى لا يخالطها
ما بالقوة لا تعقل العدم والشر من حيث هو عدم وشر ولا يتصورهما
وليس فى الوجود شى هو شر مطلقا **فصل فى مراتب افعال العقل
وفى اعلى مراتبها وهو العقل القدسى** نقول ان النفس يعقل بان
تاخذ فى ذاتها صورة المعقولات مجردة عن المادة وكون الصورة مجردة
اما ان تكون بتجريد العقل اياها واما ان تكون لان تلك الصورة فى
نفسها مجردة عن المادة فتكون النفس قد كفت المؤنة فى تجريدها
والنفس تتصور ذاتها وتصورها ذاتها يجعلها عقلا وعاقلا
ومعقولا واما تصورها لهذه الصور فلا يجعلها كذلك فانها فى

جوهرها فى البدن دائما بالقوة عقلا وان خرج فى امورنا الى الفعل
وما يقال من ان ذات النفس تصير هى المعقولات فهو من جملة ما يستحيل
عندى فانى لست افهم قولهم ان شيئا يصير شيئا اخر ولا اعقل
ان ذلك كيف يكون فان كان بان يخلع صورة ثم يلبس صورة اخرى
ويكون هو مع الصورة الاولى شيئا ومع الصورة الاخرى شيئا فلم
يصر بالحقيقة الشيء الاول الشيء الثانى بل الشيء الاول قد بطل
وانما بقى موضوعه او جزء منه وان كان ليس كك فلننظر كيف يكون
فنقول اذا صار الشيء شيئا اخر فاما ان يكون اذ هو قد صار ذلك الشيء
موجودا او معدوما فان كان موجودا فالثانى الاخر اما ان يكون
موجودا ايض او معدوما فان كان موجودا فهما موجودان لا موجود
واحد وان كان معدوما فقد صار هذا الموجود شيئا معدوما
لا شيئا اخر موجودا وهذا غير معقول وان كان الاول قد عدم فما
صار شيئا اخر بل عدم هو وحصل شيء اخر فالنفس كيف تصير صور
الاشياء واكثر ما هوس الناس فى هذا هو الذى صنف لهم
ايساغوجى وكان حريصا على ان يتكلم باقوال مخيلة شعرية صوفية
يقتصر منها لنفسه ولغيره على التخيل ويدل على ذلك كتبه فى العقل
والمعقولات وكتبه فى النفس نعم ان صور الاشياء تحل النفس وتحليها
وتزينها وتكون النفس كالمكان لها بتوسط العقل الهيولانى ولو كانت
النفس صورة شيء من الموجودات بالفعل والصورة هى الفعل
وهى بذاتها فعل وليس فى ذات الصورة قوة قبول شيء انما قوة القبول
فى القابل للشيء وجب ان تكون النفس حينئذ لا قوة لها على قبول صورة

اخرى

اخرى وامر اخر وقد نراها تقبل صورة اخرى غير تلك الصورة فان
كان ذلك الغير ايض لا يخالف هذه الصورة فهو من العجايب
فيكون القبول واللاقبول واحدا وان كان يخالفه فيكون النفس لا محالة
ان كانت هى الصور المعقولة قد صارت غير ذاتها وليس من هذا
شيء بل النفس هى العاقلة والعاقل اما ان يعنى به قوتها التى بها تعقل
ويعنى به صور المعقولات فى نفسها ولانها فى النفس تكون معقولة
فلا يكون العقل والعاقل والمعقول شيئا واحدا فى انفسنا ولانها
نعم هذا فى شيء اخر يمكن ان يكون على ما سنلمح فى موضعه وكذلك
العقل الهيولانى ان عنى به مطلق الاستعداد للنفس فهى باقية فينا
ابدا ما دمنا فى البدن وان عنى بحسب شيء شيء فان الاستعداد
يبطل مع وجود الفعل واذ قد تقرر هذا فنقول ان تصور المعقولات
على وجوه ثلثة احدها التصور الذى يكون فى النفس بالفعل
مفصلا منظما وربما يكون ذلك النظام والتفصيل غير واجب بل
يصح ان يغير مثاله انك اذا فصلت فى نفسك معانى الالفاظ التى
يدل عليها قولك كل انسان حيوان وجدت كل معنى منها
كليا لا يتصور الا فى جوهر غير بدنى ووجدت لتصورها فيه
تقديما وتاخيرا فان غيرت ذلك حتى كان ترتيب المعانى المتصورة
الترتيب المحاذى لقولك الحيوان محمول على كل انسان لم تشك
ان هذا الترتيب من حيث هو ترتيب معان كلية لم يترتب الا فى
جوهر غير بدنى وان كان يترتب ايض من وجه ما فى الخيال من
حيث المسموع لا من حيث المعقول وكان الترتيبان مختلفين والمعقول

الصرف منه واحد والثاني ان يكون قد حصل التصور واكتسب لكن
النفس معرضة عنه فليست تلتفت الى ذلك المعقول بل قد انتقلت عنه
مثلاً الى معقول آخر فانه ليس في وسع انفسنا ان تعقل الاشياء
معاً دفعة واحدة ونوع آخر من التصور وهو مثل ما يكون عندك
في مسئلة تسئل عنها مما علمته او مما هو قريب من ان تعلمه فيحضرك
جوابها في الوقت وانت متيقن بانك تجيب عنها مما علمته من غير ان
يكون هناك تفصيل البتة بل انما تاخذ في التفصيل والترتيب في
نفسك مع اخذك في الجواب الصادر عن يقين منك بالعلم به قبل
التفصيل والترتيب فيكون الفرق بين التصور الاول والثاني
ظاهراً فان الاول كانه شيء قد اخرجته من الخزانة وانت تستعمله والثاني
كانه شيء لك مخزون متى شئت استعملته والثالث يخالف الاول
بانه ليس شيئاً مرتباً في الفكر البتة بل هو كمبدأ لذلك مع مقارنته
للنفس ويخالف الثاني بانه لا يكون معرضاً عنه بل منظوراً اليه
نظراً ما بالفعل يقيناً اذ يختص معه التنبه الى بعض ما هو
كالمخزون فان قال قائل ان ذلك علم ايضاً بالقوة ولكن قوة قريبة
من الفعل فذلك باطل لان لصاحبه يقيناً بالفعل حاصلاً لا يحتاج
ان يحصله بقوة بعيدة او قريبة فذلك اليقين اما لانه متيقن ان
هذا حاصل عنده اذا شاء علم فيكون تيقنه بالفعل بان هذا حاصل
متيقنه بالفعل فان الحصول حصول لشيء فيكون هذا الشيء الذي
تشير اليه حاصلاً بالفعل لانه من المحال ان يتيقن ان المجهول بالفعل
معلوم عنده مخزون فكيف يتيقن حال الشيء الا والامر هو من جهة

ما يتيقنه

ما يتيقنه معلوم واذا كانت الاشارة تتناول المعلوم بالفعل من
المتيقن بالفعل ان هذا عنده مخزون فهو بهذا النوع البسيط
معلوم عنده ثم يريد ان يجعله معلوماً بنوع آخر ومن العجائب
ان هذا المجيب حين ياخذ في تعليم غيره تفصيل ما هجس في نفسه
دفعة يكون مع ما تعلم يتعلم العلم بالوجه الثاني فيرتب تلك الصورة
فيه مع ترتيب الفاظه فاحد هذين هو العلم الفكري الذي انما يستكمل
تمام الاستكمال اذا ترتب وتركب والثاني هو العلم البسيط الذي
ليس في نفسه صورة بعد صورة لكن هو واحد تفيض عنه الصور
في قابل الصور فذلك علم فاعل للشيء الذي نسميه علماً فكرياً و
مبدأ له وذلك هو للقوة العقلية المطلقة من النفس المشاكلة للعقول
الفعالة واما التفصيل فهو للنفس من حيث هو نفس فما لم يكن له
ذلك لم يكن له علم نفساني واما انه كيف يكون للنفس الناطقة
مبدأ غير النفس له علم غير علم النفس فهو موضع نظر يجب عليك
ان تعرفه من نفسك واعلم انه ليس في العقل المحض منهما تكثر البتة
ولا ترتب صورة بصورة بل هو مبدأ لكل صورة تفيض عنها على النفس
وعلى هذا ينبغي ان يعتقد الحال في المفارقات المحضة في عقلها
للاشياء فان عقلها هو العقل الفعال للصور الخلاقة لها لا التي
تكون للصور او في صور النفس التي للعالم من حيث هي نفس فان
تصورها هو التصور المرتب المفصل فلذلك ليست بسيطة من
كل وجه وكل ادراك عقلي فانه نسبة ما الى صورة مفارقة للمادة
ولاعراضها المادية على النحو المذكور فللنفس ذلك بانها جوهر قابل منطبع

من شانه ان يكون فيه ثم

وللعقل بانه جوهر مبدء فاعل خلاق فما يخص ذاته من مبدئيته
لها عقلية بالفعل وما يخص النفس من تصورها به وقبولها له
هو عقليتها بالفعل والذي ينبغي ان يعلم من حال الصور التي
في النفس هو ما اقوله اما التخيلات وما يتصل بها فانها اذا اعرض
عنها النفس كانت مخزونة في قوى هي للخزن وليست بالحقيقة
مدركة والا لكانت مدركة وخازنة معا بل هي خازنة اذا رجعت
القوة الدراكة الحاكمة اليها وهي الوهم او النفس او العقل وجدها
حاصلة فان لم يجدها احتاجت الى استرجاع بتجسس او بتذكر ولولا
هذا العذر لكان من الواجب ان يشك في ان كل نفس اذا كانت
ذاهلة عن صورة اتلك الصورة موجودة او ليست بموجودة الا بالقوة
ويتشكك في انها كيف ترجع واذا لم يكن عند النفس فعند اي شيء
يكون والنفس باي شيء يتصل حتى يعاود هذه الصورة لكن النفس
الحيوانية قد فرقت قواها وجعلت لكل قوة آلة مفردة فجعلت للصورة
خزانة قد تغفل عنها الوهم اذ ليس للوهم موضع ثبات هذه الامور
لكن للحاكم قلنا ان نقول ان الوهم قد يطالع الصور والمعاني المخزونة
في خزانتي القوتين وقد تعرض عنها فماذا تقول له الان في الانفس
الانسانية والمعقولات التي تكتسبها وتذهل عنها الى غيرها اتكون
موجودة فيها بالفعل التام فتكون لا محالة عاقلة لها بالفعل التام او يكون
لها خزانة تخزنها فيها وتلك الخزانة اما ذاتها او بدنها او شيء بدني
لها وقد قلنا ان بدنها وما يتعلق ببدنها مما لا يصلح لذلك اذ لم يصلح
ان يكون محلا للمعقولات ولا يصلح ان يكون الصور العقلية ذات

وضع

وضع واذا صار بالبدن ذات وضع بطلت ان تكون معقولة او نقول
ان هذه الصور العقلية امور قائمة في انفسها كل صورة منها نوع
آخر قائم في نفسه والعقل ينظر اليها مرة وتغفل عنها فاذا نظر اليها
تمثلت فيه واذا اعرض عنها لم يتمثل فتكون النفس كمرآة وهي
كاشياء خارجة فتارة يلوح فيه وتارة لا يلوح وذلك بحسب نسب
تكون بين النفس وبينها او يكون المبدء الفعال يفيض على النفس
صورة بعد صورة بحسب طلب النفس وان تكون اذا اعرضت
عنه انقطع الفيض وان كان هذا هكذا فلم لا يحتاج كل كرة
ان يتعلم من راس فنقول ان الحق هو القسم الاخير وذلك انه من المحال
ان نقول ان هذه الصور موجودة في النفس بالفعل التام ولا يعقلها
بالفعل التام اذ ليس معنى انه يعقلها الا ان الصورة موجودة
فيها ومحال ان يكون البدن لها خزانة ومحال ان يكون ذاتها خزانتها اذ
ليس كونها خزانة لها الا ان تلك الصور معقولة موجودة فيها و
بهذا تعلقها وليس لذلك الذكر والمصورة فان ادراك هذه الصور
ليس لها بل حفظها فقط وانما ادراكها لقوة اخرى وليس وجود الصور
المذكورة والمتصورة في شيء هو ادراك كما ليس وجود الصور المحسوسة
في الشيء هو حس ولذلك ليست الاجسام وفيها صور المحسوسات
مدركة بل الادراك يحتاج ان يكون لما من شانه ان ينطبع
الصور انطباعا بما هو قوة مدركة واما الذكر والمصورة
فانما تنطبع فيها الصورة بما هي آلة ولها جسم يحفظ تلك الصور
قريبا من حال القوة الدراكة وهي الوهم حتى نظر اليها متى

شا كما يحفظ الصور المحسوسة قريبا من الحس لنا ملها الحس متى شاء
فهذا التأويل يحتمله الذكر والمصورة ولا يحتمله النفس فان وجود الصور
المعقولة في النفس هو نفس ادراكها وايضا سنبين بعد في الحكمة
الاولى ان هذه الصور لا تقوم منفردة فبقي ان يكون القسم الصحيح هو
القسم الاخير ويكون التعلم طلب الاستعداد التام للاتصال به
حتى يكون منه العقل الذي هو البسيط فينقص منه الصور مفصلة
في النفس بتوسط الفكرة فيكون الاستعداد قبل التعلم ناقصا والاستعداد
بعد التعلم تاما واذا العلم يكون من شانه انه اذا خطر بباله ما يتصل
بالمعقول المطلوب واقبلت النفس على جهة النظر وجهة النظر هو
الرجوع الى المبدء الواهب للعقل اتصل به ففاضت منه قوة العقل
المجرد الذي يتبعه فيضان التفصيل واذا اعرض عنه عادت فصارت
تلك الصورة بالقوة ولكن قوة قريبة جدا من العقل فيكون التعلم
الاول كمعالجة العين فاذا صارت العين صحيحة فمتى شاءت نظرت
الى الشيء الذي منه ياخذ صورة ما واذا اعرضت عن ذلك الشيء
صار ذلك بالقوة القريبة من الفعل وما دامت النفس البشرية
العامية في البدن فانه ممتنع عليها ان تقبل العقل بالفعل دفعة بل
يكون حالها ما قلنا واذا قيل ان فلانا عالم بالمعقولات فمعناه انه
بحيث كلما شاء احضر صورته في ذهن نفسه ومعنى هذا انه كلما شاء
كان له ان يتصل بالعقل الفعال اتصالا يتصور فيه منه ذلك
المعقول ليس ان ذلك المعقول حاضر ذهنه ومتصور في عقله
بالفعل دائما ولا كما كان قبل التعلم ويحصل هذا الضرب من

العقل

العقل بالفعل وهو القوة التي للنفس ان تعقل بها النفس ما شاءت
فاذا شاءت اتصلت وفاض فيها الصور المعقولة وتلك الصور هي
العقل المستفاد بالحقيقة وهذه القوة هي العقل بالفعل فيما من
حيث لها ان تعقل واما العقل المستفاد فهو العقل بالفعل من
حيث هو كمال واما التصور للامور المتخيلة فهو رجوع من النفس
الى خزانة للمحسوسات والاول نظر الى فوق وهذا نظر الى اسفل
وان خلص عن البدن وعوارض البدن فح يجوز ان يتصل بالعقل
الفعال تمام الاتصال ويلقى هنالك الجمال العقلي واللذة السرمدية
كما نتكلم عليه في بابه واعلم ان التعلم سواء حصل من غير المتعلم او حصل
من نفس المتعلم فانه متفاوت فيه فان من المتعلمين من يكون اقرب الى
التصور لان استعداده الذي قبل الاستعداد الذي ذكرناه اقوى
فان كان ذلك للانسان فيما بينه وبين نفسه سمي هذا الاستعداد
حدسا وهذا الاستعداد قد يشتد في بعض الناس حتى لا يحتاج
في ان يتصل بالعقل الفعال الى كثير شيء والى تخريج وتعليم بل
يكون شديد الاستعداد لذلك كان الاستعداد الثاني حاصل
له بل كانه يعرف كل شيء من نفسه وهذه الدرجة اعلى درجات
هذا الاستعداد ويجب ان يسمى هذه الحالة من العقل الهيولاني
عقلا قدسيا وهي من جنس العقل بالملكة الا انه رفيع جدا ليس
مما يشترك الناس فيه كلهم ولا يبعد ان يفيض بعض هذه الافعال
المنسوبة الى الروح القدسية لقوتها واستعلائها فيضانا على المتخيلة
فيحاكيها المتخيلة ايضا بامثلة محسوسة ومسموعة من الكلام على النحو الذي

سلفت الاشارة اليه ومما يحقق هذا ان من المعلوم الظاهر ان الامور
المعقولة التي يتوصل الى اكتسابها انما يكتسب بحصول الحد الاوسط
في القياس وهذا الحد الاوسط قد يحصل ضربين من الحصول
فتارة يحصل في الحدس والحدس هو فعل للذهن يستنبط به بذاته
الحد الاوسط والذكا قوة الحدس وتارة يحصل بالتعليم ومبادي
التعليم الحدس فان الاشيا ينتهى لا محالة الى حدوس استنبطها
ارباب تلك الحدوس ثم ادوها الى المتعلمين فجايز اذن ان يقع
للانسان بنفسه الحدس وان ينعقد في ذهنه القياس بلا معلم و
هذا مما يتفاوت فيه بالكم والكيف اما في الكم فلان بعض الناس
يكون اكثر عدد حدس للحدود الوسطى واما في الكيف فلان بعض
الناس اسرع زمان حدس ولان هذا التفاوت ليس منحصرا في
حد بل يقبل الزيادة والنقصان دائما وينتهى في طرف النقصان
الى من لا حدس له البتة فيجب ان ينتهى ايضا في طرف الزيادة الى
من له حدس في كل المطلوبات او اكثرها والى من له حدس في اسرع
وقت واقصره فيمكن اذن ان يكون شخص من الناس مويد النفس لشدة
الصفا وشدة الاتصال بالمبادي العقلية الى ان يشتعل حدسا
اعني قبولا لها من العقل الفعال في كل شيء ويرتسم فيه الصور التي
في العقل الفعال اما دفعة واما قريبا من دفعة ارتساما لا تقليديا
بل بترتيب مشتمل على الحدود الوسطى فان التقليديات في الامور
التي انما تعرف باسبابها ليست يقينية عقلية وهذا ضرب من
النبوة بل اعلى قوى النبوة والاولى ان يسمى هذه القوة قوة قدسية

وهي اعلى

وهي اعلى مراتب القوى الانسانية **فصل في عد المذاهب الموروثة
عن القدما في امر النفس وافعالها وانها واحدة او كثيرة
وتصحيح القول الحق فيها** ان المذاهب في ذات النفس وافعالها
مختلفة فمنها قول من زعم ان النفس ذات واحدة وانها تفعل
جميع الافعال بنفسها باختلاف الالات ومن هولاء من زعم
ان النفس عالمة بذاتها تعلم كل شيء وانما تستعمل الحواس والالات
المعرفة للمدركات منه بسبب ان نسيانا في ذاتها ومنهم من
قال ان ذلك على سبيل التذكر لها فكانها عرض لها عنده
ان نسيت ومن الفرقة الاولى من قال ان النفس ليست واحدة
بل عدة وان النفس التي في بدن واحد هو مجموع نفوس نفس
سياسية ذاكرة ونفس غضبية ونفس شهوانية فمن هولاء
من جعل النفس الشهوانية هي النفس الغذائية وجعل موضعها
القلب وجعل له شهوة الغذا والتوليد جميعا ومنهم من جعل
التوليد لقوة من هذا الجز من اجزا النفس فانضم الى الاثنين في
الذكر والانثى ومنهم من جعل النفس ذاتا واحدة ويفيض عنها
هذه القوى ويخص كل قوة بفعل وانها انما تفعل ما تفعل
من الامور المذكورة بتوسط هذه القوى فمن قال ان النفس
واحدة فعالة بذاتها احتج بما ستحتج به اصحاب المذهب الاخير
مما نذكره ثم قال فاذا كانت واحدة غير جسم استحال ان ينقسم في
الالات وتتكثر فانها حينئذ تصير صورة مادية وقد ثبت عندهم
انها جوهر مفارق بقياسات لا حاجة بنا الى تعدادها ههنا

قالوا فهي بنفسها تفعل ما يفعل بالات مختلفة والذين قالوا من
هو لا ان النفس علامة بذاتها احتجوا وقالوا لانها لو كانت جاهلة
عادمة للعلوم فاما ان يكون ذلك لها بجوهرها او يكون عارضا
لها فان كان لجوهرها استحال ان يعلم البتة وان كان عارضا
لها فالعارض يعرض على الامر الموجود للشيء فيكون موجودا للنفس
ان يعلم الاشيا لكن عرض لها ان جهلت بسبب فيكون السبب
انما ينسب للجهل لا للعلم فاذا رفعنا الاسباب العارضة بقي لها
الامر الذي في ذاتها لها ان يعلم فكيف يجوز ان يعرض لها بسبب من
الاسباب ان يصير لا يعلم وهي بسيطة روحانية لا ينفعل بل يجوز
ان يكون عندها العلم ويكون معرضة عنه مشغولة اذا نبهت علمت و
كان معنى التنبيه ردها الى ذاتها والى حال طبيعتها فيصادف
نفسها عالمة بكل شيء واما اصحب التذكر فانهم احتجوا وقالوا
انه لو لم يكن النفس عالمة وقياما بجهله الان ونطلبه لكان اذا
ظفرت به لم يعلم انه المط كطالب العبد الابق وقد فرغنا عن
ذكر هذا في مواضع اخر وعن نقضه والذين كثروا النفس فقد
احتجوا وقالوا كيف يمكننا ان نقول ان الانفس كلها نفس واحدة
ونحن نجد النبات وله النفس الشهوانية اعني التي ذكرناها في
هذا الفصل وليس له النفس المدركة الحاسة المميزة فيكون
لا محالة هذه النفس شيئا منفردا بذاته دون تلك النفس ثم نجد
الحيوان وله هذه النفس الحساسة الغضبية ولا يكون هناك النفس
النطقية اصلا فيكون هذه الانفس البهيمية نفسا على حده فاذا

اجتمع هذه الامور في الانسان علمنا انه قد اجتمع فيه انفس متباينة
مختلفة الذوات قد يفارق بعضها بعضا فلذلك يختص كل
واحد منها بموضع فيكون للمميزة الدماغ ويكون للغضبية الحيوانية
القلب ويكون للشهوانية الكبد فهذه هي المذاهب المشهورة
في امر النفس وليس يصح منها الا المذهب الاخير مما عد اولا فنبين
صحته ثم نقبل على الشبه التي اوردوها فنقول قد بان مما ذكرناه ان
الافعال المتخالفة هي لقوى متخالفة وان كل قوة من حيث هي
فانما هي كذلك من حيث يصدر عنها الفعل الاول الذي لها فيكون
القوة الغضبية لا ينفعل من اللذات ولا الشهوانية من الموذيات
ولا يكون القوة المدركة متاثرة بما يتاثرها ان عنه ولا شيء
من هاتين من حيث هما قابل للصورة المدركة متصور لها فاذا
كان هذا متقررا فنقول انه يجب ان يكون لهذه القوى رباط يجمع
كلها فيجتمع اليه ويكون نسبته الى هذه القوى نسبة الحس المشترك
الى الحواس التي هي الرواضع فانا نعلم يقينا ان هذه القوى يشغل
بعضها بعضا ويستعمل بعضها بعضا وقد عرفت هذا فيما سلف
ولو لم يكن رباط يستعمل هذه فيشتغل بعضها عن بعض
فلا يستعمل ذلك البعض ولا يدبره لما كان بعضها يمنع بعضا
عن فعله بوجه من الوجوه ولا ينصرف عنه لان فعل قوة من القوى
اذا لم يكن لها اتصال بقوة اخرى لا يمنع القوة الاخرى عن فعلها
اذا لم يكن الالة مشتركة ولا المحل مشتركا ولا امر يجمعهما
غير ذلك مشتركا ونحن نرى ان الاحساس يثير الشهوة والقوة

الشهوانية لا ينفعل من المحسوس من حيث هو محسوس فان انفعل
لا من حيث هو محسوس لم يكن الانفعال الذي يكون شهوة ذلك
المحسوس فيجب لا محالة ان يكون هو الذي يحس وليس يجوز ان يكون
القوتان واحدة فبين ان القوتين لشيء واحد فلهذا يصدق ان
يق انا لما احسسنا اشتهينا او لما راينا كذا غضبنا وهذا الشيء
الواحد الذي يجتمع فيه هذه القوى هو الشيء الذي يراه كل منا
انه ذاته حتى يصدق ان نقول لما احسسنا اشتهينا وهذا الشيء
لا يجوز ان يكون جسما اما اولا فلان الجسم بما هو جسم ليس يلزمه ان
يكون مجمع هذه القوى والا كان كل جسم له ذلك بل لامر به يصير
كذلك ويكون ذلك الامر هو الجامع الاول وهو كمال الجسم من حيث
هو مجمع وهو غير الجسم فيكون اذن المجمع هو شيء غير جسم وهو النفس و
اما ثانيا فقد تبين من هذه القوى ما ليس يجوز ان يكون جسمانيا
مستقرا في جسم فان تشكك فقيل انه ان جاز ان يكون هذه القوى
لشيء واحد مع انها لا يجتمع معا فيه اذ بعضها لا يحل الاجسام و
بعضها يحلها فيكون مع افتراقها من غير ان يكون بصفة واحدة
منسوبة الى شيء واحد فلم لا يكون كذلك الان ويكون كلها منسوبة
الى جسم او جسماني فنق لان هذا الذي ليس بجسم يجوز ان يكون
منبع القوى معض عنها بعضها في الالة وبعضها يختص بذاته
وكلها يودي اليه نوعا من الاداء واللواتي يكون في الالة يجتمع
في مبدء يجمعها في الالة ذلك المبدء وهو فايض عن الغنى عن
الالة كما يبين حاله في حل الشبه واما الجسم فلا يمكن ان يكون

هذه القوى كلها فايضه منه فان نسبة القوى الى الجسم
ليس على سبيل الفيضان بل على سبيل القبول والفيضان
يجوز ان يكون على سبيل مفارقة للفيض عن المفيض والقبول
لا يجوز ان يكون على تلك السبيل واما ثالثا فان هذا الجسم اما ان
يكون جملة البدن فيكون اذا نقص منه شيء لا يكون ما نشعر به انا
نحن موجودا وليس كذلك فاني اكون انا وان لم اعرف ان لي يدا ورجلا
او عضوا من هذه الاعضا على ما سلف ذكره في مواضع اخرى بل
اظن ان هذه توابعي واعتقد انها الات لي استعملها في حاجات
لولا تلك الحاجات لما احتيج اليها لي واكون انا انا بعض وليست هي
لنعد ما سلف ذكره منا فنق لو خلق انسان دفعة واحدة وخلق
متباين الاطراف ولم ينظر اطرافه واتفق ان لم يمسها ولا تماست
ولم يسمع صوتا جهل وجود جميع اجزائه وعلم وجود انيته شيئا واحدا
مع جهل جميع ذلك وليس المجهول بعينه هو المعلوم وليست
هذه الاعضا لنا في الحقيقة الا كالثياب التي صارت لدوام
لزومها ايانا كاجزاء منا عندنا واذا تخيلنا عراة بل تخيلناها ذوات
اجسام كاسية والسبب فيه دوام الملازمة الا انا قد اعتدنا
في الثياب من التجريد والطرح ما لم نعتد في الاعضا فكان ظننا
اكد من ظننا الثياب اجزاء منا واما ان لم يكن ذلك جملة
البدن بل كان عضوا مخصوصا فيكون ذلك العضو هو الشيء
الذي اعتقده انه لذاته انا او يكون معنى ما اعتقده انه انا
هو ذلك العضو وان كان لا بد له من العضو فان كان ذات

وكان ظننا الاعضا اجزاء منا

ذلك العضو وهو كونه قلبًا او دماغًا او شيئًا اخر او عدة اعضا
بهذه الصفة هو بعينها او هو بمجموعها هو الشيء الذي اشعر به
انا فيجب ان يكون شعوري بانا هو شعوري بذلك الشيء فان
الشيء لا يجوز من جهة واحدة ان يكون مشعورًا به غير مشعور به
ثم ليس الامر كذلك فاني انما اعرف ان لي قلبًا ودماغًا بالاحساس و
السماع والتجارب لا لاني اعرف اني انا فيكون اذن ليس ذلك العضو
لنفسه الشيء الذي اشعر به انه انا بالذات بل يكون بالعرض انا
ويكون المقصود بما اعرفه مني انني انا الذي اعنيه في قولي انا احسست
وعقلت وفعلت وجمعت هذه الاوصاف شيئًا اخر هو الذي
اسميه انا فان قال هذا القائل انك ايضا لا تعرفه انه نفس فاقول
اني دائمًا اعرفه على المعنى الذي اسميه النفس وربما لا اعرف
تسميته باسم النفس فاذا فهمت ما اعني بالنفس فهمت انه ذلك الشيء
وانه المستعمل بالالات من المحركة والدراكة وانما لا اعرف ما دمت
لا افهم معنى النفس وليس كذلك حال قلب ولا دماغ فاني افهم
معنى القلب والدماغ ولا اعلم ذلك فاني اذا عنيت بالنفس انه
الشيء الذي هو مبدأ هذه الحركات والادراكات التي لي ومنتهاها
في هذه الجملة عرفت انه اما ان يكون بالحقيقة انا او يكون هو انا
مستعملًا لهذا البدن فكاني الان لا اقدر ان اسن الشعور بانا
مفردًا عن مخالطة الشعور بانه مستعمل للبدن ومفارق للبدن
واما انه جسم او ليس بجسم فليس يجب عندي ان يكون جسمًا ولا
تتخيل لي هو جسمًا من الاجسام البتة بل يتخيل الي وجوده فقط من

غير جسمية

غير جسمية فيكون قد فهمت من جهة انه ليس بجسم اذا لم افهمه الجسمية
مع اني فهمته ثم اذا حققت فاني كلما فرضت جسمية لهذا الشيء
الذي هو مبدأ هذه الافعال لم يجز ان يكون ذلك الشيء
جسمًا فبالحري ان يكون تمثله الاول في نفسي انه شيء مخالف
لهذه الظواهر وان يغلطني الالات ومشاهدتها وصدور الافعال
عنها فاظن انها كالاجزاء مني وليس اذا غلط في شيء وجب لزم
بل الحكم لما يلزم ان يعقل وليس اذا كنت طالبًا لوجود ولكونه
غير جسم فقد كنت جاهلًا بهذا جهلًا مطلقًا بل كنت غافلًا
عنه وكثيرًا ما يكون العلم بالشيء قريبًا فيغفل عنه ويصير في حد
المجهول ويطلب من موضع ابعد وربما كان العلم القريب جاريًا
مجرى التنبيه وكان مع خفة المؤونة فيه كالمذهوب عنه فلا يرجع
الفطنة الى طريقه لضعف الفهم فيحتاج ان يوجد فيه ما حد بعيد
فبين من هذا ان لهذه القوى مجمعًا هو الذي يؤدي كلها اليه
وانه غير جسم وان كان مشاركًا للجسم او غير مشارك واذ قد بينا
صحة هذا الراي فيجب ان نحل الشبه المذكورة اما الشبهة
الاولى فنقول انه ليس يجب اذا كانت النفس واحدة الذات الا
يفيض عنها في اعضا مختلفة قوى مختلفة بل من الجائز ان يكون
اول ما يفيض عنها في الزرع والمني قوة الانشا فينشئ اعضاء على
حسب موافقة افعال تلك القوة ويستعد كل عضو لقبول
قوة خاصة ليفيض عنه ولولا ذلك لكان خلق البدن معطلًا
لها واما من يشكك فيجعل النفس عالمة بذاتها فهو فاسد فانه ليس

يجب اذا كان جوهر النفس خاليا بذاته عن العلم ان يستحيل لزوم وجود
العلم فانه فرق بين ان يقال ان جوهر الشيء باعتبار ذاته لا يقتضي
العلم وبين ان يقال ان جوهره بذلك الاعتبار يقتضي ان لا يعلم
فان لزوم الجهل مع كل واحد من القولين مختلف فانا ان
سلمنا ان النفس لجوهرها جاهلة فانما يعني ان جوهرها اذا [illegible]
ولم يتصل به سبب من خارج لزم الجهل بشرط الانفراد شرط مع
الجوهر وحده ولسنا نعني بهذا ان جوهرها جوهر لا يعرى عن
الجهل وان لم يسلم بل قلنا ان ذلك امر عارض لها فليس يجب
ان يكون مثل هذا العارض واردا على الامر الطبيعي فانه ليس اذا
قلنا ان الخشبة خالية عن صورة السريرية وان ذلك الخلو ليس
بجوهرها بل امر عارض له جائز الزوال كان هذا القول كانك
تقول يجب ان يكون قد كانت فيه صورة السريرية ثم انفسخت ومن
الحق ايضا ما قاله المتشكك من ارتداد الشيء الى ذاته فان الشيء لا
يغيب عن افعال يختص بذاته ويتم بذاته وحدها وانما يتوسع فيه
هذا لان هذه الافعال لا تكون موجودة له بل لا تكون موجودة اصلا
واما ذاته فكيف تكون غير موجودة لنفسها وبالحقيقة فان افعاله لا
يجوز ان يقال فيها انه يغيب عنها لان الغائب هو موجود في نفسه
غير موجود للشيء وهذه الافعال ليست موجودة اصلا الا وقت
ما يوجدها فلا تكون غائبة عنها واما ذات الشيء فلا يغيب الشيء
عنه ولا يرجع اليه واما اصحاب التذكر فقد نقض احتجاجهم في
الصناعة الالية واما حجة هؤلاء الذين يحدثون النفس فقد اخذ

فيها

فيها مقدمات باطلة من ذلك هذه المقدمة سوفسطائية وذلك
لان المفارقة يتوهم على وجوه والتي يحتاج اليها ههنا وجهان
احدهما انه قد يتوهم له مفارقة كما للون عن البياض وللحيوان
عن الانسان اذ يوجد هذه الطبيعة في غير البياض وتلك
في غير الانسان بان يفارق كل فصلا آخر وقد يتوهم
مفارقة كما للحلاوة المقارنة للبياض في جسم فانها قد يوجد مفارقة
له فتكون الحلاوة والبياض قوتين مختلفتين لا يجمعهما شيء و
التي المفارقات بالنفس النباتية للنفس الحساسة هو القسم الاول
وذلك لان النفس النباتية الموجودة في النخل لا تشارك القوة
النامية الموجودة في الانسان البتة في النوع لان تلك القوة لا
بحيث يصلح لان يفارق النفس الحيوانية البتة ولا القوة النامية
التي في الحيوان يصلح لان يفارق النفس النخلية ولكن يجمعهما
معنى واحد وهو ان كل واحد منهما يتغذى وينمي ويولد وان
كان ينفصل عنه بعد ذلك بفصل مقوم منوع لا بعرض فقط و
المعنى الموجود فيهما جميعا هو جنس القوة النباتية التي للانسان و
مفارق على جهة ما يفارق المعنى الجنسي ونحن لا نمنع ان يوجد
جنس هذه القوى لا شيئا آخر وليس ذلك انه يجب ان لا يجتمع
هذه القوى في الانسان لنفس واحدة بل ليس يجب من ذلك
ان لا يكون الطبيعة النامية الموجودة في الحيوان مقولة على النفس
الحيوانية التي له حتى يكون نفس الحيوانية هي تلك القوة كما ان

الانسان ليس شيئا غير حصته في جنس الحيوانية وهذا شيء قد
تحقق لك في المنطق فهذا ليس يوجب ان تكون النامية التي في
الانسان غيرا لنفس الحيوانية فضلا عن ان تكونا قوى نفس واحدة
فليس اذن النباتية التي في الانسان غير النفس الحيوانية يوجد
النبات مفارقة بنوعها للانسان واحتجاجهم غير منتفع به اذا كانت
القوة لا تفارق بنوعيتها بل بجنسيتها وهما مختلفان ومع ذلك
فلنضع القوة النباتية في الحيوان مخالفة للقوة الحيوانية فيه كان
كل واحد منهما نوع محصل مفرد بنفسه وليس احدهما الاخر و
لا مقولا عليه فما في ذلك ما يمنع ان تكون القوتان جميعا في الحيوان
لنفس الحيوان كما انه اذا وجدت الرطوبة في عين الهواء وليست
مفارقة للحرارة يجب من ذلك ان لا تكون الحرارة والرطوبة في
الهواء لصورة واحدة او لمادة واحدة وليس اذا كانت حرارة يوجد غيرها
صادرة عن الحركة بل عن حرارة اخرى يجب من ذلك ان الحرارة
في موضع اخر ليست تابعة للحركة ونق ليس يمنع ان تكون هذه
القوى متغايرة بالنوع ايضا وتنسب الى ذات واحدة هي فيه
فاما كيفية تصور هذا فهو ان الاجسام العنصرية يمنعها صرفية
التضاد عن قبول الحياة فكلما امعنت في هدم طرف من التضاد
ورده الى التوسط الذي لا ضد له جعلت تضرب الى شبه بالاجسام
السماوية فتستحق بذلك قبول قوة محيية من الجوهر المفارق المدبر
اذا ازدادت قربا من التوسط ازدادت قبول حياة حتى يبلغ

الغاية

الغاية التي لا يمكن ان تكون اقرب منها الى التوسط ولا اهدم منها
للطرفين المتضادين فتقبل جوهرا مقاربا الشبه من وجه ما
للجوهر المفارق كما للجواهر السماوية فحينئذ ما كان يحدث في غيره من
المفارق يحدث فيه من نفس هذا الجوهر المقبول المتصل به و
مثال هذا في الطبيعيات ليتوهم مكان الجوهر المفارق نارا او
شمسا ومكان البدن جرما يتأثر عن النار وليكن كرة ما وليكن مكان
النفس النباتية تسخينها اياها ومكان النفس الحيوانية انارتها فيها
ومكان النفس الانسانية اشتعالها فيها نارا فنقول ان ذلك الجرم
المتأثر كالكرة ان كان ليس وضعه من ذلك المؤثر فيه وضعا يمكنه
الاشتعال منه نارا ولا اضاءة وانارة ولكن وضعا يقبل تسخينه لم
يقبل غير ذلك فان كان وضعه وضعا يقبل تسخينه ومع ذلك
هو مكشوف له او مستشف او على نسبة اليه يستنير بها عنه استنارة
قوية فانه يسخن عنه ويستضيء معا ويكون الضوء الواقع فيه منه
هو مبدأ ايضا مع ذلك المفارق لتسخينه فان الشمس انما تسخن
بالشعاع ثم ان كان الاستعداد اشد وهناك ما من شأنه ان
يشتعل عن المؤثر الذي من شأنه ان يحرق بقوته او شعاعه اشتعل
فحدثت الشعلة جرما شبيها بالمفارق من وجه ويكون تلك الشعلة
ايضا مع المفارق علة للتنوير والتسخين معا حتى لو بقيت وحدها
لاستتم امر التنوير والتسخين ومع هذا فقد كان يمكن ان يوجد
التسخين وحده او التسخين والتنوير وحدهما ولم يكن المتأخر منهما
مبدأ يفيض عنه المتقدم وكان اذا اجتمعت الجملة يصير كلما

فرض متاخرًا مبدأ ايضًا للمتقدم وفايضًا عنه المتقدم فهكذا الحكم
الحال في القوى النفسانية وسيأتي في بعض الفنون المتاخرة ما يوضح
صورة الامر في هذا حيث نتكلم في تولد الحيوان فصل وبالحري ان
نتكلم الان في الالات التي للنفس فنقول انه قد افرط الناس في امر الاعضاء
التي يتعلق بها القوى الرئيسة من النفس افراطا في حيني اللجاج و
ركنوا الى تعسف كثير وتعصب شديد مال اليه كل واحد من
الفريقين حتى خرج من الحق واكثرهم غلطا من جعل النفس ذاتًا
واحدة وقضى مع ذلك ان الاعضاء كثيرة فانه لما خالف فيه الفلاسفة الرئيسة صح
القايلين بتكثر اجزا النفس ووافق من قال بوحدانيتها لم يعلم انه يلزمه
ان يجعل العضو الرئيس واحدا وهو الذي يكون به اول تعلق النفس
واما المكثرون لاجزا النفس فما عليهم ان يجعلوا الكل جز منه عضوا
مخصوصا ومركزا مفردا فنقول اولا ان القوى النفسانية البدنية مطيتها
الاولى جسم نافذ في المنافذ روحاني وان ذلك الجسم هو الروح وانه
لولا ان قوى النفس المتعلقة بالجسم ينفذ محمولة في جسم لما كان سد
المسالك حابسا لنفوذ القوى المحركة والحاسة والمتخيلة ايضا و
هو حابس ظاهر الحبس عند من جرب التجارب الطبية وهذا الجسم
نسبته الى لطافة الاخلاط وبخاريتها نسبة الاعضاء الى كثافة الاخلاط
وله مزاج مخصوص ومزاجه يتغير ايضا بحسب الحاجة الى اختلاف ما
يقع فيه لتصير به حاملا لقوى مختلفة فانه ليس يصلح المزاج الذي
معه يشتهي او يحس ولا المزاج الذي يصلح للروح الباصرة بعينه هو
الذي يصلح للروح المحركة ولو كان المزاج واحدا لكانت القوى المستفرة

في الروح واحدة وافعالها واحدة فاذ كانت النفس واحدة فيجب ان
يكون لها اول تعلق بالبدن ومن هناك تدبره وتنميه وان يكون
ذلك بتوسط هذا الروح ويكون اول ما يتعلق النفس بفعل العضو
الذي بوساطته تبعث قواها في ساير الاعضا بتوسط هذه الروح
وان يكون ذلك العضو اول مكون من الاعضا واول معدن
لتوليد الروح وهذا هو القلب يدل على ذلك ما حققه التشريح
المتقن وسنزيد هذا المعنى شرحا في الفن الذي في الحيوان فيجب
ان يكون اول تعلق النفس بالقلب وليس يجوز ان يتعلق بالقلب ثم
بالدماغ فانها اذا تعلقت باول عضو صار البدن نفسانيا واما
الثاني فانما يفعل فيه لا محالة بتوسط هذا الاول فالنفس يحيي الحيوان
بالقلب لكن يجوز ان يكون قوى الافعال الاخرى يفيض من
القلب الى الاعضا الاخرى لان الفيض يجب ان يكون صادرا
من اول يتعلق به فيكون الدماغ هو الذي يتم فيه مزاج الروح الذي
يصلح ان يكون حاملا لقوى الحس والحركة الى الاعضا حملا يصلح معه ان
يصدر عنها افعالها وكذلك حال الكبد بالقياس الى قوى التغذية
ولكن يكون القلب هو المبدء الاول الذي اول تعلقه به ومنه
ينفذ الى غيره ويكون الفعل في اعضا اخرى كما ان مبدء الحس عند
مخالفي هذا القول انما هو في الدماغ لكن افعال الحس لا يكون به و
فيه بل في اعضا اخرى كالجلد وكالعين وكالاذن وليس يجب من ذلك
ان لا يكون الدماغ مبدء كذلك ايضا يجوز ان يكون القلب مبدء القوى
التغذية ولكن افعالها في الكبد ولقوى التخيل والتذكر والتصور

لكن افعالها فى الدماغ بل ينبغى ان يكون المبدء للقوى المختلفة التى
غير صالح لان يصدر عن معدنه جميع افعالها بل يجب ان يشرع فى الا
مختلفة يتخلق بعد ذلك العضو تخلقا ويفيض من ذلك العضو لها
قوة ملائمة لمزاج ذلك الفرع واستعداده على ما نقف عليه
فى ذكر الحيوان حتى لا يكون على العضو الذى هو المبدء بهل ولذلك
خلقت العصب للدماغ والاوردة للكبد كان الدماغ والكبد مبدئين
اولين الحس والحركة والتغذية او كانا مبدئين ثانيين واذا فاض من القلب
قوة التكوين والتخليق الى الدماغ فيكون الدماغ فلا كسر باس ان يكون
الدماغ يرسل من نفسه التى يستمد بها الحس والحركة من القلب او
يكون القلب ينفذ اليه الالة التى يتوسطها ينفذ اليه الحس والحركة
فلا يجب ان يقع من المضايقة من امر خلقة العصب ان مبداها من
القلب او من الدماغ ما هو ذى يقع بل نسلم انه من الدماغ ويستمد
من القلب كما ان الكبد يرسل الى المعدة ما يستمد منها فيه ولها ايضا
عروق يمد غيرها بها فليس يجب ان يكون العضو الذى هو مبدء
قوة فيه ايضا اول افعال تلك القوة وان يكون الة الافعال تلك القوة
بل يجوز ان يكون الالة خلقت للاستمداد من شئ اخر وان يكون انما يستمد
بعد تخلقها حتى يكون الدماغ اول ما يتخلق لم يكن مبدء للحركة والحس
بالفعل بل مستعدا لان يصير مبدء للاعضاء التى بعده اذا استمد
من غيره بعد ان يخلق الة الاستمداد من غيره لم فلما تخلق منه عصب ذاهب
الى القلب استمد الحس والحركة منه ح ويمكن ان يكون مع تخلق هذا
المنفذ بلا تاخر فلا يكون فى نفوذه عنه الى القلب حجة ايضا ولا

شبهة حجة بل كما يخلق الدماغ يخلق معه من مادته شئ نافذ الى القلب
عرب عن القلب ليستمد منه الحس والحركة على ان ساب هذا العصب
الدماغ ومصيره منه الى القلب ليس شيئا يظهر الظهور الذى يظنه
مدعى سات العصب الذى بين الدماغ والقلب من الدماغ
الى القلب لا من القلب الى الدماغ على ما سنوضحه فى موضعه
من كلامنا فى طبايع الحيوان ونطول الكلام فيه طولا لشفى ونقنع
ومع ذلك فلنعد الى معاملة فنقول انه ليس بمستحيل ان يكون مبدء
وجود قوة هو فى عضو فينفذ من ذلك العضو الى عضو اخر وهناك
يتم القوة ويستكمل ثم ينعطف الى هذا العضو الاول فيرفده فان
الغذاء انما يصير الى الكبد من المعدة ثم اذا صار هناك على نحو ما عاد
فغذا المعدة فى عروق تنبعث من الطحال والاجوف ويثبت فى
المعدة فلا ضير ان يكون مبدء لقوة ينبعث من القلب مثلا ولا يكون القوة
فى القلب كاملة بابرها نفسد القلب اذا استكملت فى عضو اخر و
هكذا حال الحس المشترك فان مبدا القوة الحساسة الحروية منها ثم انها
تعود اليه بالفايدة على ان حس القلب اذا استكملت نفسه وخصوصا
اللمس اعظم من حس الدماغ نفسه ولذلك اوجاعه لا يحتمل وعلى انه
ليس بممتنع فى القوى ان يصير اقوى واشد فى غير مباديها المصادفة
مواد يجعلها بتلك الحال ويشبه ان يكون قوة اطراف الاوتار على
الجذب اشد من قوة اوايلها التى يلى العصب والقلب مبدء اول
يفيض منه الى الدماغ قوى فبعضها يتم افعالها فى الدماغ واجزائه
كالتخيل والتصور وغير ذلك وبعضها يفيض من الدماغ الى اعضاء

خارجة عنه كما يفيض الى الحدقة والى العضل المحركة ويفيض من القلب الى الكبد قوة التغذية ثم يفيض من الكبد بتوسط العروق في جميع البدن ويغذوا القلب ايضا فيكون القوة مبدؤها من القلب والمادة تمم من الكبد واما القوى الدماغية فان البصر يتم بالرطوبة الجليدية التي هي كالماء الصافي فيقبل صور المبصرات ويؤديها الى الروح الباصرة ويكون تمام الابصار عند ملتقى العصبة المجوفة على ما علم من تشريحه وتعريف حاله واما الشم فبزايدتين في مقدم الدماغ كحلمتي الثدي واما الذوق فباعصاب دماغية ياتي اللسان والحنك وتوتيها قوة الحس والحركة واما السمع فباعصاب ايضا دماغية ياتي الصماخ فتغشى السطح المحيط به واما اللمس فباعصاب دماغية و نخاعية ينتشر في البدن كله واكثر عصب الحس من مقدم الدماغ لان مقدم الدماغ الين واللين انفع في الحس ومقدم الدماغ كلما يتادى الى خلف والى النخاع يصير اصلب ليندرج الى النخاع الذي يجب ان يعين دماغه الصلابة واكثر عصب الحركة التي من الدماغ انما ينبت من مؤخر الدماغ لانه اصلب والصلابة انفع في الحركة واعون عليها والعصب التي للحركة في اكثر الامر يتولد منها العضل فاذا جاوزت العضل حدث منها ومن الرباطات الاوتار واكثر اتصال اطرافها بالعظام وقد يتصل في مواضع لغير العظام وقد يتصل العضلة نفسها بالعضو المحرك من غير توسط وتروا النخاع كحرو من الدماغ ينفذ في ثقب الفقارات لئلا يبعد ما يولد من العصب من الاعضاء بل يتولد منها العصب مرسلة بالقرب الى الموضع المحتاج كونها به

واما القوة

غ

واما القوة المصورة والحس المشترك فهما من مقدم الدماغ في روح يملأ ذلك التجويف وانما كانا هنالك لنطلا على الحواس التي اكثرها انما ينبعث من الدماغ منهما الفكر والذكر في التجويفين الاخيرين لكن الذكر قد تاخر موضعه ليكون مكان الروح المفكرة متوسطا بين خزانة الصور وبين خزانة المعنى ويكون مسافته بينهما واحدة والوهم مستول على الدماغ كله وسلطانه في الوسط واخلق بان يتشكك متشكك فيقول كيف يرتسم صورة جبل بل صورة العالم في الالة اليسيرة التي يحمل القوة المصورة فنقول له ان الاحاطة بانقسام الاجسام الى غير النهاية يكفي مؤنة هذا المتشكك فانه كما يرتسم العالم في مراة صغيرة وفي الحدقة بان ينقسم ما يرتسم فيها بحسب انقسامها اذ الجسم الصغير ينقسم بحسب قسمة الكبير عددا وشكلا وان كان يخالف القسم القسم في المقدار فكذلك حال ارتسام الصور الخيالية في موادها ثم يكون نسبة ما يرتسم فيه الصور الخيالية بعضها الى بعض في عظم ما يرتسم فيه وصغر ما يرتسم فيه نسبة السببين من خارج في عظمهما وصغرهما مع مراعاة التشابه في البعد واما قوة الغضب وما يتعلق بها فلم يحتج الى عضو غير المبدء لان فعلها فعل واحد وملايم المزاج الشديد الحر ويحتاج اليه وليس تاثيره المتفق منه احيانا تاثيرا متصلا الفكرة والحركة حتى يخاف ان يشتغل اشتغالا مفرطا وذلك لانه مما يعرض احيانا وذينك كاللازم مثل الفهم والفكرة وما يشبههما مما يحتاج الى ثبات وقبول ويجب ان يكون العضو المعد لهما ارطب

واورد وهو الدماغ لئلا تشتعل الحار الغريزي اشتعالاً شديداً
ولتقاوم الالتهاب الكائن بالحركة ولما كانت التغذية مما يجب ان
يكون بعض عديم الحس حتى يمتلي من الغذا ويفرغ منه فلا يوجعه
ذلك ولا يتألم كثيراً منه والبدن ان يكون ارطب جداً كيما يحفظ الحار
القوى بالمعادلة والمقاومة فجعل ذلك العضو الكبد وجعل
قوة التوليد في عضو اخر شديد الحس ليعين على الدعا الى الجماع
بالشبق والالم يكن يتكلف ذلك لو لم يكن فيه لذة والم يشوق
اذ لا حاجة اليه في بقا الشخص واللذة يتعلق بعضو حساس فجعل له
الاسنان واعدها بالات اخرى بعضها يجذب المادة وبعضها يدفعها
كما يأتيك ذكره حيث نتكلم في الحيوان تم كتاب النفس بحمد الله وحسن توفيقه

بسم الله الرحمن الرحيم

الفن السابع في النبات من كتاب الشفاء مقالة واحدة فصل
في توليد النبات واغتذائه وذكره وانثاه واصل مزاجه اما
النبات فقد يشارك الحيوان في الافعال والانفعالات المتعلقة
بالغذا ايراداً على البدن ونموه وابانة للفضل وتولداً بالبزر المتولد
عنه ويكون جذبه للغذا على سبيل جذب الاعضا منا التي يجذب
بقوة طبيعية ليست عن شهوة حسية يخص عضواً عضواً كما يخص
الجذب عضواً عضواً وهذه الشهوة هي التي مع تخيل ما وانما يجب ان
يكون مثل هذه الشهوة لما له ان يتحرك الى طلب غذائه وتحصيله
كالانسان والفرس او ينبسط اليه وينقبض عنه كالصدف في
غشائه واما ما لا سبيل له الى تحصيله الغذاء بالكسب التابع

للانفعال

للانفعال اليه على حال بل ليس له من الغذا الا ما يتصل به كالنبات
وما يجذب اليه لا عن ارادته كالاعضا فليس هناك شهوة ولا يحتاج
هذا الى فصل قول فيه وبالحري ان لم يعط النبات حساً ولو اعطي
لكان معطلاً اذا كان لا سبيل له الى الهرب عن ضار والطلب لنافع
وابعد الناس من الحق من جعل للنبات مع الحس عقلاً وفهماً مثل
انكساغورس وانبادقلس وديمقراطيس فان كان التصرف في
الغذا يسمى حياة حتى يكون الجسم اذا كان له ان يبقى بالاغتذا كان
حياً فاذا عجز عن استبقا شخصه بالغذا او تسلط عليه المفسد من
خارج حتى غير مزاجه وحلل قوته كان ميتاً فبالحري ان يقال ان
للنبات حياة وان كان من شرط الحياة ان يكون مع ذلك ادراك
وحركة ما ارادية فلا يجوز ان يجعل للنبات حياة بوجه من الوجوه
واكثر الخصام في هذا لفظي واما لفظة الحيوان فيشبه ان يكون
موضوعة لما له حس وحركة ارادية فيشبه ان لا يسمى النبات
حيواناً البتة وقد فرق قوم بين الحي وبين الحيوان فرقاً من هذا القبيل
مفهوم لفظة ذي الحياة ولفظة الحيوان اختلاف لا يعرفه اهل اللغات
ولما كان النبات لا حس له لم يكن له نوم ولا يقظة اذ كان النوم
تعطلاً ما للحس واليقظة مفوضاً ما من الحس واما الذكورة والانوثة
فللقائل ان يقول في النبات ذكر وانثى وللقائل ان يمنع ذلك فان
عني بالذكر جسماً من شأنه ان يكون مبدءاً بوجه من الوجوه
لتحريك مادة من المواد الموجودة في مشاركته في النوع او مقاربه له
وبالانثى جسماً يكون فيه المبدء المنفعل القابل للصورة على النحو

المذكور لم يبعد ان يكون في النبات ذكر وانثى ولم يبعد ان يكون
النبت الواحد ذكرا وانثى فيكون من حيث يتولد فيه المادة المذكورة انثى
ومن حيث فيه قوة تصورها ذكرا وان عنى بالذكر لا هذا بل الذي من
شانه ان ينفصل عنه بانفعال سولاها جسم من طريق الآلة معدة له
الى قابل له يؤثر هذا الجسم في مادة في ذلك القابل الاثر المذكور ويكون
الانثى بازائه وهو الذي يقبل هذا ويستودعه فلا يوجد في النبات
ذكر وانثى فضلا عن ان يجتمع في شخص واحد ولنسامح الان ولنضع
ان القوة التي تفصل من النبات فصلا يدخل في قوام ما يتولد عنه المثل
هي قوة الانوثة واما القوة التي يتصرف في هذا الفصل بالتصوير فهي
قوة الذكورة وقد تتلاقى القوتان في الحيوان عن افتراق في شخصين
تلاقيا في احد الشخصين كما يقع عند الحبل وربما تلاقتا وفارقتا جميع
الشخصين مثل ما يعرض في الطيور اذا باضت فان البيضة يشتمل على
قوة مولدة وعلى قوة قابلة للتصوير والتوليد ولذلك ما يتولد فيها
الفرخ ويتصور ويشبه ان يكون حال البزور في النبات هذه الحال
الا ان القوتين لا يتلاقيان فيها عن افتراق في شخصين بل يحصلان لها
من شخص واحد والبزور يتولد منه النبات عن مبدء محرك فيه و
ربما تولد عنه تولدا من غير مدد من خارج يعتد به كما ينبت الباقلي و
ربما احتاج الى استمداد مدد يستحيل الى مشاكلة الجوهر المنفعل من
اجزائه وهو الذي يقوم مقام مني الانثى فيمد القوة النفسانية وهو
الغذا وليس الغرس حكمه من البزر حكم نطفة الانثى بل حكمه حكم الغذا
ولا يختلف حكمه عند ابتدا توليد النبات من البزور وعند ما تولد

وتغتذي

وتغتذي ولكن حكمه منه حكم الغذا وفي النبات شئ يقوم مقام
الرحم والذكر جميعا وشئ يقوم مقام البيضة فاما الشئ الذي هو
كالرحم فالعقدات التي توجد في عقد الاغصان والزرع وقد يوجد
ايضا في البزور وهي اشيا متميزة من تلقائها ويتولد الاغصان في
النبات نفسه وفي بزر النبات او ما يقوم مقام الاغصان وليس
يجب ان يظن ان تلك الاشيا هي كالمني الذكوري بل تلك الاشيا
مجامع للقوتين جميعا فهناك يفعل المولدة في المتولدة فعلها و
هناك يستحفظ القوتان جميعا وما دتا القوتين وهي في النبات
كالارحام المشتملة وفي البزور كما في البيض منها يفيض قوة التوليد
والتوليد معا وذلك ان في البيض مبادئ منها يكون انبعاث القوتين
المجتمعتين وقد يتميز في الحس عن سائر اجزا البيض ويكون كانها في
البيض رحم ما وكان البيض غذا لذلك الرحم وبالجملة فان هذه
الاشيا في البزور والنبات ما دامت صحيحة موجودة ولدت البزور
النبات وان اصابها آفة لم يولد وفيها يستحفظ قوة التوليد وليس
يجب ان يتوهم ان التوليد وحده دون التولد بل كلا الفعلين يتمان
هناك وينبعثان من هناك وما كان من الحيوان متميز الاعضا
الآلية لفعل فعل متميز الذكورة والانوثة وكان انما يتولد عن
فضلة ينفصل عن الذكر والانثى الى عضو خاص من الانثى
قابل له لم يمكن ان يكون ما يتولد من نوعه مثله متصلا به لان
الشخص الواحد لا يكمل لذلك لان فيه مبدء واحدا واما ان كان
من الحيوان شئ متداخل الاعضا اي ليس لمبدء حسه عضو مفرد و

لغذائه عضو مفرد بل ينفذ البعض في البعض ولا يتميز فيه الذكورة
من الانوثة فليس توليده من الغير بل من اجزائه وليس بعض اجزائه
اولى ان يحدث فيه مبدء كون مثله من بعض فليس ما يتولد عنه
يجب ان يكون منفصلا عنه لا غير فيجوز في مثل هذا الحيوان ان
يبقى بعد الشر والنبات حكمه حكم هذا الحيوان وهو في ذلك اشد
كثيرا فلذلك ما يتولد عن النبات نفسه اغصان بعد اغصان كانها اعضا
بعد اعضا الا انها متشابهة جدا في ظاهر الامر ويتولد فيها مباد مختلفة
للتوليد في مواضع مختلفة فيتولد فيها اغصان كثيرة واصول كثيرة و
يعود بعد القطع وان كان ليس ذلك على ما ظن بعض الناس انه غير
محدود بل لذلك حد في القدر والعدد وحد في الزمان لا محالة ياخذ
بعده في الذبول فربما ظهر جدا وربما لم يظهر الذبول في الحجم لصلابة
النبت وامتناع الاجتماع نحو التصغر والذبول على اجزائه بل يكون ذبوله
في تخلخله لا في تصغره ولو لم يكن النبات مستعدا للتشخص للفنا الذي
بعد الذبول الذي بعد الوقوف لما كان الى احداث البزر حاجة
حتى يتولد عنه مثله من مسقطه على ان ما فيه من النبات تميز عضو
بوجه من الوجوه فاذا قطع منه مبدء عضو مخصوص بطل كالنخل
ويشبه ان يكون من النبات ما يقوم مقام الذكر بان يكون ملاقاة
بوجه من الوجوه معينة على توليد البزر والثمرة وهذا كالنخل
ايضا ويشبه ان يكون النبات لاجل الحيوانات والحيوانات
الاخرى لاجل الانسان ولذلك خلق للنبات احوال بعضها
ينفعها في انفسها مثل كونها ذوات عروق منها تغتذي وذوات

لحاها سقي وبعضها لينتفع بها غيرها من الحيوان كما يزين بعضها بالتزايين
التي انما ينتفع بها الحاس لا غيره وينتفع بها لا المزين بل غيره مثل النقوش
الحسنة والارايح الطيبة ولما كان التكون بالتصور والتشكل والتصور و
التشكل لا ينقاد له الا الرطوبة فلا بد في التصور الاول من رطوبة
ولان قوام المغتذي بالغذا على انه شبيه بالقوة والغذا يغذو
بالاتصال والاتصال لا يسهل الا بالرطوبة وايضا فلا بد في
نفاذ المتصور من رطوبة وذلك لان المتصل والمتصل به ان تشابها
بالفعل اذا صار الغذا غذا بالفعل فيكون الاصل ايضا رطبا
في نفسه اذ كان الوارد شبيها به ولم يجر في المجاري الا رطبا
ولما كان الغذا يحتاج الى سهولة الانفراق وسهولة السيلان لم
يكن بد ايضا من رطوبة ولما كان الطبخ والتسييل والتفريق
بالتحليل لا يصدر الا عن الحار لم يكن بد للبدن المتغذي من
حرارة فاذن الحيوة النباتية وبالجملة الغذائية تتعلق بالرطوبة والحرارة
فمزاج كل نبات رطب حار في نفسه وهو الغالب عليه وان
كان منه ما هو بالقياس الى ابداننا يابس بارد وسنتكلم في هذا
الباب بعض الكلام اذا عرض وقته واذا كانت هذه الحيوة بالرطوبة و
الحرارة فالموت المقابل انما يعرض لفنا مادة الرطوبة وطفو الحرارة
وذلك لان هذه الحيوة لجرم رطب وحار والرطب الحار يتحلل و
المتحلل ينتهي تحلله او ما سد بدل فالبدل رطب فاذا انقطعت مادة
الرطوبة وطفيت الحرارة المتعلقة بها على سبيل التغذي و
على نحو ما قيل في مواضع اخرى وعلى ما بسطناه كل البسط في كتابنا

الكسر في صناعة الطب لزمه ان يفسد جوهر الذي لم هذه الحيوة
فاذن استحالة المزاج مثله الى برد ويبس فناء **فصل في اعضاء النبات وفي اول النشو وبعد ذلك** انه كما ان للحيوان اعضاء
اصلية متشابهة الاجزاء واعضاء مركبة وللحيوان اشيا ليست باعضا
اصلية بل توابع للاعضا وكالاعضا قد يحدث وقد تبين مثل الشعر و
للحيوان فضول ينتقص بعضها بجمع الى منفعة النقص منفعة اخرى
كالمني وبعضها يقتصر على المنفعة التي تعقب النقص لا غير كالرمص كذلك
للنبات اعضا اصلية متشابهة الاجزا مثل اللحا والخشب واللب
الذي في الوسط واعضاء مركبة مثل الساق والغصن والاصل وللنبات
اشيا شبيهة بالاعضا الاصلية وليست بها كالورق والزهر وكالثمر
فانها ليست اعضا اصلية لكنها اجزا كمالية كالشعر والظفر للناس
وايضا للنبات انتقاص فضل نظير للقسم الاول كالثمار والبزور و
انتقاص فضل نظير للقسم الثاني كالصموغ والالبان والسيالات
وليس الثمرة كالبزر فان الثمرة ليس يحتاج اليها في جميع اجزائها ليكون
للنبات اعضا اصلية او يكون لها توليد واما البزر فانه يحتاج
اليه في جميع اجزائه لا في ان يكون للنبات عضو اصلي ولكن ليكون
له توليد والثمرة والبزر يشتركان في انهما اشباه الاعضا ويفارقان
المني فان المني ليس من اشباه الاعضا ولكن من اشباه الاخلاط و
النبات وان كان متميز الاجزا فان اجزاه مذهب في جهات معا وليس
كذلك اجزا الثمرة ولا اجزا الحيوانات واعلم ان البزر اذا فعل فيه القوة
المولدة والقوة المتولدة من اصعاد اجزا واحدا واجزا لم يجز ان يوقن

الثقيل

الثقيل يرسب والخفيف يطفو فقد علمت هذا علما بل ينسب كل
شيء منه الى جهة تحريك النفس وان كان الثقيل للاحدار اقبل و
الخفيف للاصعاد اطوع ولم يحسن من ظن ان الشجر الحار المزاج انما
يقل اصوله ويقل عوضها بسبب قلة الثقيل فيه كان الثقيل لو كثر
فيه لنفذ في الارض نفوذا تاما فبالا يزال يتحلل ثخن الارض وقال ان
الاشجار الحارة المزاج لا يعرق عروقا كثيرة وان عظمت كالصنوبر وهذا
فاسد ظن فان ثقل اجزا الشيء الارض لا ينفذ بها في خلل الارض و
لو كان كذلك لكانت اشيا من العروق المذكورة اذا لاقت سطح الارض
امتنعت عن النفوذ فيه وليس كذلك بل العروق يحدث عن توليد من
القوى وينفذ عن طاعة من قواها المنفعلة للقوى الفعالة لزوما كان
ارضيا من الاشجار مستجمع فيه عدة من الموجبات لكثرة التعريق
من ذلك انه اضعف قوى وحذب فيحتاج الى تكثير الالات ومن
ذلك انه احوج الى امتصاص من خالص الارض والما فيحتاج الى
التعميق ومن ذلك انه ابعد من الهوائي المزاج والنارية اذا قاربه في
الحجم فيحتاج الى فضل استظهار تام من به من التزعزع عند المصادمات
وخصوصا وفي طبعه ما يحطه الى السقوط واما الاشجار الحارة فهي
مع فقدان هذه العلل شديدة الحاجة الى احداث الهوائية والنارية
في جملة ما يمتص ليتولد منها ومن امتصاصها الارضية غذا اشبه
بجوهرها فيجب لذلك ان يقرب فوهات العروق من النسيم ولما
كان الحيوان مقصودا بالحركة الاختيارية وكانت اعضاؤه متميزة
الاوضاع لم يحتج الى كثرة الالات للاغتذا واما النبات فلما كان

مركوزا فى موضع واحد فلو اقتصر فيه على عرق واحد ماسر الغذا من جهته لكان معرضا للتحلل فانه كان انما يصل اليه من الغذا ما يؤديه ذلك العرق وحده وكان لا يبعد ان يكون ما يوديه ذلك العرق بالامتصاص الطبيعى لا بالمضغ والبلع الارادى قاصرا عن الكفاية وخصوصا ويحتاج قبل الامتصاص او معه الى احالة ما اذ قبلها الغذا صلح للتوزيع وقبل ذلك انما هو ارض وماء وما معها ماء وشئ قريب منهما وربما كانت الجهة التى ينبعث اليها العرق ضعيفة الطعم او قد عرض لها افة من الافات وليس للعرق ان ينحرف عنها اختيارا انحراف الحيوان عن مثلها لسند الخصب على الجذب ويختار السالم من الممتص على الماوف فكثر لذلك عروقه ليس لان النبات كثير الاوايل فيحتاج كل اول الى عرق او يعرض لعدة منها عرق فانه قد كان يجوز ان يكون عرق واحد يفرق الاوايل الكثيرة او عروق كثيرة تفرق اولا واحدا بل السبب فيه ما ذكرنا ولهذا فى الحيوان نظير معلوم فان المعدة لما كان ما ياتيها عن اختيار وعن الات معدة للاختيار صار المنفذ الواحد يكفيها واما الكبد فلما كان امتصاصه للغذاء طبيعيا شبيها بامتصاص النبات كثرت عروقه وشعبت شعوبا اخذه فى جهات شتى يجتمع الى ساق واحد ومن شان العرق المنبعث عن الهيئة الرحمية التى فى البزر ان ياخذ من جهة ومن شان الشعب النابتة الساقية والفرعية ان ياخذ الى جهة وينسلخ البزر متعلقا منهما من طرف وذلك لانه ليس كل البزر هو المبدء المذكور بل جزء منه وسايره كالمادة التى يرسل فيما بعد قليلا قليلا على سبيل التغذية لذلك

الى ان يستحكم قوته ويبلغ الى ان يمتص من الارض كما يتدرج ولد الحيوان من الغذا بدم الطمث من السرة الى ان يكون له ان يغتذى باللبن من الثدى بالارادة ثم باللبن الى ان يكون له ان يغتذى بما سهله اليه يده من الاغذية التى يلقط ويجنى ويحصل بالارادة فيكون اول ما يغتذى به طبيعيا مطلقا والثانى طبيعى التولد ارادى التناول باستعمال عضو واحد والثالث صناعى التولد ارادى التحصيل والتناول معا وكذلك المبدء المولد فى النبات يهيى من نفسه اولا عرقا صغيرا يمتص منه مصاصة قليلة من خارج ليستعين على انشا الفرع والعرق القوى النافذ فى الارض فانه يكتفى بمعونة مادة يسيرة رطبة من خارج فى تغذيته ما يسامته فرعا وعرقا واكثر ما يعول عليه انما هو من الموجود فى محله وهو البزر وبعد ذلك فانه لا يزال النبات يزداد امتصاصا وارسالا من داخل حتى يتوافى فنا المادة التى من داخل وانتعاش القوة المنتصرة من خارج فح يكون حشو البزر قد توزع فى التوليد و استقل الناشى بالاغتذا وتعطل الغشا الذى كان يعرض وقاية له لكونه مادة تعطل المشيمة وما معها وتهيات الشعبة العرقية الصغيرة للسقوط لتعطلها كالسرة عند الاستغناء عنها

فصل فى مبادى التغذية والتوليد والتولد فى النبات

هذه المبادى الرحمية التى منها ينبت النبات عن بزره وعن غصنه يختلف حالها فى الغصن والبزر وذلك لانه اما فى البزر فيكون فى اكثر النبات مبدء توليده وتغذيته هو بعينه مبدء التولد عنه واما فى الغصن فانه يغتذى بجرمه بما يندفع اليه من عروق جملة الشجر لا من هذه المبادى

وذلك لان الغصن يحتاج في كونه غصنا الى ان يكون متصلا باخذ
اطرافه من الساق اتصال الشبيه بالشبيه مشاركا له فيما يغتذي منه و
لا يمكنه ان يكون ملاقيا بالمبادي التي يتفرع عنه اصله لانها انما هي
الى فوق ابعض ايض ويزيد في حجم النبات على سبيل الازدياد في النمو
ولسند من تحت على انه حق واما البزر فانه شي متميز ومخالف الجوهر
لجوهر ما ينبت منه وليس مما يتم جوهره مما ينبت ويزيد فيه على سبيل
النمو فان النبات لا يصير اعظم ببزره بل يعظم ساقه واغصانه فيجوز ان
يكون الجزء المغتذي به اولا هو الجزء الذي تولد عنه ثانيا في زمانين وان
لا يحتاج الى مبادي توليدات للازدياد ليست في جهة اغتذائه وا
الغصن والنبات فيفرع الى فوق ويغتذي من اسفل وذلك لم في
زمان واحد فيجب ان يفرق اولاه ولما كانت المبادي في البزور بهذه
الصفة افترق اوضاعها بحسب افتراق المصالح فكان في بعضها وهو في
الاكثر يلي الطرف الاعلى لان اكثر الغرض في البزر التوليد وتوليده للتفريع
والتفريع الى فوق فلذلك جعل في الاكثر الى فوق لكنه لم يجعل في
الطرف نفسه لئلا يعسر امتصاص الغذا به اذ كان الغذا انما ياتيه من
تحت وفي بعضها جعل الى الوسط من طوله اذا كان المزاج من البزر
اضعف ومنازعته فيما ياتيه من الغذا اقوى مثل الحنطة والشعير وفي
بعضها جعل المبادي الى تحت اذ كانت الدواعي الى ذلك اشد مثل
ما عرض لحبوب الفواكه الكبيرة الحبوب عددا الصغيرة حجما ولما كان
البزر ليس الغرض فيه نموه نفسه بل نشو غيره عنه لم يحتج الى ان يكون فيه
مبادي كثيرة حاجة النبات المحتاج الى كثرة الفروع واكتفى في كل بزر

مبدء

مبدء واحد يتولد عنه نبت واحد ويتولد في ذلك النبت مباد كثيرة
ولما كان كذلك وكانت الطبيعة هديت بتسخير القوة الالهية الى تضعيف
كل حب فاسد لتكون الافة اذا عرضت لم تفش في الكل كعادتها في اكثر
ما يتولد عنها من اعضا الحيوان الا انه لا سبيل الى تضعيفه لفساد
يعرض عن تضعيفه خلقت هذه المبادي في الحد المشترك و
ملتئمة من كل واحد منهما فان كان التيام الجزئين ضعيفا كان
المبدء ايض ملتئما من قطعتين التياما ضعيفا كما في الباقلي وان
لم يكن ضعيفا كان المبدء كذلك كما في الحنطة والتكون عن هذا المبدء
شيء كان اوله هو لهذا المبدء وليس هو بالحقيقة كذلك فان هذا
المبدء هو مكان للتكون والمغتذي لا نفس المتكون والمغتذي
للنمو لكن ما يشتمل عليه من المادة هو اول متصور وما يشتمل عليه
سائر جوهر البزر والحب هو اول غذا والقوتان اللتان فيه يزدادان
بالانتعاش والانتشار من حيث يصدر منهما الغذو ويبطلان من
حيث هو التوليد ويتعطلان الى ان يتخلق منوى هذا هو المشهور
الظن الا ان الحق هو ان النفس واحدة ولها قوى ينبعث عنها بما
وجود القابل وان هذه الوجو كالجز من النفس التي كانت في الاصل
الذي تولد عنه البزر واذا كانت الانفس النباتية والحيوانية
قد يجري بتجزي الموضوع على ما ستعلم فاذا حصلت في البزر كان
البزر محلا للقوة الغاذية لصلوحها لاستعمالها والى ان يتخلق الة
التوليد تكون المولدة غير موجودة بالفعل مولدة فاذا وجدت
الالة انبعثت المولدة عن تلك النفس الاولى التي هي بالحقيقة

غاذيه ومولدة وقد شرحنا هذا في كلامنا في النفس ويكون نشوما ينشا
لتحريك القوة المولدة لا غير ولا يكون لتحريك الثقل والخفة فيه الا
ان الثقيل يكون اطوع للتحريك الى اسفل منه للتحريك الى فوق و
الخفيف يكون اطوع للتحريك الى فوق منه للتحريك الى اسفل على انه
يتحرك الى اسفل وربما كان حركه في بعضها الثقيل الى فوق اكثر منه
الى اسفل بل ذلك في الاكثر وربما حركه في بعضها الخفيف الى اسفل
اكثر منه الى فوق على حسب الاولى لذلك الكاين

فصل في حال تولد اجزا النبات وحال اختلافها واختلاف النبات بحسب البلاد

ويتولد اول ما يتولد عن النبات الشجري اوليه
بالطبع ليس يجب ان يكون بالزمان او بالكمال طبقات ثلث يقوم
جرمه اللب وما يتصل به والعود من الخشب وما يشبهه وما يتصل به
واللحا وما يتمه وما يتصل به وقد يصحب تكونه تكون الورق فان
الورق خلق للوقاية وهو في مثل ذلك الوقت اوقى اذ الحاجة في
مثل ذلك الوقت الى الوقاية اشد ولذلك ما يكون حجم الورق في
اكثر الاحوال عند ابتدا النشو اعظم من حجم الساق والسبب في ذلك
اثنان احدهما من جهة الغاية والاخرى من جهة الضرورة واما
من جهة الغاية فلانه كلما كان اعظم كان اوقى واما من جهة الضرورة
فلان الشي العظيم يتكون من مواد ايبس واقل طاعة للتكون والشي
الضعيف الرخو حاجته الى المادة اليابسة اقل وطاعته للتكون
اكثر وايضا فان المستعمل في ابتدا النشو من حاضر المواد ما هو ارطب
والقوة يعجز عن امتصاص غير الرطب فيعرض ان يكون المادة الباقية

اقل والرطوبة

اقل والمولدة في جملة يكون الساق اطول ويكون المادة الورقية اكثر
ومدتها في التكون اقصر فلذلك ما يتكون من الورق حجما اعظم
حجما من الساق فيما من شانه ان يكون ساقه اعظم من ورقه فكيف
فيما يكون حجم ورقه اعظم من ساقه كما هو موجود في كثير من النبات و
لست اعني بالساق ههنا الساق المنتصب لا غير وهو الذي يختص
بالشجر بل اعني به كل ما هو حامل الورق والزهر وان كان جزعا
مضطجعا كما لكثير من النبات واما النبات النقلي فكثير منه لا ساق له
منتصب ولا مستند انما هو ورق لا غير واصل كالخس والحماض والسلق
وذلك بحسب اغراض للطبيعة يجتمع مع اقتضاب المواد وطاعتها
ومع تصالح ينضم الى الاغراض يحتاج اليها في الاغراض فان النبات ما
الغرض الطبيعي فيه في عوده وساقه ومنه ما هو في اصله ومنه ما هو في غصنه
ومنه ما هو في قشره ومنه ما هو في ثمره وورقه ومنه ما للطبيعة في كل جزء منه
غرض او في بعضه واذا وقف الغرض على شي واحد من هذه الجملة وكانت
المادة المحتاجة في تكوينه لا يضطر حذبها الى استصحاب فضل عليها
وكان يكون ذلك النبات لا يحوج الى حدوث اعضا له غير الغرض
بعث الطبيعة بتكوين المقصود والا لم يكن بد من ان يكون غيره معرا ما
لضرورة واما المصلحة ولما كان الشي الصلب لا يجد غذا شبيها به دفعة
بلا تدريج لان الغذا كما علمت يجب ان يكون رطبا حسن القبول
فبينه وبين الصلب مدة ودرجات فلم يكن بد من ان يكون من الغذاء
وبين الخشبة من الاشجار جرم اسخف جوهرا يسهل فيه نفوذ الغذاء
الى اجزاء المغتذي ووجب ان يمتد في جميعه امتداد المخ في العظام

ووجب ان يقع في الوسط ليكون القسمة الصادرة عنه عادلة وهذا هو الباب
الموجود في الاشجار الخشبية واما الاشجار الجوفاء الضعيفة القوام
المتخلخلة الحجم فانها لا يحوج الى ذلك وما كان غرض الطبيعة فيه منه
ان يعظم حجمه ويطول قده في مدة قصيرة امتنع ان يكون صلبا فان
الصلب يحتاج الى مادة غاصية ومدة طايلة والتصرف في مثلها
يحوج الى طول زمان فكان غير صلب بل متخلخلا رطبا خفيفا
وكل ما كان منها اطول قامة وجب ان يكون اكثر تخلخلا وكونه كثير التخلخل
يعرضه للآفات فلم يفرق تخلخله في جميع اجزائه بل جعل محيطه قويا
وجعل في كثير منها بدل التخلخل المفرق خلاء انبوبيا ثم دعم ذلك بعقد
في الوسط ليجمع بين الجوانب ولا يدعها يتبدد الى التفرق وكثير منها
بلغ بتقوية محيطه وتصلبه وترزينه المبلغ الاقصى ليجمع الى الخفة
الوثاقة فيكون الخفة للانبوبية والوثاقة للصلابة وهذه كالرماح و
كثير منها لما ضعف محيطه حشي انبوبه بحشو وطي كالبراع ولا يجب ان
يظن ان الانبوب انما يحدث لسبب عن نفوذ الحار الى فوق في جوف
النبات والعقد انما يكون لعصيان من الرطوبة وارجحان بعضه
ما يدفعه الى فوق فيحتبس فانه ليس ذلك كله لهذا السبب بل للغاية
المقصودة وان كان لا بد من حار ينفذ فيه ورطوبة يسيل فيقف في المجرى
وينعقد ومن شأن الانابيب القريبة من الاصل والانابيب القريبة من
الطرف الاقصى ان يكون ما بين عقدها اقصر ويشبه ان يكون الغرض
في ذلك اما في الانابيب السفلى فان يكون الحامل اقوى من المحمول و
ان يكون الطرف المنمو بالدقة والجزاعة مقصودا بالوثاقة والوسط متغن

عن كل الامرين

عن كل الامرين لتوسطه ويشبه ان يكون معين العرض في ذلك ضرورة
من الطبيعة فان الغذاء الثقيل لا يطيع للصعود جدا فيبقى اكثره في الاسفل
واذا كان كذلك بعدت المعاونات للعقد هناك والقوة لا يكون باسرها
على كمالها في اقصى الطرف فيكون في اصعاده ما يصعده وتهات متقاربة
وهذا بعد بحث العرض في الامرين واعلم ان الصلابة يكون لشدة اجتماع
اليابس او جمود الرطب والرزانة يكون لكثرة الارضية وكثرة وحدها
لا يفعل الصلابة اذا لم يكن فيما بينها اتصال لا يتخلله هوائية ولا يفعل ذلك
الاتصال زيادة ثقل كما في الرمل والصلابة وحدها لا يفعل الرزانة كما
في الحديد بل ربما اجتمع السببان معا فصلب الشيء ورزن معا وذلك
اذا كانت الصلابة لشدة اكتناز الارضية والارضية لا تتماسك على الاكتناز
وخصوصا في الصاعد وفي سوق الاشجار وغيرها الا برطوبة وذلك
من شيئين احدهما بان يدعم اليابس في الرطب فيجتمع بعضه الى بعض
لولاه لما اجتمع والثاني ان يلتصق اليابس في اليابس فيقيم معه واحدا يشين
للحركة المودية الى الاجتماع في المعدنيات والثاني السكون الحافظ للاجتماع
وذلك بان يتحلل من الرطب الفضل ويبقى الماسك الكاين قليلا فيكون
الصلابة لشدة الاجتماع من اليابس والرزانة لكثرة الارضية وقد غلط
من ظن ان الرطوبة سبب للرزانة بالذات انما هو سبب بالعرض وانما
سببه بالذات هو اليبس والبرد وبالجملة الارضية والمثال الذي غلط
في هذا هو حال رزانة ثقل البيضة المصعد عنها اذا صمم الاناء وحمها
اذا لم يصمم وظن ان ذلك لاحتباس الرطوبة الكثيرة وليس السبب في
ذلك احتباس الرطوبة الكثيرة بل جمع الرطوبة التي يكون بقدر انبوبة

واما الذي يكشف رأس اماته فان الرطوبة لا تحصو فيها وتجد مخرجا بمعص
كلها ويصحبها من اليابس ما يلزمها فيبقى اليابس غير مجتمع بل ممدد داو نا قصا
ايض بمفارقة ما صحب البخار الرطب من الدخان اليابس والرطوبة التي مع
ربما كانت دهنية وربما كانت مائية ولكن لزجة اما الدهنية فمثل
رطوبة العرعر والسرو واما المائية اللزجة فمثل رطوبة الساج والدلب
وكل رطوبة لزجة ولا ينعكس وقد علمت ان الدهانة كيف تحدث وعلمت
ان السبب فيها الحاح الحار على اليابس بتسخينه وتقريره السخونة منه في اجزا
يابسة تخالطه دخانية ولزوجة يحدث لغليان اليابس في الحار تشا
بها الاتحاد وينفذ فيها الهوائية ولذلك اكثر الاشجار التي بهذه الصفة
مره نعاهها السرو والارضية لبشاعتها واما الرطوبة اللزجة التي لا دهنية
فيها فتلك التي لا يكون الحار قد فعل فيها هذا الفعل وربما عافت السرو
والارضية اشجارا مثل هذه لفقدان الدسومة اصلا فانها الى الدسم اميل
اذا لم يكن شديد المرارة ومع ذلك فان الماسك الدهني اقبل للتعفن
من الحرارة من الماسك المائي اللزج واما الماسك المائي الغير اللزج فانه
معرض لسرعة اليبس وذلك معرض لسرعة التعفن ولذلك فان الخلاف و
ما يجري مجراها سريع الفساد وقصب الرماح فان الماسك فيهما من
الرطوبة اكثره مائي مع دهنية يسيرة والبلاد الحارة الرطبة تصلب ما
ينبت فيها وتروزه اما كونها حارة فيعين في جذب القوة الغذا واما كونها
رطبة فيعين في سرعة انجذاب الغذا الرطب السيال مستصحبا من
الارضية اكثر مما يستصحبه الذي لا ينفذ لنفسه فان الغذا اليابس
كثير اليبس والارضية في جوهره فانه لا ينفذ منه في المغتذي الا

بشئ يسير

بشئ يسير والبلاد الحارة الرطبة يحدث في جملة الرطوبة التي في
ارضها ارضية كثيرة بل تتمكن من جذب الارضية باسالة الرطوبة
اياها ثم تتحلل الرطوبة بنفس الحراره وباستغنا القوة النباتية عن
كثرتها فيما يحتاج الى تصلبه ويحبس هنالك يبوسة كثيرة قد جمعها
الحرارة جمعا شديدا بماسك الرطوبة كما يفعل في تحجير القراميد و
ولهذا ما يكون الاشجار العظيمة الصلبة في البلاد الحارة الرطبة و
قد يكون في البلاد الباردة حذا الشمالية لسبب الحرارة ايض والرطوبة
واما الحرارة فالمحتقن في الارض واما الرطوبة فلكثرة الانداء وان لا
ناشف لها ومع ذلك فان البقاع يختلف في مرتبة اجزاء الاشجار فرب
بقعة يصغر فيها ساق شجرة ويكبر ثمرتها ويعظم اوراقها ورب بلاد يكون
الامر فيها بالعكس ولذلك بحسب ما يوجد من المادة فربما كانت المادة
الموافقة للساق فيها كثيرة والموافقة للثمرة قليلة وبالعكس **فصل في**
تعريف احوال السوق والغصون والورق خاصة ما كان من
النبات قوى قوة التوليد والتغذية وكان الغرض فيه الثمرة وكان
ما في جوهر الثمرة امكن القوة المولدة فيه ان يولد الثمر بسرعة لقوتها
ولكثرة المادة ولطاعتها ولم يحتج الى ساق عظيم منتصب يكثر فيه مدة
لبث المنشوف من الرطوبة بل احتاج الى ساق عسى ان يكون معبرا
للمنشوف بسرعة ويكون مميز بات الثمار فان امثال هذه الثمار لا يحسن
تعلق كثرة منها عظيمة الافراد من البزر نفسه او فرع قصير ينبت من
البزر نفسه فمثل هذا النبات يكون ساقه كثير التفرع ليكثر منه منابت
الثمر ضعفها لقلة الحاجة الى جنسها للمادة فيه متخلخلها ليسرع نفوذ

الغذا فيه مبسوطها على الارض بعجزها عن الاقلال وهذا مثل شجرة
الخيار والقرع والبطيخ فقد اعطيت هذه الشجرة بدل الاعضاد
بالساق ماى الاغصان للتعلق بما يقرب منها ويشبه ان يكون من
النبات ما الحاجة الى تعجيل انضاجه اقل والى تردد الغذا بين
مستقاه وبين منبت ثمره اكثر اعظم اسوااما وبين المنتصب والمنبسط
كالكرمة وان يكون ما الحاجة الى الاول منه اقل شديدا والى الثاني اكثر
لاجل ان ثمرته وان كانت رطبة فهي اشد ارضية من العنب فضلا
عن البطيخ فهو اقوى ساقا بحيث لا ينحط الى الارض بل ينتصب لكنه
يكون له احوال ما سلف من شدة التخلخل وانتصاب الساق واذا كان
شديد القوة متخلخل الجوهر ادعن ساقه للانتصاب والاستقامة
اكثر من غيره مما هو صلب بعسل وانما كان خشبه متخلخلا ليسرع نفوذ
الغذا الرطب فيه ولا شك ان الجاذب في مثله الحار فبالحري ان
يكون لها مثله شديد التخلخل فيكون ليفيا والاسخن منه اجعد
لها والابرد الارطب منه البسط كالحال في شعور امزجة الناس و
يشبه ان يكون النخلة اذ هي على هذه الصفة فانها رطبة الثمرة ولكن
ايبس من الكرمة واسخن متخلخلة القوام حارة ولان امثال النخل والكرم
مغارسها الطبيعية غير البلاد الباردة جدا فانها اذا غرست
في البلاد الباردة وصينت بالكن فقد امدت مغرسا صناعيا
فان مغرسها يكون قد غير طبعه بالصناعة والاعتناء مصروف
الى الحكم الطبيعي والحكم الطبيعي لا يحوج مثل هذه الشجرة الى
كن شديد بغلظ الجلد فان الحر مجانس لها والبرد يضعف في

مغارسها

مغارسها الطبيعية فلهذا يكفيها من اللحا ما كان ليفا سخيفا وفي ذلك
تمكن لغصونها التي تكبر في خلل تخلخلها لسعتها وشدة القوة الجاذبة
فيها من التخلل وجملة الغرض في اللحا الوقاية واول واق هو الورق و
اما الجلد فانما يستحكم عندما يكثف الساق يسيرا ويتغصن
الاشجار وكل شجر كثير الغصن كبير فوته فان الرطوبة اللزجة يصون
غصنه عن الانكسار بما يعرض له من التثني وكل شجرة اسوقة فان
منبت اوراقها وغصونها عند العقد وكذلك منبت اللحا الغشائي
الذي يغشيها وذلك لان العقد اولى بان يحبس عندها الغذا
النافذ واولى موضع يتصرف عنده الشيء من وجه الى وجه هو الموضع
الذي يعرض له فيه احتباس واما اجزا الجهة نفسها فكانها يسدد
الشيء الى مقصد واحد تسديدا متعقا فلهذه العلة ما ينبت الغصن
الزايد واللحا والورق من هذه المواضع والورق خلق لغرضين احدهما
الزينة وذلك لاجل الشيء خلق له النبات اعني الحيوان والاخر المنفعة
وهي لاجل النبات نفسه وذلك لانه يقي الاجزا الضعيفة من
النبات آفة الحر والبرد مثل الاغصان الى لطبه الى ان يستحكم
لحاؤها ومثل الثمار القريبة العهد بالتفقح عن اكمامها وليس يكفيها
ضرر الحر والبرد فقط بل يكفيها ضرر الرياح الناثرة لثمارها بنفضها
لغصونها وفي كل ورق خياطات متشعب كالاضلاع عن خط واحد
كالصلب ليكون عمدة للورق ولباب اجزا الاوراق غذاوها من
قبلها كانها مواضع العروق في الحيوان من الورق ما خياطته تستحيل
غصنا فيكون لذلك محرد الخشب متشاكل الغصن وهذا كالسرو

كتابخانه [illegible]

فكون وقاية ومبدء معًا والسبب في ذلك ان المادة التي يتكون منها
الورق في مثله قوية القوام دسمة دهنية اذ ليس لمثله من الشجر ثمرة
تعد به تصرف الية خالصة غذائه في غصنه وورقه فتصرف لخالصة
من غذائه الى ذلك فيكون ورقه ناشيًا من خالص غذائه الصالح
لجوهره وما يشبهه في الطبع جوهره من غصونه ولهذا ما نقصد في
مثله استحفاظ ورقه صيفًا اوشتا واما الورق الذي هو الوقاية
فيستغنى عنه عند نضج الثمر واستنكاء الغصن الرطب فيكون بعضه
اولى من حفظه وخصوصًا اذا كان من الطبيعة عليه معاون مثل
كونه غير مقصود في نفسه فيكون تولده من فضلة الغذا دون صريحه
فلا يعتني الطبيعة باحكام امره او كونه مستعرضًا ومع الاستعراض
غير لزج الرطوبة الماسكة جارها ملتزها بل مائيها وضعيفها في اجرام
دقيقها مستمش في تغذية الورق ويعينه التحليل وربما كان سبب سقوط
الورق مع هذه الاسباب كثرة امتصاص الثمار لرطوبة الشجر وبعض الفضل
للورق فاضل فيعرض لها ما يعرض للمكثر من الجماع من الصلع السريع
والورق يستعرض اما بسبب الطبيعة واما بسبب الغاية اما الذي
بسبب الطبيعة فاذا كانت مادته رطبة مائية وقوته قوية على الاث
وخصوصًا اذا لم يكن كثيرًا ثقيلًا بل كان ابيض في قوام الشجرة ما تحمله و
اما بسبب الغاية فاذا كان الثمر كثيرة العدد في موضع واحد فيحتاج
الى لحاف واسع كالعنقود من الكرم اوكانت كثيرة في فرد منها عظيم
الحجم كالتين والاترج اوكان خلق الغصن في ابتداءه سريع النشو
الى حجم كثير مستعرض قبل ان يستوكع كالدلب واكثر ما يستعرض

من الورق

من الورق فانه يحرز بتسخيف ولئلا يحمل عليه عصوف الريح بل ينفذ
من خلله وليكون مع وقاية الحر والبرد يمكن النسيم من التخلل ورشان
الورق ان يقل على الساق ويكثر على الغصن لان الساق قوى في نفسه
قوى في لحائه فلا يحتاج الى وقاية يحتاج الى مثلها الغصن وكثير من
الاشجار ينقطع ورقه بعد ظهور ثمرته ابن اصغارًا وذلك للتخفيف
اذا كانت الثمرة ليست ذاهبة في نضجها الى الترطيب بل الى الاستحكام
والتخفيف كالحمص والحنطة وبتدارك تخفيف حجمه بكثرته فان
الكثير اذا تفرق كان اخف محملًا من واحد عظيم لم علاقة واحدة
الحمل وحدها ان من الشجر ما يكون لتورقه وتعريقه نسبة محفوظة
فيورق مثلًا ثلثًا ثلثًا واربعًا اربعًا وخمسًا خمسًا مثل النبات المسمى قطاقلون
فانه ينبت له دائمًا من كل عقدة اغصان وعلى كل اغصان خمسة
اوراق ومن النبات ما لا يحفظ ذلك ومن النبات ما يورق من غصونه
ومنه ما يورق من خشبه ومنه ما يورق من اصله ومنه ما يورق من
كل مكان **فصل فيما يتولد من النبات من الثمر والبزور والشوك
والصموغ وما يشبهها** ان من ثمار الشجر ما هو مكشوف مثل العنب و
التين وقشره الاول ينفصل عنه وكله بارز ومنه ما هو في غلاف
قشرى كالباقلى ومنه ما هو في غلاف غشائى كالحنطة ومنه
ما هو في قشر صدفى كالبلوط ومنه ما هو ذو عدة قشور كالجوز و
اللوز ومنه ما هو سريع النضج جدًا ومنه ما هو ابطا نضجًا ومنه ما يتكرر
حدوث ثمره في السنة مرارًا ومنه ما لنضجه وقت معلوم ومنه ما
ليس لنضجه وقت معلوم بل ينضج في اوقات شتى كالاترج و

منها ما يحمل كل سنة ومنها ما يحمل سنة ولا يحمل سنة ويشبه ان يكون
ذلك فى الاشيا اليابسة المادة فلا يسع مادتها يحمل كل سنة ومنه
ما يحمل منه شيئا وسنة اخرى شيئا اخر ايبس منه او اضعف منه وقد
تكلف المتكلفون من اعطا العلل فى جميع ذلك ما لو شئنا لزدنا
عليهم فى تمنيقها وتلفيقها لكنها كلها متمحلة غير مقنعة للمحصلين حتى
جعلوا علة ما لا يثمر من كبار الشجر او يقل ثمره كونه كثيرا ويفرق غذاه فيه
كانه ما كان يمكن ان يكون نسبة ما يعتد به الكبر الى حجمه على نسبة ما يعتد
به الصغير الى حجمه فيكون التوزيع بالسوية بل يشبه ان يكون الاشجار
التى قصد منها خشبها قد بسط لها فى الحجم والتى قصد منها ثمرتها لم يحتج
الى ان يعظم جدا بل عظمت عظما متوافقا وصرف فضل غذايها الى
الثمار واما اذا كانت شجرتان من نوع واحد وعرض لاحدهما ان كبر جدا
فهو فى الاكثر اقل ثمرا لان السبب الذى عظم حجمه صرف المادة الى خشبته
لانه انما عظم حجمه لانه لم ياته من الغذا اما يوافق لتكون الثمر بل انما سيح به للغرس
نعذا يوافق الخشب ولولا ذلك لكان حجمه لا يعظم او لان القوة يحتاج
فى صرف الغذا الى الثمر الى افعال كثيرة وتغيرات متتالية ولا يحتاج
الى ذلك كله فى صرف الغذا الى الخشب ويكون الشجرة التى معنت
فى السن قد اخذت قواها فى النقصان معجز عن التغيرات الثمرية
ولا يعجز عن تغيرات الغذا قدر ما يصلح للخشبة فينمو من اجله الخشب
والذى ضربوا به المثل من ان السمين اقل توليدا من القضيف فليس
لعظم الجسم بل لرداءة المزاج وللثمار الشجر طعوم مختلفة منها طبيعية
ومنها غير طبيعية او مقصودة فى الطبع كمرارة اللوز وذلك اما لافراط

كالسبب

كالسبب فى مرارة اللوز واما لتقصير كالسبب فى حموضة العنب
وقد يصلح هذه الطعوم بان يعدل المزاج وقد يفسد بان يورد
على الشجرة ما يحيل مزاجه فانه اذا دهن غصن اللوز فيكون ما ينبت
عليه من اللوز مرا كان الدهنية تهيئ للاحتراق ويستحق الحار
فيحدث مزاج يطرد فى جميع ما ينبت من المواضع المدهون ما كان
من الثمر عظيما عظمت معا لنفره وما كان صغيرا ضعيفا حفظ معا لنفره
وما كان يابس الجوهر يابس الغذا كثرت الخيوط النافذة فيه لان
غذاه يكون يابسا من جنسه فلا يطيع حذف الواحد حمله ويطيع
التفريق بالامتصاص وما كان من الثمر صلبا اما الصلب فلسبب
ولان الوقاية يجب ان يكون اصلب من الموقى وهذا كالجوز واللوز
واما اللين حد التخلخل فانه سريع القبول للافة فيحتاج الى غشا وثيق
مثل القطن ولذلك ما وزع القطن على غلف شتى اكثر ما لم
كثير لم بزر واحد فان بزره صلب وما هو متفرق البزر فانه اقل
صلابة اكثر ما لم بزر وهو رطب فيه وبين البزر وقاية حاجزة
فان كان اللحم صلبا يابسا فرق بينه وبين النوى وبين الحاجز و
لم يتصل اللحم بالقشر الحاجز لئلا يمتص رطوبته وهذا كالسفرجل
وما لم كل الرزق العلاف باللحم واللحم بالعلاف ليحسن الاتصال
اكثر الثمار الرطبة عليها قماع وذلك لانها تحتاج ضرورة الى تفشى
ابخرة ورطوبات وتحللها وذلك الى الجهة العالية لها فيحتاج ان يكون
هنالك اما مسام واسعة كما فى التفاح والكمثرى واما فصل تخلخل غشا
كما فى الرمان ويحتاج ان يحتاط ايضا على المسس اما الشى كالمظلة

لئلا يحل التحليل الهوائي عليها او بشئ كالصمام الخشبي او الحجري
لكثرة ما يتحلل من الاسباب الخارجة بعنف ومثال الاول ما للرمان
ومثال الثاني ما للتفاح والغرض فيه ان يقتصر التحليل على دفع
الطبيعة بالقدر الكافي واما الباذنجان فلصلابة جلده وكثافته
والبيوسة لحمه لم يحتج الى ذلك وبزور الاشجار بعضها مصمتة وبعضها
ذوات لب وليس السبب في الاصمات ذهاب الغذا في الجرم
فان مثل هذا الكلام كلام من يتحكم على الطبيعة بل السبب فيه
عرض طبيعي وليس يجب ان يكون لا محالة معلوما ويشبه ان يكون السبب
فيه عرض متعلق بما يتولد منه وكل بزر ذي لب دهين فانه محتاط فيه
بتغليفه غلافا ثخينا غليظا صلبا الى الصدفية والحجرية ما هو ليشتد
احتقان الحرارة فيه فيمكن من تولد الدهنية وما كان من هذا الجنس
غير محرز في حرز ثخين بل انما عليه غلافه فقط وشئ يتصل به كانه
جزء منه فان صدفه يكون اصلب مثل الجوز واللوز وما له الى غلافه
محيط اخر عظيم مقصود بنفسه ليس على انه كمال لغلافه لم يحتج
الى تصلب غلافه جدا مثل السفرجل والتفاح وربما اعين
بالزوجات تعطى القشر ويكون قوامها قواما كافيا وما كان غلافه
اعظم من ذلك وحجمه صغير فهو الى ذلك اقل حاجة مثل حب
البطيخ والقرع ولذلك ما هو ارق قشرا واشد التياما بقشره
كالحنطة وما قشره غليظ فهو كالمتبري عنه لئلا يلتصق به واللبوب
الدسمة بينها وبين القشر الصلب قشر لطيف عرقي لتدريج
الاتصال وكثير من النوى والحب وخصوصا الصلب غلفه فيه

لاعراض ثلثة احدها ليكون مستقى له ليسقيه فيه ماؤه وخصوصا
فيما هو اصلب فيكون نشفه ابطا والثاني ليكون له مسكن فيه
والثالث ليكون المبدا الرحمي الذي فيه كانه كهف يؤمه فان
ذلك يحتاج الى ان يكون الطف والين يسيرا واذا كان متصلا
بالصلب جدا كان شديد التعرض للانفصال عنه بادنى نبا
صادم فيحصل في حرز وكثيرا ما يجعل حرزه لا طولا بل عرضا فيكون
عليه من الجانبين شبه جناح مثل ما على حب الباقلي وهذه الهيدي
ربما كان في اعالي البزور واذا كانت قوية القوة على الجذب للغذا
ولا يحوجها الضعيف الى ان يحط عن جهة اليها النشو وهي
الجهة العالية فان لم يكن القوة قوية جدا كانت هذه الهيات في
الاسباط وهذه في الاشيا التي لا يحوجها جهة الاغتذا الى
الانحراف عن الموضع الافضل فاما ان احوج ذلك مثل ما في حب
السفرجل والتفاح اذ كان ما يحللها مقصودا بنفسه وجاذبا للغذا
الى ذاته فيكون الاصلح لحبه ان يغتذي من تلقا قوة على سبيل الغذا
او يكون اسبق الى المعين من غيره فلذلك خلقت هاهنا الى تحت و
اذا كثرت الحبوب في وعا واحد ودق الغصن او الساق فلم يف
مماص جميع الحبوب به وكان في جرم ما يحيط به فصل غذا ورطوبة
جعلت المماص الى جرم ما يحيط به كحب البطيخ الرقي او الشي من
الاصل شئ شبيه بالعروق والمشيمة يأتي الحبوب ويتصل بها
فيكون ساقه توجهها الطبيعة اليها كلها كحب البطيخ الاخر والقثا
وغيره وكثير من البزور يشتمل على طبيعتين كالمقصودتين يكونان

متضادتين في الطبيعة فيجعل بينهما حاجز صلب مثل بزر قطونا
فان عليه لعابية مبردة جدا وفيه لب دقيق حار جدا وجعل بينهما
غشاء صلب جدا يجاوز الحد حتى لا يتباطل المنفعتان ولهذا فانه
اذا دق كان فعله غير فعله اذا اخذ غير مدقوق ويبلغ من شدة
صلابة الجراب الذي حشي دقيقه انه اذا شرب خرج بحاله لم يحلله
الحرارة الغريزية ولا يبرز من باطنه شيء وانما نالت الطبيعة لعابيته
فقط ليس كل شجرة يبزر ويحب في سنة واحدة بل كثير مما اصله
قوي عظيم فيتفرق فيه الغذاء سطوراره ويتاخر الى سنة قابلة مثل
البصل الزهر يكون على البزر او على النبات للوقاية فمنه ما هو وقاية
عن ضرر الريح ومنه ما هو وقاية عن ضرر الماء في النبات المائي كما على
التودري والشوك منه شوك اصلي ومنه شوك زور والشوك الزور
اما ان يكون غصنا فرع فلم يتم تكونه نفور المادة وبضعف القوة واما ان
يكون فضله رديه غير ملايمة دفعت والفضول يندفع تارة على نحو ما
يكون منها شيء قريب الشبه من الشيء كالثولول وكالشامة وكالغدة
وذلك اذا كان الفضل قريبا جدا من الغذاء والقوة جيدة التصرف
فيما يفعل وتارة على نحو غريب غير مناسب اندفاع المخاط ونظير ذلك
في النبات الصموغ والسيالات او يشبه ان يكون الفضول منها
ما هي فضول الهضم الاخير الذي يكاد ان يكون جزء من المغتذي
فيندفع حاكيا ذلك الجزء وهذا الفضل ربما كان عن كفاية وربما
كان عن قصور وفساد المغرس فلا يكون غذاؤه الا فضلا ومن هذه
الفضول يتولد الشوك والعقد الخارجة عن الطبيعة ومنها ما هي

فصول

فضول الهضم الاول الرطب الذي لم يستوكع مثل الصموغ واما الشوك
الاصلي فكالسلاح للشجرة عن الافات وربما كان للزينة وربما كان
لمنفعة لم يتعلق بالشجر كما يكون منها على النخل ليكون منها كالدرج على راسه
الشاهق وكثير من الاشجار لشوك في حداثتها ثم يسقط الشوك اذا
استغلظ عنه باللحاء الصلب وربما اشتاك ما لا شوك له بسبب
مادة فمنها الصمغ فضل اللبنية واليبس اول ما يتقوم بالرطوبة
والحار منه هو الذي افرط فيه الحر فمنه الذي لو كان الحر معتدلا
والمدة اطول كان يكون هناك دهنا او دهنيا وقد يكون من اللبن ما
هو مائي او ناري ومنه ما هو دهني ايضا مثل لبن البلسان الذي
يعد في الادهان ومن الصموغ ايضا ما فيه دهانة مثل السندروس
السائلة التي يسمى الداودم في بعض الشجر والدمعة في الكرم فضلته
المائية **فصل فيه كلام كلي في اصناف النبات يتبعه الكلام**
في امزجة الاشياء التي لها نفس غاذية قد ذكرنا منافع اعضاء
النبات وبقي علينا ان نتكلم في النبات كلاما كليا فان من النبات
ما هو شجر مطلق وهو القائم على ساقه ومنه ما هو حشيش مطلق وهو
الذي ينبسط على ساقه على الارض ومنه ما هو شجر حشيش و
هو الذي له ساق منتصب وساق منبسط مستند على الارض او
او الذي يغصن ويفرع من اصله مع انتصاب كالقضيب و
يسمى حسسه واما الحشائش البقلية وربما سميت عشبه فهو الذي
لم يورق من اسفله وله مع ذلك ساق كالملوكية من النبات ما هو
بستاني ومنه ما هو بري وقد يجعل البري بستانيا لم يسر فيصير

ارطب مزاجًا ونقى ايضًا انّ من النّبات ما هو سنفى ومنه ما هو سهلى و
منه ما هو رملى ومنه ما هو مائى ومنه ما هو جبلى ومن النبات ما يقبل
الوصل بغيره ومنه ما لا يقبل الوصل والوصل قد يكون بالحام الموصول
بالموصول به فيحتاج ان يتلاقى القشران على تماس كالاتصال ليجذب
المائية من القشر الى القشر وقد يكون بالحام الموصول به فى الموصول
بان يهندم هيئة فى غلاف هيئة ورقه والنبات المغروس قد يكون
منه ما يحتاج الى ان يغرس من اصله لا محالة وقد يكون منه ما يقبل
الغرس غصنه الموصول لا يتصل مما يبعد عنه جدًّا وربّما يتوصّل الشئ
بالبعيد منه كالعليق فانه يوصل باشجار شتّى والبطم والزيتون ومن
النّبات ما يستحيل الى جنس اخر وذلك مثل النمام يصير نعناعًا
والباذروج اذا صار شاهسفرمًا وقد اشتغل جماعة من الناس بانه
علل فى النّبات متكلفة وبعضهم احد يلتمس علة كل خاصة حتى حاول
ان يبيّن العلّة فى اصباغ النفوس واختلاف الاراييح وذلك من
محاولة محال فانه ليس شئ من تلك يتبع موجب الطّبايع وضرورة الهيولى
بل يتبع تدبير النفس النّباتية وتوزيعها وان كان لا يحصل الا بتوسّط
هذه الطبايع فانه لن يسود شئ الا بالاحتراق وفرط الجمود ولن يبيض
الشئ الا لشئ اخر ثم امّا علله فى موضع اخر واذا وقع منا الاحاطة بجملة
ذلك واسبابه علمنا انه لم يحصل فى النبات والحيوان الا من تلك
العلل لكن تلك العلل لم يحصل فى مواضعها من النّبات لسبب
طبيعى بل لسبب نفسانى حصل كل علّة فى حسه فالاشتغال الذين
مما اشتغلوا به فضل على انه لا يمنع ان يكون كثير من هذه الاحوال

حاب عن ضرورة المادة وحركة الطّبيعة لا لغاية فانّ الغاية يتبعها
ايضًا ضرورات وهذه اشيا قد بيّناها فى مواضع اخرى والذى يلزمنا
ان نوضح القول فيه الكلام فى امر امزجة النّبات بحسب القياس الى
ابداننا لكون مبدء ما للطّبّ وما يجرى مجراه فنقول قد بان لك مما سلف
ان اركان جميع المركبات المعدنية والنّباتية والحيوانية هى العناصر الاربعة
وانّما يمتزج فيفعل بعضها فى بعض حتى يستقر على تعادل وعلى غالب
فيما بينها واذا استقرت على شئ فهى المزاج الحقيقى وان المزاج اذا
حصل فى المركّب هيأه لقبول القوى والكيفيّات التى من شانها ان
يكون له وبيّنا ان المزاج بالجملة على كم قسم هو وانّ المزاج المعتدل فى الناس
ما ذا يراد به وان المزاج المعتدل فى الادوية ما ذا يراد به وبيّنا انه يراد
به ان البدن الانسانى اذا لاقاه وفعل فيه بحرارته الغريزيّة لم يعد
فيؤثّر فى بدن الانسان تبريدًا او تسخينًا او ترطيبًا او تيبيسًا فوق الذى
فى الانسان لسنا نعنى ان مزاجه مثل مزاج الانسان فانّ مزاج الانسان
لا يكون الا للانسان واذا تذكرت ذلك فاعلم ان المزاج على نوعين
مزاج اوّل ومزاج ثان فالمزاج الاول هو اوّل مزاج يحدث عن العناصر و
المزاج الثّانى هو المزاج الّذى يحدث عن اشيا لها فى انفسها مزاج يخصّه
ثم اذا اختلطت وتركت حتى يتخمر ويحدث لها مزاج حصل مزاج ثان و
هذا المزاج الثّانى ليس انما يكون كله عن الصّناعة بل قد يكون عن الطّبيعة
ايضًا فان اللّبن بالحقيقة ممتزج عن مائية وجبنية وسمنية وكل واحد من
هذه الثّلثة غير بسيط بالطّبع بل هو ايضًا ممتزج وله مزاج يخصّه لكن
هذا المزاج الثانى فى اللّبن هو من فعل الطبيعة لا من فعل الصّناعة فهو

بخلاف التّرياق والمزاج الثّاني قد يكون على وجهين امّا مزاج قويّ
واما مزاج سلس والمزاج القوي مثل ان يكون كل واحد من البسيطين
اتحد بالآخر اتحادا العسر تفريقه ولو على حرارة النار مثل جرم الذّهب
فان المزاج بين رطبته ويابسته قد بلغ مبلغا تعجز النارية عن التفريق
بينهما بل اذا سلبت المائية لتصعدها الحرارة تشبّثت بجميع اجزائها
اجزاء الارضيّة فلم يقدر على تصعيدها وتحليلها لارسابِ الارضيّة
اياها كما يقدر على مثله في الخشب بل في الرصاص والآنك فاذا كان
من المزاج ما استحكام هذا الاستحكام فلا يبعد ان يكون من المزاج
الثاني ما يعجز الحرارة الغريزية التي فينا عن تفريق بسائطه وما كان هكذا
فهو المزاج الموفق فان كان معتدلاً بقي في جميع البدن الى ان يحيل
الحر صورته ويفسده معتدلا وما كان مائلاً الى غلبة بقي في البدن
على غلبته الى ان يفسد صورته وبالجملة انما يصدر عنه فعل واحد
اما اذا لم يكن المزاج موثقًا بل رخوا سلسًا محبا الى الانفصال فقد يجوز
ان يفترق عند فعل طبيعتنا فيه وسائل بسائطه التي لها المزاج الاوّل
بعضها عن بعضٍ وقد يكون مختلفة القوى فيفعل بعضها فعلا ويفعل
الآخر ضده فاذا قال الاطبّاء ان دواءً كذا قوته مركّبة من قوى متضادة
فلا يجب ان يفهموا هم انفسهم ولا انت عنهم ان جزءً واحدًا يحمل حرارة وبرودة
يفعل كل واحد منهما بانفراده كالمتميّزين فان هذا لا يمكن بل هما في جزئين
منه مختلفين هو مركّب منهما وايضًا لا يجب ان يظنّ ان غير ذلك الجنس
من الادوية ليس مركبا من قوى متضادّة فان جميع الادوية مركّبة
من قوى متضادة بل يجب ان يفهم من ذلك انهم يعنون انه بالفعل

ذو قوى متضادة او بقوة قريبة من الفعل لان منه اجزاء مختلفة لم يفعل
بعضها في بعض فعلا ما ما يجعل الكلّ متشابهة القوّة ولا بالارمث
واتحدت حتّى اذا حصل بعضها في جزء عضو لزم ان يحصل الآخر
معه لانه اذا كانت متشابهة القوة لم يختلف فعلها في البدن البتّة
وان كانت متلازمة الاجزاء ومختلفة القوى جاز ان يختلف ايضًا
تاثيرها في البدن بل كان اذا حصل جزء من بسيطها في عضو رابعه
ما يلازمه من البسيط الآخر يحصل منهما الفعل والاثر الذي
يودي اليه فعلاهما في جميع اجزاء ذلك العضو على السواء اذ كل واحد
من اجزائه معه عائق عن تمام فعله متمكّن منه اللهم الا ان يكون جزء
عضو قابلا عن احد البسيطين دون الآخر او الطبيعة يستعمل احدهما
وترفض الآخر وقد يكون هذا كثيرًا ولكن لابد من دلالة على انّ امتزاجها
بحيث يقبل التميز بتاثير الحرارة فيها وان لم يتزايل فالادوية المفردة
التي يذكر ان لها قوى متضادّة هي هذه التي ليس فيها ذلك الامتزاج
الكلّي فمن هذه ما اقوى امتزاجا فلا يقدر الطبخ والغسل على التفريق
بين قواها مثل البابونج الذي فيه قوّة محلّلة وقوّة قابضة فاذا طبخ في
الضّماد اياًّ ان لم يفارقه القوّتان ومنه ما يقدر الطّبخ على التفريق بينهما
مثل الكرنب فان جوهره ممتزج من مادّة ارضية قابضة ومن مادة لطيفة
جلاءة بورقيّة فاذا طبخ في الماء تحلل الجوهر البورقي الجلاء منه في الماء وبقي
الجوهر الارضي القابض فصار ماؤه مسهلاً وجرمه قابضًا وكذلك العدس
وكذلك الدّجاج وكذلك الثّوم فان فيه قوة جلاء محرّمة ورطوبة ثقيله والطبخ
يفرق بينهما وكذلك البصل والفجل وغيره ولذلك قيل ان الفجل يهضم ولا

ينهضم لانه يهضم لا بجميع اجزاءه بل بالجوهر اللطيف الذي فيه فاذا
تحلل ذلك بقي الجوهر الكثيف الذي فيه عاصيًا على القوة الهاضمة
لرجا وذلك الجوهر الاخر بعطع اللزوجة ومن هذا الباب ما نقدر العسل
على التفريق بين جوهرين مثل الهندبا وكثير من البقول فان جوهرها مركب
من مادة ارضية مائية باردة كثيرة ومن مادة لطيفة قليلة فيكون تبريدها
بالمادة الاولى وتفتيحها السدد وتنفيذها اكثره بالمادة الاخرى ويكون
حلل هذه المادة اللطيفة منبسطة على سطحها قد تصعدت اليه و
انفرشت عليه فاذا غسل تحللت في الماء ولم يبق منها شئ يعتد به و
لهذا نهى عن غسلها شرعًا وطبًا وبهذا السبب كثير من الادوية اذا
تناولها الانسان بردت تبريدًا شديدًا واذا ضمدت بها حللت مثلًا
كالكزبرة فانها اذا تنوولت اشتد تبريدها واذا ضمد بها فربما حللت
مثل الخنازير وخصوصًا مخلوطة بالسويق وذلك لانها مركبة من جوهر
ارضي مائي شديد التبريد ومن جوهر لطيف محلل فاذا تنوولت
اقبلت الحرارة الغريزية فحللت عنها الجوهر اللطيف ولم يكن كثيرة المقدار
فيؤثر في المزاج اثرًا بل نفشت ونفذت وبقي الجوهر المبرد منه غاية في
التبريد واما اذا ضمد بها فيشبه ان يكون الجوهر الارضي لا ينفذ في المسام
فلا يفعل فيها اثرًا البتة والجوهر اللطيف الناري ينفذ فيها وينضج
فاذا استصحبت شيئًا من الجوهر البارد نفع في الردع وقهر الحرارة الغريبة
وهذا قريب مما قيل من احراق البصل ضمادًا والسلاقة منه مطعومًا
اذ جعل احدى العلل فيه قريبة من هذا فيجب ان يكون هذا المعنى
معلومًا ومن الاشيا النباتية ما يشبه ان يكون فيه جوهران متجاوران

من غير

من غير امتزاج البتة فمن ذلك ما هو ظاهر للحس كاجزا الاترج ومنه
ما هو خفي فان بزرقطونا يشبه ان يكون قشره قوي التبريد والدقيق
الذي فيه قوي التسخين حتى يكاد ان يكون دواء محمرًا او مقرحًا وقشره
كالحجاب الحاجز بينهما وان شرب غير مدقوق لم يكن صلا يترجح منه من
ان ينفذ قوة دقيقة في باطنه بل فعل بظاهره ولعابه وان دق وطحن
فيقره فعسى ان يكون الذي يتق من انه سم انما هو لسبب طحنه ودقه
وحشوه ويشبه ان يكون تفجير المدقوق منه للجراحات وتفجيج الصحيح منه
اياها ورد عنها بهذا السبب وهذا المقدار كاف في اعطائنا هذا
الاصل ولنختم كلامنا في النبات فانا ان اشتغلنا بخواص جزئياته وما
لم يكون كانا قد نزلنا الى صناعة جزئية تم كتاب النبات بعون الله وحسن توفيقه

الفن الثامن من الطبيعيات في طبايع الحيوان

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل في اختلاف الحيوان جملة من جهة الماوى والمطعم والاخلاق والافعال والاعضاء

ولنتكلم الان في الحيوان محذين في جميع هذا الكتاب حذو التعليم الاول لا في تشريح اعضاء الانسان
فانا نؤثر ان نجمع التشريح والمنفعة في موضع واحد وفي اشيا قليلة و
نقص من الاخبار ما امض فيه ونورد من الكلم النظري ما يليق براينا
وجمعنا لهذه الفنون ولنبدء بالكلم في اختلاف الحيوان واول ذلك في
الاختلاف الكلي الكاين بسبب الاعضا وقد علمت ان الاعضا منها
بسيطة وهو الذي للجزء المحسوس منها حد الكل كالعصب والعظام و
منها مركبة التي ليس للجزء منها ذلك مثل اليد والرجل وهي مركبة من الاولى

من كتاب الشفاء

فبق ان الحيوان قد يشترك فى اعضا وقد يتباين باعضا اما الشركة فمثل
اشتراك الانسان والفرس فى ان لهما لحما وعصبا وعظما وان كان
المشترك فيه واحدا بالجنس لا بالنوع واما التباين فعلى وجهين لانه
اما ان يكون التباين فى نفس العضو واما ان يكون فى حال العضو و
التباين فى نفس العضو اما ان يكون من حيث هو مركب الى واما ان
يكون من حيث هو بسيط ايضا مثال الاول افتراق الانسان والفرس
فى ان للفرس ذنبا وليس للانسان وان كان اجزا الذنب البسيطة
الذى للفرس وهو العظم والعصب والجلد واللحم والشعر له موجودة
بالجنس ومثال الثانى افتراق الانسان والسلحفاة فى ان السلحفاة
صدفا محيط بها وليس للانسان وكذلك للسمك فلوس وللقنفذ شوك
وليسا لا شيا كثيرة واما التباين فى حال العضو فاما ان يكون من
باب الكم واما ان يكون من باب الكيف واما ان يكون من باب الوضع
واما ان يكون من باب الفعل واما ان يكون من باب الانفعال اما
الذى من باب الكم فاما ان يتعلق بالعظم مثل كون عين البوم كبيرة
وعين العقاب صغيرة او يتعلق بالعدد مثل ما ان ارجل ضرب من
العناكب ستة وارجل ضرب اخر ثمانية او عشرة والذى من باب الكيف
فكاختلافها فى اللون او فى الشكل والصلابة واللين واما الاختلاف فى
الوضع مثل اختلاف ثدى الفيل والفرس فى الوضع فان ثدى
الفيل عند قرب الصدر وثدى الفرس عند السرة واما الاختلاف فى
الفعل فمثل كون اذن الفيل صالحا للذب مع كونها آلة للسمع و
ليس كذلك للانسان وكون انفه آلة للقبض دون انف غيره واما الاختلاف

فى الانفعال

فى الانفعال فمثل كون عين الخشاف سريعة التحير فى الضوء وكون
عين الخطاف بالضد واجزا ابدان الحيوان اما رطبة واما يابسة ومن
الرطوبة الدم والشحم والرب والمخ والمنى وباقى الاخلاط والفضول ومن
اليابسة العصب والجلد والعروق والشعر والعظم والغضروف و
الظلف والقرن وما يجرى مجراه فضرب من الاختلاف الحيوانى فى
الاعضا وقد يختلف الحيوان من جهة المأوى فبعضها مائية و
بعضها يبسية برية والمائية على اضرب منها ما مكانه وغذاؤه وتنفسه
مائى وله بدل النفس النسيمى بشق مائى فهو يقبل الما الى بطنه يبرده
ولا يعيش اذا فارقه ومنه ما مكانه وغذاؤه مائى لكنه يتنفس من الهواء
فقط وسواء كان معدنه فى الما فلا يبرز او كان له ان يبرز ويفارق
الما مثل السلحفاة المائية ومنه ما مكانه وغذاؤه مائى وليس يتنفس
ولا يستنشق مثل اصناف من الصدف والحلازين التى لا يظهر
للهوا ولا تستدخل الما الى باطنها الا على سبيل استمداد الغذاء
لا على سبيل التنفس وسبيل التنفس ان يستنشق به برده لترويح
الحار الباطن ولدفع الفضول الحارة التى اذا احتبست فى الحار الغريزى
فسد لها الحار الغريزى وانما يكون الحيوان مائيا لان مكانه الطبيعى ما
وليس يكون مائيا لانه لا يغتذى الا من الما فقط ولا يتنفس الا من
الما فقط كما ان الحيوان البرى ليس يكون بريا الا لان مكانه الطبيعى بر
وليس لانه لا يغتذى من الما وما فيه ومعلوم ان الحيوان الذى لا
يستنشق الا من الما فليس مكانه الطبيعى الا الما ولا غذاؤه الا فى الما
وان الحيوان الذى لا يغتذى الا فى الما فان مكانه الطبيعى الما ولا

ينعكس والحيوانات المائية ايضا تختلف بعضها ماواها الذي ينسب اليه مياه الانهار الجارية وبعضها ماواها مياه البطايح مثل الضفادع
وبعضها ماواها البحر والحيوان البري منه ما يتنفس من طريق واحد كالفم والخيشوم ومنه ما لا يتنفس كذلك بل على نحو اخر من مسام مثل
المحززات كالزنبور والنحل ومن الحيوانات ما يكون مائية ثم يستحيل برية مثل حيوان يسمى بالونانية ماداما مادام مائيا او اناداس وهو يعيش
في الانهار ثم انه يستحيل صورته ويصير اسطوس ويبرز الى البر و
الحيوانات المائية منها لجية ومنها شطية ومنها طينية ومنها صخرية
والحيوانات المائية منها ذات ملاصق يلزمها كاصناف من الاصداف
ومنها منسرح الاجساد مثل السمك والضفادع والملاصقة منها ما
لا يزال يلتصق ولا يبرح ملصقا مثل اصناف من الصدف والاسفنج
ومنه ما يلصق تارة ويبرح اوسن الملصق لطلب الغذاء اذ لا يكون غذاؤه
الكافي ما يؤديه اليه الما او يتصل به ومن الذي يبرح اما يتردد ويرجع
مثل حيوان يسمى بالونانية والنقي والحيوان المائي المنتقل في الماء
منه ما يعتمد في غوصه على راسه وفي السباحة على اجنحته كالسمك و
منه ما يعتمد في السباحة على ارجله كالضفدع ومنه ما يمشي في
قعر الما كالسرطان ومنه ما يزحف مثل ضرب من السمك لا جناح له
كالدود واما الحيوانات البري وكل طاير منه ذو جناح فانه يمشي
برجليه ومن جملة ذلك ما مشيه صعب عليه كالخطاف والطير الاسود
والخشاف واني قد رايت طائرا يشبه الباسق اضعف واصغر منه
اذا وقع على الارض وقع منبسط الجناحين غير مستقل كانه لا رجل
له ويمشي بتكلف وذكر في التعليم الاول صنفا من الخطاف ويسمى دريانس
لا يظهر الا بعد النظر في احر الصيف وهو قليل جدا واما الذي
جناحه جلد او غشا فقد يكون منه لا رجل له كضرب من الحيات بالحبشة
يطير والطير مختلف فبعضها يتعايش معا كالكركي وبعضها يؤثر التفرد
كالعقارب وجميع الجوارح التي تسارع على الطعم لاحتياجها الى
الاحتيال لتصيد وما يسهلها فيه ومنها ما يتعايش زوجا يكون معا كالقطا
ومنه ما يتفرد تارة ويجتمع اخرى والحيوانات المنفردة قد يكون مدنية
وقد يكون برية صرفة وقد يكون بستانية وقروية والانسان من بين
الحيوان هو الذي لا يمكنه ان يعيش وحده فان اسباب حيوته ومعيشته
تلتئم بالمشاركة المدنية والنحل والنمل وبعض الغرانيق يشارك
الانسان في ذلك لكن النحل والكركي تطيع رئيسا واحدا والنمل له اجتماع
ولا رئيس له وقد يختلف الحيوان من جهة الطعم ويقول ان الطير منه
اكل لحم ومنه لاقط حب ومنه اكل عشب وقد يكون لبعض الطير طعم
معين كما للنحل فان غذاه زهري والعنكبوت فان غذاه ذباب ويكون
بعضه منتقى الطعم والحيوان قد يختلف بان منه اوابد ومنه اوطع و
من الحيوان ما له ماوى معلوم ومنه ما ماواه كيف اتفق الا ان ملك
منهم للحضانة واللواتي لها ماوى فبعضها ماواه شق وبعضها ماواه حفر
وبعضها ماواه قلة راس وبعضها ماواه وجه الارض وايضا من الحيوان
ما يتحلل نومه ليلا كالضبع واليوم ومنه ما يتحلل نهارا كالبازي وبعضه
في الهوس كالطير ومن الحيوان ما هو انس بالطبع كالانسان ومنه ما
هو انس بالتولد كالطرة والفرس ومنه انس بالقسر كالفهد ومنه ما لا يانس

كالنمر والمستانس بالقسر منه ما يسرع استينا سه ويبقى مستانسا كالفيل
ومنه ما يبطى كالاسد ويشبه ان يكون من كل نوع صنف انس وصنف
وحشى حتى من الناس وايضا فان الحيوان منه ما هو مصوت ومنه
ما لا صوت له وكل مصوت فانه عند الاعتلام وحركة شهوة الجماع
اشد تصوتا الا الانسان وايضا بعض الحيوان شبق يفسد كل وقت
كالديك ومنه عفيف له وقت معين يهيج فيه ومن ذلك ما يكون عند
الهيج قليل الجماع ايضا مثل الحيوان المسمى موابوسدون وايضا فان من
الحيوان ما يكون مستعدا للهراش دايما مع جنسه واما مع كل جنس و
وتوررمس والحيوان قد يختلف بالاختلاف كما تختلف ساير الاشياء
فبعض الحيوانات هادى بالطبع قليل الغضب والحرق مثل البقرة و
بعضها شديد الجهل حاد الغضب كالخنزير البرى وبعضها حليم وجزوع
مثل البعير وبعضها ردى الحركات مغتال كالحية وبعضها حرى قوى
منهم ومع ذلك كبير النفس كريم كالاسد ومنها قوى مغتال وحشى كالذئب
وبعضها محتال مكر ردى الحركات كالثعلب وبعضها غضوب شديد
الغضب سفيه الا انه ملق متودد كالكلب وبعضها شديد الكيس مستانس
كالفيل والقرد وبعضها يرجع الى حيا وحفاظ كالاوز وبعضها حسود
مناو مباه بجماله كالطاوس ومن الحيوان ما هو شديد الحفظ مثل الجمل و
الحمار ولما تذكر المنسى فللانسان وحده لما كان كل حيوان رطب الجوهر
وكان فيه جوهر حار يحلل رطوبته ويحيط به هوا محلل احتاج ضرورة
الى الغذا وهو بدل ما يتحلل واحتاج لذلك الى اعضا للتغذى ولما
كان الغذا لا يستحيل كله بل ينفصل لا محالة عنه فضل انقسم اعضا الغذا

الى مود

٣٠٧

الى مود والى قابل والى دافع والحيوانات كلها يشترك فى هذه الاعضا
فان سابت سابت باحد الوجوه المذكورة والمعمول منه يابس و
هو الغذا بالحقيقة لانه يستحيل الى ان يكون بدل ما يتحلل و
منه رطب وليس كل رطب غذا بل ما فيه مزاج ما مع اليبس
واما الما وحده فلا يستحيل الى هيئة مزاجيه بل الحاجة اليه
لترقيق الغذا وتنفيذه ولتكون ايضا جزءا من الشئ المستحيل
غذا لا نفس المستحيل غذا والرطب واليابس يجتمعان فى قابل
واحد والا لم يختلطا واما مدافعهما فربما كانت واحدة كما فى الطير
وربما كان اثنين كما فى الناس وذوات الاربع فان لها امعا ولها
مثانه وكل ما له مثانه لدفع فضله الرطب فله معا لدفع الفضل
اليابس ولا ينعكس ولما كان بعض الحيوان انما سعى نوعه بالتناسل
احتاج ضرورة الى التزيد فع بها الزرع الى التزمن اخر يقبل الزرع
فيكون فى اعضا نوعه زارق للزرع ومستودع للزرع فيه يتكون
الولد اما رحم واما كالرحم مثل ما للطير ولكل حيوان عضو خلق
لحفظ رطوبته الاصلية وتولدها كانت الرطوبة دما فيما له دم
او شيئا مكان الدم فيما ليس له دم وجميع الحيوان فان قواه الطبيعية
وقوة اللمس من بين الاحساس يتم بعضو بسيط كما فى الانسان لحم
او عصب للمس وفى غيره شئ اخر واما ساير افعال الحس والحركة فيتم
بالاعضا الالية دون عضو بسيط الحيوان منه ما تناسله بان
يلد اشباهه حيوانا وبعضه ما تناسله بان يلد انثاه دودا كالنحل والعنكبوت
فانها تلد دودا ثم ان اعضاه يستكمل بعد ومنه ما تناسله بان

يبيض انثاه بيضا كل عظيم من الحيوان البحري كالدلفين والسلاحي وكل
ما له شعر او شوك فانه كالشعروان كان وقابزو سلاحا ايضا كالشبهم فانه
يلد حيوانا مثله ومنه ما يبيض في بطنه ثم يصير بعد ذلك دودا مثل البحري
المعروف سلاحي وربما كان بيضا ثم صار قبل ان يباض حيوانا كاكثر
الافاعي وما كان من البيض يحيط به قشر صلب ففي باطنه لونان بياض
ومح مثل بياض الطير وما كان لين الجلد ففي باطنه لون واحد مثل بيض
سلاحي ما دام بيضا وايضا من الحيوان ما له رجل ومنه ما ليس له رجل
ومن الحيوان ذي الرجل ما له رجلان فقط ومنه ما له اربعة ارجل و
منه ما له ارجل كثيرة مثل العنكبوت والحيوان المعروف باربعة واربعين
الذي يسمى دخال الاذن وعدد ارجل جميع الحيوانات زوج ليتعادل
الحمل والنقل وكذلك من السمك ما له اجنحة ومنه ما ليس له اجنحة مثل
نوع من السمك المعروف لسلاحي الذي يكون عريض الذنب ويسمى
ساطونس ويعتمد في سباحته على اقطار جلده المستعرض ولبعض
الضفادع ايضا اجنحة وهو الضفدع البحري الذي لا يستدق موخره
وهو الجنس الذي ربما اوى الى الاشجار واما السمك ذو الجناح فمنه
ما له اربعة اجنحة موضوعة على جنبيه ومنه ما له جناحان الى بطنه و
جناحان الى ظهره ومن السمك ما له مع الاجنحة رجل فيستعين بها
مع الاجنحة كالمعروف بما لاما فان لم يكن ارجل استعان بالذنب و
هو حمله السمك الخاسي الجلد واما التمساح فيسبح بدسر وارجله كل حيوان
محرز فلا جلد له كل طاير جناحه ذو ريش فهو ذو دم واما ما جناحه جلدي
صفاق فقد يكون له دم كالخفاش وقد لا يكون له دم النحل الحيوان

الذي

الذي له جناح صفاقي ولا دم له فمنه ما له جناحان ومنه ما له اربعة
اجنحة ومنه ما له ابرة يلسع بها وما كان له جناحان فصغير ومنه ما يلسع
بخرطومه كالبعوض وكالذباب وربما كان الجناح الصفاقي في غلاف
كما للجعلان وليس لشيء منها حمرة والحيوانات العديمة الدم اصغر من
ذوات الدم خلا اصناف الحيوان البحري قليلة ومنها السمك الذي
يسمى مالاما فانه يكون عظيم الجثة جدا اذا كانت في الماوى الحار وفي
اللجة دون الشط ودون المكان البارد وجميع الحيوان الذي له دم
وهو مستقل فيستعين لانتقال من اربعة اعضا رجلين ويدين او رجلين
وجناحين او اربعة اجنحة كالسمك والجنس من الجرجيس الذي يبقى
نشوه وموته في يوم واحد يتحرك بجناحين واربعة ارجل وللسرطان
ثمانية ارجل **فصل في الاعضاء الكلية** الاعضا اجسام متولدة
من مزاج الاخلاط كما ان الاخلاط اجسام متولدة من مزاج الاركان
والاعضا منها ما هي مفردة ومنها ما هي مركبة والمفردة هي التي اي
جزء محسوس اخذت منها كان مشاركا للكل في الاسم والحد مثل
اللحم في اجزائه والعظم في اجزائه والعصب في اجزائه وما اشبه ذلك
ويسمى متشابهة الاجزا والمركبة هي التي اذا اخذت منها جزءا اي جزء
كان لم يكن مشاركا للكل في الاسم ولا في الحد مثل اليد والوجه
فان جزء الوجه ليس بوجه وجزء اليد ليس بيد ويسمى اعضا الية
لانها هي الات النفس في اتمام الحركات والافعال واول الاعضا
المتشابهة العظم وقد خلق صلبا لانه اساس البدن ودعامة الحركات
ثم الغضروف وهو الين من العظم فينعطف واصلب من ساير الاعضا

والمنفعة فی خلقه ان یحسن به اتصال العظام بالاعضا اللینة فلا یکون
الصلب واللین قد ترکبا بلا متوسط فیتأذی اللین بالصلب وخصوصا
عند الضربة والضغطة بل یکون الترکیب مدرجا مثل ما فی عظم
الکتف والشراسیف فی اضلاع الخلف والغضروف الخنجری تحت
القص وایضا لیحسن به مجاورة المفاصل المتحاکة فلا یترضض لصلابتها
وایضا اذا کان بعض العضل یمتد الی عضو غیر ذی عظم مثل عضلات
الاجفان کان هناک دعاما وعمادا لاوتارها وایضا فی مواضع
اخری تمس الحاجة فیها الی اعتماد سابق علی شیء قوی لیس بغایة الصلابة
کما فی الحنجرة ثم العصب وهی اجسام دماغیة المنبت او نخاعیة المنبت
بیض لدنة لینة فی الانعطاف وصلبة فی الانفصال خلقت لیتم بها
للاعضا الاحساس والحرکة ثم الاوتار وهی اجسام ینبت من اطراف
العضل شبیهة بالعصب فتلاقی الاعضا المتحرکة فتارة یجذبها بانجذابها
لتشنج العضلة واجتماعها ورجوعها الی ورائها وتارة یرخیها باسترخائها
لانبساط العضلة عائدة الی وضعها او زائدة فیه علی مقدارها فی طولها
حال کونها علی وضعها المطبوع لها علی ما نراه نحن فی بعض العضل وهی
مؤلفة فی الاکثر من العصب النافذ فی العضلة النادر منها فی الجهة
الاخری ومن الاجسام التی نسمیها رباطات وهی ایضا عصبانیة
یأتی من الاعضا الی جهة العضل متشظی هی والاوتار لیفا
فما ولی العضلة منها احتشی لحما وما فارقها الی المفصل او العضو
المحرک اجتمع الی ذاته واتصل ورائم الرباطات وهی ایضا اجسام
شبیهة بالعصب بعضها یسمی رباطا مطلقا وبعضها یخص ایضا

باسم

باسم العقب ولیس لشیء من الروابط حس لئلا یتأذی بکثرة ما یلزمه من
الحرکة والحک ومنفعة الرباط معلومة فیما سلف ثم الشریانات وهی
اجسام نابتة من القلب ممتدة مجوفة طولا عصبانیة رباطیة الجوهر
لها حرکات منبسطة ومنقبضة تنفصل بسکونات خلقت لترویح
القلب ونفض البخار الدخانی عنه وتوزیع الروح علی اعضا البدن
ثم الاوردة وهی شبیهة بالشریانات ولکنها من الکبد وساکنة
لتوزیع الدم علی اعضا البدن ثم الاغشیة وهی اجسام متنسجة
من لیف عصبانی غیر محسوس رقیقة الثخن مستعرضة تغشی سطوح
اجسام اخری وتجری علیها المنافع منها لیحفظ جملتها علی شکلها وهیئتها
ومنها لتعلقها من اخری فیربطها بها بوساطة العصب والرباط الذی
تتشظی الی لیفها فتنسجت منه کالکلیة من الصلب ومنها حتی یکون
للاعضا العدیمة الحس فی جوهرها سطح حساس بالذات لما یلاقیه
وحساس لما یحدث فی الجسم الملفوف فیه بالعرض وهذه الاعضا
مثل الریة والکبد والطحال والکلیتین فانها لا یحس بجواهرها البتة
لکن انما یحس بالامور المصادمة لها ما علیها من الاغشیة واذا حدث فیها
ریح او ورم احست اما الریح فیحس الغشا بالعرض للتمدد الذی
یحدث فیه واما الورم فیحس مبدء الغشا ومعلقه بالعرض لانجذاب
العضو لثقل الورم ثم اللحم وهو حشو خلل وضع هذه الاعضا فی
البدن وقوتها التی تدعم به وکل عضو فله فی نفسه قوة غریزیة
بها یتم له امور التغذی وذلک هو جذب الغذا وامساکه وتشبیهه
الصاقه ودفع الفضل ثم بعد ذلک فیختلف الاعضا بعضها له

اعضا

الى هذه القوة قوة يصير اليه من غيره وبعضها ليس له ذلك فاذا تركب
حدث عضو قابل معط وعضو معط غير قابل وعضو قابل غير معط وعضو
لا قابل ولا معط اما العضو القابل المعطى فلم يشك في وجوده فان
الدماغ والكبد اجمعوا ان كل واحد منهما ايضا مبدء قوة يعطيها غيره
اما الدماغ فمبدء الحس عند قوم مطلقا وعند قوم لا مطلقا والكبد مبدء
التغذية عند قوم مطلقا وعند قوم لا مطلقا واما العضو القابل الغير المعطى
فالشك في وجوده ابعد مثل اللحم القابل قوة الحس والحياة وليس هو
مبدء لقوة يعطيها غيره بوجه واما القسمان الاخران واختلف في احدهما
الاطبا مع الجليل من الفلاسفة فقال الاطبا ليس ههنا عضو يعطى و
لا يقبل لا دماغ ولا قلب ولا كبد وقال جليل الفلاسفة ان هذا العضو
هو القلب وهو الاصل الاول لكل قوة وهو يعطى ساير الاعضاء
كلها القوى التي يغذو بها والتي يحيى والتي يدرك ويحرك واما الاطباء
وقوم من الفلاسفة فرقوا هذه القوى في الاعضا وقوله عند التحقيق
والتدقيق اصح وقول الاطبا في بادى النظر اظهر واختلف في القسم
الاخر الاطبا فيما بينهم فذهب طائفة الى ان العظام واللحم الغير الحاسى
وما اشبهها انما سمى بقوى فيها يخصها لها انها من مبادى اخر لكنها
بتلك القوى اذا وصل اليها غذاؤها كفت انفسها فلا هي يفيد شيئا
اخر قوة فيها ولا ايضا يفيد هاقوة عضو اخرى وذهبت طائفة الى ان
تلك القوى ليس يخصها لكنها فايضة اليها من الكبد او القلب في اول
التكون ثم استقرت فيها والطبيب ليس عليه ان يتبع المخرج الى الحق
من هذين الاختلافين بالبرهان فليس له اليه سبيل من جهة ما هو طبيب ولكن

يجب ان

يجب ان يعلم ويعتقد في الاختلاف الاول انه لا عليه كان القلب مبدء
في الحس والحركة للدماغ والقوة المغتذية للكبد او لم يكن فان
الدماغ اما بنفسه واما بعد القلب مبدء للافاعيل النفسانية
بالقياس الى ساير الاعضا والكبد كذلك مبدء للقوة الطبيعية الغذية
بالقياس الى ساير الاعضا ويجب ان يعلم ويعتقد في الاختلاف
الثاني انه لا عليه كان حصول القوة الغريزية في مثل العظم عند اول
الحصول من الكبد او استحقه بمزاجه نفسه او لم يكن ولا واحد منهما
ولكن الان يجب ان يعتقد ان تلك القوة ليست فايضة اليه من الكبد
بحيث لو انسد السبيل بينهما وكان عند العظم غذا معد بطل فعله
كما للحس والحركة اذا انسد العصب الجاري من الدماغ بل تلك القوة
صارت غريزية للعظم ما بقى على مزاجه فهذا ينشرح له حال القسمة و
يعرض له اعضا رئيسة واعضا خادمة للرئيسة واعضا مرؤسة بلا خدمة
فالاعضا الرئيسة هي الاعضا التي هي مبادى القوى الاول في البدن
المضطر اليها في بقا الشخص او النوع اما بحسب بقا الشخص فالرئيسة
ثلث القلب وهو مبدء قوة الحياة والدماغ وهو مبدء قوة الحس و
الحركة والكبد وهو مبدء قوة التغذية واما بحسب بقا النوع فالرئيسة
هذه الثلثة ايضا ورابع يخص النوع وهو الانثيان اللذان يضطر
اليهما لامر وينتفع بهما لامر ايضا اما الاضطرار فلاجل توليد المنى
الحافظ للنسل واما الانتفاع فلاجل تمام الهيئة والمزاج الذكوري و
الانوثي اللذين هما من العوارض اللازمة لا من الاشيا الداخلة
في نفس الحيوانية واما الاعضا الخادمة فبعضها يخدم خدمة مهيئة

وبعضها يخدم خدمة مودية والخدمة المهيئة تسمى منفعة والخدمة المودية
تسمى خدمة على الاطلاق والخدمة المهيئة يتقدم فعل الرئيس والخدمة
المودية يتاخر عن فعل الرئيس اما القلب فخادمه المهيئ هو مثل الرية
المودي مثل الشرايين واما الدماغ فخادمه المهيئ مثل الكبد وساير اعضا
الغذا في حفظ الروح والمودي مثل الاوردة واما الكبد فخادمه المهيئ
مثل المعدة والمودي مثل الاوردة واما الانثيان فخادمهما المهيئ مثل
الاعضا المولدة للمني قبله واما المودي ففي الرجال الاحليل وعرق
بينها وبينه وفي النسا عروق شديدة فيها المني الى المحل وللنسا زيادة
الرحم الذي يتم فيه منفعة المني وقال جالينوس ان من الاعضا ما له
فعل فقط ومنها ما له منفعة فقط ومنها ما له فعل ومنفعة معًا الاول كالقلب
والثاني كالرية والثالث كالكبد واقول انه يعني بالفعل ما يتم بالشي وحده
من الافعال الداخلة في حياة الشخص او بقا النوع مثل ما للقلب في
توليد الروح ويعني بالمنفعة ما هي لقبول عضو اخر حتى يصير الفعل
تامًا في افادة حياة الشخص او بقا النوع كاعداد الرية للهوا واما الكبد
فانه يهضم اولًا هضمه الثاني ويعد للهضم الثالث والرابع فما يهضم
الهضم الاول تامًا حتى يصلح ذلك الدم لتغذية نفسه يكون قد فعل
فعلًا ولما قد يفعل فعلًا معينا لفعل منتظر يكون قد يقع ونقول ايضًا من
راس ان من الاعضا ما تكونه عن المني وهي المتشابهة الاجزا خلا اللحم
والشحم ومنها ما يكون عن الدم كالشحم واللحم فان ما خلاهما يتكون عن المنيين
مني الذكر ومني الانثى الا انها يتكون من مني الذكر كما يتكون الجبن عن
الانفحة ويتكون عن مني الانثى كما يتكون الجبن عن اللبن وكما ان مبدء

العقد في الانفحة كذلك مبدء عقد الصورة في مني الذكر وكما ان مبدء
الانعقاد في اللبن فكذلك مبدء انعقاد الصورة اعني القوة المنفعلة
هو في مني المراة وكما ان كل واحد من الانفحة واللبن جزء من
جوهر الجبن الحادث منهما كذلك كل واحد من المنيين جزء من جوهر
الجنين وهذا القول يخالف قليلًا بل كثيرًا قول جالينوس فانه يرى
في كل واحد من المنيين قوة عاقدة وقابلة للعقد ومع ذلك فلا يمتنع
ان يقول ان العاقدة في الذكوري اقوى والمنعقدة في الانوثي اقوى و
اما تحقيق القول في هذا ففي كتبنا في العلوم الاصلية ثم الدم
الذي كان ينفصل عن المراة في الاقرا يصير غذا فمنه ما يستحيل الى
مشابهة جوهر المني والاعضا الكاينة منه فيكون غذا منميا له ومنه
ما لا يقصر غذا لذلك ولكن يصلح لان ينعقد في حشوه ويملأ الامكنة بين
الاعضا الاولى فيكون لحمًا وشحمًا ومنه فضل لا يصلح لاحد الامرين
فيبقى الى وقت النفاس فيدفعه الطبيعة فضلًا واذا ولد الجنين
فان الدم الذي تولده كبده يسد مسد ذلك الدم ويتولد عنه
ما كان يتولد عن ذلك الدم واللحم عن متينه ويعقده الحر واليبس و
اما الشحم فمن مائيته ودسمه ويعقده البرد ولذلك يحلله الحر وما كان من
الاعضا متخلقا عن المنيين فانه اذا انفصل لم يتجبر بالانفصال الحقيقي
الا بعضه في قليل من الاحوال وفي سن الصبي مثل العظام وشعب
صغيرة من الاوردة دون الكبيرة ودون الشرايين واذا انقص منه
جزء لم ينبت عوضه شيء كالعظم والعصب وما كان متخلقا من الدم
فانه ينبت بعد انثلامه ويتصل في مثله كاللحم وما كان متولدًا عن دم

نفسه قوة المنى بعد فما دام العهد بالمنى قريبًا فذلك العضو اذا فات امكن
ان ينبت من اخرى مثل السن فى سن الصبى واما اذا استولى على الدم
مزاج اخر فانه لا ينبت مرة اخرى ونقول ايض ان الاعضا الحساسة المتحركة
فقد يكون تارة مبدء الحس والحركة لهما جميعًا عصبة واحدة وقد يفترق
ما ان ذلك فيكون مبدء كل قوة عصبية ونقول ان جميع الاعضا الملفوفة
فى الغشا منبت غشائها من احدى غشائى الصدر والبطن المستبطنين اما
فى الصدر كالحجاب والاوردة والشريانات والرئة فمنبت اغشيتها
الغشا المستبطن للاضلاع واما ما فى الجوف من الاعضا والعروق
فمنبت اغشيتها من الصفاق المستبطن لفضل البطن وايض فان جميع
الاعضا اللحمية اما ليفية كاللحم فى العضل واما فيها ليف كالكبد ولا شى
من الحركات الا بالليف اما الارادية فبسبب ليف العضل واما الطبيعية
كحركة الرحم والعروق والمركبة كحركة الازدياد فلليف مخصوص بهيئة
من وضع الطول والعرض والتوريب فللجذب الليف المطاول وللدفع
الليف الذاهب عرضا العاصر وللامساك المورب وما كان من الاعضا
ذا طبقة واحدة مثل الاوردة والمثانة فان اصناف ليفه الثلثة منتسج بعضها
فى بعض وما كان ذا طبقتين فالليف الذاهب عرضًا فى طبقته الخارجة
والاخران فى طبقته الداخلة الا ان الذاهب طولًا اميل الى سطحه الباطن
وانما خلق كذلك لئلا يكون ليف الجذب والدفع معًا بل ليف الجذب والامساك
هما اولى بان يكونا معًا لا فى الامعا فان حاجتها الى الامساك لم يكن
شديدة بل الى الجذب والدفع ونقول ايض ان الاعضا العصبانية المحيطة
باجسام غريبة عن جوهرها منها ما هى ذات طبقة واحدة ومنها ما هى

ذات

ذات طبقتين وانما خلق ما خلق منها ذات طبقتين لمنافع احدها مس الحاجة
الى شدة الاحتياط فى وثاقة جسمها لئلا ينشق بسبب قوة حركة ما فيها
كالشرايين والثانى مس الحاجة الى شدة الاحتياط فى امر الجسم المخزون
فيها لئلا يتحلل ويخرج اما استشعار التحلل فبسبب سخافتها ان كانت
ذات طبقة واحدة واما استشعار الخروج فبسبب اجابتها الى الانشقاق
ولذلك ايض مثل الروح والدم المخزونين فى الشرايين الذين يجب ان
يحتاط فى صونهما ويخاف ضياعهما اما الروح فبالتحلل واما الدم فبالشق
وفى ذلك خطر عظيم والثالث انه اذا كان عضو يحتاج ان يكون
كل واحد من الدفع والجذب فيه بحركة قوية افرد له الرملا احلاط وقد
والرابع اذا اريد ان يكون كل طبقة لفعل يخصه وكان الفعلان يحدث
احدهما عن مزاج مخالف للاخر كان التفريق بينهما اصوب مثل المعدة
فانه اذا اريد ان يكون لها الحس وذلك انما يكون بعضو عصبانى وان
يكون لها الهضم وذلك انما يكون بعضو لحمانى فافرد لكل واحد من الامرين
طبقة طبقة عصبية للحس وطبقة لحمية للهضم وجعلت الطبقة الباطنة
عصبية وجعلت الخارجة لحمانية لان الهاضم يجوز ان يصل الى المهضوم
بالقوة دون الملاقاة والحاس لا يجوز ان يلاقى المحسوس اعنى فى حس اللمس
اقول ايض ان الاعضا منها ما هى قريبة المزاج من الدم فلا يحتاج الدم
فى تغذيتها الى ان يتصرف فى استحالات كثيرة مثل اللحم فلذلك
لم يجعل فيه تجاويف وبطون يقيم فيها الغذا الواصل مدة ثم يغتذى
به اللحم ولكن الغذا كما يلاقيه يستحيل اليه ومنها ما هى بعيدة المزاج
عنه فيحتاج الدم فى ان يستحيل اليه الى ان يستحيل اولا استحالات

مدرجة الى مشاكلة جوهره كالعظم فلذلك جعل له في الخلقة اما تجويف واحد يحوي غذاه مدة يستحيل في ميلها الى مجانسته مثل العظم الرقيق والساعد وتجاويف متفرقة مثل عظم الفك الاسفل وما كان من الاعضاء هكذا يحتاج ان يمار من الغذا فوق الحاجة في الوقت ليحيله الى مجانسته شيئا بعد شيء والاعضا القوية يدفع فضولها الى جاراتها الضعيفة كدفع القلب الى الابطين والدماغ الى ما خلف الاذنين والكبد الى الاربيتين

فصل في تعديل الاعضا الالية

فلنشرع في ذكر اعضا الحيوان ولنبدء بالالية ولنبدء بالظاهرة منها ومنها بالراس فنقول ان الراس من الانسان وما يجري مجراه يشتمل على جملة بسايطها القحف وما يغشيه وما فيه من الدماغ وحجبه والقحف يغشيه جلده ولحمه وقشره ينبت عليها الشعر وهو مؤلف من عظام كبيرة على ما سنشرحه عند كلامنا في الاسباب وقد ذكر في التعليم الاول من مصادفته انسان لم يكن لراسه شؤن موجهة وانما قحفه واحد وتحت الراس من قدام الانسان وجهه واعلى وجهه جبهته وهو ما بين راسه وعينه ويدل على عظم جبهته على البلادة وعرضه على قلة العقل وصغره على لطف الحركة واستدارته على الغضب والحاجبان خلقا مظلة العين ما ينحدر اليهما من رشان الوجه واذا اتصلا على استقامة خطه دلا على تخنث واسترخاء واذا رجحا منحدرين الى طرف الانف دلا على لطف وذكا واذا رجحا نحو الصدغين دلا على طبيعة طنز واستهزا واما الدماغ فسنوجه الكلام فيه والعينان ادل الاعضا على الشمايل كما انهما ادل الاعضا على انفعالات النفس عند الفرح والغضب والغم وغير ذلك واجزاؤها

الجفنان

الجفنان والمقلة والمقلة مركبة من حدقة وبياض يسمى ملتحمة ويحدها من الجانبين الموقان واذا كانت من ناحية الموق صغيرة الزاوية دلت على سوء خلق وخبث شمايل واذا كان ذلك الموضع كثير اللحم كما يعرض لاعين الحداه دل على خبث وفجور واذا وقع الحاجب على العين دل على حسد والعين المتوسطة في حجمها دليل على فطنة وحسن خلق ومروة والناسية في كل شيء على اختلاط عقل والغايرة على ضده في جميع الحيوان والتي يطول تحديقها مفتوحة ولا يطرف يدل على محة مصروس في حمق والتي يكون كثيرة الطرف على خفة وقلة ثبات وطيش واذا كانت على الاعتدال في الحالين دل على حسن حال واما تشريح العين فسنوجه الكلام فيه الى حين ما نتكلم في الاسباب وقد دل الاستقراء على ان كل حيوان بحري فله عينان في الطبع الا نقص الحيوان البحري الحرشي الجلد وكل حيوان يلد حيوانا فله عينان الا الخلد ويشبه ان يكون له عينان مغشيتان بجلد دقيق يضعفها وذلك يظهر عند التشريح وانما يدركان الاظلال دون اللون والاشكال ومن الاجزاء الظاهرة في الراس الاذنان وهي للسمع فقط واجزاؤه الغضروف المسمى في الانسان والسحم والنقر الملولب وقد عرض المحارة بينها بالهيئة التي لها لتظهر طنين الصوت واجتماع الهوا الحامل للصوت في عضويه ولولب نقر لتكون المسافة القصيرة المدى طويلة فلا يكون داخل الاذن وحيث يجاوز الدماغ معرضا لوصول البرد والحر المؤذي من الثقب بسهولة والروح الحساس من العصب الذي باسره وسنذكره صلب لانه معرض لمصاكة الهوا بالقرع على السطح الباطن في الصماخ لانه يحتاج

ان يلقى الهوا المتموج بها مماسه ومصادمه وذلك العصب يخرج اليه من ثقب سنذكره في موضعه وللاذن منفذ خفي ايضا الى الحنك وكل حيوان ذي اذن فهو تحرك اذنه خلا الانسان الا افرادا منهم ربما حركوها حركة ضعيفة وجميع الحيوان له اذن الا الطير فله ثقب فقط والا الفلس الجلده واصناف من حيوان الما وكل ما يلد حيوانا فله اذن الا الدلفين و الافعى وتوسط الشعر على الاذن يدل على جوده السمع والاذن الكبار المنتصبه يدل على حمق وهذيان كثير واما الانف فله آلة الاستنشاق والتنفس والعطاس الذي يكون من استعانة الدماغ في دفع الفضول او ريح فيه وهوا يستنشقه الرئه ويتصل منه للدماغ فيه فعم دفعة ويدفع معه ما يوديه والفم وان اعان على التنفس فهو كدخيل في العمل وانما التنفس بالانف فان جميع الحيوان يتنفس مضمومة الافواه آق قد رينا فرسا فتح البيطار فاه بالرسد محرمه فلم يشعر به الا وقد مات في الوقت واما تشريح الانف فسنذكره حيث نذكر الاسباب والانف للفيل يقوم مقام اليد فيه يلقم وبه ينقل الما الى فمه ملجا مجره بم يمحا اياه في خلقه و يلاصق الانف الوجنتان وهما عظمان متخلخلان وكل يتحرك من كل حيوان اسفلهما الا من التمساح واما تشريح الوجه والاسنان و الفكين فسنذكره حيث نذكر الاسباب وكذلك العنق والكتف والاضلاع والفقار وكذلك ايضا تشريح اللسان والحنجرة وعضلهما وكذلك تشريح اليدين والصدر وتحت الصدر البطن وتحت البطن العانة والوركان ونوخر الكلام فيها الى موضعه وللنسا فرج وللذكران قضيب وكذلك نوخر الكلام في تشريحهما ومن الاعضا الكبرى من الاعضا الظاهرة

مفاصل

مفاصل فالمهاه والقذال واللسر مفاصل بين الراس وبين ما تحته والابطان لليدين مع السور والاعضا الظاهرة المسامنة تشبه المسامتة تشابه مشاركة في النوع ومن الاعضا التي في طرفي فوق واسفل فاليدان و الرجلان بينهما بعض الشبه من غير مشاركة في النوع واما الاعضا الموضوعة خلف وقدام فالشبه فيهما قليل جدا وكذلك الباطنة وسنذكر تشريح ذلك كله مع عظام اليدين والرجلين حيث نذكر الاسباب ولسهل الان الى ذكر الاعضا الباطنة ويبدا من فوق ومن الدماغ قال ان كل حيوان ذي دم فله دماغ ومن المجربات فان ماله الا وله دماغ والانسان اعظم الحيوان بحسب بدنه دماغا وتوق ان ذلك لحاجته الى آلة الروح النفساني المفكرة التي ليس لساير الحيوانات واما تشريح الدماغ فسنوخر الكلام فيه الى حين نذكر الاسباب وتحت الدماغ من الاعضا الباطنة المري وقصبة الرية اما المري فيودي الغذا الى المعدة واما قصبة الرية فتودي النسيم الى الرية والقلب وراسها الحنجرة وهو بازا المنخر وسنوخر الكلام في تشريحه الى وقته واما الرية فانها مؤلفة من اجزا احدها شعب القصبة والثاني شعب الشريان الوريدي والثالث شعب الوريد الشرياني وهما عرقان ماسان من القلب وسنصف حال الرية بعد وهذه الشعب يجمعها لا محة لحم رخو متخلخل كثير المنافذ الى البياض ما هو ومنها حلقه من الحيوان وهي ذو قسمين احدهما الى اليمين والاخر الى اليسار والقسم الايسر ذو شعبتين والايمن ذو ثلث شعب وسنشرح الحال في تشريح الرية والمري ومنفعتهما في ذكر الاسباب وكذلك الكبد والمرارة والمثانة والرحم والامعا فسنوخر الكلام في تشريحها الى حيث نذكر الاسباب

المقالة الثالثة

فصل في استيناف ذكر اختلاف الحيوان من جهة الاعضاء الظاهرة

جميع الحيوان الذي له اربع ارجل فله راس وعنق وعنق
الاسد كعظم واحد لا يستبين فيه الخرز وباطن جوفه كباطن جوف
الكلب ومن الحيوان ما هو مشقوق الرجلين فيستعملها كالاصابع
مثل الانسان والطير وكف الفيل ينقسم الى خمسة اقسام انقسام
خف البعير الى قسمين لكنها ليست ذات اصابع وخرطومه كاليد له
فبها يشرب ويأكل وفيما يتناول ويناول سائسه وبه يتنفس وهو يسبح
في عمق الما مثلا خرطومه الى فوق حيث يمكنه ان يتنفس وخرطومه
غضروفي وليس في الحيوان اعرض لسرة الا الانسان ولا الثدي من الحيوان
صدر عريض الا الانسان ولا يدان على الصدر الا له وللفيل ثديان
قريبان من الصدر وليسا عليه وكل حيوان فان رجليه ما ان ينثني من
خلفه واما الى ما بين يديه خلا الانسان فانه ينثني رجله الى ما بين
يديه ويديه الى ما يلي جانبيه والفيل يثني رجليه قريبا من الانسان
ويثني يديه كسائر ذوات الاربع وان ذوات الاربع تثني يديها و
رجليها بالخلاف الا ان يكون مما يبيض كالضب والعظاية مثنى الى
ما بين يديها مودبا الى الخارج وليس في الحيوان ما يثني اليدين و
الرجلين الى خلف واما نوع من الحيوان المائي فان اطرافه مصروره
واليه كالمعلقة من الكتفين وهو ذو خمس اصابع كل واحدة منها
ذو ثلث مفاصل وظفر ليس يكسره واليه بدنه كرجليه وكانها رجله
ذنب سمكه ومن الحيوان ما تقدم عند المشي اي شي اتفق ومنه ما
تقدم اليمين دائما كالاسد والبحث والحاث وكل ذي اربعة ارجل

فهو

فهو ذو ذنب وذنب نوعي كذنب الابل وهي كثيرة الشعر ومقدمها اشعر
من موخرها والانسان له شعر على مواضع ليس عليها لكثير من ذوات الاربع
وان ذوات الاربع شعر كالمعابن والعانة والشفر وربما كان على الشعر الاسفل
لغيره شعر واما الكلب والخنزير والدب فازب البدن كله وقد تغلب
الرب لبعضها في العنق كالفرس لناصيته وكعفر وربما كان على اطراف كبده
مثل الحيوان الذي يسمى فرس ابل وبطن اسه البقر ذوات النواصي التي
تكون ببلاد ترك ويسمى غشغا وينتسج من شعورها ببلادنا مناخل
وليس لاناثها قرون وعظمه كعظم الابل قال ويكون في بلاد يسمى ارخوطس
حيث سن بقرها الوحشي والانسي ما بين خنزيرها الوحشي والانسي
وهي حور موته البصر منقلبة القرون الى خلف واما فرس ابل فقرنه
على قدر قرن الظبا والجمال لها عضو خاص وهو السنام في وسط ظهره
وربما كان للجمل سنامين وللناقة اربعة اطبا وكعبه ككعب الثور وهو صغير
بالقياس اليه وكذلك كعب الفيل وخف شقان بينهما جلد كما للاوز و
قدمه لحم كما للدب ولذلك يعمل كي لا يخفى وفكه الاعلى ذو انياب ولا
ثنايا ولا رباعيات عليه ولا حيوان الحم سائس وقدمين من الانسان ومنه
شقوق الرجلين ما هو ذو ظفر وخف كالانسان والجمال ومنه ما هو ذو
ظلف كالغنم والبقر وكذلك الخنازير الا خنازير في بلدان خاصة منها البور
ومنها ما ونسا لها حوافر ولا يختلف اليد والرجل في كونه ذا حافر وذا خف
واكثر ما له قرنان ذو ظلف لم يظهر غيره واما له قرن واحد كالحمار الهندي
واظنه الكركدن فله حافر وقرنه في وسط راسه واما الحيوان المسمى
ارمص فله قرن واحد وظلف وكل ذي قرن في جوهره فهو ذو اربع الا

ما كان القرن طارنا عليه على سبيل الاستحالة مثل الحمار التي عم
اهل مصر انها سلده سماس وكل قرن مجوف الا قرن الايل واو
والاقرن حيوان يكون ببلاد الترك انه فيما سمعت تشبه البقر في سي والجمال
في شيء وقرنه كبير جدا ذو عرض وطول وزوايا تتشعب عنها غصون تنقلب كل
واحد في نفسه مثل فرد ومساحر وسبطر قد يكون اكثر من ذراع في
ذراع بل اظنه قد يكون مثله ونصف ذلك واكثر الان اكثر شكله
مثلث او معين وهو موجود في بلادنا يحمل اليها من بلاد الغرو يطرح
كالكرسي وقد رايته اول ما رايته بكورة من كور بخارا يتق لها القرهر الحديث
على بلاد الغرو كل ذي قرن فيلزمه قرنه الا الايل فانه يلقيه عند اثمانه ولا
لا اعرف حال الحيوان الذي ذكرته في ذلك ولا يبعد ان يجري مجرى الايل
في ذلك لعظم قرنه ويمكن ان يتعرف ذلك من العرهر ومكان الاثداء قد
يكون اما على الصدر او قريبا منه كالفيل واما على الرجلين واما على البطن
كما للجوارح من السباع وللفيل الذكر ثدي كما للانسان وذكوره ذوات الحوافر
لا ثدي لها الا ما تشبه امهاتها منها وتنزع اليها كما يعرض مرارا في الحيل من
الحيوان ما غلاف ذكره بارز ومنه ما هو باطن كما للدلفين ووضع ذكر الفيل
كوضع ذكر الفرس لكن ذكر الفيل صغير با لقياس الى جسمه وهو ادق
اذا انتشر من خرطومه وليس له طول وانثيا ه مستبطنان عند كليته
ولذلك ما هو سريع السفاد جميع اناث الحيوان تبول الى خلف وكذلك ذكورة
الاسد والجمال ايضا وذكر الانسان وكثير من ذوات الاربع لحمي غضروفي
مع عصبه وذكر الجمال عصبي صرف وكذلك ذكر الايل وذكر الذئب و
الثعلب الى العظم ما هو وذكر ابن عرس كانه عظم صرف اغالي الان ن

في ابتدا

في ابتدا النشو اعظم من اسفله ثم يعظم ما تحت ويكبر ويستفل ثم
يحى اعاليه اذا اخذ نحو الذبول واما جميع ما له اضراس فانه كلما كبر دقت
اسافله وعظمت اعاليه من الحيوان ما له اسنان في الفكين ومنه اسنانه في
الفك الاسفل وكذلك كل ما له قرن ويشبه ان يكون مادة سنه يذهب
في قرنه ولبعض الحيوان انياب كما للخنازير وجوارح السباع مختلفة
الاسنان معرجها للنسب في اللحم واما البقر وما يجري مجراه فاسنانه
مثلا صفة كانه عظم واحد وذلك ليقطع الكلا ولا يجتمع ناب وقرون
وجميع اسنان قوي حاده مراكبه وليس لشيء مما سلف ذكره صفا اسنان
وقد ذكر اسطاليس في بعض كتبه ان في ارض الهند سبعا يسمى بيطش اسنانه
صفوف ثلثه في كل فك وهو ازف البدن واطرافه وعظمه كما للاسد و
وجهه قريب من وجه الانسان وهو شديد الحمرة كانه زنجفري وذنبه
كذنب العقرب البري ذو ابره وصوته كمزمار وهو شديد الجري ياكل
الناس اقول ان هذا الحيوان ان كان موجودا فليس بالبر ولا المعروف بارح
وان شاكل البرح في بعض الصفات فان البر في صورة اسد كبير ازف
يلمع بصفرة وخطوط سود والبرح فانه كما اظن اصفر الشعر وليس في الحيوان
شيء يلقي الاضراس واما الكلاب فقد يلقي الناس والكلب ليس
افلج الاسنان اسود والقارح من الخيل ابيض اللسان وهو بالعكس
الكلب والظبي لا يسقط السن وكبر السن وقوته يدل على طول العمر و
للناس سن الحلم وهي النواجد ينبت بعد العشرين ويظهر لولد الفيل
كما يوضع اسنانه الصغار ويتاخر اسنانه الكبار الى ان ينمو ولسان الفيل
صغير جدا بالقياس اليه ومستبطن قليلا لا ما يدلفه فلا يظهر الا قليلا

وماكان من الحيوان حاد الاسنان يركب بعضها بعضا فهو مشقوق الشفة كالجوارح والفرس النهري الذي يكون بمصر فله ناصية كناصية الفرس وظلف وكعب وذنبه كذنب خنزير وله صهيل الفرس وعظمه بقدر حمار وهو غليظ الجلد بحيث يقطع منه سياط وجوفه كجوف الفرس والحمار واما القرد فانه مشترك الهيئة يميل الى صورة الناس وصورة السباع والكلب منها والتي لها اذناب فهي ذعرة الاخلاق واسنانها كاسنان الكلاب والقرود رب المقادم الا الوجوه واضراسها كاضراس الناس ولا اشفار لها هدب وثدي العسر في صدورها ورجلاها وثداها كثدي الانسان ورجليه وتستعمل ايديها في القبض والدفع وليس لها سره باسره بل غايره وما فوق سرتها اكبر مما تحتها وكذلك ذوات الاربع تشبه ما فوق سرتها الى ما تحتها قريب من نسبة الخمسة الى الثلاثة وربما مشت القرود برجلين اذ لها في رجليها كعب فيعتمد اعتماد الناس وليس لها ورك ذوات الاربع ولا ذنب لها الا ذنب كانه علامة وفروج اناثها كفروج النسا وذكر ذكرانها كالكلب واحشاؤها كاحشا الناس وكل ما له اربعة ارجل ويبيض وله دم فله راس وعنق وظهر وصدر وذنب وهو مشقوق الاطراف الى اصابع وله لسان الا التمساح ولسانه سمكي اذ ليس للسمك لسان بل عضو يشبهه صغير مقبوض غير منبسط وبعض السمك ايضا لا يظهر لها ذلك القدر وليس للحيوانات نحن في ذكرها اذنان بل ثقبان فهي حلمة ولا لها ايضا يدان ولا فرج بارز وهي حادة وعين التمساح كعين الخنزير وله انياب اظفار قوية وجلد صلب ملتصق باللحم لا يسن الا انصعوبة ويضعف بصره في الماء ويجيد جدا في البر ماوى اكثر نهاره الى البر واكثر ليله الى الماء لانه

ادنى

ادفى له في الليل من الهوا فال واما الحيوان المعروف بحاما لاون واظن انه الحربا الكبير فانه يشبه سام ابرص واضلاعه الى الطول كالسمك ووسط صلبه بالى كما للسمك وكان وجهه وجه الحيوان الذي يتولد خنزير وذنبه طويل جدا دقيق الطرف حدا ملتوي كالسير وكل رجل منه مشقوقة الى مثل ابهام الانسان وسائر الاصابع وعليها مخاليب معقفه ويشبه الحرادين وعينه عظيمة دائرة كيف شاء ويعرض للونه ان يتغير تارة الى سواد ما وذلك اذا فعل كالاقشعرار يعني اذا اربا روا سمس وتارة يظهر عليه نقع ونمر ويتغير ايضا لون عينيه وهو بطي الحركة ويستحيل لونه عند الموت الى السلبة ولا لحم على جسده الا بالقرب من عينيه وعلى ذنبه وله في اصل ذنبه دم وكذلك حول قلبه ودماغه كانه بين عينيه واذا سلخ ذلك الموضع ظهر كحلقة نحاس دقيق له نصوص اذا قطع عاش بعده طويلا لا يحرك اضلاعه الى الاضمار والى الانتفاخ ولا طحال له ظم وماواه شقوق الصخور واعظم الطير مخذا فصدرا ماله مخلب معقف واصابع الطير منها ما هو متصل بغشا الجلود بالسباحة والاصبع المتاخرة للطير مكان العقب للانسان والبوم فلها اصبعان متقدمان واصبعان متاخران واكثر الطير وما جلده مفلس كسام ابرص يعمص لا من حسه الاعلى وبعضه وهو الكبير منه يعمص عينيه بجلد متصل بالجفن الاسفل كصفاق ومنه ما يغمض من الجفن الاعلى ومن الطير ما يبسط رجليه الى خلف اذا طار ومنه ما يقبضها الى بطنه والسنة بعضها مستطيله مسدفه والسنة بعضها مستعرضة كما للسعا وجميع ما يحاكي كلام الناس ومن بعض الحيوان ما لا مخلب له

معقّف بل اصبع زايده على ساقه ولبعض الطّير فرع اما من ريش و
اما من جلد لحمي كعرف الدّيك جميع السّمك دوراس واذناب متّصلة
لا عنق له ولا ذكر له ولا انثيين لا داخلين ولا بارزين ولا يدين ولا منكبين و
للدلفين يدان لانه يلد حيوانا ولكنها قريبة الشبه من المفاصل والاحليلان
لشده بل يدلّان كانثيين وللسّمك اذنان منها يمج الما ولبعض السّمك اربعة
اجنحة في الطّول مثل الانكليس والمارماهي وما اشبهه ولبعضها جناحان
عند الاذنين ومن السّمك المستطيل ما لا اجناح له ولا اذان ولبعض
اذان السّمك غطا حرف او صدف او عظمي فيسيل اذناها الى الراس وما
لا غطا له كسلاسي العريض الجسد فاذنه يميل الى اسفل والضّفدع
خشن الاذن شوكي وعلى اذنه صفا في سرر عند النفق ومن السّمك ما له
في كل شق اذن واحدة ومنه ما له اذان كثيرة متراكبة في كل شق وربّما
كانت في كل جانب اذن مفردة ومعها اذان اخرى وربّما كانت مفردة
غير مضاعفة بالتّركيب وللسّمكة المسمّاة افسماس ثمانية اذان متضاعفة
وليس لشي من السّمك شعر كما هو لما يلد من ذوات الاربع ولا فلس قشري
كما للبياض من ذوات الاربع ولا ريش كما هو للطاير واما فلوس السّمك
القشرية فزوايد على جلدها ومن السّمك ما هو خشن الجلد ومن السّمك
ما على لسانه اسنان فهو شائك اللّسان وان كانت مقبوضة الالسنة
الى باطن مربوطة بالحنك ولا انف لبعض السّمك بل منخران ولا اشفار
لجميعها دم ومن السّمك ما يلد حيوانا وهي التي لا قشور لها مفلس كسلاسي
بل جميع ما لا قشور عليه من نبات الما الا الضفدع واما الحيات فمنها
برية ومنها مائية والبحرية يشبه البرية الا في رؤسها فان رؤسها خشنة صلبة

حدّا وما واها الشواطي وما يقرب قعره دون اللجج وفي البحر ايضا
الحيوان المسمّى باربعة واربعين وفي صورته لكنه اصغر من البري ولا
ماوى اللجج بل المواضع القريبة من القعر الصخرية وفي البحر سمكة يسمّى
ما نعة السفن لها خاصة مما نعة للسفن وصدّ عن السير ولا تؤكل بل ربما
استعملها بعض النّاس في التبغيض والتحبيب واجنحتها يشبه الارجل
فلذلك يغلط في امرها فيظن ان لها ارجلا فهذا حال اختلاف الحيوان
من جهة الاعضا الظّ

فصل في اختلاف الحيوان من جهة الاعضا الباطنة

واما اختلاف الحيوان من جهة الاعضا الباطنة فنقول كل
حيوان سحم ذو ثرب فله دماغ دسم وما لا شحم له فلا دسومة في دماغه
وكل متنفس فله رية وبالعكس وجميع الحيوان الذي له دم فله حجاب وقلب و
لكنه في الصّغير خفي ويدق بعد وقد يكون في قلب الجمل والبقر
عظم ولا رية للسّمك فانه لا يتنفس في الهوا وانما يتنفس بالما من طريق
الاذنين ولكل حيوان ذي دم كبد وليس لبعضها طحال ولكثير من
البياض طحال والتي للجوارح منها صغير والطاير الذي يشبه راسه
راس العير لا طحال له ولبعض الحيوان مرارة وليس لبعضها مرارة مثل
الابل فان معاه مرجدا كانه معرعر للمرارة لذلك لا باكلها الكلاب ما
لم تضطر جوعا وكذلك الفرس والبغل وقال بعض الخنازير وبعض
الايايل فلها في اذانها مرارة على ما زعم بعضهم وهناك رطوبة الطّحال
قال ويجب لسان كل حيوان وفي عنقه الى اول خرزات راسه دوده
حمر ويجب ان ننظر ان هذا كيف وقع في الفيل والدلفين من حيوان
البحر فله رية مع انه يتنفس في الما واما سائر السّمك وذوات الاربع

والبياض فله مرارة قليله او كثيرة ولبعض السمك مجرى يمتد من الكبد الى
المعا كالسمك المسمى اماس والحمام مرارته في معاه وكذلك الدراج والخطاف
والعصافير وكل ذي اربع بلد فله كليتان واما البياض منه لا كلية له ولا
مثانة وكذلك الطير والسمك لا كلية لهما وللعظاية البحرية كليتان كما للبقر
كانهما مركبة من كلى كثيرة والطرف الحاد من قلب السمك هو الى الرأس لان
ذلك الموضع اضيق مما يلي البطن وهو مربوط الى ملتقى الاذنين بمنة و
بسرة وهناك مجار من الاذن الى القلب للتنفس في الماء ويكثر في الكبار
حتى ان تلك المجاري في بعضها يشبه قصبة الرئة وليس لعامة السمك
فم معدة بل معدتها مربوطة بالرأس حتى كانها ينقلب ويخرج من افواه
كثيرة من عظام اصناف السمك ولبعضها كالاسكلس وعقروس بعد
صغار واكباد السمك على اليمين وربما طال كبدين كما بطن بريه الطاير ا
رمان لشدة الافتراق واما الطحال فهو دائما في اليسار الا ما اخرجه التشريح
في نادر من الحيوان ينسب حاله الى العجب كل حيوان له قرن ولا سن له
في فكه الاعلى فانه يجتر وله كرش واحد عظيم خشن صلب وثلثة بطون اخرى
صغار من فوق الى تحت مضاعفة الجب والصفاقات واخرها مطول و
قبله مستعرض وطرفه متصل بالمعا من اعظم الثلثة والاخران متساويان
وداخله مشبك املس والسبب في كثرة بطونه تدريج هضمه فانه انما يغتذي
باليابس ومع ذلك فلا يمضغه جدا فيحتاج ان يمضغه مرة ثم يطحنه ثم
يعاود اخاده مضغه وهو الاجترار ولذلك معا هذا الصنف اعظم من
معا الابحر ومعا الفيل كثيرة التسلك والالتفاف حتى يظن ان بطنه
كبطن المجتر وهذا المعا له كالمعدة وليس بعده الا معا الدافع وكبده اربعة

اضعاف كبد الثور وطحاله صغير بالنسبة الى بدنه ولعله ان يكون ذلك
لان بدنه معتصر الى الخلط السوداوي يغتذي به فانه مجانس لجوهره و
اما ما له اربعة ارجل ويبيض فمعدته واحدة ولذلك الحيات في معدها
استطالة وارحامها مستطيلة صعبة مشقوقة مما يلي طوله يخرج
الى مثانه بعده وذلك من خواص الحيات ولسان نوع مشقوق
بنصفين ومعده الجميع كمعاء اوسع وفيه قريب من حلقه مستطيل كانه
كانه كلية يحمل اليك ان حزه الحاد ليس فيه الصدر ثم يكون
بعده المرئ ثم يكون الكبد وهي مستطيلة ايضا وطحالها صغير
مستطيل مثل طحال سام ابرص ومرارتها كمرارة السمك وهي
في كبارها على الكبد وفي صغارها على المعا ولها ثلثون ضلعا
وقد زعم بعضهم انه يعرض لها ما يعرض للخطاف ان عينه اذا عورت
مرة عادت الى الصحة واما اذنابها واذناب سوام ابرص فينبت
بعد القطع وما في بطن الحيوان كما في بطن السمك ولكثير من السمك و
الطير شعب من معاها والتي للطير فالى اسفل وقليله العدد و
التي للسمك فبالضد ومن السمك ما لا شعب لامعائه وكثير من الطير
حوصلة لهضم الشيء الصلب تستدق من طرفها الذي عند الفم
والذي الى الفم ويتسع من وسطها ومعدة الطير الى اللحمية ما هي
ويحيط بها غشاء صلب قوي ومن الطير ما له بدل الحوصلة فم
المعدة واسعا عظيما مثل السقراق والعربان والعقبان والدراج
فله حوصلة وفم معدة ايضا لكن عرض فم معدته هو الى ما يلي
معدته وكالرخم والاوز البري والمائي ومن الطير ما لا حوصلة له

ولا فم معدة له بل معدة مستطيلة كما يصغار الطير مثل الخطاطيف وبعض فيروما
ايضا عنقه ودبل هذا الطير ارطب من دبل غيره وعلى كليته كل حيوان ذي
كلية شحم واذا اكثر الشحم حتى حوى ما بين كليتي الحروف مات وكل حيوان
كثير الشحم قليل الزرع لبرده وكل حيوان على اعلى فكيه اسنان فان
شحمه يجمد بعد دونه ولا يجمد شحم ما سواه ونقول انه ليس لشيء من السمك
خصى ولا لشيء مما له اذان سفس من الماهيا ولا للحيات ولا لشيء مما
لا رجل له بل يجمعها وعان كالمجرين ناحدان من عند الحجاب ممتدين
الى اجتماع واتحاد يحصل منهما مجرى واحد يفضي الى فوق
سبيل النفل وذلك للحيات عند الشوكة ويكون جميع ذلك في
حين السفاد مملوا من المني حتى ينعصر بالعصر واما البياض ذوات الرجلين
فله عند الفقار وراء الحجاب نصان بيضان ايضا الى مجرى واحد
فوق مخرج النفل وذلك في بعضها بين وفي بعضها خفي ملبس غشاء
يجري فيه شعب عروق ورباطات ويأتي كل بيضة منهما مجرى
يلتصق بالفقار في جوار العرق العظيم الذي يركب الفقار وهذه
المجاري فيما ذكرنا يجب البيض ايضا في البياض انما يظهر جدا في اوان
السفاد وح يعظم وفي غير ذلك الوقت يخفى وخصوصا في اليمام والحجل
حتى يظن انها لا بيض لها وقد عرض لثور خصي من الوقت فاعلق
ويجب ان يذكر هذه الحكاية ويتامل ومنا الاخر ويركز الى ما توجبه
وقد يكون من الخصيتان الذين لم يجب عن اصلهم من يجامع وينزل
شيئا ارق من المني ورحم الطير ذو شعبتين على ما ذكرنا قبل وشعبتاه
يفضيان الى عنق انبوبي مجوف من لحم وعصب واعالي ارحام الطير

دقيقة جدا

دقيقة جدا وارحام السمك ارق من ذلك ووضعها من اسفل البطن
دقاق مستطيلة ذو قرنين يمتلي كل قرن منها في السمك بيضا واما ما يبيض
في باطنه ثم يلد حيوانا لا بيضا فمثل الافاعي والسلاحف وهو ما له اذنان
من حيوان البحر وليس له رجلان ويلد حيوانا فان اعالي ارحامها
كارحام الطير لكنها يجتمع الى وعاء واحد متسع اذا انحدر اليه البيض
استحال حيوانا والحية يخالف الطير في ان الطير يضع بيضها في دفعة
واحدة ورحم ما يلد حيوانا يكون ملصقا بالفقار واما رحم البياض
فاعلاه كذلك ويكون اسفله الذي هو مخرج البيض فوق المعا وارحام
ذوات القرون التي لا اسنان لها في الفك الاعلى محشوة بالعروق
وذوات الشعب الى ان يتعلق بها الجنين وكذلك رحم الفار والخنافس و
اما ساير الحيوان فارحامها ملس لا شعب لها وانما يتولد فيها العروق عند
المعلوق المقالة الثالثة من الفن الثامن من جملة الطبيعيات

فصل في تشريح الاعضاء الباطنة والخلاف بين الاطباء والفلاسفة فيها

ق ان امر التشريح يصعب في الميت لا سيما كثير من العروق
التي اذبلها خمود الحرارة الغريزية ولا شك انه في الحي اصعب واولى
ما يشتغل بتشريح ميت بالخنق لم يسفح دمه وقد ظن سالوس
القبرسي ان مبدء نبات العروق من ناحية العينين والحاجبين
ثم يحدر عرقان يمنة ويسرة ودساجانس ذكر ان اصل العروق
عرقان يبتدئان من البطن ثم يصعدان وينحدران من غير شرح
لخفته فكان المبدء ق وهما يرتفعان الى فوق الا شعبتين
دقيقتين يرسلان الى الكبد والطحال وعرقان اخران يبتدئان

ولا فم معدة لم بل معدة مستطيلة كما بصغار الطير مثل الخطاطيف فيروما لعصا طلال
ابيض عنقص و زبل هذا الطير ارطب من زبل غيره وعلى كلية كل حيوان ذي
كلية شحم واذا اكثر الشحم حتى حوى ما بين كلتي الحروف ملي وكل حيوان
كثير الشحم قليل الزرع لبرده وكل حيوان على اعلى فكيه اسنان فان فهو حجة
شحمه يجمد بعد دونه ولا يجمد شحم ما سواه ونقول انه ليس لشيء من السمك
خصى ولا لشيء مما له اذان ينفس من الماها ولا للحيات ولا لشيء مما
لا رجل له بل يجمعها وعاني كالمجرين ياخذان من عند الحجاب ممتدين
الى اجتماع واتحاد يحصل منهما مجرى واحد يفضي الى بعيد فوق
مسيل الثفل وذلك للحيات عند الشوكة ويكون جميع ذلك في
حين السفاد مملوا من المني حتى ينعصر بالعصر واما البياض ذوات الرجلين
فله عند الفقار وراء الحجاب يتسان يعصان ابيض الى مجرى واحد
فوق مخرج الثفل وذلك في بعضها بين وفي بعضها خفي ملتبس غشا
يجري فيه شعب عروق ورباطات ويأتي كل بيضة منها مجرى
يلتصق بالفقار في جوار العرق العظيم الذي يركب الفقار وهذه
المجاري فيما ذكرنا يجب البيضة ابيض في البياض انما يظهر جدا في اوان
السفاد وحين تعظم وفي غير ذلك الوقت يختفي وخصوصا في اليمام والحجل
حتى يظن انها لا بيض لها وقد عرض لبور خصي مرة في الوقت فاعلق
ويجب ان يذكر هذه الحكاية ويتأمل ومنا اخر ويركن الى ما يوجبه
وقد يكون من الخصيتان الذين لم يجب عن اسلهم من يجامع وينزل
شيا ارق من المني ورحم الطير ذو شعبتين على ما ذكرنا قبل وشعبتاه
يعصان الى عنق استوى مجوف من لحم وعصب وا عالى ارحام الطير

دقيقة جدا

دقيقة جدا وارحام السمك ارق من ذلك ووضعها من اسفل البطن
دقاق مستطيلة ذو قرنين يمتلي كل قرن منها في السمك بيضا واما ما يبيض
في باطنه ثم يلد حيوانا لا بيضا فمثل الافاعي والسلاحفي وهو ما له اذنان
من حيوان البحر ولبا [illegible] الا ان لها في ارحامها
كارحام الطير لكنها [illegible] راليه لبيض
استحال حيوانا وا[illegible] بعضها لا في شعبة
واحدة ورحم ما يلد [illegible] رحم البياض
فاعلاه كان ويكو[illegible] فوق المعا وارحام
ذوات القرون [illegible] محشوة بالعروق
وذوات الشعب [illegible] الفار والخنافس و
اما ساير الحيوا[illegible] ولد فيها العروق عند
المعلوف المقا[illegible] الطبيعيات: فصل
في تشريح [illegible] الاطباء والفلاسفة
فيها في ان ام[illegible] باكثر من العروق
التي اذ بلها خمود الحرارة الغريزية ولا شك انه في الحي اصعب واولى
ما يشتغل بتشريح ميت بالخنق لم يسفح دمه وقد ظن سالوس
القبري ان مبدء نبات العروق من ناحية العينين والحاجبين
ثم يحدر عرقان يمنة ويسرة ودساجاس ذكر ان اصل العروق
عرقان يبدان من البطن ثم يصعدان وينحدران من غير شرح
لحقيقته فكان المبدء ق وهما يرتفعان الى فوق الاشعبتين
ويعرض يرسلان الى الكبد والطحال وعرقان اخران يبدان

(فيرو ما / بعضا) ولا معدة له بل معدة مستطيلة كما بصغار الطير مثل الخطاطيف
ابيض عنقه ودبل هذا الطير ارطب من دبل غيره وعلى كلية كل حيوان (ذي)
كلية سحم … لحروف مثله وكل حيوان
كثر الشحم … على فكيه اسنان فان (فهو صح)
شحمه … ق انه ليس لشيء من السمك
حصى … لا اللحات ولا لشيء مما
لا رجل … ن من عند الحجاب ممتد (ن)
الى احثا … بعضى الى بعض فوق
سل الت … يكون جميع ذلك في
حين السف … و واما البياض ذو ارجلين
فله عند ال … ان ابيض الى مجرى واحد
فوق مخر … بعضها خفى مثل غشا
يجري فيه … منها يجرى
يلتصق بالفقار في جوار العرق العظيم الذي يركب الفقار وهذه
المجاري فيما ذكرنا يجب البيضة ابيض في البياض انما يظهر جدًا في اوان
السفاد وحتى تعظم وفي غير ذلك الوقت سحقى وخصوصًا في الثمام والحجل
حتى يظن انها لا بيض لها وقد عرض لبو رخصي مراى الوقت فاعلق
ويجب ان يذكر هذه الحكاية وساقل وقال اخر ويذكر الى ما توجبه
وقد يكون من الخصيتان الذين لم يجب عراسلهم من يجامع وينزل
شيًا ادق من المني ورحم الطير ذو شعبتين على ما ذكرنا قبل وشعبتاه
بقصان الى عنوا سوى مجوف من لحم وعصب واعالي ارحام الطير

رقيقة جدا

رقيقة جدًا وارحام السمك ارق من ذلك ووضعها من اسفل البطن
دقاق مستطيلة ذو حزين يمتلى كل حز منها في السمك بيضًا واما ما يبيض
في باطنه ثم يلد حيوانًا لا بيضًا فمثل الافاعي والسلاسي وهو ما له (اذناب)
من حيوان البحر وليس له رجلان ويلد حيوانًا فان اعالي ارحامها
كارحام الطير لكنها يجتمع الى وعا واحد متسع اذا انحدر اليه البيض
استحال حيوانًا والحيه تخالف الطير في ان الطير يضع بيضها لا في سعة
واحدة ورحم ما يلد حيوانًا يكون ملصقًا بالفقار واما رحم البياض
فاعلاه كذلك ويكون اسفله الذي هو مخرج البيض فوق المعا وارحام
ذوات القرون التي لا اسنان لها في الفك الاعلى محشوة بالعروق
وذوات الشعب الى ان يتعلق بها الجنين وكذلك رحم الفار والخنافس
اما ساير الحيوان فارحامها ملس لا شعب لها وانما يتولد فيها العروق عند
العلوق المقالة الثالثة من الفن الثامن من جملة الطبيعيات فصل

في تشريح الاعضا الباطنة والخلاف بين الاطباء والفلاسفة

فيها فان امر التشريح يصعب في الميت لا سيما كثير من العروق
التي اذبلها خمود الحرارة الغريزية ولا شك انه في الحي اصعب واولى
ما نشتغل بتشريح ميت بالخنق لم يسفح دمه وقد ظن سالوس
القبرسي ان مبدء نبات العروق من ناحية العينين والحاجبين
ثم ينحدر عرقان يمنة ويسرة ودسجانس ذكر ان اصل العروق
عرقان يبتدئان من البطن ثم يصعدان وينحدران من غير شرح
يحققه فكان المبدء ق وهما يرتفعان الى فوق الا شعبتين
دقيقتين يرسلان الى الكبد والطحال وعرقان اخران يبتدئان

لانه مسير النبر صار ان ينبت منه الدماغ فهو كلما بعد عن المبدأ
صار ارطب استعدادًا لان يتكون عنه جسم رطب وفاعل هذا
التغليظ والتدقيق والتصليب والتليين القوة المصورة لا
المادة وكذلك نجد الحال في الشجر فانها كلما بعدت عن المبدء صارت
ارطب عند ما تفرع وليس كونه عند الدماغ الين ادل على تولده منه
من كونه عند القلب اصلب في ان يدل على تولده منه اذ القلب صلب
والدماغ لين والذي يظن ان الشيء عند مبدءه يكون ارطب و
كلما امعن يجف فذلك اذا كان مبدؤه رطبًا واما اذا كان مبدؤه
يابسًا فالامر بالضد على ان هذه الاشيا تتبع المواقع وفعل القوة
المصورة لا المجاورات وليس اذا كان العصب اصلب من القلب ان
لا يكون منبته فانه قد ينبت من الارض اللينة الرطبة شيء صلب
مثل المرجان في قعر البحر فانه لا يمتنع ان يكون الشيء الذي يندفع
من المبدء الى ما ينبت عنه هو اصلب ما فيه او الين ما فيه فيكون
النابت مخالفا للمنبوت عنه ولا ايض امر الفروع يدل على الجهة
فالشيء ربما فرع في خلاف جهة المبدء فروعًا قد يكون الى المبدء و
قد يكون عن المبدء بحسب ما يوافق الغرض ويفعله القوة المصورة
وهكذا اكثر في الاشجار وكثير من الشجر يكون فروعه متكثرة الى
الجهة المبدء حتى كان المبدء ليس من عروقه بل من فروعه وليس هذا
واشباهه بمستنكر اذا جعل التصوير لا لقوة طبيعية صرفة
بل الى قوة نفسانية مفسرة الافعال والعصب الراجع الذي
نذكره بعد يدل على مثل ذلك وان كان ليفه ايضا ياخذ الى فوق

عنه او حو

عند مرجعه فلا نسعى ان نستعمل بالليف والجهة فانه يجوز ان يكون
العصب يجي من القلب الى الدماغ ثم ينحط عليه من الدماغ
عصبي يلزمه الى مسامه ثم يرجع منه شعبة اخرى على تلك الصفة
فوهم ان الاصل كله من الدماغ اذا احدى الشعبتين من الدماغ و
كذلك حدث التشعب الى باطن ليس مما يحتج به فانه ليس يجوز ان يقع
ان هذا العرق قد بلغ من صلابته ان ينفذ في القلب نفوذ غاصر
يدفع اولا حتى يحدث كسرًا ثم ينفذ ويبقى معه ذلك فان هذا لا يكون
في قوة العروق ان تفعله وخصوصًا ومثل هذا انما يتصور ويتمثل
في الذهن في نافذ ينفذ في القلب بعد ما قد يكون القلب وثيرا له
لحم وليس غشاء صلب قوامًا والقلب قد كان يغتذي الى ذلك الوقت
فيكون القلب يغتذي الى حين لا مر الكبد فسوف لا يحتاج اليه
من بعد ايض وان جاء منها عرق فليس يبلغ من صلابته ان ينفذ
فيها هذا النفوذ وتثقبه هذا النوع من الثقب وما يدريك ان هذا
العرق نشا منه وهو بعد لين حدا لكن ما نبطه منه اصلب جوهرًا
ليكون احسن تعلقًا بالجرم العصبي وليكون شعر المنفذ محتاطًا
فيه بتصليبه فلما اخذ تنمى وتغتذي اطاع الالين منه للانبساط ولم
يطع الاصلب فبقي هناك كلسر ولم يكن كذلك حال الكبد وكذلك
حال اتصال العصبة بالقلب فانها هناك كالملصقة فانه
يجوز ان يكون منبتها عند القلب كذلك لانها ينبت من مادة
في القلب ليست مشاكلة للجسم فيخالف منبته عنه مع انها
ينبت منه مثل الثاليل في الجلد فانها ينبت منه وقد يوجد

من حرز الظهر وىسابن احدهما الى الكبد وساىر الىاى الى الطحال والكلى
واحد منهما يصعد الى اليد متشعبا الى كتفين وابطين وىسب منها
للرجلين من العفار الذى بينهما ثم طول فى قسمة ذلك واما بلوىوس فانه
يجعل مبدء العروق من ازواج اربعة زوج يخرج من خلف الراس
الى العنق من خلف الى اسفل وزوج اخر من الراس عند الاذنين
ثم الى الفقار والظهر وجعل مبدا العروق جملة من الراس والدماغ و
اما المعلم الاول انه يرى ان مبدء العروق من القلب ومن قبله ومن بعده
من الاطبا المعتد بهم يرون ان مبدء العروق الساكنة الكبد وكذلك
خالفهم فى امر العصب فانه يرى ان مبداها القلب وهم يرون ان
مبداها الدماغ وقد اشتد بهم التعصب فى هذا الباب والذى
يحرص بعض المعلم الاول على ذلك جعلهم القلب مبدء جميع القوى
النفسانية واما نحن ان كنا نعتقد ان منبعث القوى النفسانية كلها
القلب فلسنا نسد بدى الحد فى ان يجعل مبدء هذه الالات
من القلب لا محالة وان كنا الى ذلك اميل ولا ايضا نحن ملتفتون
الى ما يحسب فاضل الاطبا من انه بالغ فى البرهان على ان مبادى
العروق والعصب ليست من القلب بقوله ان الوريد الواصل
بين القلب وبين الكبد اصله الغليظ عند الكبد الى فروعه حده
يحى الى القلب فانه ينفذ فى القلب كشئ غريب من جوهره
ولشقه من خارج شقا يدل على كسره من الى داخل وان الكبد لما كان
ينفذ اليه الدم فمنه لا محالة ما ينقب اليه المجارى وكذلك قوله فى العصب
انه عند الدماغ اغلظ ومجرا الدماغ اشد اختلاطا وبه اشبه

وعنده

وعنده اللين وعند القلب وعند اعرف واتصاله به كالالتصاق
هو عنده سعب فان هذه الاشيا كلها وما يجرى مجريها سمعناه و
وجدناها امارات وليست بدلايل فضلا عن ان يكون لها الى
اقناع النفس البرهانى سبيل واقى اولا ليس ببعيد ان يكون الدماغ
والكبد يرسلان من عندهما الى القلب الذى تستفيد ان يستفيدهما
من القلب شيا فعل الكبد عند الاطبا بالمعدة والامعا فانها
يرسل اليهما الماساريقا وهى نابتة عند الباب فلا كثير بان يكون
الشراىين ينبعث من القلب الى الكبد والدماغ فيصيرهما مزاجا ما
قابلا للحياة ثم ينبعث منهما اليه اعضا لا ستفادة قوى انما يتم
حصولها به ولا ايضا بمنكر ان يكون الشريان وما يجرى مجراه
فى الخلاف كل باقى العضو الاخر معا وليس الغلظ يدل على ان
جهة الغلط هو المبدء فان العصبة التى بها البصر وما يركبها من
الحجب اذا بعدت عن المبدء ازدادت غلظا عند اتصالها بالجليدية
ليس الغلط والدقة ما يعين للسيلان بل التصور المصورة فانه
المصورة اذا استوجب ان يغلظ جز المنفعة وعرض جذب النبت
من الغذا الاول ما يغلظ به وتركت اصله بحاله وهكذا حال العروق
التى للارحام احده نحو الحسين فانها تغلظ كلما امعنت وكذلك حال
كثير من ليف العصب الذى فى الاحشا فانه اذا بعد عن مبدئه
صار اغلط ولا مانع عن هذا بوجه من الوجوه وكذلك الاشجار فانها
قد تعود عند منبت الاغصان اغلط ولا ايضا لين العصب عند
الدماغ يدل على انه مبدى منه بل يجوز ان يقول قائل ان ذلك

لانه مسير السرصار ان ينبت منه الدماغ فهو كلما بعد عن المبدء
صار ارطب استعدادًا لان يتكون عنه جسم رطب وفاعل هذا
التغليظ والتدقيق والتصليب والتليين القوة المصورة لا
المادة وكذلك نجد الحال في الشجر فانها كلما بعدت عن المبدء صارت
ارطب عند ما يفرع وليس كونه عند الدماغ الين ادل على تولده منه
من كونه عند القلب اصلب في ان يدل على تولده منه اذ القلب صلب
والدماغ لين والذي يظن ان الشيء عند مبدءه يكون ارطب و
كلما امعن يخف فذلك اذا كان مبدؤه رطبا واما اذا كان مبدؤه
يابسا فالامر بالضد على ان هذه الاشيا تتبع المواقع وفعل القوة
المصورة لا المجاورات وليس اذا كان العصب اصلب من القلب ان
لا يكون منه فانه قد ينبت من الارض اللينة الرطبة شيء صلب
مثل المرجان في قعر البحر فانه لا يمتنع ان يكون الشيء الذي يندفع
من المبدء الى ما ينبت عنه هو اصلب ما فيه او الين ما فيه فيكون
النابت مخالفا للمنبوت عنه ولا ايضا امر الفروع يدل على الجهة
فالشيء ربما فرع في خلاف جهة المبدء فروعا قد يكون الى المبدء و
قد يكون عن المبدء بحسب ما يوافق الغرض ويفعله القوة المصورة
وهكذا كثير في الاشجار وكثير من الشجر يكون فروعه متكثرة الى
الجهة المبدء حتى كان المبدء ليس من عروقه بل من فروعه وبينهما
واشباههم بمستنكر اذا جعل التصوير لا لقوة طبيعية صرفة
بل الى قوة نفسانية مفسرة الافعال والعصب الراجع الذي
نذكره بعد يدل على مثل ذلك وان كان ليفه ايضا ياخذ الى فوق

عند مرجعه

عند مرجعه فلا يدعي ان يستعمل باللّيف والجهة فانه يجوز ان يكون
العصب يجي من القلب الى الدماغ ثم ينحط عليه من الدماغ على
عصبي يلزمه الى مسافة ثم يرجع منه شعبة اخرى على تلك الصفة
موهم ان الاصل كله من الدماغ اذا حدى الشعب من الدماغ و
كذلك حدث التشعب الى باطن ليس مما يحتج به فانه ليس يجوز ان يوق
ان هذا العرق قد بلغ من صلابته ان ينفذ في القلب نفوذ غاصر
يدفع اولا حتى يحدث كسرا ثم ينفذ ويبقى معه ذلك فان هذا لا يكون
في قوة العروق ان يفعله وخصوصا ومثل هذا انما يتصور ويمثل
في الذهن في نافذ ينفذ في القلب بعد ما قد يكون القلب وثم له
لحم وليس غشاء صلب قواما والقلب قد كان يغتذي الى ذلك الوقت
فيكون القلب يغتذي الى حين لامر الكبد فسوف لا يحتاج اليه
من بعد ايضا وان جاء منها عرق فليس يبلغ من صلابته ان ينفذ
فيها هذا النفوذ ويثقبه هذا النوع من الثقب وما يدريك ان هذا
العرق نشا منه وهو بعد لين جدا لكن مناطه منه اصلب جوهرا
ليكون احسن تعلقا بالجرم العصبي وليكون شعر المنفذ محتاطا
فيه بتصليبه فلما اخذ ينمي ويغتذي اطاع الالين منه للانبساط لم
يطع الاصلب فبقي هناك كلكسر ولم يكن كذلك حال الكبد وكذلك
حال اتصال العصبة بالقلب فانها هناك كالملصقة فانه
يجوز ان يكون منبتها عند القلب كذلك لانها ينبت من مادة
في القلب ليست مشاكلة للجسم فيختلف منبته عنه مع انها
ينبت منه مثل الثاليل في الجلد فانها ينبت منه وقد يوجد

ذات شعب سريه بالحقيقة ملاصقة وكالغدد ايضاً يتولد في
اللحم وانما يكون منبتها اللحم ويكون السبب في جميع ذلك ان
النابت لم ينبت من نفس جوهر الشيء بل من بعض المواد المعدة
فيه فلا يتصل بجوهره بل ينبت عنه وينبث منه انبثاثاً كالرشح
ثم يتجوهر منه النابت فاذا بلغ موضعاً من المواضع لان ويشبه
صار شيئاً اخر هو من جوهره الا انه الين منه او اصلب فيكون
مجاوره اياه على نحو الاتصال لا انه من جوهره لا لان ذلك الشيء
مبدؤه بل لان هذا النابت منه مبدء لذلك الشيء مشاكلاً لطبيعته
حسن الامتزاج به ويجوز ان يكون حال النابت والمنبوت منه حال
الكبد والعروق في مخالفة الجوهر واذ جميع هذا ممكن فليس شيء مما يقوله
فاضل الاطبا بضروري وان كان براهين وبصع الدماغ عندكاهن الهيكل
يجعلها لمن ثبت عنده ان العصب من القلب وقد يمكن ان ياتيه
من يثبت ذلك عنده من طريق جدلي يخرج عنه مبين فكان يسلم
ان مبدء الالم حيث مبدا القوة فاذا سلمت منه هذه المقدمة
امكن ان يبرهن عليه ان النفس في الانسان ذات واحدة منها يفيض
سائر القوى وان اول تعلق تلك الذات الواحدة حيث اول عضو
للحياة فحينئذ كان يقرب المسافر الى ان يلزمه ان يكون العروق والعصب نبتت
من القلب وكان يعرم دنانيره لا محالة لكن هذا ايضاً الذي سلمه غير
واجب في ذات الامور والعاقل لا يستحسن ان يثبت في هذا الباب
حكماً حزماً بوجه من الوجوه فانه يمكن ان ياول في ذلك وجوه مختلفة
الى ان يصار الى الحق الذي يوجبه فانه لا يبعد في بادي النظر الى

وقت ما

وقت ما يشتغل بما يوجبه التشريح ان يكون القوة المصورة الاولى
التي في المني اول ما يمر بعد مواد في جهات لقبول صور الاعضاء الاولى
ومواد لقبول صور العلائق بينها ثم يكون المادة القلبية مما يقبل
الصورة عن المصورة قبولاً اولياً من غير حاجة الى قوة غير المولدة
اذ تشهد اصحب التشريح المحصلون ان القلب اول متكون واما
سائر الاعضا فان المصورة من المولدة يحتاج في تكميل تصويرها الى
توسط القوة التي في القلب فينفذ منها الى تلك الاعضاء فيبسها صوره
ويتصور بعدها اومعها العلائق بينهما ايضاً دفعة الا انها من
شيء الى شيء بل يكون المصورة الاولى كما ميزت مادة للدماغ و
مادة للقلب فقد ميزت مادة للعصب بين الدماغ والقلب و
مد يد ما بين مادتي القلب والدماغ ليس على انها ميزت اولاً مادة
للدماغ ثم احرك منه مادة حد تها الى جهة منشا القلب فانها
لا يحتاج الى ذلك اذ يمكنها والله اعلم ان يقسط المادة تقسيطاً يجعل
بعضه للدماغ وبعضه للقلب خارج الدماغ وبعضه للنخاع لا
ان يجعل اولاً مادة الدماغ ثم يعود فيختطف منه طائفة يجعلها
مادة معدة للنخاع فاذا تصور القلب نفذ الى كل شيء قوة فتصور
الدماغ وتصور معه او بعده النخاع والعصب لا على سبيل نبات منه
وفصول عنه ولا على سبيل نبات من القلب وفضول عن القلب اذ ليس
القلب كل مادة المتولد في اول الامر حتى يكون كل شيء انما يتحلل منه
ويخرج عنه بل هو جزء من مادة المولدة وينفصل خارجاً عنه ما يتفق
في تكوينه فهذا احد الممكنات ويجوز ايضاً ان يكون المادة التي للدماغ

والعصب سمه حملة ثم يرسل مادة الدماغ وصلا ليتشعب عنه
الى جهات ويجوز ايضا ان يكون القلب اذا يكون تميز فيه فصول
ات حدودا من الحدود فاحالت ما هناك الى مشاكلة ذلك
الفضل حتى يكون الفضل البارد الطبع المنفصل عن القلب
ما حد الى جهة ما كلما بعد عن القلب انسلخ عن الحر الغريب الذي
افاده القلب فاذا بلغ الى حد يعتدل عنده مزاجه بحسب الاعتدال
الذى للدماغ ويعقد هناك القوة المصورة واستمدت تلك
من القلب وجمعت من ذلك مادة يصلح بالكم والكيف لصورة
الدماغ فيخلق الدماغ نابتا عن القلب كذلك واما الكبد فجوهره
مخالف لجوهر العروق ولا يبعد ان يبق ان مادته التي ينفذ
منها في دم الشريان نحو مشاهدا النفوذ ان كان الحق هذا الرأى
ثم يكون الكبد في الغذا متوسطا بين القلب وبين جميع البدن
والدماغ في الحس والحركة متوسطا بين القلب وبين سائر البدن
مست منهما الات الافعال اما من الكبد فالات التغذية
اما من الدماغ فالات الحس والحركة ويجوز ان يكون على نحو آخر مما
سنذكره بعد وبذلك يترجح مذهب المعلم الاول واما الكلام
في تشريح العروق والعصب فنوخره الى ذكر الاسباب قال
المعلم الاول الاسد لا مخ له الا في الفخذين والعضدين وعظامه
اصلب العظام والخنزير ايضا يقل مخه والدلفين له عظام ولا شوك
له وما كان من حيوان البحر بلا حيوانا فهو غليظ الشوك مثل سلاحي
ما يبيض فشوكه شبيه بالاضلاع وللسمك خاصة شوك ينبت

في لحمه

لحمه وللحيات ايضا وفي عضاريف فقار الحيوان البحري المسمى
سلاحي مخ

فصل فيه كلام في القرون والعظام والشعر والريش وما يشبهها

قال والقرن عظمي ويتبع في الاكثر لون البدن
واظفار السودان دون اسنانهم سود وتعلق القرون بالجلد اشد
من تعلقه بالعظم ويذكر ان في بلد افروجية بقرا يحرك قرونها
كتحريك الاذان قال والجلد لا حس له الا ان يكون لحميا وخاصة
جلد الراس لا حس له البتة والحق ان الجلد اذا خالطه اللحم والعصب كان
حساسا ويشبه ان لا يكون سطحه الظاهر حساسا لانه عرى عن العصب
وبالجملة الموضع من الجلد الذي اذا قطع عاد من غير ندب فذلك
خال عن العصب لا حس له وقال ان الجلد الغير الملتصق باللحم دونه
لا يلتحم بعد قطعه التحام الاتحاد مثل الغلف والجفن والجلد الرقيق
على الوجه وكذلك الاغشية كالمثانة قال ليس قحف جميع الحيوان
على هيئة واحدة فان قحف الكلب من عظم واحد واما الناس
فلقحفهم شؤون وتلك الشؤون للنساء الى الاستدارة وقد
وجد راس رجل لا شان له البتة واما تشريح القحف واعضاء
الوجه والاسنان فسنذكره بعد وكذلك تشريح الرقبة والترقوتين
وفقار الظهر والصدر واما الشعر فيكون من البخار الدخاني المحتبس في
المسام اذا ثخن البخار واعتدل المسام بين المتخلخل الذي لا يحبس
والمكاثف الذي لا ينفذ وقد يخلق للجمال والزينة مثل اللحية و
للمنفعة مثل هدب التي على الاشفار ومثل الحاجبين وقد يخلق لضرورة
دفع الفضل مثل الشعر على العانة ولا شعر على المثانة الذي لا يلد

والذي يبيض فهو يفلس الجلد ويتغير الشعر والوبر على الحيوان تتغير
المراعي فانه اذا احصب وفر شعره ووبره وشعر الحار المزاج الى الجعودة
فان افرط تفلفل كالزنوج وشوك القنافذ من جنس الشعر الا انه
مفرط الغلظ والصلابة والسبب ليس ليبس الشعر اى الشيب طبيعي بل
ذلك لون البلغم وهو لون التكرج اذا اخمد الحار الغريزي فلم يكن
البخار الدخاني حارا جدا بل كان رطبا بلغميا وقد يبيض الشعر لمرض
نعرض ثم يسقط وينبت مكانه اسود ويشبه ان يكون ذلك لبياض
لموت الحرارة الغريزية التي يخالط الشعر ولفقدانه الدهنية و
استبداله المائية وربما كان هذا التحلل الرطوبة وبقاء اليبوسة
متخلخلة سضرة كما يعرض لنبات الحصى ولاغصانها فاذا كان اصل المزاج
محفوظا بالسن والقوة مقتدرة على اعادة الصلاح عاد سبب السواد
فاسود واول ما يبيض شعر الصدغين ومقدم الراس لمجاورته
رطوبة الفضل ورقته هناك ويتاخر بياض شعر العانة وشعر الى
لحرارة مزاج الموضع كما في العانة او يبس الموضع كما في الحاجب و
من خواص شعر الانسان منه ما يولد معه ومنه ما ينبت بعد
حين مثل شعر العانة ثم شعر الابط واول الصلع في مقدم الراس
اق لان ذلك الموضع من الدماغ سرا من العظم او لان ذلك
الحر من الدماغ الطف والالطف اقبل للانفعال والتحلل و
النسا لا يصلعن لكثرة رطوبتهن ولا الخصيان لان مزاجهم
في البرد يميل الى مزاج النسا فلا يتحلل منهم الرطوبة ويشبه
ان يكون مادة اللحية يميل الى رؤسهم واما النسا فربما ينبت

لبعضهن لحية عند الكبر لتكاثف الجلد وربما كثر شعر الحاجبين
عند الكبر لان درز الحاجب يفترق عند الكبر لليبس فيجد البخار
الدخاني سبيلا الى فضل اندفاع نحو الحاجب والحيوانات التي
يختلف الوان شعورها فانها ايض يختلف الوان جلدها فيكون كل
لون شعر قريبا من لون منبته والجماع يصلع بالتجفيف ومن
الناس من يكون اصلع فاذا جامع نبت شعره وهذا غريب و
يشبه عندي ان يكون سبب صلعته سكونا من حرارته الغريزية
مع معاصاه من الرطوبة يمنعها اياها فاذا اعانتها الحركة الجماعية
اقتدرت على تحليل المادة بخارا دخانيا فولد الشعر وشعر
السن وان قل في عدده فانه يزيد في حجمه وغلظه بسبب كثافة
المادة وكذلك قشور السن من السمك والشيب من خواص الناس
لكن الغرانيق ايض يتغير شعرها عند الكبر عن رمادية الى سواد
ويشبه ان يكون السواد فيها سببه افراط غلظ المادة التي
يتكون عنها وهذا لا يكون في الناس فان لحومهم وجلودهم
لينة رخصة وقد يتغير لون الشعر من العريان والخطاطيف مع شدة
البرد الى بياض ما لموت الحرارة الغريزية منها ومنها ما يفرط
فيها ذلك التغير مع تغير الفضول حتى ينكرها الانسان ولا
يثبتها اق والحيوان الشبه بالفار الذي يصاد بالطير او كان
يبيض كل سنة بياضا شديدا ثم يعود الى رمادية وزرق والمياه ايض
ربما غيرت الوبر والشعر وربما شرب الغنم ماء مثل ماء النهر المسمى الارد
فاذا سفدت احبلت بسود وفي بلد انطيد ريا نهر يفعل ذلك

ونهر اخر يفعل البياض واما نهر اسفندروس فولد السقرع في مثل ذلك ومن الحيوانات ما هو ارعر وما هو ازب وعلى ما ظن شدق الارنب وجلد احمص شعر والحيوان المسمى سطندس له في فمه مكان الاسنان شبه شعر الخنزير والحيوانات الذعرفان مواخير اطرافها اكثر شعرا من مقاديمها ونبات الشعر المجرور والمقطوع فليس من المقطوع بل من الاصل فلهذا ليس هو كالنبات بل كالفضل واما الريش فاذا قطع لم ينبت من تحت ولا من المقطوع بل ينبت تحته اخر ويسقط واذا سقط جناح النحل لم ينبت كما ان ابرتها اذا انقلعت ما نبت اخرى **فصل في الدم واللبن وفيه شيء من امر المني** واما تحصيل الكلام في الاخلاط فنؤخره الى ذكر الاسباب ولكنا نذكر ما قال المعلم الاول ق ان دم كل حيوان يجمد ما خلا دم الايل و الارنب وكل دم خرج منه الليف لم يجمد وذلك الليف شيء بين جوهر العصب والعروق ودم الثور يجمد بسرعة والدم في الابدان المعتدلة معتدل المقدار لا كثير كدم الممتلي شربا ولا قليل كاصحاب الشحم ودم الانسان معتدل القوام رقيق اللون واما دماء غيره من الحيوانات الكبيرة غليظة سود والدم في الاعضاء السافلة اغلظ و اشد سوادا واول عضو يتولد فيه الدم على حكم التشريح هو القلب و هذا مما يوهمنا كون القلب مبدءا لدم جميع البدن بتوسط الكبد فيكون الكبد متوسطا ثانيا ق وربما عرق بعض الناس لشدة امتلائه او لرقة دمه و عليا ان عرقا دمويا والدم يغور في النوم حتى ان ان عرز بدن النائم مابره لم يخرج من دمه ما يخرج عند اليقظة والنسا اكثر دما من سائر

الحيوان على حسب مشاكلة الابدان ولذلك يحضن ودمهن اميل الى الباطن ودم الرجال الى الظاهر وقلما يصيبهن امراض الدم والرعاف ودم المشايخ اسود غليظ قليل وبعض الرطوبات يكون في اعضا الحيوان مبدء اول الخلقة وبعضها يتولد اخيرا مثل اللبن والمني ويجمع اللبن للثديان ويستحيل اليه الدم الفضلي غير محتاج الى ان ينضج غاية النضج وان يبلغ الهضم الاخير واما المني فيتولد من انضج الدم ولا يصلح له الا الدم الذي يبلغ الغاية من النضج ق وغاية النضج هو الهضم الرابع فان الغذا له في المعدة هضم ما وفي الكبد هضم اخر يولد دما مشتركا ثم في العروق هضم ثالث ثم كل عضو فانه يحتاج ان يهضم الدم حتى يصير مشاكلا اياه وهناك النضج التام ومن مثله يتولد المني و لذلك ما يحدث كثرة استفراغ المني اذا اكثر الجماع واهب من ذبول الجلد وتقشفه وتغير لونه ما لا يحدثه استفراغ دم يكون خمسين ضعفا له لان الجماع انما يستفرغ من الدم ما بلغ غاية النضج وكاد يشتبه بالاعضا فكان الاعضا فكان الاعضا يسلب غريزتها ومادتها عند الجماع المتكلف اعني الذي ليس من اقتضاء مني حاصل فاضل عن جوهر الاعضا ولذلك قال الاطبا الاقدمون المني هو من الرطوبة القريبة العهد بالجمود وهذه الرطوبة ايضا فصل فمنه ما هو فضل في كيفيته وينذفع على نحو فيكون منه الشعر وما اشبهه ومنه ما هو فضل في كميته وذلك هو الذي يصلح ان يتولد منه المني واما اللبن فهو فضل عن الدم الذي في العروق وله مائية و جبنية ودسومة وكل لبن اغلظ فهو اكثر جبنا ولبن الحيوان الذي له قرن ولا سن في فكه الاعلى يجمد كشحمه دون لبن غيره من الحيوان والبرد لا يجمد اللبن

بل يميز اجزاه والجبن يجمده اكثر والطف الالبان وارقها لبن اللقاح ثم
الرماك ثم الاتن واغلظها لبن البقر والجواميس ولا خير في لبن اول الحبل و
اخره وربما ملا الاحصاب اثدا الاناث لبنا وان كن حولا وربما اجتمع
في اثدا العجايز لبن يرضعن به الصبي وذلك عند احتباس الحيض و
قد يوجد العريض من اولاد الماعز قبل حملها فدللت ثديها وتحلب
لبنا ثم قبحا ثم يدر لبن عذب ليس بدون لبن الحوامل ويكون عليه و
قد كان في بلدة يسمى طيوان تيس يحلب من ثديه وسرا التي عند ذكره
مقدار ما يكون حبنه ثم ابرى على غيره فاحبل بذكر يحلب ايضا كث
وربما احلب بعض الرجال لبنا لو تعوهد لكان يدر منه شيء
يعتد به ولبن الابل والخيل عديم الجبن او قليلها جدا والجبن في
لبن البقر اكثر منه في غيره والانفحة ولبن البين يجمد اللبن ولا انفحة
الا لما يجتر ما خلا الارنب ويقول قد يوجد للدب ابيض وعسى ان
يكون بغيره وفي بلد فاسيس بقر صغار كثيرة الدر يبلغ من صغره لا يحلب
الا ما ينطا طو من الحالب واما بلد ادروس فبقرها عظيمة جدا كثيرة
الدر وكلت كلابها وذوات الاربع منها ما خلا الحمار من المراعي ما
يولد لبنا كثيرا ومنها ما يقلل اللبن ولبعض الحيوان في ذلك بعض
المراعي دون بعض والشاة يحلب ثمانية اشهر وليس ذلك لغيره
الا ببلدة فروى فيها بقر يحلب جميع السنة واصح لبن النسا لبن
السمر واما المني فستوفى الكلام فيه وبعد وكل حيوان ذي دم فله
مني ومني ذي الشعر لزج ومني غيره غير لزج والمني يرق من خارج اذا
بقي ليتحلل الروح الهوائي عنه الذي انما يبيضه ويحره بتخضخضه فيه

وبالجملة

وبالجملة فان انعقاده وخثورته بالحرارة ولما كان المني انما خثره الحرارة
وجب ان يرق بالبرودة والمني المولد يرسب في الما والذي لا يولد
يتحلل فيه وكذب ارادوطوس حين زعم ان مني الاسود اسود

المقالة الرابعة عشر فصل في تشريح حيوان من حيوان الما وفي
خال اعضا بعض المحززات فاما الحيوان الذي لا دم له فمنه جنس
يسمى ما لاسا وخاصيته ان باطنه صلب وظاهره لحمي لين ومنه جنس
باطنه شبيه باللحم وخارجه صلب يشبه اللحم واما خارجه فخزفي
وصلب ينكسر مثل الصدف ومنه جنس المحززات اما في البطن واما
في الظهر واما في كليهما وكلها لا لحم لها ولا عظم ولكن لها اعضا يشبه
كل واحد منها وبنا سبه فمنه ما يحززه يتكرر في طول اعضائه كالذي
يعرف باربعة واربعين ومن المحزز ما يطير حينا ويمشي حينا ومنه
يطير في وقت ما كالنمل اما جنس ما لاقيا فله من الاعضا راس بين
رجله وبطنه وله ثمانية ارجل كل رجلين مفصول ومنه ما هو كثير الارجل
كالسفايح ومنه اجناس يشبه السفايح لها خرطومان صلب الاطراف
وبها ينال الغذا ويوصله الى الفم كانها مخالب ويلصق بالصخر عند هيجان
البحر والامواج وغير ذلك مما يفزع مستعينا بخرطومه ويستعمل الرجلين
المقدمتين في ان ياخذ بهما الطعم الى ما بين العينين ورجلاه المؤخر
بان يستعين بهما على السفاد وفوق رجلها عضو اسوى يدفع منه الفضل
الرطب الى خارج ومنه يلقي الاناث مني الذكران ويبيضها على ارجلها و
اعينها فوق رؤسها وافواهها الى خلف رؤسها وفي افواهها قليل لحم ولا اسنان
لها وكانما رؤسها متورمة وياخذ ما ياخذه برجلها والكثير الارجل من بينها صغير

الحشر طويل الرجلين وسايرا الاصناف عظام الحث فصار الارجل ضعيفة
المشى وربما كان منها مثل ما يسمى سسا الى ذراعين فى طوله ومثل طوله سن
الى خمسة اذرع وربما كان كثير الارجل الى ذراعين واكثر وبطريق
جناح بحط بحسر واما جناح طوسداس فمتفرق ولما لاما حلود
تسقن اجسادها ولها مرى بعد افواهها طويل دقيق متصل بمثل
الحوصلة لكنه ملتو معرج ثم معا دقيق اغلظ من المرى وليس فى
جوفها عضو محسوس غير ذلك الا العضو للزرع يسمى باليونانية مكونة
ومنى فرع مح ذرعه وكدر الما واكثر ذلك فعل السا و هذا العضو
له بحت الفم ومهدف ذرعه ونصل غذائه واحد وعلى بدنه كالشعر
وفى باطن جسده بعض ما ذكر من هذا الجنس شئ صلب بين الشوك
والعظم وهو فى طومند لس غضروف كالحلقة واما سفايح فليس فى
باطنه شئ صلب وانما يطف برا سه كالغضروف تصلب اذا اسن
ولذكرانها مجرى تحت المعدة الى الدماغ والى اسفل وللاناث الى
الدماغ مجريان من تحتها اوعيه حمر فى البيض ويمتلى ما يبلغ حجمه اعظم
من حجم راسه لكن تسميا وعاان للبيض مملان بيضا كالبرد فذكوره
فى جميع ذلك احسن شكلا وعليها تخطيط متشابه كالتعريف ومقادم
الذكورة اشد سوادا واعظم اصناف السفايح ما يطفوا ثم الذى
تفارق القعر الى قرب منه ثم القعرية وخصوصا ما لا ينفصل رجله
ومنه جنس فى وسط نقره غايره غير ملتحمة وكثيرا ما يرعى بقرب الشط
فيقذفه الموج الى البر فيعجز عن العود فيهلك وهو صغير جدا ومنه
حنس محوط محرف لا يخرج منه الا راسه وبعض رجليه وذلك لطلب الطعم

واما اللين

واما اللين الحرف فاجناس كثيرة فمنها السراطين وهى اجناس منه
العظم جدا ومنه ما يسمى الهرقلى واجناس اخرى آق وبلغنا ان
بنحو طبرستان سرطانا على جلده من الوشى والاصباغ الدقيقة
العجيبة ما يحير فيه الانسان ق ومن السرطان الصغير جنس يسمونه
فرسانا لشدة جريها ولا يوجد فى بطونها لحم ولا فضل رطوبة غليظة
فانها لا ترعى شيئا له قوام يعتد به وللسرطانات عشرة ارجل مع
الرباس واما العقارب فله اثنا عشر رجلا والرجل التى تلى الراس
حادة جدا وسايرها عريضة وفتحو من كل جانب اربعة ارجل غلاظ متقدمة
وثلث دقاق متاخرة وارجل جميع ذلك تثنى الى داخل وللعقارب
ذنب واحد وحمر ما ردمو مستطيلة وحشر السراطين مستديرة و
الرجل المقدم من ما رامو الانثى مشقوقة ومن الذكر غير مشقوقة و
اجنحة الانثى عند الظهر اكبر وغير ذلك اصغر خصوصا ما عند العنق و
اطراف الارجل المؤخرة من الذكران عظمها حادة وللذكر منها عند عينيها
نقط ناقشة وقرون صغار تحت تلك النقط وعندها حاسسان
متحركان الى الجوانب وكذلك عندما كثير من السرطان وهى الناصرة وفيها
نقط سود ولها اسنان حادة صغيرة منطبق بعضها على بعض وخصوصا
فى اليمين واما اليسار فطرفه مخالف وسطه فان فى طرفه اسنان
حادة مخلصة وفى وسطه كالاضراس وعددها تحت اربعة وعدد
ما فوق ثلثة ويحرك الفوقانية الى السفلانية للضبط وفوق هذا الصف
سنان اخران حادان وتحت الاسنان اعضا الاذان يحركها دائما
وهى شوكية الاطراف وعلى بطون السراطين ابواب يفتح ويتعلق

انا بها في امعا بها واما فوامو فلر في العمق من فمر سسان عظمان رطبان و
بينهما لحم كاللسان وثلثة اسنان اخر ابدان في صف واحد تحت
مري قصير ومعدة صفاقية ثم معا الى الدبر ومجرى من البطن
الى الدبر خاص للمني تحت معا السفل والرماس المسمى من السرطان
يكون اعظم والعضو الذي عليه عننا ها وربما كان بعيدا من نطره وربما
كان قريبا كما في السرطان الهرقلي وجميعهما يتنفس ايض بالما فيقلبه
ويخرجه منه واما الحيوانات البحرية التي عليها خزف صلب مثل الاصداف و
القنفذ البحري فمنه ما ليس داخل خزفه لحم ومنه في خزفه لحم مثل السلحفاة
ورؤس الحرمات في الاكثر مستطير غير ظاهرة وبعضها يحيط به خزف واحد
وبعضها خزفان دكب احدهما على الاخر وبعضها سمح خزفه وينطبق
وبعضها ليس كذلك وربما كان ذلك من جانبين وربما كان من جانب وبعضها
املس الخزف وبعضها خشن الخزف وبعضها معوش الخزف وبعضها
متشابه قوام الخزف وبعضها مختلفة حتى يكون ما يلي سفسر ازرق و
بعض الصدف متحرك في مكانه وبعضه غير محرك ومن المتحرك جنس
سريع الابرحاح حتى انه لربما من الانا الذي يجعل فيه الى مكان بعيد كانه
يطير ومنه ما هو ملتصق بالخزف ومنه ما هو مسري الجسم من الخزف و
لجميع ما يخرج من الصدف ويدخل فيه لحم صلب وفي وسط راسه و
قرنان ولبعضها اسنان ولبعضها خراطيم يرعى بها كالالسنة وربما كان خرطومها
صلبا بها باسف صدف غيرها ويكون لكلها فم وبعده مجرى يؤدي
الى بطنه كالحوصلة ويحمه عضوان لحميين صلبتين ويتصل معدته
بمعا مستو الى الدبر ويوجد في اختلاف انواعها اختلاف اعضائها ايض

بعد المعا كروا بد سود وحش ومجازي صفاقية ولدى الناس ايض
راس وقرون وفم ولسان لا يستبين ذلك الا في الكبار والعضو اللحمي المذكور و الذي لا
يتحرك منها نفسه في خزفه هو منه فع بقلبه ومن السراطين جنس يشبه العناكب
وذكر في التعليم الاول صفات وتشريح لاصناف من هذه الحيوان اضبيا
احصاره والقنفذ البحري له في باطنه مكان اللحم اجزا سود ومنها جنس
يوجد في باطنه شئ كبيض كبير يوكل ويوجد ذلك البيض في كبيره وصغيره و
منها جنسان لحميان وجنس عظيم الجثة وجنس صغير كبير الشوك صلبة
لحمي ومنه جنس يكون ببلد طروي ابيض الخزف والشوك ويكون اطول
شوكه من غيره وشوكه صغيرة الى اللين ويكسر فيها الاجزا السود الذي بعد
فمه وجميع القنافذ البحرية بيض ولجميعها دوس وافواه الى اسفل وادبار الى
فوق وله خمسة اسنان في العمق وفيما بينها كاللحم وكاللسان ثم مري ثم معده مجراه
بخمسة اجزا مملوة رطوبة ويتصل كل جزء بصفاق يودي الى المخرج وهو يستعمل
شوكه مكان الرجل ويتحرك متكئا عليه ومن الحيوان الصدفي ما يلتصق بموضعه
من الصخر برجلين له ويسمى بالنفي ويخطف ما يمر به من السمك
الصغار وغيره ومن هذه الانواع جنس يأكل القنافذ البحرية واما الحيوان
المسمى مسطو الحمر صلب ولا يوجد في جلده رطوبة وكانه من جنس الشجر
ومنه صنف صغير الجثة يأكله بعض الناس وصنف كبير يصيد لحمه
شا فوكل ويضعف في الحر فيفسخ من كل ماس واما الحيوان
المحرز الذي جناحه في غلاف كالجعلان والذي ليس جناحه في
غلاف كالنحل فله راس وما يليه وبطن ويحزبه وجميعه يعش بعد
القطع حينا ان لم يكن بارد المزاج جدا ولم يضربه في الوقت برد ينهكه

وربما قطع النحل محلة منها بنصفين وعاشت بعد ذلك حينًا
وذلك اذا قطع الرأس مع الصدر واما اذا قطع الرأس عن الصدر
مات في الحين والمستطيل الجثة مثل اربعة واربعين فاذا قطع
بنصفين تحرك كل نصف منه ومشى ولا يظهر لهذا الصنف
من الاعضا الحاسة الا العينان فهو لجميعها ولبعضها عضو
كاللسان ولبعضها عضو به يذوق ويحصل الطعم لين او صلب و
ذلك فيما الا ابرة له ولاجمر والذباب يدمي الجلود بهذا العضو و
به يلسع البعوض ويمتص الدم وبعض المحرز اله ابرة غائرة كالنحل وبعضه
ابره ظاهرة كالعقرب وللطاير من المحرزات جناحان كالذباب و
اربعة كالنحل وبعضها يمشي دبيبًا وبعضها قد يرد كالجراد فيكون
رجلاه الموخر بين اطول من ساير ارجله المتقدمة ولا يكون خزفيًّا ولا
شاكًا ولا ذا عظم يحيط به جلد صلب وان كان جلد بعضه رقيقًا
وما يكسف صدره الى الغلظ والصلابة كان فيه خزفية ما وله
بعد الفم معا منبسط انما يلتوي قليلا ويودي الى الدبر وبعضها معدة
واما الصرار بالليل فليس له فم بل عضو طويل كاللسان نابت
من راسه لا شق له ولا فضله في احشائه وفي وسط جسدها صفاق
ظ وفي البحر حيوانات تشكل نسبتها الى جنس من الاجناس فقد
عوين حيوان كانه قطع خشب وحيوان كانه ذكر انسان ويدل خصيته له
جنان وحيوانات كانها افاع جمر فصل في حس الحيوان وحركته و
تصويته ونومه ويقظته وذكورته وانوثته فلنتكلم الان في
حس الحيوان وحركته وتصويته ونومه ويقظته وذكورته وانوثته

كل حيوان

كل حيوان دموي ويلد حيوانًا فله الحواس الخمس الا المضرور ومنها كالخلد
فان عينه من جلده ولها حدقة وسواد وبياض والسمك ايضا ذوات
ذوق ولذلك يميل الى بعض المذاقات دون بعض وليس يظهر
للسمك اذن السمع والشم ومنخر السمك ليس يؤدي الى دماغه بل الى اذنه
ولو لم يكن يسمع ما كانت تهرب من الاصوات الهايلة ولو لم يشم ما كانت
يجتمع الى المصيدة بروايح اللبن وغيره آفق حتى اني شاهدتها بعوض في
الحباب ترمى فيها اللبنيات فيصاد بسهولة وقد عاينت السمك يتحير
نحو الغنا وضرب العود والصنج فاذا قارنت المجلس قرار المستمع لا تبرح
فاذا قطع السماع نفرت واذا اعيدت عادت وقد المعلم الاول ان
الدلفين وانواع السمك تسدر من حس الاسر واصوات الرعد و
يهرب الى القعر فيصاد صيد السكران وان الدلفين لا آلة سمع لها و
ان الملاحين اذا اجمعوا على صيد السمك كفوا المجاديف وخفضوا الاصوات
لئلا تسمع وادخلوا الشراع لئلا يسمع له خفيف واذا احدقوا بالسمك
جلبوا وصوتوا وتقعقعوا ليجتمع السمك الى الوسط في مكان واحد و
اذا عن قطع من السمك برى نظامه يلقوه بالهوينا لمعرفوه وان
لم يرفقوا نفروا ومن السمك النهري الذي ياوي الصخر ما يسدده
ويحثه صك الصخر الذي ياويه فيخرج كالمغشي عليه فالسمك يسمع
بل قد شهد اهل التجربة ان سمعه حاد ذكي وخصوصًا قسطروس و
سرى وحو ومس وكذلك فان السمك يشم فيصاد بعضه بروايح منتنة
وبعضه بروايح حامضة وبعضه بروايح مالحة وبعضه بروايح الحرافة
الدخانية ومنهم من يشوي السفايح في انا ويغمسه في المصيدة

فقد خلق السمك ميلاً الى الرايحة المشوية وبعض السمك يهرب من
غسالة السمك ومن دم الدابة وبعضها ينفر عن وسخ ما يصاد فيه فان
كان ما يصاد فيه نقيًا طيبًا بادر اليه وبعض السمك والدلافين بادي
الدوي الى دماغها من غير آلة ويسمع بحضها وللمحار حواس ذكية
وشم وذوق وسمع وبعد ويوافقها روايح دون روايح فان منها ما
يهلكه رايحة الكبريت والزرنيخ والسعتر مثل النمل فانه اذا نصح اب
قريته بما فيه شيء من ذلك هجره ويهرب من دخان المعز وجميعها يهرب
من دخان قرن الايل والبسفايج ويلزم الوعا المدخن بالمعز اليابسة
لزومًا لا يبرحه وان قطع مثلاً ويهرب عن دخان دواء يتخذ له قوزنوا
والنحل لا يقع على منتن ولا ينزل الا على العطر الحلو والحيوانات الخزفية
فمنه ما يميل الى المنتن مثل الصنف المسمى فرفورا واما البصر والسمع
فلا علم لنا به واما الكلام في تصويت الحيوانات فيجب ان يعلم ههنا
صياحًا وصوتًا كيف اتفق وكلامًا فاما الكلام فهو للانسان خاصة و
له تقطيع الحروف الصامتة باللسان وارسال المصوتة عن الرية
واما الصياح فهو لجميع ما له حنجرة ورية واما الاصوات الاخرى
فقد تحدث عن غير الحيوان وقد تحدث عن الحيوان لا بالصياح بل
بنوع من الصوت آخر مثل صفق اليدين ومثل الاصوات المحززات
عن صفاقها واما طنين الذباب وما اشبهها عند طيرانه فانما هو بحركة
جناحه وانما يصيح ما يتنفس وربما صوت بتحريك الاعضاء ما لا يتنفس
ولا يكون صياحًا مثل صرار الليل وانما صفيره امثاله من الصفاق الذي عنه
محرزه تحت جناحه واما الدلفين فيظن انه وليس بشيء من الحيوان البحري

مصوت
اللين الخزف صياح ولا صوت آخر وقد زعموا ان بعض السمك
غير الصياح مثل لورا وحرومس وكالخنزير الذي ببلدة سلموس
فبعض من هذه الاصناف تصوت الصوت الذي ليس بصياح
من عند شوك اذنه وبعضه بدلك الروح الذي في باطن جسده
ويسمع للاسقمريا كما للمشط عند تحريكه مسكًا على الماء ولخطاف البحر عند
ارتجاجه باجنحته في الهوا يسمع وللدلفين صفير كالصياح فله رية
لكنه لا يفعل ذلك في البر والحيات تصفر والسلحفاة ضعيفة الصوت
وللضفدع لسان لاصق كلسان السمك ويصفر في الماء فقط وفكه
الاسفل منغمس فيه وله من خارج صياح آخر مديد من نفس واذا
انتصب عيناه من قوة الجحوظ وللحيوانات الصياحة نغم يتداعى بها وما كان
من الطير عريض اللسان فهو يحاكي الكلام ومن الطير ما يختلف صوت
ذكره وانثاه وما كان من الطير اصغر جثة فهو اكثر صياحًا وخصوصًا في زمان
السفاد وفيه يكثر صياح الطير ومن الطير ما يغني ذكره وانثاه معًا
مثل الدون ومن ذكوره الطير ما يحن الى الانثى ويدعوها عند الهراش اكثر
ومنه ما يفعل ذلك قبل الهراش ومنه ما يفعله بعد الفراغ منه كالديك
ومنه ما لا تلحين له ولا غنا ولا صياح يعتد به الا الذكورة مثل الديكة و
الدراج والذي يولد من الما اصم فله صياح وليس له كلام واما اللثغة
واصناف الحبسات فشي آخر ومن فراخ الطير ما يخالف صوته صوت
ابويه الى ان يترعرع مثل الحمام وقد حكى ان واحدًا من الطير المسمى ايدون
كان يلقن فرخ غيره نغمته فيلقن فيدل على ان فيها ما يلحن بالطبع وفيها ما
يلحن بالتعليم والمحاكاة واما الفيل فيصيح من انفه ويصيح صياحًا جهورًا

من فمه واما حال نوم الحيوان فان كل حيوان دموى مشاء فانه ينام ويستيقظ
وكل ذى جفن فانه يطبقه عند النوم وقد يحلم غير الانسان ايضا من ذوات
الاربعة يظهر ذلك من شمايلها وحركاتها واصواتها فى النوم والحيوان البياض
نومه خفيف غير غرق وكذلك اللين الخزف لكنها لا يظهر نومها من عينها
اذ لا اشفار بعيونها وانما يحس بنومها من هدوها ومن انها ربما صيدت
باليد وهى غافلة او اصيبت بالمنقص المعقف ذى ثلث شعب و
نوع السمك قد ينام كلها ليلا اكثر منه نهارا ومن الحيوانات البحرية ما
ينام على الارض ومنها ما ينام على الرمل ومنها ما ينام على الصخر ومنها ما
ينام فى مجارى الصخور الشطية والذى ينام فى الرمل يحدث للرمل شكلا
يدل على انه نايم فيه فيضرب بالمنقص واما السلاحى فانه ربما استغرق
نوما حتى صيد باليد واما الدلفين فانه ينام والنوم بارز يتنفس به وقد
سمع شخيره فى النوم والحرزات ايضا ينام ويدل على ذلك سكونها وسكوتها
والصبى لا يحلم حلما يعتد به الى اربع سنين ومن الناس من لم يحلم البتة
واما ذكورة الحيوان وانوثته فليس كل حيوان ينقسم الى ذكر وانثى مثل
الحيوان البحرى الخزف الصلب واما اللين الخزف ففى بعضه ذكر و
انثى ومن جنس المحرز ومن جنس السمك ايضا ما لا ذكر فيه ولا انثى مثل
الانكليس فلا ذكر فيه ولا انثى واذا تولد فى الحماه شبيه دود وطنوه
انكليس وليس كذلك فان الانكليس لا يبيض له البتة والبيض مكانه الرحم لا
المعدة والا لعلب فيه المعدة فعلها والانكليس فانما يوجد البيض
فى معدته نقصا والذى ظن ان ذكره اطول راسا واعظم فهو ايضا
خطا وانما ذلك اختلاف الجنس وعد فى التعليم الاول اصناف سمك لا

ذكر فيه

ذكر فيها ولا انثى فمن ذلك ما لا يلد ومنه ما يلد من تلقا نفسه كان
القوة الذكورية والانوثية قد اتحد ما فيه كما فى الشجرة وما يلد من
الحيوان ذوات الدم فذكره اعظم واعيش واما البياض وما يلد دودا
فاناثه اعظم مثل الحيات والذباب والضفادع والعناكب واناث السمك
اطول عمرا ليستدل على ذلك بان الاناث تصاد وقد حان الاسنان
وظهر الكبر ولا يوجد مثلها فى الذكران ومقاديم الذكران اقوى
ومآخير الاناث اقوى والمفاصل فى الاناث من الحيوان اضعف و
شعورهن ادق وصوتهن احد وربما نبتت الات القتال فى الاناث
مثل القرون والانياب فان الايائل لا قرون لها وليس للدجاجة مخلب
واق ربما اتفق فى الندرة فى فاتها واحدة واناث الخنازير البرية لا
انياب لها وربما كانت الالة فى الاناث اقوى كما فى اناث البقر عوضا
عن ضعف الصدمة **المقالة الخامسة فصل فى ذكر بعض
احوال سفاد الحيوان ووضعه** وههنا نبتدى فى اقتصاص
سفاد الحيوانات وولادتها فنقول ليس شىء مما له رجلان يلد حيوانا الا الانسان
وحده وكما ان من الشجر ما يولد مثله كذلك من الحيوان وكما ان من الشجر ما
يتولد فى شجر اخر مخالف له كذلك من الحيوان ما يتولد من غيره كالديدان وكما
ان من الشجر ما يتولد من تلقا نفسه كذلك من الحيوان كل حيوان يتولد من شبيهه فتولد
بولاده واكثره بسفاد وقد يوجد اجناس من السمك يلد ولا ذكورة لها
البتة ومنها ما يبيض من ذاتها لكن استحالة البيض فيها الى الحيوان انما يكون
بفعل من الذكورة كما سنصف بعد ومن الحيوان ما يلد انقص منه كالقمل
يلد الصيبان والديدان والفراش يلد دودا لا يستحيل ديدانا وفراشا اى

يجب ان نتامل هذا بالتجربة ونحتفظ بذلك الدود هل يستحيل في اخره ذبابا وفراشا فان لكل جنس نمط سفاد فان ما يبول ذكرانه الى خلف
فان سفاده على نمط كالاسد والارانب ومن خاصة الارانب ان
اناثها تركب ذكرانها عند الجماع احيانا ومن الاناث التي يسفد من فوق
ما سطا طا الى الارض كالدجاج ومنها ما سعى مستقلا كاثنى العرابق و
اما القنافذ البرية فانها يتسافد متلاصقة الظهور منتصبة ومن الاناث
ما تتعرض للذكورة كاناث الماعز فانه يستدعي الذكران وسطا من لها
ومنها ما يحذر صولة الذكران كالايلة والبقرة والسبب فيه ايلام ضرب
قضيب الذكر فانه حاد صلب عصبي اذا انتشر والناقة تترك للحمل والقفلة
تحد الى الوهدة لتركبها الذكر وقد يوثر التروّي في الماء فانه اعون على الاستقلال
واتفق ان الفيلة بخوارزم وكان ذلك من الغرايب اذ لا عادة لها في السفاد
اذا اخرجت عن بلادها الى بلاد خراسان وما يليها فاستعان الفيل
بناسر فالصقها على كفل الفيلة واعتمد عليها في الاستقلال ثم لم
يزل يعد بها ويعاود الاستقلال حتى استوى بعض الاستواء نضربها
فاستفدنا من ذلك ان اسباب الفيل ينفعه في السفاد هذا ما اجرت في
قريب من سنة سبع وتسعين وثلثمائة او بعده بسنين ومن قريب ما
ما راينا هنالك ان الاسد الوحشية المحلوبة اليها كان يتسافد ويلد وكذلك
الفهود وجميع هذا مما لم نر في بلد اخر البتة والجمل كثير السفاد طويلة
شديد الاغتلام في وقته فلا يهرب واتفق انه في تلك المدة لا سابل
من العلف الاشنانية شيئا وينهض بقريب من اضعاف ما يوفر في
وقت اخر ق والحيوان البحري المسمى قوفي دوه عند السفاد سل رو

جمع

الفيل [illegible] صح

جميع ما يبول الى خلف ويتعاضل ولها ذكر عظيم وسفاد الذئب كسفاد
الكلب وما يبيض من ذوات الاربع فيسفد سفاد سائر ذوات الاربع
التي يلد وذلك مثل السلحفاة البحرية والبرية واما انواع الحيات وانواع
ما لا رجل له فانه عند السفاد يتسالك ويتلاوى حتى يظن الاثنين
منها واحدا ذا راسين واما سلاسي فانها يتسافد متلاصقة الظهور و
انواع من ذوات البحر العريضة الجثة يلتصق الذكر منها ظهره ببطن
الانثى والتي اذنابها عظيمة فانها يتسافد متلاصقة الظهور بتحريك شديد
وربما تعاضل انواع منها تعاضل الكلب فقد حدث بذلك ذو الخبرة
وليعلم ان الطير وما يبيض هو اسرع الحيوان زمان سفاد واما الدلافين و
السباع البحرية فيسفد سفاد ذوات الاربع في تطويل المدة وتذكر من
سلاسي فان عضو سفاده بارز عن الدبر واما سفاد السمك البياض
فامر خفي جدا ولم يظهر ظهورا يعتد به ويحكم بسببه والناس يقولون ان
الاناث تاخذ زرع الذكورة في اناثها الى بطونها وقد شوهدت الاناث
تتبع الذكورة مبتلعة للزرع ثم عند الولادة فان الذكور تتبع الاناث
مبتلعة بيضها واما بولد ما يلد والفحم يحملها ويذهب من جانب
المحل الذكر وسماع صوته والفحم والمحل يعران فيهما دالعين بينهما
للشىء في وقت السفاد واما ما لا فم له فيتلاصق بافواهها ثم يتشبك
ويسفد فاما والسقنقور خاصة يلصق انثاه بالارض ويتلاصق بافواهها و
يولج الانثى الذكر في نقرتها ومن الناس من زعم ان ذكر السقنقور
عصبي وانه عند رجليه وانه يدخله فم الانثى وبعض ما هو لين
الخزف يتسافد تسافد ذوات الاربع التي يبول الى خلف ويلد و

يكون تسافدها في اول الربيع وعند القرب من القعر وربما كان سفاده ببعض البلدان في اول زمان الشتاء واما تسافد السراطين فان السرطان الاصغر وهو الذكر يعلو الانثى ويقارب الانثى من تحت مقاربة يتلاصق بها ابواب ما بين الطبقتين في الاناث اكثر منه في الذكران وبعض السراطين من ادبارها واما الحيوان المحرز فان الاصغر وهو الذكر يعلو الانثى ثم يسيل الى الانثى عضو السفاد الى محاذاة الذكر فيلتقم من غير ان يتحرك الى جهة من الذكر الى الانثى شيء يعتد به بل انما يأتي من الانثى الى الذكر عضو قابل يبرز من مؤخرها واذا تشبكت مواخرها لم يفترق الا بعسر لشدة المعاضل واذا اشتهت العنكبوت الانثى السفاد جذبت طاقة من النسج وجذب الذكر ولم يزل الاسعاد لانه بذلك حتى يتقاربا ويلتقيا ويصير بطن الذكر مما يلي بطن الانثى واعلم ان اكثر هيجان الحيوان عند انسلاخ الشتاء وطلوع الربيع واما الانسان وما يستانس من الحيوان كالكلب والخنزير الاهلي فانه يسفد كل وقت وعلم الرجال شتوي وعلم النساء صيفية لتاذيهن بالبرد واما الطير البحري الذي يسمى العروق فانه يسفد في عنفوان الشتاء ويقال انه يعشش اياما سبعة قبل الانقلاب الشتوي ويسفد ويبيض خمس بيضات ويفرخ في ايام سبعة اخرى وظهور هذا الطير انما يكون في الحين مرة وذلك عند مغيب الثريا وهو يرى اي للمراكب ويطير حولها ثم يغيب على ما حدث عنها بعض الحكماء الموثوق بهم من اهل الخبرة والحيوان المحرز فانه يؤثر السفاد في الشتاء اذا كانت الرياح جنوبية لا شمالية

ويحاذي ثم يسلك الى الطبقتين حتى يتشابك ويتعلق طرفاها من الطبقتين صح

الربيع

الربيع وخاصة ما لا يعشش كالذبان والقمل [النمل] ومن الحيوان البحري البائض ما يبيض مرتين ومنها ما يبيض ثلث مرات والعقرب البحري يبيض مرة في الربيع واخرى في الخريف وليس من اصناف السلاحف ما يبيض مرتين الا المعروف بوسى فانه يبيض عند الربيع وعند مغيب الثريا سبعا او ثمانيا ولكنها لا تبيض بيضها معا بل في زمان يتخللها فظن بعض الناس لذلك انها تبيض في الشهر مرتين ومن الحيوان البحري ما يبيض في كل وقت ويسمى بيضه ويكبر بسبعة عشر ومن السمك ما لا يبيض الا في بحر او خليج بعينه مثل ميلاريس وسوافاهما لا يبيضان الا في بحر قطوس وسمك اخر لا يبيض الا عند مصب الانهار في البحر ومنها ما لا يبيض الا في اللجة ومن السمك جنس يقال له برسداس يضع عند الانقلاب الصيفي مثل كبس فم يبيض ومن السمك ما يكون من الحماة مثل المسماه قطروس ومن السمك ما يبيض في ناحية من البحر ليست تلك المحصنة في السنة مرة وفي ناحية اخرى محصنة في السنة مرارا والذي يسمى سدنا من جملة ما لا فقار فانه يبيض في كل زمان ويكون تمام وضعه في مدة خمسة عشر يوما ويتبعها الذكر فيجابذ على بيضها وبيضها صلب جدا وانما يتخلص منها دائما زوج والسفانج يسفد في الشتاء ويبيض في الربيع وفيما بين ذلك يعشش بيضه وكانما بيضه ثمره حوره صغيرة ويكون بيضه كثير العدد وراس ذكره انه اطول من راس اناثه ويحص الانثى بيضها فيمسح لحمها لبعدها عن الطعم واكثر الحيوان البحري الخزفي فانه

يبيض ربعًا وشتا الا ما كان من القنافذ البحرية ما كولا فانه يكون ممتليًا
بيضًا في كل وقت وخصوصًا عند تبدر القمر والاوقات الحارة الا ما كان
في ناحيه برواسوا فانه لا يبيض الا شتا ويكون صغارًا بحيث مملوة
بيضًا واكثر الطير الوحشية يلد مرة والخطاف مرتين واما طاير يسمى
بطوسوس فيبيض مرة ولم يعرض الشتا فيفسد بيضه ثم يبيض
اخرى بعرح والطير الذي يستانس ويرتبط في الدور فانها تلد
مرارًا كثيرة الا في وقت صميم الشتا وذلك كالحمام والدجاج واتفق
ان الحمام اذا وجد دفا وعلفا باضت في صميم الشتا ومن
الحمام اصناف لا يستانس البتة والطير الذي تشبه الحمام من جهة
جنسها اصناف ثلثة فان اعظمها الدلم وهو ذكر القطا ثم الفاختة و
اصغرها الطرغلة واجود فراخ الحمام ربعها وخريفها واما الاخر ان
فرديان **فصل في سن ذلك ونشير الى حال الزرع والمني** واعلم
ان اول زرع ما هو من الحيوان مختلف فان اعلق لم يقو بل اضعف
واصغر خصوصًا في الناس في اول ما يحتلمون وحينئذ يبتدي
تغير اصواتهم وتغير سحناتهم ويسمون وذلك في القرب
من تمام اسبوعين واعلق المني واجوده ما يمنونه في تمام الاسبوع
الثالث ولا يظهر لغير الانسان احتلام وربما تغير الصوت و
صوت الطاعن في السن وصوت الذكر اجهر الا في البقر و
الايل فان الاناث اجهر صوتًا وصوت الرماك والحجون
اصفى وان كانت احد والبقرة السنّ والثور السنّ والمهر السنّ
يسفد والعير والكبش الحولي يسفد والخنزير الذي له اربعة
اشهر

اشهر يسفد وتضع الخنزيرة عند ستة اشهر وفي بعض البلدان لا
يسفد الا بعد عشرة اشهر ويكون اجزاؤها جيادًا الى ثلث سنين و
الكلب يسفد الا بعد عشرة اشهر ويكون اجزاؤها جيادًا من ثمانية اشهر
الى سنة واطول حمل الكلبة احد وستين يومًا ولا تضع قبل ستين
والمهر السنّ اضعف ومن الحمل ما يسرو بعد ثلث سنين وكل ما كان بعد
بعد ذلك الى عشرين سنة فهو اجود واقوى على النزو والى ثلث
وثلثين لان الفحل ربما عاش في الاكثر الى خمسة وثلثين سنة وربما
عاشت الرمكة اكثر من اربعين سنة وقد شوهد فرس ذكر عاش
خمسًا وسبعين سنة والحمار يعلق من ثلث سنين الى ثلثين سنة و
يعلق ما دون ثلث سنين او سنتين ونصف والرجل الى تسعين و
المراة يحبل الى خمسين واما العام الغالب فللرجال ما بين خمسين الى
ستين وللنساء الى خمس واربعين سنة والشاة الى ثمان سنين فان
احسن تعهدها فالى احدى عشرة سنة وما يولد من المسان خصوصًا
مسان الخنازير فهو ردي والخنزير انما يولد الجياد اذا برا
بعد السبع واكثر بروه بعد السبع والخنزير البكر يضع جاسض
صغارًا والمسنة لا يلد الا في الفرط وذلك بعد خمسة عشر سنة و
اجود ولدها الشتوي وارداها الصيفي فانها عجاف وضعاف و
ينشط الخنزير للسفاد عند الصباح والكلاب يلد الى ثماني عشرة
سنة واما الفيل الذكر فينزو بعد خمس وست والى ان يسن واذا
وضعت الفيلة لم يحمل الى ثلث سنين ولا يقربها الذكر وهي حبلى
ومدة حملها سنتين ويلد واحدًا في كل بطن والايل والخيل والحمير يحمل

اثنى عشر شهرًا ثم ذكر اصنافًا من حيوان الماطافتر منها يتولّد من
الحماة واخرى يتولّد من الرماك وقد يتولّد ايضًا من الطحلب الرملى
الحماى وهو السى الذى يشبه الصوف الاخضر بعض تلك
الحيوانات ويسمى بسا وفيما منها حيوان صغير يظن انه سايسها
والحامى عليها ويشبه العفورس وصغار السراطين وبالجملة فان
اكثر الحيوان الخزفى يتولّد من الحماة ويختلف بحسب اختلاف
الحماة ومن الرمل وللحماى اسم وللرملى اسم وذلك باليونانى و
يتولّد ايضًا فى سعوق الصخور جنس ويتولّد من كل واحد منها
ومن رطوباته جنس وبعض هذه لا يبرح مواضعها وبعضها
يموت ان برحت بالقسر ومن جملتها حيوان حار المزاج جدًّا يسمّى
لحمًا واذا ابلع شيئًا يهرى من ساعته فى بطنه كانه مطبوخ مرّتين
ومن اصناف السراطين الصّغار وما يتولّد ايضًا من الارض ويتبدل
خزفه عند الاسنان وقد يتولّد حيوانات يدخل اجرام الاصداف
ويأكلها ويفسدها ويسكن فى اصدافها مستوثر ويتولّد حيوانات
اخر عن الحرمات من غير توالد مثل الاسفنج فى شقاق الصخور و
كلك الاصداف وما كان منه فى الغصون فلزم الصخرة وما كان
منه فى الملوسات فينتقل ليرعى وقد يكون عند ملصق الاسفنج حيوان كالعنكبوت
تولّد حافظ السبا لا يزال فاعرا حتى يبلغ حيوانًا واصناف الاسفنجات ثلثة
واحد سخيف متخلخل والاخر صفيق والثالث دقيق صفيق قوى جدًّا
وكل ما يوجد مملوة حماة ولها حس لمس لا محة ولذلك يقبض فى بدى
من يقطعه عن ملصقه ويفعل مثل ذلك عند هبوب الرياح المموجة

وربما حدث فى جوفه دود اذا قطع رعى فضلات جسم صغار السمك
واذا ابرئ منه حرّيف واللحى منه الين والذى ينال البرد والريح
اصفق واصلب والحر المفرط يعصره ويفسده واحسنه حالًا فى
نفسه ما على الصخر البائس فى ثغر قريب وما دام حيًّا غير مغسول
فهو اسود اللون ويلتصق بالصخر من بعد ما تنقى احزائه ويمتد من ٣٣
على جانبه الاسفل غشاء صفاقى وما يلقى الارض من جلده
السافل اكثر مما يلقى ويكون مجارى الهواء معلقه الاخشية
او سنه يظن بعض الناس انها مداخل طعمه ومنه جنس يسمّى
غير مغسول صفيق جدًّا ومع ذلك مجاريه واسعة ويسمى حلمه
بين بدنه وبين غيره خلاف فى اللون لانه اسود بجوهره و
سائرها اسود للحماة والحيوان المسمّى ماء ربوا يحمل عن السفاد ثلثة
اشهر ثم يبيض بيضًا كالعنقود بقرب الذنب بل فى الوسط
بينه وبين الصدر فى كلى الجانبين ويتكلف وضع البيض
بامالة الذنب الى عضو له غضروفى يحاول بذلك عصر البيض
وضغطه ليندفع الى ذلك العضو فمنه مخرج البيض ويعظم
ذلك العضو عند الولاد واما السبا فيضع بيضه فى حماة و
غثاء ويحضنه عشرين ليلة فيصير مثل شئ مجتمع متراكم ملتصق
بعضه ببعض ثم يكون من البيض ماء ربوا فى خمسة عشر ليلة و
يولد ماء ربوا شبيها كالدود ويكون من الحيوانات او منه الحيوانات
المقالة السادسة فصل فى بيض الطير وتفريخها وتشريح
البيض والفرخ واول ما يتخلق الدجاج الكبر الجثه يبيض اكثر

من الصغير الجثة والى سنتين يبيض ونوع من الدجاج ينسب الى
ادريانوس الملك وهو دجاج مطاول الجثة يبيض كل يوم وهو عسير
الخلق مهول لاولادها وربما كان من الدجاج ما يبيض في اليوم مرتين
ومن الدجاج ما يفسد كثرة البيض والحمام الوحشي والفواخت و
الاطرغلاق وما يشبهها فانها يبيض في السنة مرتين والحمام الاهلي
ربما باض عشرة مرات وذوات المخالب تبيض في السنة مرة واكثر
ما يبيض اربع بيضات وربما زاد واما القبج والدراج والتيهوج و
السدرح فانها يبيض بين الحشائش والكلا وكذلك الجمهرة والعصفور
الملحي اظنه القبرة وبعض الطير يبيض في الحجارة والطير المعروف
عند اليونانيين بالكحلى فانه تعشش من الطين فوق الشجر كما تعشش
الخطاف على تركيب السلسلة والهدهد ياوي الشقوق في الحيطان
والصخر ويبيض فيها من غير تعشيش وبوفي ايضا شبيه بذلك و
صنف من الطير لا يبيض الا فيما قصر من الشجر وجميع البيض
الذي للطير مصمت وعرضه وساض ومح ومح بيض الطيور المائية
والسطحية اكثر من البياض ومن البيض ما هو ابيض بتقى كبيض
طير الما وطير الشطوط ومنه ارقط منقط وهو الاعرم مثل
بيض ما لا اعرفه وما شاكل ومنه احمر معرى مثل بيض
الحجل اظنه الحمام ومن البيض محدد الطرف ومنه مستعرض
الطرف واسبق طرفي البيض الى الخروج هو الاشرف المستعرض و
البيض المؤنث هو المطاول المحدد الطرفين والذكر هو المجتمع
المستدير الكال الطرفين وقد يحصل البيض من تلقا نفسه

اذا وجد مدفا بعضا عن فرخه واهل مصر يحضنون في الزبل
وكان رجل خمر لا يبرح مجلس الشرب حتى تفرخ بيضا كان يجمعها تحت
بساطه المسدف ومني الطير ابيض كمني غيرها والانثى يقبل
المني بضرب جناحه فيكون ابيض ثم يشقار الى الدموية والتبنية و
يربوا ويسخن ثم يتميز التبني محاطا به في البياض الى اخره وبيض
الريح ليس مما ينسب الى نفسه سفاد فان الفراريج التي لم يسفد
قط وفراخ الاوز التي لم تسفد البتة كثيرا ما يبيض وبيض الريح اصغر
وارطب واقل لذة طعم ولا يستحيل عن بياضه وصفرته وعن
بنيته فيه عند الحضانة وان طالت والطير الذي يبيض بيض
الريح هو الدجاج والقباح واصناف الحمام والطاوس والاوز و
طير يسمى سيسالو يعساى هو طاير كانه مركب من الاوز والنعام
ومدة تمام الحضانة في الصيف اقصر منه في الشتا فانها في
الصيف الى ثمانية عشر ليلة وفي الشتا الى خمس وعشرين
ليلة الذكر اشد لزوما للحضانة والاناث الزم واعطى لمن
يزعجها عنها واكثر بيض الريح ربيعي حولي واذا طرا عليه سفاد
يحيله الى الايلاد ولذلك وان نوع الشبه يعم على البيض
السفادي لطروسفاد اخر عليه وبيض الشباب اكثر حجما
والبكر يبيض صغير ثم يزداد حجما واذا حيل بين الباضه والحضانة
سلمت والدجاج وكثير من الطير يعشاها عند السفاد
اقشعرار وانتفاض والحمام يعض من ذنبها ويميل الى داخل و
الطير ما يأخذ شيئا حشيشا في فمها وخصوصا الدجاج

والطور يمعن في الشاحة بعد السفاد وبيض الدجاج يدرك في
عشرة ايام وما قرب منها وزمان بيض الحمام دون ذلك لكن الحمام
يقدر على مدافعة الطلق اتماما وذلك عند اختلاف عشها ونكد
ريشها انكسار الحول بينها وبين الامساك وعند اصابة مرض
اياها والحمام يقبل بعضها بعضا واتى انا ابو هم ان ذلك ليس
تقبيلا بل ربما كان بعضها يقرب الى بعض بالرفق على اي حقق
هذا ايضا وفي هذه المعاملة يسبق السفاد في اكثر الاوقات و
اذا عدمت الذكران الاناث تعاملت بذلك وبرا بعضها
على بعض وبيض الشباب اسرع املادا وتفريخا فانه متى
يستحيل الى التخلق ويستبين فيه بعض التشكل في ثلثة ايام
دون بيض المسان اول ما ياخذ البيض في التفريخ فان الصفرة
تميل الى الطرف الحاد ووسط القلب نقطة حمراء دموية
ذات نبض واختلاج وحركة كالتنفس وينبعث منها مجريان
عرقان فيهما دم جامد احدهما الى الصفاق الذي يشتمل
على الفرخ فينسج صفاق من ليف احمر محلل البياض والاخر الى
الصفرة ثم يميز البدن والراس والعينان منتفخين ثم يستويان
وينضمران وانما يتم من اعضاء الفرخ الشطر الاعلى اولا فيكون
اشد الحمل من البياض وغذاؤه من الصفرة فاذا تمت عشرة
ايام تميزت الخلقة كلها واكبر ما فيه راسه وعيناه مثل حبتي باقلى
سودوان تنبعان عن رطوبة باردة بيضا لا اعمة في الشمس و
يصل بين القلب والعين احد العرقين وانما هو بالحقيقة واصل

بين القلب

بين القلب والدماغ ومن قرب العين يرجع عروق الى الصفاقين
الذين احدهما على البياض والاخر على الحمرة وقد رطبت الصفرة
جدا فيكون هذه ثلثة عروق عرق ذو شعبتين وعرق اخر يأتي
الصفاق المحلل للفرخ فاذا بدأ الفرخ يستاخذ الصفرة فان
انقسمت بالرفق الى الطرفين وتوسط البياض او الرطوبة ومالت
الصفرة السافلة الى لون البياض فاذا تمت عشرة ايام تميزت
الخلقة كلها لم يبق الا البياض وبعد ذلك يلزج ويغلظ و
يصير الى اليبسة وهذا الصفاق غير الصفاق الذي هو الغرقي
وان كان الغرقي مشتملا على الفرخ والرطوبة لكن الفرخ متميز
بصفاق خاص من الرطوبة وتحت الفرخ الصفرة التي اياها
عرق من العروق المذكورة واما بعد العشرين فيتم شعره وربما
نقض ان مس بعنف واذا كسرت عنه البيضة وجد راسه تحت
يمين الصفاق وعلى جانب المراق تحت الجناح كانه نائم يختلج و
ينتفخ وبعد العاشر يظهر الصفاق المحيط بالرطوبة داخل الصفاق
الاكبر ظهورا بينا ويلي الصفرة التي عند احدى العينين والصفاق
الثاني المحيط بالصفرة التي تليها العين الاخرى ومبدأ الصفاقين
من القلب ومن العرق الاعظم ويكون السرة الممتدة الى المسمى
سرة عن الفرخ والصفاق الاخر الذي على الصفرة متعلقا بالفرخ
لاصقا بالمعا الداخل وفي هذا الوقت ما يجتمع في بطن الفرخ فضله
صفراء من عند الحج يقذ بعد به وربما يقذف بعضه الى الصفاق
الخارج ويكون بيضا ثم لا يزال يتغير ما في البطن ابيض الى ان لا يبقى

فيه محمد وقد بيض الدجاجة ابيض بيضا رديا لا يفرخ بالحضن ومن
العجايب التي رايت بخوارزم امر البيضة اللماعة التي ذكرت في
بعض الكتب السالفة صفتها ولا يبعد ان يكون ذلك بعفونة
حدث بها وربما باض الطاير بيضة ذات صفرتين بينهما صفاق
او مثلا صفقتين وذكره في التعليم الاول دجاجة باضت ثماني
عشرة بيضة كل بيضة ذات صفرتين وبعض عن فرخين الا ما كان
فاسدا في الاصل وان من الدجاج ما ذلك يكون دبدبه ويكون احد
الفرخين اعظم والحمام وما يشبهها فيبيض بيضتين واكثر ذلك ثلث
بيضات ولا يخرج فوق فرخين واذا عرض للبيض الاول فساد
باضت جديدة مثلا في ما فرط ولذلك اتفق ان كثيرا من الطير اذا
افسدت فراخها قبل الطيران نشطت للسفاد الجديد والحمامة
تبيض بيض الفرخ للذكر اولا ثم في اليوم الثاني تبيض للانثى و
الذكر من زوجي الحمام وما اشبهها يحضن شطرا من النهار والانثى
تحضن باقي النهار والليل اجمع ويتولى كسر البيض وبعضه بعد
عشرين ثم يدنا وبان في ادفاء الفرخ اياما الى ان يستغني والانثى
احرص في تعهد البيض والفرخ وربما باضت الحمام في السنة
اثنى عشرة مرة والفواخت يتسافد ويبيض على ما زعم بعضهم عند
تمام ثلثة اشهر بحمل البيض اربعة عشر يوما وتحضنه اربعة عشر يوما
ونظير الفرخ عن الوكر طيرانا يعتد به اربعة عشر يوما وزعم بعضهم ان
الفاختة يعيش اربعين عاما والحجل يعيش ستة عشر سنة واكثر من ذلك
قليلا والرخمة تبيض في رعون الجبال وقللها بمعزل عن الطريق

فلا يعش

فلا يعثر على عشها الا بالفرط اتفق ان عشها قد يرى كثيرة لكنها يكون
بحيث لا يتسلق اليها متسلق ويخفى معاشره وان كان سوبان ما ظن
سوفسطاي من الاولين انه لا ماوي بلاد يونان بل يصل اليها فانها
ربما تتبع العساكر جميع كثير منها وارد بغتة والعوام يتشامون والعقاب
يبيض ثلثا ويحضن اثنين ويضع الثالثة على ما زعم بعضهم لكنه قد
شوهد في عشه ثلثة فراخ واذا اتفق ذلك صفق الثالث بجناحه و
نحاه من الوكر استثقالا لعول ثلثة من فراخه فانه في ذلك الوقت
يكون اضعف ما يكون لانه يذهب اوقاته في الحضانة وتربية الاولاد
مفوته كفاية من الصيد ومع ذلك فيشاركه فيه غيره فلذلك يكون
وطا على اولاده وخصوصا صنف يقال له دعوعوس والسود من العقاب اسمح
اخلاقا واراف باولادها واما فرخ العقاب الذي يطرده فيتكفل به
طاير يقال له فيني وحضانة اللقلق وساير عظام الطير ثلثون يوما و
حضانة الوسط الجثة كالحداة والراه عشرون يوما وبيضه اثنان وفي
النادر ثلثة وكذلك الغراب ونوع من هذه يسمى اغوليدس وربما باض
اربع بيضات وذوات المخالب اذا انست القوة من فراخها طردها
بالكره وقد بلغني من الثقات ان الفراخ ح يلزم الوالدين ليرفهما
ويشاركهما فيما يصيد فلا تزال الان يراوغان حتى يطردانا من الاولاد ويطلبهما
الاولاد ويكون ذلك سببا لوقوعهما في الخريف الى حد ودقاصية
واما الغدمان فانهما يتعهدان فراخها بعد الاطارة حينا وربما زقتها في
الطواطيرانا وذكر طير يسمى كوحكس يشبه البازي الا في مخلبه وراسه
فانه كالحمام وانما يشبهه بلونه وطيرانه وله بدل النخاطيط السود التي

على البازي نقط سود وقد نظر بعض الناس انه تغيّر منه اولبه
البازي فانه يظهر عند ما لا يظهر البراة ولم يولد فرخ البتة وهذا
مما يبعد وقد عاين بعض الناس ما ربما ياكل كوكش وهو يبيض
في عش غيره بعد اكل بيض صاحب العش بيضة او بيضتين و
انما يبيض في عش او لاس وذلك يرب فراخه ويتعهدها آق آن
في بلاد ما وراء النهر وبلاد خراسان ابيض طاير بوق له كبوك وبق
له بجارا ما يكون وصوته يحكي قول القائل كوك المولفة من نغمتين
الاول منه حاده والثاني بقله وايقاع الاولى كب حاده والثانية
بوك بقله وكذا ايقاع الاولى بان وايقاع الثانية كون وابعد
بينهما قريب من الطنيني او ازيد منه قليلا وربما فعل كالقهقهة و
هذا الطاير اصغر من البازي كثيرا وهو في قدر باسو كه يشبه
الباشق في لونه الباخي الى الكحلي وفي قده وطيرانه ما خلا راسه ومنقاره
ومخليه فانه حمامي بل راسه اكبر من راس الحمام وهذا الطاير صنعه هذا
الصنيع فاني قد رايت فرخه في عش العصفور الذي يأوي الاجام
فتعجبنا من ذلك ثم رايت ببلدة جرجانية خوارزم في بستان كنت ازله
فرخ هذا الطاير في عش العصفور الصغير جدا الذي لا اصغر منه الذي
يعشش اكثر الامر في شجر الورد والسرو والمعترض ويصيح صياحا لحنا
مؤلفا من نغم كثيرة لكنه كان عشه هناك على شجرة الفرصاد فذكر لي
بعض اصحابي ان في عش هذا العصفور الصغير فرخا اكبر امثال
فرخ الحمام وان هذا العصفور الصغير برقه ويرسه فاستبعدت ذلك
وحمل لي ان هناك عشه يجاور من قفص صاحبي ونقل ذلك الفرخ

الى ما بين يدي وهو معروف عندي بانه فرخ اي طاير هو بعد
لسبع لسع العصافير المقصوده في فرخها ولا يزال ابو فرفر
حوله فلما جلسنا عنه وقع العصفور الصغير اماه مقعد منت برده
الى العش فاربدت العصفور البه هادية فلا يبعد ان يكون الطاير
المذكور هذا هو ذاك الا انه ليس في قد البازي فلعل الذي في بلادنا اصغر
او لعله طاير اخر ويرجف في بلادنا ان هذا الطاير عاهر يطاه
كل طاير وليس كذلك بل انما تهافت عليه الطير فيما اظن منها رشة لانه
ياكل بيض الطير ويزاحمها في العشش فينزل فراخها كلا عليها في
مستشعر منها مكرا استشعارا طبيعيا غريزيا ق وفراخ البراة يسمن
ويكون لذيذة الطعم جدا وجنس منها يعشش كالرخم والطيور تتناوب
ذكرانها واناثها في الحضانة ما خلا الدجاجة والوز الاثني فانها تلزم
الحضانة ساب الما يبيض على شطوط البقايع في سبع مر لعشب يبقور
الحواصل على الحضانة وعلى اصابة الطعم من قريب والقماح يقاسم
البيض فيما بين الذكران والاناث فكل يحضن ما يحضنه واذا القفات
البيض حضن كل ما فقاه لكن الذكر يستقل منذ اول ما يطير فراخه والطاوس
يعيش خمسا وعشرين سنة ويبيض بعد الثالث من سنه عند
ما يبيض ينقش لونه ويتم ريشه ويبيض في السنة مرة واحدة اثنتي
عشرة بيضة في ايام يحضنها ثلثين يوما وربما اخل منها يوما وربما اخل
يومين واكثر والطاوس يلقى ريشه مع سقوط ورق الشجر وينبته
مع ابتداء نبات الورق والدجاج قد يحضن بيض الطاوس وبيض
البط وغيره وانما يختار الدجاج بحضانة بيض الطاوس في اكثر الامر

وان وجدت الطاوسة لان الطاوس الذكر يعبث بالانثى ويشغلها عن
الحضانة وربما افقص من تحتها ولمثل هذه العلة يعبث كثيرًا ى بيضها
عن ذكرانها ولا يقوى الدجاجة اكثر من بيضى طاوس ويتعهد
الدجاج حتى يقرب العلف منها **فصل في سفاد السمك و**
بيضها وتوليدها وكلام في سفاد الحيوانات الماشية و
توليدها بيض السمك لا يختلف الوانها في البطن الواحد و
يكونها على نحو يكون فراخ الطير في الصفاقات المشيمية ما خلا
ان احد العرقين المذكورين لا يكون فيه وهو الذي يمتد الى
الصفاق الذي تحت القشر بل الذي الى الصفرة ولا يكون هناك
رطوبة بيضا بدل البيضة التي كانت في بيض الطير ونظير الكبد هناك
في الوسط وذكر ان الكلاب البحرية تبيض اولا في الباطن ثم
ينقل بيضها من فوق الى اسفل ويلد حيوانا في ارحام بها لا موى
عند ما يمتلى بيضا بسان كبد ابن اسفين وكذلك رحم المسمى كالكوس في
الشوك فانها ينقل البيض فيها الى ناحية هذين العضوين و يصير فراخا
ويشبه ان يكون هذان الثديان كانبي رحم وقد يكون الذكورة
في اليمنى والانوثة في اليسرى وربما اجتمعتا في جسم واحدة وما
مارق وهي السمكة الرعادة التي تخدر يد من يمسها وتخدر يد حابل
البيض اذا وقعت فيه فانها ربما كان في جوفها قريب من ثمانين فرخا
والسلاحي يفرخ ستة اشهر سباعًا عند الشط في الدف والذي يسمى
الجمى يبيض في الشهر مرتين والذي يسمى كلبا بحريا فانه يلد مرة
والرعادة يلد في الخريف والثعلب البحري والكلب البحري

والمسمى

والمسمى باسم فكل مما يبيض ثم يفرخ في باطن ذلك ويشبه ان لا يكون
هذا الكلب البحري مما يعرف بحق من الكلاب المائية بل عسى ان يكون
جنسًا من السمك والدلفين يحمل عشرة اشهر ويتم عظم ولدها في
عشر سنين ويلد صغيرا فقط وربما عاب في اللج بلبن يوما لا يطرد
معه اجزاوه فهو يتحس عليها وربما عاش ثلثين سنة عرف ذلك من
مراعاة واحد منها مسورا واما قوفى فيضع على الاكثر واحدًا الى ثلثة
ولا بأس بد بان يرضع منهما ويلد كل وقت واذا اتى على اولاده اثنى
عشر يومًا استد عتها الى الماء في اليوم مرارًا تعودها السباحة
وعظامها غضروفية فلذلك لا يهلكها الا ضربة تقع على الصدغ وصوته
كصوت البقرة وجميع السمك القشري باض وكذلك جميع الاصناف خلا
الانكليس واذا باضت في اماكن اعتادتها واعد بها سمت على النواع
ولو لحق البيض السمكي ذرع الذكر كله وتم الملحوق منه لكثرة تبلغ
عدد السمك مبلغًا عظيمًا وكذلك حال اللين الخزف مما يبيض ومن
السمك ما يشق بطنه فيقذف منه البيض ثم يلتئم واكثر السمك
يبيض مرة وكذلك السمك النهري والبطايحي ولكنها لا يفرغ من
البيض دفعة بل في ايام متوالية ولا الذكر يمج ذرعه دفعة وصنفان
من سمك البحر احدهما يقال له مسى يبيض خمس مرات او ست مرات و
الاخر يقال له حلقس يبيض ثلث مرات والصغار الحسب يبيض عند
اصول الخلاف وبعضها في الطحلب والعريض والقرفير يتولد في الطحلب
او يتولد وربما لزمت الكبرة من السمك سمكة صغيرة لزوم سافد وربما
كان الذكر مقيمًا عند البيض يحفظها وذلك في صنف واحد يسمى

القصب وبعضها عند اصولهم

موبوسى وصنف اخر يحفظ كل بيض يجتمع ويسمى اكلاس والانثى
منه مصرمه لا يشتغل به وبعض البيض بطي العشود مما يبقى اربعين
خمسين يوماً وبعضها وخصوصاً بيض الصغار سريع النشو يفرخ عن
ثلاثة ايام والانكلس لا يوجد في بطن ذكرانه ذرع ولا في بطن اناثه
بيض ولا يتولد عن سفاد بل يتولد في الامطار في النقايع وقد توهم
الدود الموجود في بطنها انها الشيء الذي يتكون هذا الصنف منه
وليس كذلك بل تكونه من ذاته وربما كان من العلق المسمى معا الارض
قد امتحن ذلك وذلك اذا امطرت تلك الارض التي فيها هذا الدود
وقف عليها ما وربما نصب الما وهي طحلب ويتولد فيها سمك يسمى زبدا
والانكليس ايضا وقد يتولد في الحماه الباقيه بعد الصوب سمك
كثير كثير جداً كرا الربا من الزبد الذي على الما اذا امطر وقد يتولد عنه ولا
يكون البتة اذا قلت الامطار وقد تولد صنف من السمك صنف اخر
معرله والسمك يختلف في زمان السفاد وفي مدة الحمل وفي زمان
الوضع واخر ما يضع هو المسمى سقالة والضفدع من اصناف السلاحف
بيض كثيراً فيهلك ويضع بيضه على الشط وسايره يلد ويختلف بعض
في مدة البلوغ والسى سريع النشو فهذا ما قاله في السمك واما الحيوانات
الاخرى فان ذوات الاربع منها التي يسفد في السنة مرة فقد يسوا اخلاق
ذكرانها مثل الخنازير البرية فلذلك يتقاتل ويستعد لذلك
بالتلطخ بالطين والتجفف والمعاودة يبل بالما ويتمرغ في التراب والثيران
والكباش والجمال والفيلة يزعر اخلاقها ويتقاتل وكذلك الذئاب والاسود
ان لم يتقاتل فلانها لا يتحاور والكلاب اقل من ذلك سوء خلق لانها

يسفد في السنة مراراً على انها تهارشت فاذا اجتمع على كلبة كلاب
كثيرة صير بعضها على بعض مرة ويهادن مرة فاذا تعاطلت لم يقصد
الذكر المعاطل بسوا في وربما وثب الكلاب الذكورة التي يتبع
الكلبة المستحرمة على من وجدته من الناس وفيه خطر فاما الاناث
فيسوا اخلاقها عند رضاع الجرا وخصوصاً الدببة والكلبة واهل الهند
يحولون بين الفيل وبين النزو فانه ان نزى عصى عصياناً عظيماً
واقبل على سيسيهم بالهدم واهل الهند يودون الفيلة المستوحشة
بالفيلة المستأنسة اذا تعوهدت بما يخصب علفه وبالف بين
الرمكة والبقرة يشتد بها الشبق جداً والرمكة اذا ودقت تعرض
بطنها الريح فتلتذ بنفوذ الريح فيها وربما يتولد في ارحامها من النفخ
وذلك مما يركضها ركضاً اخر وقد سمعت شيخاً من المحتشمين ذكر ان
حجراً عرسه بالكوفة وذهب فهرب عن المصلى يوم الاضحى او الفطر
فلبست الريح بطنها فلم تزل تعرق في العدو حتى حصلت بنواحي
الحيرة في اليوم الثاني فاذا انها قد قطعت نحواً من فرسخا وذكر في التعليم
الاول ان ركضها يكون الى الجنوب او الى الشمال لا غير لا الشرق ولا الغرب
وان الخنازير هذه يسيلها ويسيل من ارحامها اعني الحجورة والخنازير
رطوبة كما يكون بعد الولاد باحدها المدعون للبحر لا عمالهم ذي الملز
وارق منه ويسمونه حوان الحمل يسيل قليلاً قليلاً ويدل على حال
استدامها طاطاتها الروس بعضها الى بعض ملاعبة واجالتها الاذناب
محركة اياها تحريكاً متتابعاً وربما درب بولها متواليا وكذلك البقر في
تحريك الاذناب ودرق البول والسامي منها اسرع استدامة

وخصوصًا الخصير والرمكة تسكن ودا تها حربا صبها كان حركات
الناس بسطها للخيلا واللعب وذلك مما يحرك شهوتها ودكوره لا يحل
نسالها الرماك في المراعي ما لم يسوق بل يصل على طردها في غير
وقت الشبق وكك الثيران فاذا اغتلمت اختلطت والحمل يطرد
الفرس عن المرعى والحيوانات البحرية ايض لا يجتمع ذكورتها مع اناثها
في الرعي الى وقت الصباح والبقر والخنازير والكلاب اذا شبقت
ورمت اما لها وقد يطمث الرماك طمثا يسيرا في مدد متقاربة
ما بين شهرين واربعة اشهر وربما تمادى باخره الى ستة اشهر و
للمعز والضان مثل اسبها البرو والسفاد ويكثر ذلك في الرماك و
الاتن والبقرة في اوان الشبق حتى يخرج شي تعد به وكلما تشتد
هياجها عند الاسفا من تلك الفضلة وطلق الرماك اسهل
من طلق غيره ولا يستفرغ بعد وضعه دم كثير والبغلة لا يطمث
البتة ولكن يحتبس بولها في وقت دون وقت فبول ذوات الاربع
اغلظ من بول الناس وبول الماعز والشا اغلظ من بول الكبش و
بول الاتان ارق وبول الراضعة اخثر واول لبن البكر فيحى دقيق فاذا
وضعت احدث في الاعتدال ويحصب الماعز والشا على الحمل و
تزيد في الاكل وكك ذوات الاربع الى ان تضع والكلبة والخنزيرة
يحمل من نزوه واحده الكلبة تمتلي جوانب رحمها بنزوة واحدة و
اذا عجل ابرا الفحل على اناث الخنازير الاهلية عادت اليها ح بل
يجب ان ينتظر به ريثما تصدق سمتها وترجى اذنابها وقد يحمل
حملا على حمل في ثلث اواربع نزوات و واذا مطرت بعض حملها و

عمر غنم

عمر غنم الحسر اكثر من عمر غيرها من الغنم فان عمرها قد يمتد الى
الى ثلثة عشر سنة وعمر غيرها يمتد الى عشر سنين والماعز يعيش
هناك الى احدى عشرة سنة وفي ساير البلاد الى ثمان سنين
وربما وضع الماعز والشا اسن عند جوده ما الفحل وخصب
المرعى ويجب ان تكون الغنم عند السفاد متوجهة الى الشمال و
يحب والكبش الذي عرقه الذي تحت اللسان ابيض يحمل
ابيض والذي عرقه دلك اسود يحمل بالاسود والذي عرقه اشقر
يحمل بالاشقر والمختلف ما الابلق والذي تشرب الم الملح تصل النزو
مثل غيره والسنة التي ينشط فيها الحسان قبل السمان فهو دليل
على الخصب والكلبة تطمث في كل اسبوع تعرف ذلك في
تورم مثلها ولا تقبل السفاد بل في الطهر وبهزلها الوضع
والارضاع ولبن الكلاب اغلظ الالبان وما يجري مجراها بعد
الارانب والخنازير والكلب لشعر بعد ستة اشهر او ثمانية اشهر و
ربما اتفق قبل ستة اشهر والسلوقي تعيش عشرة سنين
والسلوقية اربع عشرة سنة والذكورة من الكلاب اقصر عمرًا
لشدة التعب ولا يسقط الكلب من اسنانه غير النابين
والمسن منها افلح الاسنان سودها والمسن من الخيل ابيض
الاسنان واذا اجتمعت الفحولة والبقر وبها ملبث كان اسفدو
حملها من تسعة اشهر الى عشرة وما يوضع قبله يكون ضعيفًا
ويضع في الفرط يومًا واحد فحولها ابن خمس سنين وعمر البعير
والثيران خمسة عشر سنة وربما عاشت الى عشرين وقد

يزيد على ذلك ايضا بحسب المراعي والدعة ويبلغ عند سمن وربما
كان ضرع البقر خاليا فيضع ويرضع في الوقت لساعته بحاله والبركة ربما لم
تمتل رحمها بزر واحد وربما انات الرمكة بفرسين او فعلين لكن
الاناث ليسرع امتلاء رحمها

فصل في

المقالة السابعة من الفن الثامن من الطبيعيات **فصل في اختلاف الحيوان بحسب الماوى والمطاعم وفي الاعمار والاخلاق** كما ان من الناس من هو بعد مشاكل للبهايم و
السباع من الحيوان الغير الناطق كالصبيان الى ان يعقلوا كذلك
من الحيوان ما هو مشاكل للنبات لا في ان له حد النبات فان هذا
لا يمكن ولا من جهة ان له حد النبات فان جميع الاشيا التي من
مقولة واحدة متشابهة بانها تتشارك في جنس الحد ولكن في ان له من بين
ساير الحيوانات خاصية توجد تلك الخاصية للنبات فقط من
ذوات الانفس مثل لزوم المكان كالغمام والحيوان البحري بالهي
وجماعة من الاصداف وهذه لا تنبجح عن حركة ارادية ولكن لا تبلغ
ان تفارق بها جملة المكان بل ينبسط وينقبض في صدفها و
يختلف ايضا في القوة والضعف ولا بد لها من حس لمس ثم بعد
ذلك فان درجات الحيوانات تختلف حتى يبلغ درجة الكمال الذي هو
الحيوان الناطق ونما من ذلك طبقات الحيوان الذي يتولد التي يتولد
ويعتني بتربية الاولاد ويضطرب في ارشاد القوت ويختلف ايضا
باختلاف الطعم وهي مختلفة في ذلك اختلافها ايضا في ارشاد
المساكن والماوى على حسب ما سلف ذكره وهو مشهور ويختلف

بالذكورة

بالذكورة والانوثة وربما كانت ذكورة لسنة والى الانوثة ما هي
وانوثة كرة الى الذكورة ما هي وربما اكتسبت مشاكلة للاناث باعضا
فاتفق ان البدن قد يستفيد من عضو واحد فيه مادة او كيفية
مطردة لتشيع في جميعه فاذا فات ذلك العضو وكان غير ضروري
في الحياة بل في صلاح الحياة مثل ان افاده فائدة تربي البدن
عدم ذلك الكمال وكيف لا يوثر فقدان الاعضاء ومخالفتها
بالكيفية والوضع وانت ترى الخلاف بين الذكر والانثى انما
هو بسبب مخالفة الرحم والقضيب في الوضع والكيف و
الكلام في الذكورة والانوثة وفي هذا مما سنفسره ونفرده بعد.
ومن عجايب احوال الحيوان علمه بعضها بعضا وصيد بعضها
لبعض وربما كان الصايد مصيد مصيده مثل السفايح فانه يصيد الحيوان
البحري المسمى فاربوا وياكله وحتى انهما اذا صيدا معا في سكة
واحدة مات فاربوا خوفا من مجاورة السفايح لكن فاربوا يصيد
عنقري وعنقري لملاسته يزلق عن اطراف السفايح فيعجز عن
صيده بجوادحه وعن التشبث به وهو يخلص بسلاحه الى جسد السفايح
فيجرحه وياكله والسفايح محدود يمكنه من جسد فاربوا فيقهره
ويجمع ما لا فما ياكل اللحم وفاربوا يصيد السمك الصغار وحين
يهجم عليها في ماواها وسلاحه ربما ساه بهما يصيد ويتناول وهو
حدث القدم وحيث المكوص عند الذعر وحسه مما يقابل يقرونها
كالكاس وربما تقاتل منها سرب سرب والسفايح اكثر صيده له
فيحللنا مجرحه ويجرحه ويبلعه ومن طلب السفايح عهد الى ماوى

محلما وكثير من السمك غذاؤه وعيشه من بيض السمك فاذا انقرض
زمان البيض جاع والحيوان البحري المسمى طرعلى وهو يغتذي
من الحلزون والطحلب ومن اللحم وحده وكثير منها يعيش من الطحلب
والحماه والارمال وكثير من السمك اكل بعض جنسه بعضه ما خلا
سطربوس فلا ياكل لحما اصلا وكذلك الصفال واما عنقري
فيأكل السمك واللحم لكن من غير جنسه ونوع من الصفال
يعدي كثيرا من مخاط نفسه فلذلك يقال انه صايم ابدا وجنس
من الصفال مخاطي ويضطره ابقال المخاط اياه ان يسرا وهم
في اللجج كالمعسل ولمخاطها لا ياكلها غيرها من السمك فيكثر
عددها الا انه يموت فيحلل فح ياكلها غيرها ومن اجناس ما لا
يقلب معدته الى خارج والدلفين لا ياكل الا اللحم ونوع من السمك
يسمى بوبس لا ياكل غير لحم العموس وربما اكل لحم جنسه ومنها ما ياكل
مع اللحم غير اللحم كالطحلب وصنف يقال له ساقورس يجترا جترار
البهايم والدلفين وانواع من السمك افواهها في ناحية بطنها
يستلقي عند الصيد ولولا ذلك لما سلم منها صغار السمك لشدة
لشدة قوة الدلفين ونهمه والانكليس يغتذي من الحماه من
قرار الما العذب فان تغير الما وبعد فمن عيشه ردي كالدلفين حيفه و
كذلك الكدر يحتقه وبالتكدر يصاد صناعيا كان او طبيعيا ولا يطفوا
اذا مات ويعيش في البر خمسة ايام او ستة لا يحتمل برد الما المفرط و
لا قلة الما ومدة عمره سبع او ثمان سنين وجميع الطير المعقف المخلب
ياكل الما ويعجل في ملعه من كبار الجوارح الى صغارها وقد علم في التعليم

الاول اسماؤها باليونانية ومن الطير ما ياكل الدود كاصناف العصافير
الوضيع عندها وذكر فيها عصفورة ذات مرعى اعظم من الجرادة يسمى
احسن الصوت والمليحين والطير الذي ياكل الحب منه ما ياكل
الدود ايضا ومنه ما لا ياكله ومن الطير ما لا يهرب حوانا بل
يرعى ومن الطير ما ياكل ما هو مثل البق والذباب والطايران
النقاران للخشب المتشابهان الا في الجسم يعران لاستخراج الدود في
وههنا طاير غيرهما يفعل فعلهما وهو في عظم الاطرغلة اخضر
الجسد كله وله صوت عظيم ويكون في بلدة واحدة سماها واخر
دمادي صغير الصوت ومن جنس الحمام اللاقط للحب ما لا يطير
شيئا وهو الاطرغلة وطاير من جنسها يقال له اماس يقطع الى بلاد اليونانيين
شتاء على خلاف عادة ساير الطير وهو اكبر من الحمام ويصاد عند
شربه ويسمن فراخه وذكر في التعليم الاول في هذا المكان اصناف
من طير البحر مجهولة وفيها غراب الما وهو المكا وليس شيء من طير
الما يعشش او يفرخ فوق الشجر وجوارح الطير ياكل جميع ما يقهره
الا ما كان من جنسها فقلما يقصد اكله قصدا ومعنى قولي قصدا
انه قد يتفق للعقاب ان ياكل جارحة انما يهم بها محالا انه تمسك صيدا
فيقصدها لنزع ذلك من يده فان وجد صيدا سلبه وان احوج
مادي احتاقه الى اكلها بهما والجوارح قلما تشرب والحيوانات ذوات الاربع
التي على جلودها فلوس كسام ابرص فهو ياكل اللحم والعشب وكذلك
الحية وهي نهمة ويقل شربها واشتاق الى الشراب فاذا شمته لم تملك
نفسها وياكل لحم بعض الحيوان ويمص رطوبة بعض وكذلك ... المقلس المجلد و

العنكبوت يمص الذباب ايضا والحية يبتلع البيض والفراخ حتى
اذا ابتلعت عظما رديه الى مواخرها ونصب فلم يلبث ان يهشم و
الحية وسائر الهوام يعيش مدة طويلة بلا غذا يعرف من شهادة الحواس
والذباب والكلاب وما يجري مجراها تعاف عن اللحم الا عند التعالج
مثل اكل الذئب عند ما يسري والكلب لبعض الاعشاب عندما
يمغص والضبع في عظم الذئب لكنه كبير الشعر ذو ناصية ياس
ياكل الحشف والدب ياكل اللحم من كل حيوان وياكل الثمار وياكل
الحيوانات الصغار كالسراطين والنمل لانه وان كان سبعا فقد يشبه
بعضه بديه البهائم الاخرى ويصيد الايل عن كمين لا عن اتباع
لان بدنه حصره قريب المدى ويستلقي في مرصد الثور فاذا رام
نطحه بسط دراعيه بعرسه ولا يزال ينهش ما بين كتفيه حتى يصحه
وربما مشي يسيرا على رجليه واتى انه لرمى بالحجارة ويا حد العصا
من الانسان مصره حتى توهم انه مات فيتركه وربما عاد يتشممه و
يحس نفسه ويحب العسل جدا ويصعد الشجر احف صعود و
يهشم الجوز بين كفيه بعضها بالواحدة وصدمه بالاخرى ثم ينفخ
فيه فيذرا قشره ويسف لبه واما الاسد فانه يدرا البلع سلع الضبع
عن صابر الى ان يصبح يعص بفهده ويعود فيه ويمتلى امتلا
يثقله فيلزم مفرسه يومين وليلتين صائما ولا يحجر الا في يومين او
ثلثة ايام مرة واحدة ويهار بشي صلب جدا يابس لا رطوبة فيه
بين ويساه شديد النتن وكذلك بوله ويشغر كالكلب واذا شق بطنه
فاحت منه رايحة شديدة يثقله ومن حيوان البحر ما يرعى في الشط

ليلا كهوفي وحيوان اخر عريض الجسد قوي الاسنان اذا عض
الانسان لزمه حتى يسمع حشحشة العظام وهو غليظ الشعر وشرب
الحيوان اتحاد السن المقلحها خلاف شرف الحيوان المرضض الاسنان
وللدب شرب خاص وللطير شرب خاص فما طال عنقه فانه
اذا فرغ اسال راسه ثم عاود والسبب فيه ضيق اعناقها وصعوبة
مادي الما من تحت الى فوق فما طال عنقه على ان شرب الطير
مختلف ايضا الخنزير مولع بالاصول وخطمه موافق لكرب الارض
يبتاعن الاصول ويسمن في ستة ايام وخصوصا اذا اجيع ثلثة
ايام وبعضهم يسقيه يوما ثم يعطشه اياما وربما بلغ بها سبع و
جميع الحمام يسمنه الحمام والخنزير يسمنه التمرغ في الطين ويشبه ان
يكون السبب فيه سد ذلك لمسامه والخنزير يقابل الذئب
عداوة واما البقر فيسمنه ما فيه نفخ مثل الكرسنه والباقلا والشعير
الثمار الحلوة وربما شق طرف منه ونفخ فيه فيعاون ذلك على تسمينه و
الشمع المسخن يلين قرون العجل حتى يمتد تحت اليد كيف شئت
ويدهين قرونها بموم او زيت او زفت يحمى ارجلها عن الوجع فان
المشي يوجعها والبقر يتاذى بالبرد واذا حرم على فحولها وانا ثها السفاد
نمت نموا مفرطا واما الجمل والبغال والحمير فيسمنها الشرب والبقر
يشرب من الصافي والجمل والجمال الى الكدر اميل والخيل يكدر
الماء الصافي بالحوافر ثم يشرب اتى يجب ان يجرب هذا والجمال
يقوى على الربع ويعيش على العشر والفيل لا يعلف على رضاه بل يقتصر
على سبعة امداد بالمقدوني وقد يشرب الفيل اثنا عشر كيلا

بالمدوى ق وقد يشرب الفيل اثنا عشر كيلا عسر ذلك اليوم ثمانية
اكال اخرى وقد عاش بعض الجمال مائة سنة واما الفيل فقد ذكر
بعضهم انه عاش مائتي عام وزعم بعضهم ان منه ما عاش اربعمائة
سنة والغنم يرابط على المحصب لا يستقل ويحب الرعي من الورق واطراف
الشجر والغنم يسمنها السقي والملح يخصبها ويسمنها ويعين على شرب كثرة
الما التعطيش واذا اطعمت الرضيعة منها ملحا درّ بها لبن وافر وعلفها
بعد الاجاعة يسمنها شديدا واذا سيب في الخريف ما سمو لا كان
اوفق من المحبوب ورعي العشى احدى عليها واذا ركبها الثلج بصقيع
بعى على القوى اكثر لان الضعيف ينقص ويضطرب حر عاق
وراعى الجمال الذ طعما من راعى العاض وعربية الابل يحتمل
الشتا اكثر من طويلة الابل ويشبه ان يكون ذلك لانه يدني المنصوب
سما الى الاصل وجعل الوبر جروع على الهوا المسوح من جوه ما اكل
الدب منه يولد على لاسه ملا وكل ما له من المجر ناسنان فهو نهاش
وما ليس له اسنان فهو مصاص من رطوبات الحيوان والطل على
النبات وغير ذلك ومنه ما يطعم ليطعم **فصل في معنى العضل
الذي يهدم وفيه اشارة الى امراض الحيوانات** ان من الحيوان
قواطع واوابد ومن الاوابد ما يلزم ماواه الطبيعي كالحمام ومنه ما
يفارق الى ماوى شتوي مدفى في القعر بعينها كالفواخت
والمعربان والقواطع ما يقطع في الشتا الى قرب والى بقعة وهذه
مرسه ومنها ما يختار في الصيف المراوح والروابي وينتقل
في الشتا الى الاغوار والسهولة ومن القواطع ما يبعد مدى السفر

مثل طير

مثل طير يطير من شرقي الجنوب الى غربي الشمال كالكراكي فانها تاخذ
من بلاد المشرق الى البلاد التي يكون بها خلق من الناس قصار
القامات صغار الجثة طول كل واحد منهم ذراع وذلك حق وليس
من المختلقات والخرافات والى مسع السيل ايض ومنها ما يصيف
بالجنوب ويشتو بالشمال فيكون سفرها عرضا آق انه قد جرب وعرف
ان طير الما يقطع من الهند ربعا الى البحيرة بباميان دفعة واحدة
والدفعة الاخرى من باميان الى مروم يفرق من هناك فمن احد
الى ما وراء النهر والى بحيرة خوارزم ومن اخذ الى نحو طبرستان
ومن بحر الى جهة اخرى ق والكراكي تسافر بخط واحد تقودها
رئيس والقطا تسافر جملة منتشرة ومن السمك ما يقطع من بحر الى
بحر او بجة الى شط او شط الى شط ومنه ما يابد ويحصد كل
طاير عند الانتقال من حر الى برد او برد الى حر واذا هم بقطع من
الطير بالقطع يصالح سدده بما يصنع لئلا يغير منها غاير ومن
الطير ما يهوى على ريح دون ريح كالدراج فان الجنوب يجسر
والشمال يهوسه فلذلك يختار لصيدها هبوب الجنوب ومن
الطير ما له شبه الاذن من الراس كالبوم وغيرها ومنها نوع يق
له علوص محاك يرقص امام الراقص والضارب والطاير الهندي الذي
يسمى اسطاحر له لسان كلسان الانسان ويهجر شرب الشراب
الى السفاد وهو محاك للكلام آق لا يبعد ان يكون السعا
والسمك الشطي اطيب لحما من اللجي واصح لطيب المرعى ثم
عد اصنافا من السمك منها حجه فقط ومنها سطحه ومنها مردد

وما طعم من مجرى الى مجرى وذكر ما ما يعرض لها وانها متى يصاد ومتى لا
يصاد وانها متى يهيج ماواها ومخاصيها ومواليدها ومن
الحيوان ما يلزم ماواه سباتا كاصناف الحجرات واما المفلس الجلد
كالحيات والتماسيح فانها يلزم مجاثمها اربعة اشهر من الشتاء لا
يطعم شيئا والحيات يعشش خلا الافعى فانه ياوي الى بطن
الحجارة ومن السمك ما يغيب ومنه ما يلزم عشر وقتا دون وقت
والامطار يؤثر في اظهار بعض السمك دون بعض كذلك حال
مع الطير ايضا وربما اظهر المطر سمكا لم يعهد والحداة من الطير
التي تغيب في الشتاء اياما يسيرة وان هذا يختلف في البلاد
وليس من الحيوان ذوات الاربع ما يغيب فلا يظهر الا القنافذ
ولا الدب فانها يتحجر مدة ولا يظهر ولا يطعم ويكون في غاية السمن في
ذلك الوقت وفي غاية الكسل وفي ذلك الاوان يضع اناثها و
لم يصدت حامل الا في الدبة فانها يقضي حملها وهي في اوائل
اول انجحارها اربعين يوما وقد يمتد اشهرا فاذا برز الدب بدا
ياكل اللوق يعوق به معاه وشهوته واقول ان السبب في الجوع للتحلل و
سبب التحلل قلة في المادة ورقة وسخافة في الجلد وقوة من الحار
الغريزي المحلل والحركة والحار الهوائي فاذا نقص شيء من هذا
وكثرت الفضول في البدن لشدة النهم وغلظت وكثفت الجلد و
الحركة سكونا وبرد الهوا وبقي محلل واحد امكن ان لا يبلغ
تحلله الاجاعة بل لا يجاوز الهضم الجيد فيسمن ولا بد بل ويسمن
به ذلك الى حين ويكون هذا للدب عندما افرط امتلاؤه في

وقت

وقت الفواكه والصيف ويختص به لعلة دوام سعره وكثرة نهمه و
هذا مما يقل ابهامه فان بهائم ذوات الاربع ليس لها نهم مفرط ولا
يمتلي دفعة ولا ينال من اللحمان وهي التي يكثر غذاؤها والسباع
عيشها من الصيد لا غير ومن اللحم وذلك مما لا يكثر جدا واما هذا
فيفعل الفعلين جميعا فيمتلي من اللحمان ويمتلي من الثمار وغيرها
مما يولد فضولا كثيرة وله قوة على صعود الاشجار ثم بدنه بعد
ليست حرارته شديدة مثل حرارة كثير من السباع حتى يحلل تحليلها ولا
يبعد ان يمتلي وقتا من الاوقات فضولا كثيرة تعاف معها الطعام
اصلا وينقلها خصوصا اذا اقترن به شدة سد البرد وقبض عن
الحركة فيعرض للدب الخاصية التي يعرض لغيره هكذا ايضا حال يشبه
الدب من بعض اجناس الفار والقنافذ وبالجملة يكثر فيها الرطوبة التي
هي البلغم الطبيعي الذي هو نصف دم اي دم غير ذي نضيج والذي
من فوائده في ابدان الحيوان كما ستعلم انه يكون عدة لوقت فاقة البدن
الى الغذا اذا اعوز الغذا فلو كثر هذا جدا لم يحتج البدن الى الغذاء
وربما كان مثل ذلك للناس في حال الصحة واما الحيات فلشدة
صلابة اجسامها وكثرة حارها الغريزي يبقى حارها الغريزي
الى حين لا يحلل وجميع الحيوانات المفلسة الجلود اللينة الخزف لا
كالسلحفاة فانها وان كانت مفلسة الجلد فهي خزفية الجلد فانها
تسلخ اخر ما على جلدها كالقشر والمغرفي والحيات اشد سلخا لكن
انما تسلخ ما تسلخ في ابتداء الربيع عندما تصحو وكذلك في الخريف
ولم يصدق من قال ان من الحيات ما لا ينسلخ جلده قال واول السلخ

انما ىىدى من الحملان فاذا ابدا اعطى السلخ عن الجسد حتى ليستعمى ويستمر
التسلخ فى العين الى الراس ويتم فى يوم وليلة وكذلك حال المجزرات
وجميع ما يطير مما الجناح غلاف مثل الجعلان فانها اول ما ىتولد
ىسو ىسلخ جلدها والجراد والصراد اول ما ىكون دىاىم ىسلخ
ويخلص من مسلاخه وهو رطب فيجمع الشمس جسده وىىسف بالتدريج و
الى ذلك الوقت ىلزم ىقصان السحر به ياخذ ىطىر وهذه ايض
فانها ىسلخ بعد السلخ الاول وبعد الطيران ومن الحيوان البحرى
ما ان فارىوا واسطا ىو ىسلخ جلده ربيعا وخريفا وبعد ما يبيض يعلم
ذلك ما ان ىصاد وعليه جلد لين جديد والسراطين كذلك وفي ذلك الوقت
يعجز عن المشي السريع وان يبس الهوا وانقطاع المطر فوافق اصناف
الحمام فيخصب وليمن ويحسن حال بيضها وتفريخها وخصوصا الديم و
الحمام البرى والسمك بالضد فانه كما يقول فانها يخصب على المطر فوق
خصبها على السقى وعام مطر الصيف والشتا ملايم لها جدا وما يجر
عند الامطار ايض يعدب الاان اصنافا باردة منها القفال وما يليها
فانه يعمى اذا دامت الديم والقفال ىبيض عنه شيئا ويهزل ويكون مستعدا
للعطب والطير اقل الحيوان شرب ما وذوات المخالب لا يشربه وسن سقام
الطير من اىعاش ريشها وسقوط مائه واكثر السمك يحن الى الما العذب
سوحه ىلقامصات الاودية فى البحار ويسافر من البحار ويسافر من البحر
الى الانهار والسمك الشطى يخصب بالعذب واللجى باللج وفى
اللج والسمك المستطيل الجثة يخصب صيفا وخصوصا اذا كان
شمال والعريض الجثة بالخلاف ومن السمك صنف يهيج عند طلوع

كلب الحمار

كلب الحمار وىلزم اجنحته دودا ان كعقربين فى حجم عنكبوت يؤذيه
شديدا حتى ىملل ويلتوى ويضطرب ويعرض للصيد وكثيرا ما
يهلك صغار السمك لشدة الحر والسمك البحرى والنهرى يعشى
فلذلك يصاد قبل ان يطلع الشمس بسهولة وليس يوجد وما يسمل
اصناف حيوانات الماء شمول الوباء الهوائى لاصناف حيوانات البر
وكذلك حال السمك النهرى لكن من النهرى ما يمرض فى الصيف
عند طلوع الشعرى والشعرى نفسه يضره والنتن البحرى يهلك
السمك يضربه ومن امراض السمك دود يقع فى حسها او ىمل وذلك
خاص ىنوع واحد يسمى حلقس وهو يعمى وشدة البرد يوهن السمك
بل يهلكها ولذلك يهرب من المياه العذبة ويبس لا يوافق شيئا
من السمك النهرى وللحيوانات امراض يخص نوعا نوعا مثل الخنازير
فانها يصيبها فى حلقها الذبحة والخنازير والاورام الجاسية و
عدد مودية للحلق وربما اصابتها فى اعضاء اخرى وذلك ما يحوجها
الى كثرة حركة الرجلين ويصيبها الصداع السل ويصيبها ايض
سهل فى الاحشاء لا يداوى بل يقتله الى ثلثة ايام والخنازير يحب
البلوط ويخصب عليه واما الكلاب فيصيبها الذبحة ولنقرس و
الكلب وعض الكلب الكلب يسل كل حيوان الا الانسان
ان يلوح بالعلاج والفيلة لا يسقم فما يوذيه الا بالنفخ والرياح فيعتبر
روثها وبولها والتراب يضرها الاانه يعتاد اكل الطين والحجارة
ويصيبها اختلاف يتقطيع ليشرب الما الحار والحشيش المبلول
والبقر يصيبها النقرس ومرض كالجذام ولا يبلغ من نقرسها ان يلقى

اطلافها وبدهين قرونها ينفع من نقرسها واما المرض السمى باسم لصدام
سواير نفسها وتظهر بها كالحمى وريح اذنيه وتمتنع من العلف ويهلك عن
قريب وتسرح عن دواب فاسدة والخيل السائمة لا تعل الا لمخلع
الحافر عن رسغه وتتقد من اختلاج الحصر اليمنى واما الخيول المربطة
فكثر امراضها مثل الحصى والكراز وقروح الرية والحمى والجنون و
وجع القلب المميت ووجع المثانة وقد ذكرت علامات ذلك
لكنها اولى بعلم البيطرة ولسعة موغالى غير موافق للخيل ولساير البهايم
وخصوصا الحوامل منها والعرض الذي يعرض منها السقط القاشى و
اذا سقط قبل وكذلك لسعة العطاية والرمكة تسقط عند شم دخان السراج
المطفى وربما عرض ذلك للحوامل والشاة يهلكها الما الذي صفى عن
زرنيخ احمر ومن خواص الخيل ان كل واحد منها يعرف صوت الفرس الذي
قاتله وقتا وتميل الخيل الى الاستحمام بالما الذي يشرب منه والحمير يعرض
لها زكام فيموت عند ما يصيبه نزلة وتهرب عن البرد فلذلك لا حمر على
خليج سطوس ولا في شمال خراسان والفيلة ربما شربت الدهن وربما لم
يشرب واذا كان في بطنها حديدا خرجه شرب الدهن والحيوانات المحرز
يخصب في زمان ولدت فيه خصوصا ان وافق ذلك ربيعا وكوائر النحل
تعاونها حيوانات عنكبوت تتولد عند الموم ينسج فيها ويفسد الشمع وفراشة
تتفش عن مثل غبار الطاحونة وكانه دخان وربما يولد في الخلية دود و
النحل يمرض اذا كانت العفاصح والزهر التي يرعى منها مطلولة بطل ردى
وكل حيوان محرز فان يدهنه وخصوصا يدهين راسه يهلكه ولا سيما اذا
شمست مع ذلك وقد يعاف بعض الحيوان بعض البقاع فانه لا يكون في

بلاد ما فا لا صرار الليل وفي بعض البلاد يكون صرار الليل في
احدى بقعتين متجاورتين دون الاخرى واذا حمل الجلد الى بلدة
تسمى طلساد ما المصاقبة لبوطية الكثيرة الجلد لم يعم ولم يحفر الارض
بها للماوى واذا نقل الارنب الى بلد ايا هانى هلك ولا يوجد
بجزيرة سقلية شى من النمل الكبار التي تسمى فرسانا ولا يوجد
بارض قوريس ضفدع نقاق ولا في لوسر خنزير برى ولا ابل ولا
غير برى قد وزعم امسطاس وليس بذلك الصادق اللهجة انه لا
خنزير في الهند وفي بعض البلاد من العنوز ما طول اذنيه شبر
ونصف وفي بعضها ما تماس اذنه الارض وفي بعضها بقر ذات
اعراف وفي بعضها معزي بحر كالغنم والشاة في ارض لوسر تضع
حروفادا قرن وزعم اومرس ان ذلك كذلك سواء كان المولود ذكرا
او انثى والماسبة بمصر كبار وسائر ذوات الاربع والطير صغار قالوا
والسبب فيه ان الرعى فيه مباح والصيد قليل واما الارنب فصغير
فيها لقلة اطراف الشجر هناك وسرعة انهراض الفاكهة ومع ذلك
فان لمزاج الهوا اثرا ويكون في ارض لوسر ارابا من سوام ابرص اعظم من
ذراع وبها فار عظام وفي ارض لوسر حيات شديدة الاستطالة قليلة
الثخن والعرض والاسود بلاد اروى وهو خراسان عظيمة جدا و لا سيما
من الموضع المسمى اسلوس والنهر المسمى اسلوس اظنه جيحون وهذا الذي
نقوله حق مجرب والفهود يعظم في بلاد اسيا ولا يكون في اوروى
فا حلد واحرا وقد يوجد في بلاد لوسر حيوانات كثيرة الاختلاف مختلفة
الجواهر لانها بلاد قليلة الاندا تجمع الحيوانات الاحياف في المشارب فيتسافد

وذلك فى اخر الشتا اكثر منها فى الصيف والحيوانات التى بها قد عتادت
بها قلة الشرب حتى ان الفار التى بها يهلكها الشرب وقد يتولد من التركيب
حيوانات فان الكلاب السلوقية من سفاد الكلاب والثعالب والكلاب
الهندية من سفاد الكلاب وطاعريس اظن انه البير وانما تسانس منها
البطن الثالث وما قبله زعر الخلق وقد يعتمدون الى الكلاب المسرحة
فربطونها بمر السباع فربما اكلت وقبلت وربما احبلت بالسفاد والحبل
والسهل يحدث ان اختلافا فى قوة الحيوان فان السباع المذكوره السهلية محجر
فى بلدة ابوس عن الاناث الحبليه وكان اختلاف البقاع يوجب اختلافا
فى مضرة الهوام فان العقارب فى اكثر البلاد يكون اسلم منها نصيبين
فانها تقتل اى شئ لسعته وهى مع ذلك كبار واذا لسعت الخنازير تبادرت
الى الماء مات فى الوقت وافاعى لو بسر قتالة لا يعالج والصعلسون عندهم
حية صغيرة قتالة لا علاج لها فيما زعم يحاير حجر يوجد فى مقابر الملوك يسقى الشراب
وفى بلاد اطالسا جرادين قتالة واذا اكل بعض الهوام بعضا زاد ذلك
فى خبث لسعه كالافاعى اذا اكلت العقارب وريق الانسان الصائم
قتال للهوام وحكى فى حال رجل ساسان دهستان يحدر نفسه ويصحر
الحيات والافاعى التى بها وهى قتالة جدا والحيات لا تكافيه باللسع ولا
بلسعه احسانا ما لم يفسرها عليه فان لسعه حية مات وحكى ان بيننا
عظيما لسعه فمات وعرض له حمى يوم برا بى لما حصلت ساسان دهستان طلسم
ولم يعش وخلف ولدا اعظم حاصية فى الباب منه فرايت منه عجايب
نسيت اكثرها وكان حملها ان الافاعى تصد عن عضه ويحدث عن تنفسه و
يحدر فى بدنه ولنعد الى موضعنا من الكتاب ونقول ان من صغار الحيات حية

سفر عنه الكبار وهو ازب يصفر موضع لسعته فى الحال ويهلك
حية صغيرة قتالة لا ترياق لها ان السمك ما يخصب فى ابتداء
الحمل ومنه بعد الوضع واكثر الذكور يخصب بعد نفض الزرع
وعفورى يتبدل فيه لونه بعض صفا ويسود ربيعا ويحدث عشاكا كان
ودوات العش من السمك يهزل على الحمل والنهرى والبقيعى يخصب
بعد البيض المقالة الثامنة من الفن الثامن من جملة الطبيعيات
فصل فى اختلاف الحيوانات ايضا واكثره فى الاخلاق
قد يختلف النوع الواحد من الحيوان فى احوال بسبب اختلاف
جنسه من الذكورة والانوثة وبسبب اختلاف ومنا شى وكثير
الاناث اطوع واقبل للرياضة وانس واحرع واضعف ما خلا الذباب
والفهود فيظن ان الاناث منها احرا واظهر التميز بين الذكور والاناث
خلقا وخلقا وهو فى الانسان فالنسا ارق وابكى واحسد والج
واسب وافعى واحرع واوقح واكذب وامكر واقبل للمكر واذكر لمحقرات
الامور وارخى واكسل واقوم بالتعهد واقل حماية للبيضة وذلك ظاهر
فى الحيوان البحرى المسمى ما لاقيا فان الذكر لا يخذل الانثى اذا اصيبت
بالالة التى لها ثلث شعب بل يقاتل عنها ويذب عنها واما الانثى فيهرب و
يخذل الذكر اذا ارتج يحا واكثر الحيوانات تتنازع ما ينازعها فى الطعم
وجميع الحيوان يقابل الخوارح والخصب يونس بعض الحيوان ببعض
لزوال الحاجة الى المنازعة ولذلك ما يكثر الحيوانات المختلفة بناحية مصر
ويساكن بعضها بعضا والحيوانات تتقابل اما لان بعضها شريك
لبعض فى الطعم وقد يتقابل بالعرض لسبب الماوى كالعصفور والخطاف اذا

نهما
اجتمعا في بيت واحد والعقاب يقابل البين لياكله واجي موربها بل الجلد ما
طعها الاحر اكله والغذاف يقابل البوم لان البوم يقصده ليلاً و
ياكل بيضه والغداف ياكل بيض البوم نهاراً والطير كله يقصد البوم
ويضربه وينتف ريشه ولما يستشعر من كيده اياها ليلاً على اني رايت
البوم يجمع اليها الطير ويقابله اياها كالمحب وقد رايت عقعقاً
معلماً يحلى بعيت باشق ارسطو صبي عندي فكان العقعق ياخذ البضعة
اللحم ويقع قدام الباشق ويدنيه منه مطعماً اياه فيه فاذا كان يخطفه طار
الى قرب مستنيماً الى ما شاهده من اتيان رباط الباشق بدا ابرين
كان او يعمر الصبي عليه ثم يعود اليه العقعق فيعامله بمثل ذلك
كالمستهزي منه الطاير به المغيث اياه فاذا اعرض عنه الباشق اياه
من الوجه الاخر واذا اطعم الباشق طعمه نازعه في طعمه وشغله عنه
يحذف ريش دبره وربما وقع بين يدي الباشق ويطاطا له مع جده و
صرصر في وجهه وقد رايت من ذلك ما فصب له كل العجب وبالجملة
فقد كان هذا الباشق من معاملته في كل ما يليه وهذا ما بعرته
من قرى طوس في جبل من جبالها يقال له راهقان وعلمت من ذلك
ان العقعق من عريوم العسب تعره ق والحدا والعدمان يقابل الاجل
البيض والفرخ وبين الاطرعله والسقراق فان الحردون يقابل
العنكبوت ومن الطير ما يقابله التدرج لانه يولع باكل بيضه وفراخه
وعصفور الشوك يقابل الحمار لان الحمار يرعى ماواه والحمار الذي يحك
بالشوك فيعص عشه ويعض فراخه واذا نهق زعزع الشوك فسقط
بيضه وافرع فراخه فوقع عن العش فلذلك اذا راه قابله وصفر

في وجهه ويفرح احره ودام بعره عن قرب عشه وبين الثعلب و
الزرق مقال لاشتراكهما في الطعم وبين العذاف والنور عداوة وذكر
طيوراً بينها عداوة وبين الفرس وطاير يسمى بالنوبانيه الملس ويأكل
العشب مقال لانه يزاحمه في المرعى وهذا طاير يأوي المستنقعات والشطوط
وصوته كالصهيل فاذا راى فرساً انقض عليه وشنع وحاول
طرده وهو من جملة الطير الصياح وهذا من الحيوان يعادي فرطوس
لانه ياوي الى معلفه وذكر طيوراً مقابله منها ما يصعب سفاده و
وضعه واذا سفد الذكر منه سال من عينيه الدم والحباب يقابل
الخنادير وبنات عرس لانهما ياكلانها وبين الغذاف والثعلب صداقة
واتفاق ان المشهور عند نا ضد ذلك وقد رايت شمس الدولة جمع بين
غداف كثير وبين ثعلب في حباله في بعض مصايده فكانا يتقاتلان
قتالاً شديداً وكان الثعلب ربما قبض باسنانه على راس الغذاف
بكل قوة فلا يزيده على الادما والعداف ينقض بكفه على قفى الثعلب
فلا يدعه يصح فاه ثم يعره بمنقاره ق والهابي والعقاب يتقاتلان
وكثيراً ما يغلب الهابي ياكل بعضه بعضاً ويقهر كل طير
وذكر اصنافاً من الطير مصادقه وقد رايت الرخمة يصادق اللقالق
ويسعها ويصادق النسورة ويسعها ق والثعلب يصادق الحية
ويتساكنان في خلل الحجارة وبين الاسد والنمر كل العداوة فام
اجرعه ولا اصل له والفيله يقابل بعضها بعضاً ويعد المغلوب للغالب
وربما صيدت الفيله الوحشية بركوب السمر فوبه يقاتل الوحشية
ويقهرها ويستعبدها فاذا تم ذلك ظفر السايس بعلاه فوق

الذي هو عنانه وراض ما من شانه ان يروضه آق وقد بلغني عن بعض الثقات
ان الفيلة يصاد بضرب لطيف من الحيل وهو انه يحفر لها في مدارجها
بوثق احجارها فيها وهادنا مده عن صعب الى غور وتسقف الحفيرة بما
يخفيها ويسويها بالارض الجدد ويكون عرضها عرضا لا يجول فيه الفيل و
قدامها حائط صلب لا ينفذ الى القدام والمدخل اليها مدرج تدريجا
يصعب فيه النكوص فاذا حصل فيه الفيل لم يمكنه ان ينكص او يلتفت
فيترك اياما ليسحبه الجوع ثم ياتيه رجل من حيث لا يدنه عن خرطومه و
يتناوله بهراوة صلبة ضربا بعد ضرب وكلما اعيى استراح ثم عاد فاذا انهكه
عقوبته طلع رجل اخر ويتناول هذا الرجل بسبه الضرب واوهم انه يقاتله
فيغلبه ويطرده ويتبعه مبالغا في سعيه وابعاده ثم يعتبان ويعود الاول و
ياخذ في مثل صنيعه الاول فبما هو كذلك اذ طلع حاملا عليه ويأخذ الاول
راسه كالهارب عنه فلا يزال هذا دين كل واحد منهما الى ان يصرخ الفيل
عند قدوم الضارب منهما مستغيثا بالاخر فيشتد الاخر على الضارب
يهزمه ثم ان الفيل يهوى هذا المحامي عنه حتى اذا غاب عنه فزع الى
الصراخ وربما غاب هذا المحامي عنه عمدا ويعاود الاول رسمه ويتغافل عنه
الثاني حتى ينهكه ضربا ثم يعود دافعا عنه وهنالك ما يالف الفيل هذا
المحامي عنه حتى لا يصبر على مفارقته ويكون الجوع قد بلغ منه المبلغ العظيم
فيعمد صديق الفيل الى اصناف من الكلا والحشيش يعرف ميل الفيل
اليها فيعلفها الفيل فيكون مع انه ذاب عنه رادقا اليه ويستتم بينهما
انبساط ويسوق الرجل بمعادنه الفيل وركوبه والاخر يكلاوه من بعد حتى
ان بات عنده الفيل معه لاح للفيل من بعيد فادعى الفيل لصديقه

فاذا السمه

فاذا استشعر به الفيل وفطن الفيل لما يلقيه بعد تلك الوهاد المحفر
المدرج من قدام سهلا لا يصعب على الفيل سلوكه فركب الفيل و
سار اي مساق شاق وفيما بين السمك ايضا مرافقة ومقاتلة

فصل في قريب من المعنى الذي يشتمل عليه الفصل الذي من قبله

ويختلف الحيوانات بالكيس والخرق فان الغنم شديدة الخرق
تهيم في اوجهها لا للمقصود وغرض لا تهتدي الى الاسد في الشتاء
بل ربما تنقلب من الكن الى البرد واذا امطر الغنم لم تبرح موضعها حتى
تهلك وتتبع السوس طبعا وكان تبع الكباش والمعز ايضا يقف
وقوف الحيران حتى يحرك الراعي واحدا منها بناصيته فيتبعه البواقي لكن
المعزى اقل كسلا من الشاء واشد اشباها بالناس واضعف بردا والجمع
منها فقد تخاف الرعد خوفا شديدا حتى اذا غاص الغنم الحوامل وهن
هوادمعطن فلذلك يحمين الراعي ويزعجن ايضا بطباعهن الى الاجتماع و
النفور ايضا مما يتصل اذا اهملت ويكون عرضه للسباع والماعز تضطجع
بعضها مائلة بعض وهذا قبل الزوال واذا زالت الشمس اضطجعت
متدابرة على ما زعم الرعاة والبقر يضطجع بعضها بحسب بعض وللرماك
الفلو اليتيم وفي طباع الخيل محبة الافلاء واذا رات عاقر الرماك فلوا يتيما
ترف به وكان سببا لهلاكه اذ لا لبن لها والايلة تاكل كما يصنع لوفا ثم
تروف باولادها وتحب القمر وتسوق اولادها الى المشارب شوقا
تسهها في طريقها على المحاني والمهارب وربما دلها كونا وعرا يا غير منفذ
فاذا دخلتها هي واولادها وقفت على بابها محاماة عنها مقابلة دونها
والايل الذكر يسمن جدا ويستحيي عند ذلك في المكامن خوفا وهي

يلقى قرنه في محرز لا يوصل اليه ضنا به وستراللحم على نفسه فلذلك لا
يظهر قرنه الملقى ولذلك يمثل ويقوا اوبت الى حث يلقى الايل قرنه
وبقي ايضا لم يعثر على القرن الايسر للايل ملقى يقول كانها يحل لما
يعد رفه من منفعته في بعض الادوا العا واول ما يقرن يقرن في
السنة الساسه ويقرن كوبدين وفي السنة الثالثة يصير ذا شعبتين و
في الرابعة ذا ست شعب وبعد ذلك فانما ينبت على شكل واحد
فلذلك يخفي سنة ويلقى قرونها في السنة مرة واحدة واول ما ينبت
قرنه يحاكي جلده ثم يمي ويلمسها الايل ليستحكم ويمتحنها على الشجر فاذا
حك به ولم يالم برد عن فوادبه وابقا بسلاح حرق وقد صيد ايل بست
على قرنه السات المسمى فسوس وقرع وكان بانه عليه فيل استنكا عنه و
الايل يتداوي من لسع الحية ومن كثرة اكله اياها بالسراطين يا كلها واذا وضعت
بادرت الى اكل المشيمة قبل ان يقع على الارض ويعتقد في مشيمتها
انها نافعة لبعض الادوا العا لكنها يعرلما ذكرناه والايل يخدع بالزمر و
بالغنا فانها يتبع المطرب ويشتغل به حتى يدركه الراشق من خلفه و
يسطر ارخاها الاذنين فانهما ان كانتا منتصبين لم يخف عليها الهمس و
الدب اذا انهزم ارسل جروه قدامه فان لم يمعن حمله وان ادرك صعد به
في الشجر والماعز البري الاقريطي يعالج الجراحة المحلقه للحديد بحشيش
المسماه دافنون ويا كلها فيندفع النصل الى خارج والكلاب يتعالج
ما يعشبه المعروفه بها والفهد اذا سقى او شرب من الدوا المعروف
بخانق الفهد عمد الى زبل الانسان فاكله وهذه العشبة يهلك الاسد بها
ولذلك ربما عهد الصيادين الى ما فيه من زبل الانسان ودلوه من شجر

لنحوس اليه السباع المعالجة ويقتلها والفهد عرضه للسباع يمل كلها
رايحته ويرغب في اكله واقول قد بلغني ان الدب يولع به ولا يطا وقه
الواحد منه فيجتمع عليه ويطارده فانه يهرب سريعا فان عدوه وان كان
حثيثا فهو قصير المدى في يجتمع عليه ويا كله ولذلك لا يزال
الفهد متواريا مستخفيا من السباع وبعض حيوان نوق لم احر موق
يقاتل الحية ولكن يستنفر اولا من جنسه بحده الصياح لم فاذا اجتمعت
يلطخ بالطين متمرغه في التراب ثم منغمسه في الما يجد الطين جنه
عن اللسعه ثم يقاتل والتماسيح تفتح افواهها لطاير يقع عليه
كالعقعق ويخلل اسنانها ثم ينقلب ذلك الطاير وقد حدثت
ان على بعض اعضاء ذلك الطير كالشوك وقد برز عن جناحه
فيخدش فم التمساح ان هم بالتقام وربما لم يبال بذلك فابتلعه و
لكن ذلك الطاير يقلت في اكثر الامر والسلحفاة يتناول بعد
اكل الحية صعترا جبليا ثم يعود وقد عوين ذلك اقول وقد حكى لي
شيخ ممن كان يحب الصيد وكان من الثقاة انه عاين الحبارى يقابل
الحية الافعى وينهزم عنه الى بقله يتناول منها ثم يعود لا يزال كذلك
دايبه وان هذا الشيخ كان قاعدا عند مصيده في كن غاير يقل العشب
كانت البقله قريبه من مسكنه فلما اشتغل الحبارى بالافعى قلع البقله
فعاودت الحبارى الى منبتها ففقدتها واحدثت تدور حول منبتها
دورانا متتابعا حتى خرت ميتة فعلم الشيخ انه كان يعالج باكلها من
اللسعة ولما شرح لي لون البقله وشكلها حسبت انها الخس البري
قال واما ابن عرس فيستظهر في قتال الحية باكل السذاب فان

النهكة السدابية مما تشير عنها الافاعي والنمس تعالج في زمان
الفاكهة باكل الحشيش المرة والكلاب اذا رودت بطونها اكلت
سنبل القمح واذا احرجت القنالق بعضها بعضا دارت الحراحة بالصعتر
الجبلي ق وذلك مما شوهد مرارا والقنافذ تحس بالشمال والجنوب قبل
الهبوب فيغير المدخل الى احجرها لمنع بدو من الريح وكان بالقسطنطينية
رجل قد راس واثرى بسبب انه كان ينذر بالرياح قبل هبوبها وينفع
الناس بانذاره وكان السبب فيه قنفذ في داره يفعل الصنيع المذكور فبه
منه واما بطليس فهو حيوان على قدر كلب صغير ازب الوجه والبدن
تحت عنقه بياض يجري مجرى ابن عرس والنمس في صيد الطيور و
يستانس جدا ويحب العسل ولذلك يفسد الخلايا وقصبته ايضا
عظمي وسمع حرادة من عسر البول والخطاف صناع جدا في اتخاذ العش من
طين وقطع خشب وان اعوزه الطين ابتل وتمرغ في التراب ليحمل
جناحاه قدرا من الطين واذا فرخ تعاهد الزوجان منه الفراخ في
الالقام تعاهد الا يغفل منها واحد ولا ينسى على واحد وياخذ ذرق
الفرخ بفيها ويرميها عن العش والحمام يلزم ذكره انثاه وانثاه ذكره واذا
باضت الانثى مكاسلت عن الحضانة صفقها الذكر بالجناح مضطرا
اياها الى الحضانة آق وقد رايت الحمام الذكر يتقاتل على انثى ثم ان
الانثى تطيع الغالب منهما فان عاد المغلوب غالبا صارت اليه و
الذكر ينفخ في حلق الفراخ اول ما يخرج ترابا مالحا يعود به خلقها و
اذا ادرك الفرخ فلزم المحضنة حاول الذكر سفادها ليخرجها والحمام
يتسافد اناثها ويتسافد ايضا ذكورتها ويحب القتال بالطبع ويسود

على غيره

على غيره عشر وذلك في الفرط واذا نهاربت العشيرة دامت المها
ريش ولا يجوحها سعة الحلق منها وقصره الى ان تلقى اعناقها عند
الشرب بعد مدها واشا لتها فعل الدجاج الا ان يشرب ما كثيرا
دفعة ق ويذكر ان العصفور الذكر لا يعيش سنتين ولذلك
لا يرى في الربيع على العصفور الاهلي الذكر طوق اسود لانه يكون
ابن سنة وانما يطرق بعد السنة ثم يموت فلا يرى طالق في السنة
الاخرى واما الاناث فيعيش وتعود في السنة الاخرى تعرف ذلك
من حساوه في مناقرها ولا يوجد في الشباب ومن الطير ما ليس
بعيد الطيران ومعوله على المشي ولا يصلح له التعشيش فوق الشجر و
انما يبيض على تراب لين او بين حشايش يجمعها للكن وهذا مثل القبج و
الدراج ولما كانت عاجزة عن التردد في كسب القوت والامتيار
خلقت مستقلة بلقط الحب والبزر كما تنفقا عنها البيض واذا دنا
الصايد من مكان فراخ القبج ظهرت له القبجة وقربت منه مطمعة له
فيتبعها على مضله عن فراخها والقبج الذكر ينقص بيض الانثى ويدحرجها
لئلا تشتغل بالحضانة عند بغيته في السفاد فلذلك ما يضع الانثى
بمخفى عن الذكر والغالب من القبجين المتهارشين يتبع المغلوب ليسفده
ويسفد مغلوب مغلوبه وكذلك الدراج والديكة اذا استغربت
ديكا احتسدت عليه وسعدته والصايد يجعل القبج الذكر في
قفص ويضعه فاذا صفع برز اليه اقوى القباح مقاتله فيقع في
الفخ ثم يخرج اخر حتى يستوفي الذكورة صيدا وان بدله فيجمع اجتمع عليها
الذكورة لكن اقوى القباح يحامي عليها فاذا طرد ساير الذكورة عنها

بوار وهو برى وبلده فوق بلد العصفور وهو لازوردى اللون مع
خضرة وارجواسه مفرمر في جميع جسده من غير تمييز ومنقاره دقيق
طويل الى الخضرة وعشه صنوبرى ممتد من شئ كزبد البحر اننوبى
المجوف صلب لا ينقطع الا بعسر لكنه مترضض بقدر الانسان
مدة وباب حجره من الصغر بحيث لا يدخل فيه ما البحر عند الموج وبعين
على تشكيله مادة عشه ويظن بعضهم انه من شوك حيوان يسمى ابرة و
معاش هذا الطاير من السمك وربما صاد من الانهار الى وهو يسفد
الدهر كله وبيض خمس عدد واول زمان سفاده هو اذا اتى عليه اربعة
اشهر واما الهدهد فياوى الشقوق ويفرش لماواه زبل الناس و
يبدل لونه شتا وصيفا ويلونه عصفور يبيض تسعة عشر وربما باض
اكثر من عشرين ولكن فردا ويعشش فى الشجر وياكل الدود واما انذون
فهو محالت لذيذ التلحين ويخصه فقدان الطرف اتحاد فى لسانه و
فى هذا الموضع ذكر طيرا كثيرا منها ياكل الدبق وصموغ الشجر ومنها
صنف اسود وابيض يكون بمصر واسمه فوس قوس ويكون الابيض فى
جميع بلاد مصر ما خلا الهوبا ومنها طاير يسمى حلواوبس يبيض فى
عش الطير المسمى بومكس وقد مر وصفه فاذا خرج بومكس ابغض فرخ
نفسه ونفاه وهذا حق ومنهم من يقول يهلكه ويطعم فرخ بومكس و
هذا مشكوك فيه واما المشاهدة التى حكيها فقد كان عش الطاير
المسطار خاليا عن فرخ الطاير المسمى كوك ومنهم من قال ان فرخ
بومكس يهب اليها فانه يسغب بها ويستضعفها ومن الناس من
ذكر ان السبب فى امر بومكس انه يعلم من حاله انه مطلوب من جميع

الطير وانه يعسر عليه بيضه اذا وضعه فى مستقره وذكر صنفا من
المنسوب الى عدم الرجلين يشبه الخطاف ويجرى مجراه وانه
يعشش عشا مستطيلا ومنها طاير يسمى الموسلاس اى راضع
المعزى وهو طاير جبلى اكبر من بومكس يبيض اثناء بيضتين او
ثلثا يطير حول المعزى ويرضع لبنه وقد زعم بعضهم ان ذلك يكون
سببا لانقطاع اللبن ويعمى المعزى وهو باطلها وضعيف وقد يظهر
عند هلاك المدن جنس غريب من الغربان يتشام به فصل فى
مثل ذلك ويذكر فيه احوال النحل والزنابير واختلاف اخلاق
الحيوانات العقبان فمنها جنس رستاقى يهرب من الناس وصياحه
شديد وجنس اخر اصغر منه عصى جبلى ياوى الى ما يبعد عن الاودية
وجنس ابيض اسود صغير حديث اجلد من غيره ياوى ايضا لغياض و
الجبال وهو يصيد الارانب ويخصه يتعهد فراخه وهو سريع الطيران
حاد الصوت وجنس اخر ابيض اللون والريش قصير الجناحين طويل
الذنب دسر كذنب رخم عظيم الجثة جبلى يسمى جنس الجوهى
فتقهره الغربان طعمه من الجيف وهو ابدا يصيح من الجوع وجنس بحرى
ياوى جبال البحر والشطوط كبير العين ضعيف الريش عريض الذنب و
اذا اختطف صيدا قصد به جهة العمق من البحر كانه يغيب عن المدعين
وجنس بقى له الخالص كان سواه مدخول النسب هجين او يقرف
الخالص اعظم الاجناس قدا واقوى وابعد مسافة صوت وجنس يسقر
يعطل طرفى النهار ويصيد ما بين الغداة الى العشى والمنقار الاعلى من
العقاب فانه ينشق ويتورم ويتعقف فيعطله ذلك عن الطعم ويهلك و

العقاب بدحرج فراخه مما يفضل عن الحاجة لانه لا يلحق الصيد كل وقت
وفراخه يقاتل من ياتي عشها بمخالبها واجنحتها واذا بلغ فراخ العقاب
اوان الطيران نفاه العقاب من عشه والزوج من العقاب يحفظ لنفسه حريما
واسعًا لا يرخص لغيره من الجوارح ان يستقر بقربه ولا يصيد في حماه
بل يصيد مبعدا فاذا اصاد صيدا اعمر بقلبه وراده ثم حمله الى عشه و
فيما بين ذلك يصعد على الارض مرارا نغالط من عسى ان يكون كمن له
وبدا يصيد صغار الارانب ثم يتدرج الى صيد الكبار وينهض الى
صيده من الروابي والبقاع من الارض لان استقلاله من الحضيض و
بدا يلمح الصيد من حالق والجوارح لا يقع على الحجارة بسبب مخالبها انهم
الا في الندرة والعقاب طويل العمر ولذلك يجلد عشه في مكان واحد و
في بعض البلاد جنس اصغر من العقاب بيض مصبن ويودعهما
جلد ارنب او ثعلب ولا يحضنها الى ان يدرك الفرخ فيخرجه واما فيي و
هو كاسر العظام واظنه الطاير الذي يسمى بالعربية ملح وبالفارسية هما فانه
طاير وديع مدبر لنفسه ولبيضه ولفراخه ونعسه بعض كسبب اسال
خفته عليه فان حضنه مسرح ويكفل بفرخ العقاب الذي يطرده لبخله
او بحسده وسوء خلقه واذا اشتاث فراخ العقاب تقاتلت مخالبها
بينهما من بعضها ببعض ويتحاسدا على العظم ولا يبعد ان يكون هذا احد علل
طرد العقاب بعضها لسكفله سي وجنس من العقاب احد بصرا من
غيره يضطر فراخه الى مواجهه عين الشمس فانها دمعت عينه غدا الى وصه
او اوجها الادنى الى التعمض والطرف والاعراض فيلبسه و هذا العقاب البحري
واداهم بعض طر الماء دعره فانعط وهو يلحظ مسلكه في القعر يحد به بصره

حتى اذا

حتى اذا اطفا احتطبه وهذا العقاب لا يقصد زحمه الطير ليلا مستقبله
لا لطمه اياها باجنحتها ويا فره بمنا فرها ومن الطير جنس يوق لرما يوق و ن
رحف الماحتى يريد سعص الى الربد منغمسا فيه فانه يحب ان ياوى فيه بصاد
وذكر في هذا الموضع اصنافا مجهوله من الجوارح وذكر ان البزاة لا
يقل عن عشره اصناف فان منها بسط للحمام الحام على الارض فان طار
اعرض عنه ومنها ما بسط للحمام الواقع على سجره دون الارض والشرفات
ومنها ما بسط للمستقل طرانا وقد زعم بعضهم ان الحمام يشعر بسجنه
كل صنف منها بلاه بما يكفه عنه وفي بعض البلاد دباب عودت طعام
السمك المصيد فان حرمت مرهب الشالت المسمس للنحيف والضفدع
البحري امام عنه زاندبان شعريان دقيقان يلصقان بالسمك الصغار
فلذلك سعط في الرماك ويركها بادزين يصيد بهما ما ثمه واما السمك
السمك المسماة رعاده فانها يصيد ما يحاووها بالا يحان حدرا وفي البحر
حيوانات كثيره فكمن ويستخفي في الرمل والحماه واصده للصيد حيث
يكون في البحر اساس لا يكون حادحه بحريه ويمكن ان يكون ذلك بسبب ذلك
الحيوان ويشبه ان يكون قد عرض بالاتفاق ان ما يوافق هذا لا يوافق انتبه ع
والحيه البحريه في لون عمروس فاذا نشب الشص في المعروف بالاربعه و
الاربعين فاه فالنا معدته وهذا الحيوان يميل الى البرد ويلسع بمس
جميع جسده مثل الحيوان المسمّى دا واما السمك المسمى بغليب فانه
يصابر على الشص ويا حد في بلع الخيط حتى تمكن من القطع ولذلك
كثيرا ما يوجد في بطن المصيد منه صيا هو عده ومصيد من الاعماق وجنس
من السمك يسمى اسا يجمع بعضها عند معاسر السباع ويحدق بها

اكابرها فيحامى عليها وينا[ل] عنها والانثى حرما لا تتعهد البيض وتحلهم على
الذكر فهو يدب عنه الى خمسين يومًا ومن السمك ما تتغير لونه الى لون
مكانه حتى يلتصق به بطن صخرة او رملة فلا تسوّاه صغار السمك وجميع
انواع ما الاما تلزم الما الا صنف طويل العنق ضعيفه بحيث اذا امسك
عنقه مات ومن الحيوان البحري ما ينسج حول جسمه مثل ثوب غليظ يزر
جسمه ويسمّى هذا الحيوان نوعى وهو يدخل فيه ويخرج منه ومنه حيوان
كثير الارجل يقال له اكثلوس يطلب حرزه عند الطفو ليسهل طفوه ويبقى
زمانا على وجه الماطافيًا فاذا رام العود يلقى وصعد ومن رجليه جلد كنسج
العنكبوت لرقته وضعفه وهو له كالشراع يستقبل به الريح ويجعل الرجلين
كالسكان ويظن انه يتولد لا بالتوالد وحال النمل في امتداده الى حجره على
خط مستقيم يحفظ بعضها لبعض امر عجيب ولا يتعطل عن عمله في الليالي
المقمرة وحال الليث الذى يصيد الذباب عجيب وهو اصناف صغار و
كبار ومنها ما يلسع وليس فيها ما ينسج الا شيئا على وجه الارض فيستخفي فيه
ووقت ما يحركه فيظهر اليه ويأسره والجنس الصناع من العنكبوت هو الذي
يسدي سدى متوطه يتشر او بارا او اطنابا يلحمها فاذا وقع على النسج ذبابة
او غيرها سحب عليه في الوقت فان كانت جائعة يمصه والا يعليه الى
حواليه ويعود الى رم ما انحرق من نسجها والصناع هي الانثى واما الذكر
فيعاص اخرق واما العنكبوت العظيم الارجل فانه لما يئس عن الاختفاء
احتال بان يتعلق من تحت النسج واما الصغير فيحد لنفسه محاوزا ويظن ان
مادة غزله من ظاهر جسده ويبلغ من جلده ان يهم بالعطانة الصغيرة
فينسج اول شيء على فيها وهو متوق محرز فاذا فرغ من فمها دنا منها بطمأنينة

فيه

ينسج على بابها ومن الحيوانات الكثير النحل وما يشبهه من ذوات الابر
وهي سبعة اصناف منها ستة اصناف يختلط بعضها ببعض النحل
وذكورتها والصنف من الدبر الذي ياوي الى وجه الارض والدبر
الاصغر والدبر الطويل الاسود واما الاصناف الباقية منها فهي
مما ينفرد بعضها عن بعض اصغرها احمر واوسطها اسود والثالث
الكبير والنحل يغتذى من العسل ومع ذلك فلا يكثر منه ما اصاب
غيره فيقعه علته وادخاره الا اذا اصاب النحل دخان فح لا يقرب
من الماكولات غير العسل وما يولده النحل على ساقه غير الموم وهو
ثفل العسل وهو في حلاوة التين وهو غذا ايض للنحل ومتى صادفت
النحل الخلية نظيفة بنت فيها بيوتا من الشمع وهو لها طعم من الزهر و
اطراف الشجر وخصوصًا من الخلاف ومتى تحدر ان البيوت مسدسة
واذا استوسعت يدخل الخلية صغيرة نسج الموم وهو اسود دفر
الريح ويبدء بناء بيت الملك وهو شبه الثقب ثم بنا بيوت
الذكران ويبنى بيوتا اكبر من بيوت النحل الصغار والذكران لا يعملون
ثم يبنى بيوتا اخر ايضًا حول بيوت العسل والفراخ فادخره للاستظهار
وزعم بعضهم ان الذكورة تنفرد ببناء بيوتها وليس لها بعد ذلك
الا اكل العسل دون العسل وانها تلزم الخلايا في اكثر الاوقات
فان نشطت خرجت جملة واحدة في الجو كانه مد وبثه ثم عادت و
شبعت من العسل واما الملك فلا يخرج وحده بل مع الجملة واذا ضل
الملك تتبعه برائحة واذا اعيا الملك حملته حملا واذا احلت الموم
فانما يحمله بطرفي الرجلين المتقدمتين فاذا وقعت بين الطرفين

ولا
ما الذراعين والذراعين بالرجلين المؤخرتين واذا حملت الموم طارت مستقلا
ستقل من زهر الى زهر الا ان بعد ان تستقل ما حملته الى خليتها
وكثيرا ما تستقل الشمع من الزيتون وبعد ذلك تفرح اذا فرغت من
ساعتها وربما جمعت الفرح والعسل في بيت واحد وليس للذكر حمة
ويحاول اللسع ولا هوى عليه وملوك النحل جنسان اكرمهما احمر
اللون والاخر اسود مختلف اللون فحمي والملك في ضعف قد
النحل العاملة واكرم النحل العاملة ما كان صغير الجثة مستدير
الشكل عليه الوان وقد يكون منها مستطيل شبيه بالذكر وجنس
اخر احمر البطن والذكر كسلان والنحل الذي يرعى العاص
والجبال اصغر واعمل والكريم يعمل عسلا مستوى الاجزاء في بعض
ملس واصم ملس يملاء بعضها عسلا وبعضها فراخا وبعضها مساكن
للذكوره وما ليس بكريم لا يعمل شيئا مستويا على ما قلنا والنحلة يلزم نقب
الشهد وبذلك يصلح الشهد والا فسد وتولد فيه عنكبوت واتفق انه
لا يبعد ان يكون ابن النحلة مع انها سلاح نافع في احالة الرطوبات الى
العسلية ما بانها ويرسل فيها قوة ما وهذا مبني تخمين وكان سمعته من
بعض المتعهدين بهذه الاحوال وجنس من النحل مختلف بوقه لصوص لا
يعمل شيئا يعتد به وربما يولد في الخلية دود صغير ينبت اجنحة ولا
يدع النحل الى ان يقع على بيوت الموم والنحل العاملة تقتل الذكران
المودية والملوك المفسدة وخصوصا عند قلة العسل والنحل الصغير المجتمع
يحاول بها بالطوال منها ونفيها عن الخلايا فان فعلت ذلك جاد
العسل ويجتهد ان يقتل ما يقتله خارج الخلية صيانة للخلية وحرمة

اللحم يسمى لسون بحال النحل العاملة ونفخ عليها سوبها ويهلكها
مما يقل ويسد لسده نقطها وكره يحفظها وكثيرا ما يتفق اذا دخل
ان يشوش من اللطخ بالعسل فلا يقوى على الطيران ولا يلبث ان
يقتل ولا يكاد يهلك والملك فلما يخرج الا في عنقود من الفراخ يكنفه
واذا هم الملك بالخروج ظن قبله بيوم ويومين ليعلم الفراخ ما هم به
لتستعد له واذا تولدت ملوك مع كل ملوك من الفراخ طائفة
ولا يقتل ملكا اخر غير ما اتفق انه يحارب النزفان معها اخر قتله
فاذا خرجت الفراخ وكان بها قلة اسطرت المدد من خارج ويوزع عملها
بينها فمنها ما يقل المادة من الزهر ومنها ما اليه يلبس ذلك واصلاحه موما
ومنها ما يستعمل ذلك الموم ومنها ما هو ساق يسقي الماء للفراخ ولا
يقع النحل على حيوان البشر ولا على طعام وليس لابتدا عمله زمان معلوم بل
كلما اخصب وفي اي وقت اتفق ذلك واذا استوت الفراخ وطارت
فانها تشرع في العمل بعد ثلثة ايام عندما يستوى صعب الصمامات
التي على افواه البيوت ويخرج وما كان من النحل كسلانا صار اغرض الملام
على ما هو منوط به فان النحل الكريم يطرده واللئيم يتغافل عنه وللنحل
اعدا كثيرة كالزنابير والخطاطيف واصناف من صغار الطير والضفادع
النهرية والاجامية يلقى النحل الوارده فيبلعه والجرادين خاصة فانها
والضفادع يرصدها في باب الخلية والصمامات على انها لا يهرب شيء
من الحيوان ولا يقاتل عن جنسها وعن الزنابير واذا كانت خارجة من الخلية
تسالمت وسالمت غيرها وانما يقاتل بقرب خليتها والنحل يطعم
الحلاوات ابيض واذا لدغت النحلة حيوانا وخلف الابرة فيه ماتت

وربما ملت النحل من محلف فنر الابرة وقد ملت فرسًا اى وقد اخرب
نفر من قرى من اسفهان بق لها اسفا كوح وفيها حلايا النحل انهم
غزوا مرة وكادوا الاكراد يهلكوا بهم فسلطوا عليهم النحل بان عمدوا الى حلايا
فشوشها وتواروا عنها فهزمت النحل اولئك الاكراد لسعا لهم ولدوام
وملك النحل حليم جدًا ولا يلدغ شيا واذا هلك شئ فى الخلية رمته
الى خارج وهو انقى الحيوانات ولذلك لا يلقى ببلها نتنا وهو يكره
النتن ويكره ايضا الروائح الدهنية والادهان وان كانت عطرة و
يلسع المدهن اذا دنا منها ومما يهلك النحل تفرقها لكثرة ملوكها و
ابكار النحل وفراخها فهى اصبغ من غيرها واجود عسلا واقل لدغا و
اقل ضرر لسع وهى اقل رعيًا وقد قاتل النحل نحلا غريبًا زاحمها فى الخلية
وكان رجل يعين النحل الاهلى فلم يلسعه البتة ومن آفات النحل دود
يتولد ويصير عنكبوتًا ويستولى على العسل ويفسد الشهد والموم وربما
يعفن الخلية وانتن فافسدت النحل والنحل يحب السعتر واجوده
الابيض واذا لقط من زهر مل مرض والنحل يستتر عن الريح بالحجر ويشرب
الماء الصافى القريب المعهود ولا يشرب الا بعد القاء الثفل وكثر
ما يعسل ربيعًا وخريفًا واجوده الربيعى والعسل الابيض هو الذى
يعسل فى موم طرى واذا عسل فى موم عتيق احمر واجود العسل الزاهر
واردء العسل هو اعلاه فى الخلية ولذلك ينبغى ان يخرج عنها والنحل
يحب التصفيق والغناء وبهما يجتمع ويرد والخلية المحصنة هى التى يكثر
فيها دوى النحل واذا ترك للنحل فى الخلية شهد فوق كفايته عاد بطالا
وكذلك ان كان اقل من كفايته وتلك المذكورة اصلح فى الخلية فان النحل

العسال يكون النشط والنحل يحدس بالبرد والمطر وعلامة ذلك
لزومها الخلية وهنالك ما يعد لها الفم قوتا واذا تعلق بعضها ببعض
فى الخلية دل على اجماعها مفارقته فهنالك يوش القيم خليتها
بشراب طيب حلو وينبغى ان يكون بقرب الخلايا كمثرى جبلى و
باقلى وقثاء رطب وحلنار وآس وخشخاش وسيسنبر ولوز وبشنة
الحنوبى يفسد النحل والزنابير اصناف صفر صغار وسود مطولة
صفر الارجل دنابير وحمر كبار جدًا واوساط وقد رايت جنسا
اسود الراس كبير الراس الرائحة عطرة وله ابر فى موخره ثلث او خمس
فهذه احوال النحل **فصل فى مثل ذلك من اخلاق السباع المختلفة وحيوان الماء والطير** ولساير الحيوانات ايضا اخلاق
وانفعالات نفسانية كالاسد فانه حليم كريم عند الشبع صعب
ردى جدًا عند الجوع وعلى الاكل ومن عادته ملاعبة من الفه لكن
لعبه موذ ولا يهرم الا عن تمام الامر ويكون مشيه رفقا وليها
قليلا فاذا وارى عنه امعن هناك فى الهرب فاذا ظهر منها مرة اخرى
احد رفق فى مشيه فان اضطر الى الهرب اضطرارا شديدا استعجل فى
المشى من غير ان يجعله عدوا وهو بالحقيقة يخاف النار واذا نابه قوم
سن من رشقه منهم فيقصده خاصة فان كان رماه ولم يوذه ثم
ظفر به اخذه وتركه واكثر ما يعمل به انه يخدشه وينفر عنه وانما يقصد
اكل الناس ويضايف مساكنهم الضعف المسن منها آق ان
الاسد التى ببلاد خراسان وخصوصا الجيحونية اقوى واشهر من ساير
الاسد الجنوبية والعراقية اضعف وكان عند ملوك بلادنا اسد

كتابخانه [illegible] ٣

جيحون واسد من راس حد خراسان ومن فراوه فكان تفرق بينهما في
المكان على ان الجيحونية اقل عددا الا ان صيدها اصعب على الناس
واعسر وكانت الاسد الفراوية على ما بلغني وكاني بما مليه تخاف
قطيع منها واحدا من الجيحونية ومع ذلك فان الجيحونية لا يؤذي الناس
ولا الانعام على وفور عددها بشط جيحون والاسد طويل العمر وقد صيد
من الاسود اسد بلغ من كبره ان نفضت اسنانه ومن الاسد جنس
ضعيف يهرب من الخنزير اذا شد عليه فلا يقاومه وجراحته بمخلبه او
نابه رديئة تسيل قيحا رديا منتنا ويقرب علاجه من علاج الكلب الكلب ومن
السباع سبع يسمى بدس محبب للناس لا يضرهم وهو يقاتل الاسود
والكلاب وصغره اجرأ واجلد وله حسنان او احناس وهو متبدل الالوان
كل فصل وسبع يسمى بوباسوس يكون في جبال بلادنا وهو في عظم الثور
لكنه اجسم منه وجنس منه تشبه البقرة على اكنافه شعر وعرفه الين
من عرف الفرس واسمح واقصر وكانه صوف وهو اشقر تاني ناحية الراس
الى العرف ويرسل من الراس الى العين مثل الناصية وسائر بدنه بين
الرمادي والاحمر وله قرون متعقفة الى داخل بقدر شبر واكثر ولا اسنان
له في فكه الاسفل وهو ذو ظلف كثير شعر الفخذ قصير الذنب يحفر الارض
بحطمه وجلده صلب جدا وهو صيد طيب اللحم واذا عجز رمح برجليه و
رمى روثه الى اربعة انواع وهو رواث وخصوصا عند الوضع ونهى منه
على مولوده مثل السدق والجمل لا ينزوا على وقد احتال بعضهم على الزام
فلما علم ذلك حقد على المحتال عليه واهلكه واما الفرس الكريم
فقد غولط بامر ملك يونان لم اسعو ناس فنزا على امه فلما سفدها وعاين

ذلك

ذلك مما يمال الهي نفسه في وهده وعطب وقد سمعت من بعض الناس
يحاور زمرة قريبا من هذا والدلافين يحب الناس ويستانس بهم
وبالصبيان خاصة اقول وقد رايت البغا شديد الحب للصبيان المرد
وشديد الانس بهم والكلام عند حضرتهم واقول حدثني ثقة
بحلمه من حكايات البغا وحبه لصاحبه وعشقه اياه وجزعه على مفارقته
وحسده على محاذيه بغا اخرى ما قصيت له اخر العجب وحكى في التعليم الاول
ان دلفينا جرح بجاداه انسان فتوجهت الدلافين الى الشط كالشفعة
الى مرصادها فلما خلى عنها انصرفت والدلفين الكبير يهتم بصغار
الدلافين يتبعها للحراسة وروى دلفين يحمل دلفينا مات يعني نفسه و
يغوص به ويطفو كانه يحفظه لئلا يؤكل ويحكى عن سرعة الدلافين
ما لا يكاد يصدق به وربما برز من صفحة الما الى ما يجاوز طرف الدقل و
وقع في جانب الاخر من السفينة ويكون السبب فيه طول غوصه
لفقع بعض السمك فاذا اشتهى النفس ابرح دفعه الى فوق وربما وقع
الى البر اتفاقا ومن عجايب احوال الحيوان ان الدجاجة اذا غلبت الديك
فما لا تشبه بالديك في صقعها وفي سفادها واشالت اذنابها كالديكة
وربما نبت لها مخلب اقول لتعلم ان الطبيعة مطيعة للهيبة النفسانية
والديك ايضا يتشبه بالدجاج اذا ناب الدجاجة عن فراخها فيعولها
ويحب السفاد ويتركه والطير يخصى بكي الاصول الرمكي كيه وكيتين
وثلثا فلا يصقع الديك المخصي ولا يسفد اذا خصيت ذوات القرون
قبل نبات قرونها تنبت جماما خلا الايل والخنزير يخصى انثاه وذكره
فان للاناث خصى لاصقة باصل الرحم اقول والخصي اطول عمرا اقول ان

الحيوان الطويل الساق سلاحه وذكر اصنافا من الطير يغير الوانها في
الفصول واصواتها حتى ان منها ما يصوت بصفيع الدباك صيفا ويصوت
بصوت الدجاج شتا والعصفور الحسن الصوت واظنه العندليب
معري باللحن خمسة عشر يوما من بدو الربيع وبعد ذلك يلحن وقتا
بعد وقت ثم يهجر اللحن ثم يتغير لونه ويستخفي ومن الطير ما يتمرغ
في التراب واكثر ذلك ما ليس لطيرانه جيد بعيد بر كالقبج والدجاج
ومنه ما يغتسل بالما كالحمام والعصافير وذوات النخل فلا يعمل شيئا
من ذلك

سال ۱۳۴۸ خورشیدی
بازبینی شد

بازبینی شد
۱۳۷۱ ش

کتابخانه آستان قدس رضوی
ویژه کتاب

بازبینی شد
۱۳۵۳ خ